الإمام العادل

صاحب الجلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته - بطولته - سر عظمته

وضع

السيد عبد الحميد الخطيب

الوزير المفوض والمندوب فوق العادة

للمملكة العربية السعودية لدى حكومة الباكستان

الجزء الأول

نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

الإمامُ العادِل

صاحب الجلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سُعُود

سِيرتُهُ - بُطولتُهُ - سِرُّ عظمَتهُ

وضع

السيد عبد الحميد الخطيب

الوزير المفوض والمندوب فوق العادة

للمملكة العربية السعودية لدى حكومة الباكستان

الجزء الأول

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

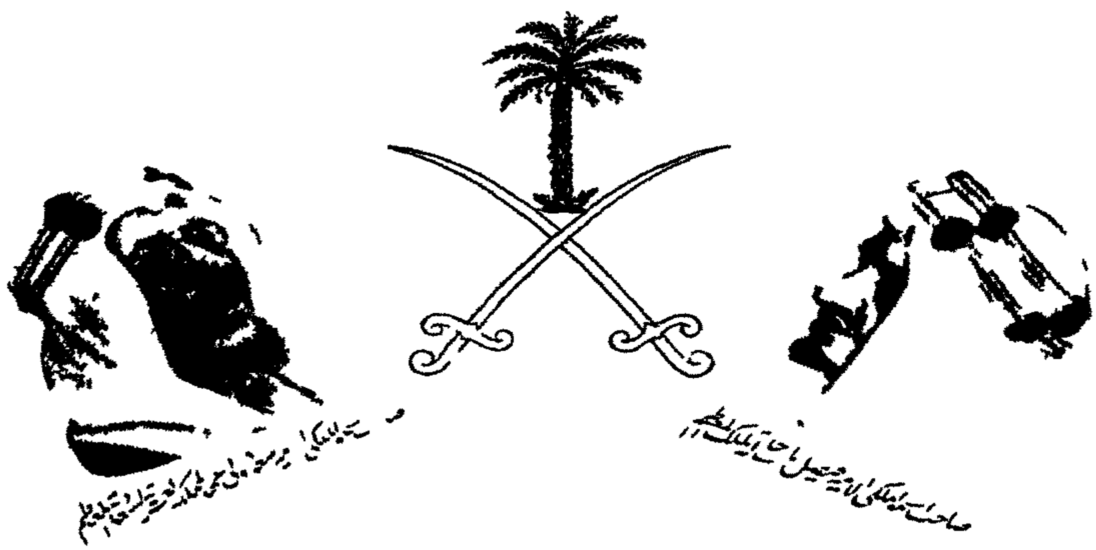
الطبعة الأولى

١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

وقد طبعت ترجمته باللغة الإنجليزية في باكستان



حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود المعظم



الإهداء

إلى الدرة الكبرى فى تاج هذا الملك المبارك العتيد أمل هذه المملكة الإسلامية "باسم ، وذخرها المستقبل المرتجى . وشبل العرين الذائد عن الحمى :

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية

وإلى فخر شباب الجزيرة وركنها المتين ، قدوة المجاهدين العاملين :

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل نائب جلالة الملك المفدى .

أقدم هذا المجهود المتواضع محاولا تصوير مثل أعلى للبشرية . سما وما كبا ، وأصاب وما خبا . آية وفاء صادق ، وإخلاص دافق ، واعتراف بالفضل ، وحمد للجميل

إنه تاريخ أمة فى شخص رجل عظيم . إنه عرض لصفحات جلية من حياة عاهل الجزيرة رشيدها ، إنه ذكرى « والذكرى تنفع المؤمنين »

حسن الأمين

عمر الحجر الخطيب

تقدير

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد عبد العزيز بن مانع

مدير المعارف بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده .

أما بعد : فقد قرأت جميع هذا الكتاب قراءة تأمل واستفادة وتحقيق ، فوجدته كتابا ممتعا وافيا كافيا في موضوعه ، سلك فيـــه مؤلفه العلامة : « السيد عبد الحميد الخطيب » مسلك التحقيق والإخلاص وبيان الحقائق التاريخية التي لم يسبق تدوينها ، وإنه لمن أصدق المصادر حيث إن مطالبه كتبت عن مشاهدة وخبرة تامة ، فهو كتاب معتمد معتبر عند من سبر الحوادث التاريخية وعرف ما اشتمل عليه من المسائل الدينية .

فسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف لطبعه ونشره ليعم الانتفاع بعلمه ويكون مرجعا للمؤرخين ومن يهمهم أمر المملكة العربية السعودية التي سيكون لها مستقبل زاهر باهر بحول الله

وأرجو أن لا يكتفي بطبعه ونشره في باكستان[1] لأن العرب أشد حاجة إلى مطالبه وتحقيقاته من غيرهم ، وأحرى أن يدرسه النشء في بلادنا ليزدادوا علما بسيرة مليكهم وما حدث في ديارهم من التطورات

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) لقد وضع هذا المؤلف بناء على طلب عميد الكلية العربية بباكستان ليترجم إلى اللغة الإنجليزية ويدرس في مدارسها ، وعند ما اطلع فضيلة مدير المعارف العامة على نسخه العربي فضل فصدره بهذه الكلمة القيمة ، واقترح طبعه باللغة العربية أيضا .

وها نحن نحقق رغبته الكريمة ، بعد طبعه باللغة الإنجليزية بباكستان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين وكرمه على الخلق أجمعين ، وجعل منه خليفة يحكم بالعدل بين العالمين ، وأنزل الشرائع هداية للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد: فقد كتب الناس كثيرا عن جلالة الملك «عبد العزيز آل سعود» وعددوا آثاره وأظهروا مفاخره وصفاته ، ولكنهم لم يتعرضوا لسر عظمته وحقيقة أمره ، فتكلموا عنه كملك سعى للملك فناله ، ووطد بعزمه أركانه ، ووافاه الحظ فأعلى بنيانه ، ولم يدركوا ماتنطوى عليه نفسه الكريمة من إيمان وتقوى، هما فى الواقع السبب المباشر لكل ماتم على يده من الأعمال ، وما نالته البلاد فى عهده السعيد من تقدم وهناء .

لذلك رأيت أن أكتب عن جلالته من هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مثلا عليا لهم فى هذه الحياة ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

خصوصا وأن ما دعانى إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان فى الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم فى البلاد وطريقة حكمهم فيها ليدرسها النشء فى هذه الدولة الناهضة (باكستان) التى يهمها أن يعلم أبناؤها الكثير عن مزايا الإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين .

والله المسئول أن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به للهداية إلى سبيله المستقيم ، إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

تمهيد

لقد عرف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأنه إمام الوهابية ونصيرها ، وتكلم الناس كثيرا حول المعنى المراد من لفظ الوهابية ، فقال خصومهم عنهم : إنهم جماعة يعتنقون مذهبا خامساً خارجا عن المذاهب الاربعة المعروفة ، وشاءت سياسة الدولة العثمانيه أن تؤيد هذه الفرية بكل قوتها حتى نظر إليهم العوام والسذج من المسلمين بنظرة بغض وازدراء ، وتحاشى بعض العلماء النظر إلى كتبهم ، وهاجمهم الآخرون عن جهل بحقيقتهم وتمشيا مع الرأى العام فى ميوله واستيائه ، فأصبح لزاما على الباحث عن تاريخ جلالة الملك أن يفهم هذه الناحية من شخصية جلالته باعتبارها أهم نقطة فى تاريخه ، لأنها تتعلق بالعقيدة التى عليها مدار الحكم بخيره وشره فى نظر المسلمين وبها يستحق الحمد أو الذم ، فالمؤمن محبوب إلى قلوب المؤمنين وإن بدت منه بعض الأخطاء ، والخارج عن جماعة المسلمين مبغوض عندهم ولو كثرت منه الحسنات على حد قول القائل :

وإذا كرهت فتى كرهت كلامه　　وإذا سمعت غناءه لم تطرب

والمسلم الصادق يجب أن يحب المسلمين ويرجو هدايتهم فى حالة الهفوات ، ويبغض الضالين والمضللين ، وينفر من موالاتهم مهما صدر منهم من أعمال صالحات . لذلك وجب أن نبحث أولا فى معنى الوهابية وحقيقة الوهابيين الذين يتزعمهم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ليكون الناس على بينة من أمره وأمرهم ، فلا يهرفون بما لا يعرفون استجابة لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .

والواقع أن الوهابية نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهى عبارة عن البحث عن أدلة الأحكام لتكون الأعمال مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح مع الجهر بالحق وعدم المواربة فيه . ذلك لأن الشيخ محمد عبد الوهاب الذى تنسب إليه الوهابية رجل من أهل نجد ولد فى عام ١١١٥ هـ ببلدة العيينه من أسرة عرفت بالعلم والتقى بين أهليها ، فحفظه أبوه القرآن ، ثم أخذ يتلقى العلم على يده ،

وكان شغوفا بالبحث ومعرفة الحقائق ، وصار يسأل أساتذته في ... الأحكام عن دليله من الكتاب والسنة فلم يجد من بعضهم جوابا في كثير من المسائل الأمر الذي دعاه إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فوجد فيهما ضالته من البحث والتحقيق عن أسس الدين وأدلته النقلية والعقلية ، فأعجب بها أشد الإعجاب وسرت أفكار ذينك الشيخين الجليلين في أفكاره سريان الدواء في الأحشاء ، وتلفت حوله فوجد البدع والخرافات قد تسربت إلى بني قومه وضعف الإيمان في قلوبهم ، فأخذ يدعوهم إلى الرجوع إلى جوهر الدين ، وما يوجبه الإسلام من إفراد الله وحده بالألوهية وتجنب الشرك في الأقوال والأعمال ، ومحاربة البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فقامت عليه ثورة بعض العلماء الجامدين أصحاب العقول الضيقة ، الذين لم يعرفوا من الدين إلا ما قاله لهم مشائخهم خطأ أو صوابا دون بحث أو استقراء ، حتى كان مضرب الأمثال لكل من تحدثه نفسه بالبحث عن أدلة الأحكام فيقال له أنت (وهابي) .

ولما أن ناهز عمره الخامسة والعشرين سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج إلى بيت الله وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهنالك لازمه رجل عظيم من ذوي العزم وناشري العلم وهو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من آل سيف رؤساء المجمعة ، ثم أتم معلوماته على يد عالمين جليلين ، أحدهما : الشيخ علي الداغستاني من كبار شيوخ الشام ، وثانيهما : الشيخ محمد حياة السندي من كبار علماء المدينة المنورة ، وأخذ عنهما إجازة التدريس ثم عاد إلى نجد ومنها إلى البصرة ، فحضر دروس الشيخ محمد المجموعي ، وأخذ عنه إجازة بالحديث المسلسل بالأولية . وحدث عنه أيضا بالمسلسل بالحنابلة ، ثم سافر للزبير ؛ ثم قفل راجعا إلى بلده ومنها إلى حريملا حيث ظل في خدمة والده واكتساب رضاه إلى أن مات هذا في عام ١١٥٣ فواراه التراب .

وانصرف إلى نشر الدعوة الصحيحة إلى الله ومحاربة الدجالين والمخرفين وإنكار البدع وكل ما يؤدي إلى الشرك بالله ، ومنع الناس عن سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وعن اعتقاد النفع والضر في الحجر والشجر والتمائم وما إلى ذلك من كل ما سوى الله ، ونهى الناس عن التدخين لما فيه من ضرر بالصحة ثابت باعتراف علماء الطب وما فيه من إتلاف المال من غير نفع ، وتبذير منهي عنه شرعا ، ولأن المال الذي ينفق فيه حري به أن يوجه في مصالح المسلمين ، ولذلك أطلق الناس على

كل من يدعو لهذه الدعوة الصادقة لقب (الوهابية) الذين هم أنصار التوحيد الخالص.

وظل كذلك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة غير وجل ولا هياب يبتغى بذلك وجه الله ونصر دينه الحق ، بكل ما أوتى من قوة وجلد ، وهو كبير الأمل فى نصر الله له مادام قائمًا على الحق ، ممتثلا لقوله تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » حتى إذا التف حوله بعض الأنصار ممن أنار الله بصيرتهم أدرك الرؤساء خطره عليهم ، فسلطوا عليه بعض مماليكهم فهموا بقتله ، وحفظه من شرهم من بيده مقاليد الأمور . فرأى الشيخ أن يعود إلى مسقط رأسه فى العينية وقصد أميرها إذ ذاك (عثمان بن حمد بن معمر) ودعاه إلى نصر الله والدعوة إلى توحيد الله وإقامة شرعه ومحاربة كل ما يؤدى إلى الشرك به والوقوع فيما يوجب سخطه .

فاستجاب الأمير لدعوته ووعده بمناصرته ، وزاد فى توثيق روابطه به فزوجه من ابنة أخيه عبد الله (الجوهرة) فاستبشر الشيخ بهذه المصاهرة ، واتخذ منها وسيلة للجهر بالدعوة على أكمل وجه ، فقطع الأشجار التى كان أهل البلدة يتبركون بها ويعتقدون فيها الخير وجلب المنافع ، واقتلع التمائم من أعناق الناس ، ومنعهم من نذر النذور وذبح الأنعام لغير الله ، وما إلى ذلك مما يتنافى مع العقيدة الصحيحة والإيمان الخالص لله وحده .

وكان بمدينة (الجبيلة) قبة على قبر ينسبونه إلى زيد بن الخطاب رضى الله عنه يحج إليه الناس ويعكفون حوله ويتمسحون بتابوته ويتمرغون فى ترابه ، فطلب الشيخ من الأمير أن يبعث معه رهطًا من جنوده ليساعدوه على هدم تلك القبة ففعل وأرسل معه سبعمائة رجل من رجاله ، وما أن وصل إلى ذلك المكان حتى أمر الشيخ أتباعه بهدم القبة ولكنهم أحجموا خوفًا على أنفسهم من أن يصيبهم أذى بأسرار صاحب القبر ، فتقدم بنفسه وتولى الهدم فعانوه حتى سوى القبر بالأرض دون أن يصاب أحد منهم بأذى ، فكان ذلك سببًا فى تحطيم أثر الوهم من النفوس ، وشاع الخبر وذاع وتلفتت إليه الأنظار ترى من يكون هذا الذى استطاع أن يقتحم حمى أصحاب الكرامات فإذا به رجل كسائر الرجال وعالم من سائر العلماء . وإنما يمتاز عنهم بشىء واحد فقط . هو معرفته الله معرفة كاملة جعلته لا يخاف غيره ولا يؤمل فى سواه ، معرفة دفعته إلى نصرة الحق وعدم المواربة فيه . لأنه يعتقد اعتقادا جازما بأنه

لا نفع ولا ضر إلا من الله جل وعلا « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » .

ولقد ظل يدعو إلى الله ويخوف من عقابه حتى اخترقت دعوته القلوب وسيطرت على النفوس وجاءته امرأة من نساء الحي واعترفت أمامه بالزنى وطلبت إليه أن يطهرها بإقامة الحد عليها فى الدنيا قبل الآخرة كما حصل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يتبين مدى صدقها وقال لها : لعلك كنت فاقدة الوعى أو لعلك أرغمت عليه ، فأجابته بالنفى وأن ذلك كان فى حال وعيها وبكامل اختيارها وشدت على نفسها ثيابها فنفذ فيها حكم ربها وحمد الله الذى كلل جهاده بالنجاح .

ولكن هذا الحادث قد أقلق أمراء العرب فى تلك الجهات مخافة أن يهيمن بدعوته على العامة فيتبعوه وتتلاشى سلطتهم ، فطالب أمير الأحساء سليمان بن محمد إلى الأمير عثمان بن معمر بضرورة إعدامه فصارح الأمير عثمان صهره الشيخ بالخبر واقترح عليه أن يبارح بلاده درءا للفتن والحروب التى قد تنشب بين البلدين من جراء وجود الشيخ فى العينية . فقدر الشيخ لصهره تلك الصراحة ووعده بمبارحة البلاد نزولا على رغبته ، وشد رحله إلى (الدرعية) ونزل ضيفا على صديق له اسمه (عبد الله بن سويلم) وما أن سمع بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود حتى أنزل الله فى قلبه حبه ، فخف لزيارته والسلام عليه والترحيب به ، وقال أبشر أيها الشيخ الصالح بالعون على نشر الدعوة ، فأجابه الشيخ بقوله : بل البشرى لك أيها الأمير بالنصر والتمكين ما نصرت هذا الدين .

فكلمة التوحيد التى دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين من تمسك بها وأيدها أيده الله بروح من لدنه . وأنت ترى بلاد نجد بأجمعها قد أشربت بالروح الوثنية ، وتمادت فى الأعمال الشيطانية ، ودعت بدعوى الجاهلية ، وأرجو الله أن يمحو على يديك أساطير الضلال ، وأن يجعل منك ومن أبنائك خير من يجدد عز الإسلام وعظمته . ثم تعاهدا على العمل لنشر الإسلام الصحيح والعقيدة السلفية فى نفوس الناس ، متبعين فى ذلك هدى القرآن الكريم وسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وسنته المحمدية .

لقد أدرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب بثاقب نظره أن ثقة الناس بأن النفع والضر لا يكونان إلا من الله وحده وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه ، من شأنها أن تحملهم جميعا على التقرب منه والاستعانة به وحصر الأمل فيه دون وسيط أو شفيع ،

وهذا هو سبيل الوحدة والقوة . أما إذا اعتقدوا بأن القدرة على النفع والضر تكون لغير الإله الواحد ولو عن طريق التوسل إلى الله والوجاهة عنده فإن ذلك يؤدى بهم إلى اللجوء إلى ذلك الغير ودعائه من دون الله . وبهذا تضعف ثقتهم بالله وتتعدد وجهاتهم . ومن هنا تتفرق كلمتهم وتتلاشى قوتهم ويذهب سلطانهم . وأكبر مصداق لذلك حال المسلمين فى الصدر الأول وفى عهدهم الحاضر فإنهم ما نالوا القوة والمنعة وفتحوا العالم إلا عند ما كانوا يؤمنون بالله حق الإيمان ويضعون فيه كل ثقتهم وجميع آمالهم ، ويضحون فى سبيله بالنفس والمال . ثم إنهم عند ما أشركوا معه غيره من الأولياء والصالحين الذين اعتقدوا أنهم يقربونهم إلى الله زلفى أو الأحجار والأشجار التى نسبوا إليها البركة والفوائد بعدوا عن الله وانمحت ثقتهم به ، فإذا أرادوا المنعة والمدد اعتمدوا على التمائم أكثر من اعتمادهم عليه سبحانه ، وتوجهوا إلى أصحاب القبور يسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فحل بهم ماحل من الضعة والهوان وهم لايشعرون . فلا سبيل إذاً لاستعادة مجد الإسلام إلا بالرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، فلقد كانوا محافظين على دينهم صريحين فى أقوالهم وأعمالهم ساعين لإعلاء كلمة الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهر بالحق مهما كلفهم ذلك : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » .

ومن أجل هذا اتفق الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع مضيفه وناصره الأمير محمد ابن سعود (جد العائلة المالكة فى الحجاز اليوم) على العمل لإعلاء كلمة الله وتصحيح العقائد ومحاربة الشرك وكل مايؤدى إليه من أنواع البدع والخرافات التى لاترضى الله بكل ما يستطيعون حتى النفس الأخير . لا يهمهم فى الجهر بالحق لومة لائم ، لم يعترض طريقهم الخوف من غير الله قط .

على هذا المبدأ تم الاتفاق والعهد بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب . وأخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينشر دعوته ويؤيده فيها نصيره وحاميه الأمير محمد بن سعود وفقاً للمبدأ الذى اتفقا عليه . ولم يمض على ذلك قليل من الزمن حتى حفظ الكثير من الناس القرآن وامتلأت المساجد بالمصلين ، والتف الجميع حول الشيخ لطلب التفقه فى علوم الدين من التفسير والحديث ، حتى زهت الدرعية ونمت فيها صورة مصغرة لما كان عليه السلف الصالح فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ،

وأمها العرب من كل جهة طلبا للهدى ورغبة فى التقرب إلى الله بصالح الأعمال وحميد الخصال ، وانتشر تلامذته فى سائر البلاد يدعون بدعوته إلى الدين الصحيح وإخلاص العبادة لله وحده لاشريك له .

فكبر ذلك فى نفوس أهل الضلال ومروجى البدع والخرافات فأخذوا يذيعون عن الشيخ الدعايات الكاذبة ويصورونه بصورة الرجل الخارج على الأئمة الأربعة ، المزيف لمعتقدات المسلمين المتوارثة، المسفه لرأى آبائهم وشيوخهم، المحارب لأنبيائهم وصلحائهم ؛ فرماه قوم بالكفر وآخرون بالزندقة عن جهل وبدون تحقيق، وأيدتهم فى ذلك الدولة العثمانية لأسباب سياسية ، وهو ماض فى طريقه الذى سلكه ابتغاء مرضاة الله ، يدعو إلى الله على بصيرة ويعمل لنشر العقيدة السلفية الصحيحة ، ويأمر باتباع الكتاب والسنة ويقضى فى الأحكام بمذهب الإمام أحمد بن حنبل . لم يدّع الاجتهاد المطلق ولم يؤسس له مذهبا ولم يأت فى كل ما قام به بشىء جديد ، فعقيدته السلفيه هى التى أجمع المسلمون أنهـا أسلم من سواها لأنها هى التى كان عليها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والأئمة الأربعة المجتهدون وهى عقيدة الإيمان بإثبات كل ما أخبر الله به عن نفسه من الصفات على مراد الله من غير تأويل أو تكييف ، بل مع الجزم بعدم مشابهة صفاته تعالى للحوادث ، فكل ماخطر ببالك فالله غير ذلك .

أما إفراد الله بالحب والدعاء وتجنب الشرك فذلك مما دعت إليه جميع الأنبياء والمرسلين وانعقد عليه إجماع المسلمين .

وأما تحطيم القباب والتوابيت وتحريم تعليق التمائم وما إلى ذلك ، فهذا أيضا مما صرحت به الأحاديث ونص عليه العلماء من جميع المذاهب ، لأن ذلك من وسائل الشرك ولم يقل أحد بجوازها ، وإنما الذى امتاز به الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن غيره من العلماء المعاصرين هو أنه قوى الإيمان بالله ، ولذلك جرأ على الجهر بالحق وأتبع القول العمل .

أما غيره ؛ فمنهم من كانت له مصلحة من وراء تلك البدع فروجها ؛ ومنهم من خاف على نفسه من غضب العوام فجاراهم على ضلالهم واكتفى بإنكار ذلك فى سره وهذا من ضعف الإيمان ، لأنه حرام على العالم أن يرى العوام على الضلال ولا يبين لهم الحق ، فقد حرم الله كتمان العلم ، والخوف منهم يعد مداهنة لهم .

ولقد ظل الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعمل على نشر دعوته غيرهياب ولا وجل

إلى أن توفاه الله فى آخر ذى القعدة سنة ١٢٠٦هـ عن عمر جاوز التسعين قضاها مجاهدا فى سبيل عز الإسلام عن طريق معرفة الله المعرفة الكاملة وإخلاص العبادة له وتجنب الشرك وما يؤدى إليه ، ومحاربة البدع والخرافات التى تبعد الناس عن جوهر الدين وتنتج تفرق كلمة المسلمين وتدهورهم بعزيمة لا تعرف الكلل والملل وصراحة تمقت المداهنة طمعا فى زائف الأمل .

وسار أبناؤه وتلاميذه المخلصون على سيرته وعملوا على نشر دعوته ، ومن أجل هذا لقبت طريقته بالوهابية وسمى أنصاره السائرون على منواله بالوهابيين : أى القائمين بالدعوة إلى الدين الحق بصراحة وعزم قوى ، يناصرهم فى ذلك الأمراء السعوديون من سلالة الأمير محمد بن سعود الذى احتضن الدعوة الإسلامية على الطريقة السلفية وعاهد الله على العمل بكتابه وسنة رسوله ، ومكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تنفيذ خطته لإعلاء كلمة الله .

ولقد توفى الأمير محمد بن سعود بعد أن حكم عشرين سنة وهو يعمل ويناضل لتأييد الدعوة وحمايتها على أكمل وجه . ثم تولى الحكم بعده ابنه عبد العزيز بن محمد فى عام ١١٧٩ هـ فخلفه فى تنفيذ خطته وما عاهد عليه الله ، وتفرغ للجهاد فى سبيل الله ونشر دعوة الله الحقة فى البلاد المجاورة له . فغزا الرياض والأحساء ودانت له نجد بأجمعها ، وامتد نفوذه من الغرب إلى عسير ، ومن الجنوب إلى عمان ، ثم اشتبك فى حرب أمراء آل السعدون (أمراء المنتفق) فاستعان آل السعدون بالدولة العثمانية فأعانتهم ، وبالرغم من ذلك فقد انجلت المعركة بانتصار الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وأرسل الأمير عبد العزيز بن سعود ابنه (سعودا) على جيش عظيم إلى العراق فصار من نصر إلى نصر إلى أن دخل (كربلا) وحطم كثيرا مما كان فيها من معالم الشرك ومخلفات الوثنية ، ثم مضى إلى النجف وأشرف عليها ، ثم عاد إلى نجد وسير جيشا له بقيادة ابنه سعود إلى الحجاز حيث تصدى له أمير مكة إذ ذاك الشريف غالب ، وجهز جيشا لمقاومته فنصره الله عليه ، الأمر الذى حمل الشريف غالبا على أن يصالح الإمام عبد العزيز بن سعود ومكن ابنه سعودا من الحج فى عام ١٢١٤هـ بدون إراقة دماء ، ثم فى سنة ١٢١٥ هـ حج مرة أخرى ولكنه رأى ما عليه الحجاز من الجهل وعدم إقامة السنة وانتشار البدع . وعلم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق إلا إذا كانت السلطة الحاكمة فيها له . ولذلك استأذن أباه فى انتزاع السلطة من الأشراف وجعلها فى يده

ليتمكن من نشر تعاليم الإسلام الصحيحة وتعليم الناس العقيدة السلفية وتحطيم القباب ومنع البدع والخرافات ، فأذن له بذلك فسار بجيشه فى ١٨ صفر سنة ١٢١٨ وأمن البلاد وفرق على أهلها الأموال وكسا الكعبة ، فما وسع الشريف غالبا إلا أن يغادر مكة إلى جدة مع أسرته فعين الأمير سعود بن عبد العزيز الشريف عبد المعين أميراً على مكة على أن يقيم فيها السنة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وما أن رجع سعود إلى نجد حتى كر الشريف غالب على الشريف عبد المعين واسترد مكة منه وبسط نفوذه عليها .

وفى تلك الأثناء دبر الشيعة اغتيال الإمام عبد العزيز بن سعود انتقاما منه لما أصاب مقدساتهم فى كربلاء على يده من التحطيم والتخريب حيث بعثوا له فدائيا تزيى بزى الدراويش وقتله وهو ساجد بين يدى الله فى مسجد (الطريف) يؤدى صلاة العصر ، وذلك فى اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م عن عمر يقدر بست وثمانين سنة قضاها فى القتال لنشر الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم، رحمه الله رحمة الأبرار . فخلفه فى الإمارة ابنه سعود الملقب بالكبير باعتباره أكبر أنجاله الذكور ولما امتاز به من الشجاعة والغيرة على الدين والتمسك بسيرة الأولين وما تم على يده من النصر فى ميادين القتال ، وما أن علم بما أصاب عامله فى الحجاز الشريف عبد المعين بفعل الشريف غالب حتى أخذ فى إعداد جيش عظيم لنصرة التوحيد وتمكين الدعوة الإسلامية على أساس متين فى البلاد المقدسة . ثم سار به إلى الحجاز فى سنة ١٢٢١ هـ فدخلها بجيشه ظافرا منصورا ولم يلق من أميرها الشريف غالب أى مقاومة ، بل إنه تقدم إليه فى خضوع واستسلام وتظاهر له بالاستعداد لتحقيق الغاية التى جاء من أجلها وهى العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية بكل دقة، والاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقضاء على كل ما يؤدى إلى الشرك من القباب القائمة ، أو يوجب غضب الله من استحلال المحرمات كلبس الذهب والحرير للرجال ، والتظاهر بالبدع والمنكرات وإتلاف الأموال فى غير طريقها المشروع : كشرب الدخان وسيء العادات . وبدأ الشريف فعلا بالقباب فهدمها ونفذ الأحكام وفق مرامه فوثق الأمير بأقواله وأبقاه فى الحكم على حاله . مع بقاء الجيش الوهابى متمركزا فى البلاد يشرف على كل شيء ، وظل

الشريف على ولاء تام للوهابيين فى الظاهر بينما يدبر لهم المكايد ويراسل السلطان سليما العثمانى ، ومحمد على باشا والى مصر محرضا لهما على قتالهم فى الباطن حتى غلا الحقد فى قلبيهما ، فسير محمد على باشا بأمر الدولة العثمانية جيشا عظيما يقدر بثمانية آلاف جندى على الحجاز بقيادة ابنه الأمير طوسن ، فنزل ينبع فى عام ١٢٢٦ هـ أحد موانئ الحجاز ، وسار نحو المدينة فانبرى لقتاله الوهابيون وقتلوا منه أكثر من نصفه ، فرجع إلى ينبع ثانياً وظل بها إلى أن جاءه المدد من مصر عن طريق القصير فى العام الثانى سنة ١٢٢٧ هـ . فعاود الكرة على المدينة المنورة وصار يبذل الأموال لقبائل جهينة وحرب القاطنين بها حتى بلغها وحاصر الجيش الوهابى فيها مدة حتى سلم له ، ثم سار بالجيش إلى مكة فاستقبله فيها الشريف غالب بالترحاب وسلم إليه مقاليد الأمور فأبقاه فى الإمارة وهم بغزو نجد وسار بجيشه إليها فاصطدم بالوهابيين فى تربة فهزموه شر هزيمة فعاد أدراجه إلى مكة مندحرا ، فما كان من والى مصر محمد على باشا إلا أن جهز جيشاً آخر تحت قيادته بالذات وحضر به إلى الحجاز وأدى فريضة الحج وقبض على أزمة الأمور بنفسه وعزل الشريف غالبا من الإمارة وأرسله وأسرته إلى الآستانة حيث مات فى سلانيك ودفن بها ونصب بدلا عنه الشريف محمد بن عون العبدلى جد الشريف الحسين وأبناؤه ملوك العراق وشرق الأردن الآن .

وفى هذه الأثناء توفى الأمير سعود الكبير فى عام ١٢٢٩ بعد أن قضى كل أيام حياته من صباه إلى آخر أيام إمارته وهو فى جهاد دائم متواصل لنشر العقيدة السلفية وتثبيت مبادئها فى نفوس الناس بكل ما أوتى من قوه . وتولى الحكم بدله ابنه عبد الله ابن سعود فلم يرق هذا فى عين عمه عبد الله بن عبد العزيز وأخذ ينازعه الإمارة ويبث الفتن والقلاقل ضده . فنشأ عن ذلك انقسام الأسرة وتفرق الكلمة ، الأمر الذى سبب ضعف القوى وحمل الأمير عبد الله بن سعود أن يفاوض قائد الجيش المصرى الأمير طوسن لعقد هدنة توقف كلا من الطرفين عند حده وذلك فى عام ١٢٣٠ هـ .

ورجع الأمير طوسن إلى مصر يحدث أباه بما شاهد من قوة الوهابيين وماضى عزيمتهم ثم توفى بالاسكندرية . فلم يثن ذلك من عزيمة والى مصر محمد على باشا ، بل جهز فى شوال من العام الثانى عام ١٢٣١ هـ جيشا آخر بقيادة ابنه الآخر إبراهيم باشا توجه إلى ينبع فالمدينة ودخل المسجد النبوى وصلى به ثم زار جميع المآثر هناك ثم انتقل بجيشه إلى (الحناكية) على بعد ثلاثين فرسخاً من المدينة وعسكر بها وظل بها

ستة أشهر وأخذ يستميل القبائل بالذهب الوهاج حتى [redacted] عموم القبائل الضاربة فى تلك الأنحاء فسار بهم وبجيشه إلى نجد فوجد مقاومة عنيفة [redacted] (الرس) حتى دخلها صلحا بعد ثلاثة أشهر. وعلى أثر ذلك أخذت تسلم له باقى [redacted] شيئا فشيئا بعضها بعد مقاومة بسيطة وأخرى من غير مقاومة حتى وصل (الدرعية) عاصمة إمارة آل سعود فى جمادى الثانية سنة ١٢٣٣ هـ (إبريل سنة ١٨١٨ م) فضرب عليها الحصار مدة خمسة شهور عمل فى أثنائها كل ما فى وسعه من وسائل لدك حصونها والاستيلاء عليها فلم يفلح إلى أن سئم أهل الدرعية المقاومة، وحل اليوم الثامن من شهر ذى الحجة الحرام، فما كان من أميرهم عبد الله إلا أن خرج بنفسه وسلم المدينة إلى الأمير إبراهيم باشا على شروط قبلها منه، فاستقبله أحسن استقبال وقدر له موقفه كقائد عظيم يعرف قيمة القواد العظام أمثاله. وأرسله مع رجاله معززا مكرما إلى مصر فلم يجدوا من واليها إلا كل احترام وإكرام، وأرسلهم إلى الآستانه وهناك لعبت أيدى الإفساد من قبل بعض المخرفين من أنصار البدع والتدليس لدى الباب العالى فأصدر أمره بقتلهم جميعا، ونفذ الحكم عليهم فى ميادين الآستانة. وقتل الأمير عبد الله بن سعود إمام الوهابيين فى أعظم ميدان من ميادينهم هو ميدان أباصوفيا بعد أن أدى واجبه نحو دينه وبلاده.

بعد أن تم لإبراهيم باشا الإستيلاء على نجد عين فيها واليا اسمه (إسماعيل باشا) وقفل راجعا إلى مصر فى عام ١٢٣٤ هـ الموافق ١٨١٩ م. مستصحبا معه بعضا من زعماء نجد ومن وجد من أفراد البيت السعودى معتقدا فى نفسه أنه بهذا قد أمن من بأسهم وأنه ضمن بقاء نجد فى حكمه إلى مدى الازمان، ولكنه نسى أو تناسى أن فى الغابة أسودا وأنه ما ضاع حق وراءه مطالبون، وأن النجديين إنما يعملون لنصر الله فلا يمكن أن يضعفوا أو يستكينوا ما داموا يعتقدون أن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء، وأن الله قد أكد لهم النصر فى كتابه العزيز بقوله: «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

ولقد كان لعبد العزيز بن محمد بن سعود أخ اسمه عبد الله أنجب ولدا اسمه تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود من أبناء عمومة أمير الدرعية عبد الله بن سعود ابن عبد العزيز فر من وجه إبراهيم باشا وظل متنقلا فى صحراء نجد ينشد السلامة فى دينه ودنياه. ذكر هذا الفتى (تركى) ذلك المجهود الذى قطعه جده محمد بن سعود

للشيخ محمد بن عبد الوهاب من العمل لنشر الدعوة إلى الله ومحاربة الشرك والبدع والخرافات . فأخذ من عام ١٢٣٥ هـ يؤلف القلوب ويجمع الكلمة ويدعو إلى ما كان يدعو إليه آباؤه حتى تمكن من غزو الأحساء والاستيلاء عليها ، ومضى إلى الرياض فاستردها من الأتراك وأسس فيها إمارته وظل يعمل على نشر الدعوة . وبه انتقلت الإمارة من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد ، ومازالت فيها إلى يومنا هذا . ولقد كبر على آل سعود الكبير أن تخرج الإمارة عنهم إلى أبناء عمومتهم ، فدبر مشارى بن عبد الرحمن بن مشارى بن سعود أخو محمد بن سعود الكبير فكرة اغتيال الإمام تركى والاستئثار بالإمارة من دونه ، فعهد إلى أحد الخدم بذلك فجاء إليه وهو خارج من المسجد عقب صلاة الجمعة عام ١٢٤٩ هـ وهو منشغل بقراءة عريضة رفعت إليه من أحد الرعايا فأرداه قتيلا . وعندئذ تقدم مشارى ونادى بنفسه أميرا على البلدة فخضع الناس له ، وكان فيصل بن الإمام تركى القتيل غائبا فى أطراف القطيف على رأس جيش عظيم لإقرار الإسلام فى تلك الجهات ، فما أن بلغه الخبر حتى قفل راجعا إلى الرياض ، فبلغها فى الحادى عشر من شهر صفر سنة ١٢٥٠ هـ ودخلها عنوة فاحتمى مشارى بقصره فاقتحمه أحد رجال فيصل ودخل عليه فقتله وتربع هو على دست الحكم فى البلاد . وكان فيصل بن تركى من ضمن من نقل إلى مصر وتربى بها ، ثم رجع إلى أبيه وتولى قيادة جيشه ومعاونته على تدبير شئون الإمارة والبر بوالده إلى أن قتل . فأخذ بثأره ممن دبر قتله وتولى الحكم محله ، وما أن قبض على أزمة الامور وأصبح أميرا على نجد والاحساء والقطيف وبعض قرى الحجاز حتى قام يعمل على نشر الدعوة التى أخذ آل سعود على أنفسهم حمايتها ونصرتها لتكون كلمة الله هى العليا .

ثم سمع والى مصر محمد على باشا بتجدد الدعوة السلفية السنية فى نجد على يد فيصل بن تركى أيقن أنه لا سبيل إلى القضاء على هذه الدعوة إلا عن طريق قادتها ، فاختار من بين المبعدين فى مصر من آل سعود شابا استصفاه ورباه فى قصره على النعيم والترف وملأ قلبه بمباهج الحضارة الغربية الزائفة حتى نسى ما فى البداوة من معان سامية وشمائل علية توحى إلى النفوس معنى العزة والكرامة ، وتذيقها لذة الحرية والاستقلال ، وتشعرها بفوائد الإيمان والثقة بالله . ذلك هو الأمير خالد بن سعود ، وما أن وثق بأنه سوف لن يدعو بدعوة آبائه عينه أميرا على نجد وأرسل معه جيشا

عظيما بقيادة إسماعيل آغا . ثم تبعهما بعد ذلك عام ١٢٥٤ هـ القائد المسلم خورشيد باشا لانتزاع الحكم من يد فيصل بن تركى وتنصيبه بدلا عنه . فسار الجيش المذكور حتى أشرف على الرياض ، فلما سمع به الإمام فيصل لم يشأ منازلته فى الرياض بل تنحى بجيشه إلى مكان يقال له (الدلم) فى أنحاء الخرج ، فتبعه هنالك الجيش المصرى وحصلت بينهما معركة لم يستطع معها الجيش المصرى دحر قوة خصمه ، ولكنه ظل مرابطا حوله والمناوشات دائرة بينهما عدة أيام حتى سئم الفريقان الحرب ، فما كان من الإمام فيصل إلا أن يعرض على القائد المصرى استعداده للتسليم إليه على شرط إعطاء الأمان لكل من كان يحارب معه ، فقبل القائد المصرى ذلك وبادر الإمام فيصل بتسليم نفسه إليه فى اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٨ م) فبعث به إلى مصر مع أخيه جلوى بن تركى وابنى أخيه عبد الله ومحمد ، وأجلس خالدا على دست الإمارة وسلمه مقاليد الحكم فى نجد ليوجه الشعب إلى غير الاتجاه الذى كان عليه ، ويسير به على النظم والتعاليم العصرية المتبعة فى مصر ، فقام الأمير خالد بما عهد إليه به ، فنفر منه الناس وأنكروا عليه أعماله وقامت الثورات ضده حتى توحدت القوى النجدية بزعامة عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود تريد التحرر من حكم الأتراك والمصريين ، وتبتغى المحافظة على الدين الصحيح على طريقة مرشد العالم السلفى الشيخ محمد عبد الوهاب وقررت خلع الأمير المذكور ، فما وسعه إلا أن ينجو بنفسه ففر إلى الإحساء ، فالقطيف ، ثم الكويت ومنها إلى الحجاز ، حيث مات به فى عام ١٢٥٧ هـ (١٨٦١ م) . وخلا الجو لعبد الله بن ثنيان فاستبد بالحكم وعمل على وضع الضرائب الباهظة على الشعب ليستعين بذلك على توطيد إمارته . ولكن الإمام فيصل ابن تركى لم يمهله كثيرا ، ففر من مصر مرة ثانية أو ربما سهلت له مصر فى عهد واليها عباس باشا الأول طريق الفرار لمناوأة خصمها الذى تزعم الثورة ضد عاملها الأمير خالد لعجزها فى هذه المرة عن مقاتلة نجد وتوطيد حكمها فيها .

وما أن جاء إلى نجد البشير بمقدم إمامها المحبوب فيصل حتى التفت حوله القبائل. فزحف بها إلى عنيزة فاستولى عليها بعد أن أخلاها ابن ثنيان ولجأ إلى الرياض، فتعقبه بها وحاصره بقصره فاستسلم له فعفا عنه ، ولكنه مات بعد مرض ألزمه الفراش أياما وظل الإمام فيصل يعمل على استرجاع ما أخذ منه من البلاد حتى خضعت له الإحساء ، والقطيف والعارض، والقصيم وجبل شمر . ووادى الدواسر وعسير. وجانب من أرض

الحجاز، ودان له بالطاعة أمراء البحرين ومسقط وسواحل عمان وعنيزة ، ولم يكن يهمه من كل ذلك إلا أن يعمل على محاربة كل ما يؤدى إلى الشرك والضلال مما يسبب غضب الإله المتعال . حتى توفاه الله فى شهر رجب سنة ١٢٨٢ هـ (ديسمبر سنة ١٨٦٥ م) .

مات الإمام فيصل وخلف من الأبناء أربعة ، أكبرهم عبد الله ، ومحمد أمير المنطقة الشمالية فى نجد ، وسعود أمير الخرج والافلاج ، وعبد الرحمن أصغر أبنائه .

وبموته تولى عبد الله الحكم باعتباره عميد العائلة، فلم يرق ذلك فى نظر أخيه سعود ودب الخلاف بينهما من جديد ، فراح سعود يؤلب على أخيه القبائل ونشأت عن ذلك الفتن والقلاقل مما أدى إلى تدخل الدولة العثمانية بإرسالها قوة لاحتلال الإحساء . وتم لها ذلك فى سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) فلم يأخذا لأنفسهما من ذلك عبرة ، بل ظل الأخوان عبد الله وسعود يتقاتلان والبلاد فى حالة فوضى مستحكمة، والحرب الأهلية تستعر فى جميع الأنحاء حتى تدخل فى شؤونهما الخاصة أمير حائل محمد بن الرشيد ، واشتبك جنده معهما فى القتال .

ثم تطورت الحالة وزادت المحن ، ومات خلال ذلك كل من الإمام عبد الله وأخيه سعود اللذين كانا مدار التباغض والانقسام فى هذه العائلة ، وتولى الحكم فى الرياض الإمام عبد الرحمن والد عبد العزيز (ملك المملكة العربية السعودية الآن) ، واستمرت الحرب مستعرة بينه وبين محمد بن الرشيد حتى سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) وداخل الدعوة الإسلامية شيء من حب الانتصار للذات أو تطلب الاحتفاظ بالحكم والسلطان مما هو خارج عن أسس الدعاية الإسلامية التى كان يحمل لها الإمام عبد الرحمن وآباؤه من قبله .

عندئذ رأى الإمام عبد الرحمن وهو المعروف بالتقوى والصلاح . أنه ليس من الصواب أن تراق دماء المسلمين فى غير طاعة ، فآثر الانزواء والهجرة بدينه فى سبيل الله ، فأخذ أسرته وأقاربه من الرياض وأرسلهم إلى البحرين ، وظل متنقلا فى المدن والأمصار يبحث عن مكان يصلح لأن يعد فيه العدة للعمل بما يرضى الله تعالى ، حتى وقع اختياره على مدينة الكويت فرحب به الأمير محمد بن الصباح حاكم الكويت . وأذن له بالإقامة عنده وعين له مرتبا من الأرزاق إلى أن خصصت له الحكومة العثمانية مبلغ ستين جنيها شهريا . حينئذ قطع عنه أمير الكويت الأرزاق

وعاش الإمام عبد الرحمن فى الكويت عيشة ضنكا ، وكان يسكن مع أفراد أسرته فى بيت صغير لايتجاوز ثلاث غرف صغيرة .

وبذلك تلاشى حكم آل سعود من الوجود وخمدت الدعوة الإسلامية الحقة فى الطريقة التى رسمها وكان يود تحقيقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكنها لم تخمد فى نفس حاميها وناصرها الإمام عبد الرحمن، بل إنها استولت على كل مشاعره وأصبحت همه الوحيد فى هذه الحياة ، وأخذ يلقنها لابنه البار (عبد العزيز) ويوصيه بالتمسك بها والدأب عليها وعدم التفريط فيها ، فإنها سبيل السعادة وأس النجاح والفلاح .

وثابر على ذلك إلى أن بلغه الله أمنيته كما سيجىء بعد ، حيث جعل من ذلك الابن (جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) خير نصير لتلك الدعوة وأعظم مجاهد فى سبيلها بالنفس والمال .

ومات الإمام عبد الرحمن رحمه الله قرير العين ناعم البال فى الرياض . وذلك فى يوم الجمعة ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٦ ، والله المسئول أن يعلى كلمته . وينصر دينه ، ويؤيد شريعته حتى يعود للإسلام سابق مجده وسؤدده إنه سميع قريب مجيب .

الملك عبد العزيز آل سعود



إذا ذكر الملك ، فأول ما يتبادر إلى الذهن تلك الهالة التي تمثل العظمة والكبرياء والجبروت والسلطان، وما إلى ذلك من المظاهر الخلابة والأبهة الزائفة . ولكن جلالة الملك عبد العزيز بعيد عن ذلك كل البعد ؛ فهو ذلك الرجل الطيب النفس ، الكريم الخلق، الذي يكره الكبرياء ويمقت العظمة ، ويتمثل دائما بقول القائل : « يا ابن آدم : أصلك من نطفة قذرة ، وتحمل العذرة ، وستغدو جيفة نتنة ، فكيف تبتغي العظمة ؟ » ويذكر قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي » .

لقد عرف ـ أيده الله ـ ربه فاحتقر نفسه وتجرد من كل حول وطول . وأسلم لله جميع أموره ؛ فلا يرتجي من غيره العون ، ولا ينفك لسانه من قوله تعالى : « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » منحه الله من الخصال أحسنها ، ومن الفضائل محاسنها وأوفاها ، وأعطاه الله الملك وخلق فيه مؤهلاته ، فزاده بسطة في العلم والجسم . فكان ملكا في نفسه قبل أن يكون ملكا على شعبه . نفسه ملكة النفوس ، وخلقه ملك الأخلاق . وقد ملك قلوب الناس بمواهبه وحسن شمائله وآثاره وعظيم فضله وإحسانه ، فقدّره العدو قبل الصديق ، وأحبه البعيد قبل القريب . تواضع لله فرفعه الله ، وجاهد في الله فتولاه الله ، وخاف الله في سره فخاف منه أعداؤه ، وراقب الله في عمله فثبتت سبله . وأحب الله فأحبه الناس . وعامل الله فحسنت معاملته وصفت أيامه . فغدق عليه الخير الخزير ، واعتمد على الله فناله الله ما يريد . ووثق بالله فلم يخيبه الله قط وكان له نعم المعين . فأصبح مثلا قائما حيا ملموسا لرجال الله الصالحين المتقين .

ولما كان (الشيخ) في اصطلاح العرب هو من بلغ رتبة أهل الفضل ، فقد أطلق عليه أهل نجد كلمة ("شيوخ") إشارة إلى أن جلالته قد جمع أعلى مراتب أهل الفضل ؛ فهو الملك الذي لا تجد العظمة إلى نفسه سبيلا . وهو الملك الذي لم يحدث الملك في خلقه تبديلا . وهو الملك الذي لم يحتل حب الملذات شيئا من فراغ قلبه ، بل كل همه

إرضاء ربه . فطالما سمعته يتحدث بتبلغ خوفه من عذاب ربه، و[illegible] عساه أن يكفر ذنبه ، وما يكون قد صدر منه عن غير قصد ، ويغبط المرأة العجوز في البادية ويتمنى أن يعتزل الناس ويكون على رأس جبل يعبد ربه. ولكن أنى له ذلك ومصالح المسلمين تضطره إلى البقاء على رأس حكومته ، ورضاء العبد بالإقامة حيث أقامه الله طاعة، وفي ذلك منتهى السعادة . وسأتكلم عن كل ذلك بتوسع في الفصول الآتيه :

نسبه

إذا مانفاخر الملوك بأنسابهم، فحسب صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود أنه عربي من صميم العرب ، يتصل بنسبه إلى عدنان . ويجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في الجد الثامن عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو (نزار بن معد ابن عدنان) فهو ابن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن ربيعة بن موسى بن مانع بن المسيب ابن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث ابن سعد بن همام بن مرة بن ذهيل بن غزة بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان .

مولده ونشأته

أبان تفرق كلمة آل سعود وانقسام الإخوة أبناء الإمام فيصل بن تركي على أنفسهم . والقتال محتدم بين الإمام عبد الله وأبناء أخيه سعود ينذرهم بالتدهور والفشل وسلب الإمارة منهم طبقا لما أخبر الله به عباده في كتابه العزيز بقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

في هذه الساعة الرهيبة التي قدر الله فيها على آل سعود ما قدر لطف بهم كما هو شأنه جل وعلا، فأوجد منهم من يعيد لهم ذلك الحكم بأعظم مما كانوا عليه وهم لا يشعرون فالملك لله يؤتيه من يشاء ، والأرض له سبحانه يورثها من يشاء من عباده الصالحين . تتقاتل الآباء على الحكم فلا يستطيعون الاحتفاظ به . ويضع الله الخير في طفل يهيئه للملك ويمكنه من استرجاع الحكم بعد زواله ، إن في حكمه لبالغة لكل معتبر .

حالة الضعف والوهن الذى منى به آل سعود بسبب تخاذلهم وإهمالهم يم الله ذى الجلال والإكرام منّ الله على الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود فى ليلة عيد الأضحى ١٠ من ذى الحجة سنة ١٢٩٩ قبيل الفجر الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٠ بمولود فرح به كثيرا أسماه (عبد العزيز) أملا أن يعز الله به دينه ويعلى كلمته ، فلكل امرئ من اسمه نصيب ، ومن أحرى بالعز من عبد العزيز ، وأخذ يعوده منذ طفولته على الفروسية وقيادة الجند من الأطفال ، ويعوده على التقشف وخشونة البادية ، وتحمل آلام الجوع والعطش والصبر على المكاره ، ويشجعه على ارتياد الصحراء لتعلم الفروسية والرماية وتعرف أحوال القبائل .

وما أن بلغ الخامسة من عمره حتى عهد والده إلى فقيه من فقهاء الخرج اسمه القاضى عبد الله الخرجى أن يعلمه القرآن ليحكم بذلك الصلة بينه وبين مولاه، فلم يمض على ذلك أربع سنوات حتى ختم القرآن الكريم . ثم عهد إلى فضيلة الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يعلمه علوم الدين ليتفقه فيها « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

وفى هذه الأثناء كان والده يحرص على مرافقته له فى مجالس الرجال ويشركه معهم فى الرأى ليتعود الصراحة فى القول والجرأة على الكلام ، بل ويصحبه معه فى أكثر الغزوات ويزجه معه للقتال فى الساحات .

ولما أن اشتدت به الأيام واعتزل الحكم أرسله مع أسرته إلى البحرين فقطر والإحساء فالكويت ، وظل بها إلى أن التحق به فيها . ومن ذلك التاريخ أخذ الإمام عبد الرحمن يبث فى نفس ابنه عبد العزيز الروح الدينية ، ويغرس فى قلبه حب التضحية والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ويذكره بالعهد الذى تم بين جده محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من العمل على نشر العقيدة السلفية وجذب الناس إلى توحيد رب البرية ، ويقيم له الأدلة والبراهين الناصعة على ثمرة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما يجنيه المرء من وراء ذلك من سعادة الدارين وخير الحياتين ، حتى اشتعلت فى قلب الفتى عبد العزيز نار الغيرة على دين آبائه، وعاهد ربه على العمل بما يقربه إليه ويرفع من شأن دينه الحق . فاشترك مع جنود الشيخ مبارك الصباح لمقاتلة ابن الرشيد مرارا فلم يكتب الله لهم النصر .

بطولة

عندما بلغ الفتى عبد العزيز العشرين من عمره واشتدت قواه ، فكر فى أن يعمل بوصايا والده ويسعى لاسترجاع مجد آبائه ونشر الدعوة إلى ربه ، ولكن أنى له ذلك ولا مال عنده ولا عتاد ؟ فكاشف فى ذلك بعض أخصائه فوافقوه على رأيه وأعربوا له عن استعدادهم للعمل معه إلى النفس الأخير وتعاهدوا على ذلك، فذهب إلى والده الإمام عبد الرحمن يستأذنه فى السفر لتلك الغاية معتمدا فى ذلك على معونة ربه وإيمانه القوى بنصر الله له ، فلما سمع الإمام عبد الرحمن من ولده ذلك القول، أدرك أنه قد أصاب الهدف واعتمد على من عليه المعتمد ، وآوى إلى ركن حصين وسند عظيم ، ولذلك لم يتردد فى الإذن له بالعمل ودعا له بالتوفيق والنجاح .

عندئذ خطا الخطوة الثانية حيث قصد حاكم البلدة الشيخ مبارك الصباح وأخبره الخبر وطلب منه أن يساعده على تحقيق أمنيته بالمال والعتاد ، فسخر منه الشيخ فى سره ولكنه لم يشأ أن يصدمه فى أمله . فمنحه مائتى ريال وثلاثين بندقية وأربعين ذلولا وشيئا من الزاد ، فأخذها ذلك الفتى ومضى بها فرحا إلى صحبه وأخبرهم الخبر، فقالوا له : وماذا يفيدنا هذا العتاد البسيط أمام قوة ابن الرشيد العظيمة التى قضت على كثير من الإمارات وغابت وافر الأجناد ؟ فأجابهم فى شجاعة وعزم : إذا كنا نعتقد أن النصر بالعدة والعدد فيجب أن لا نخطو خطوة فى هذا السبيل ، وإذا كنا نؤمن بأن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء فالله قد وعدنا النصر فى قوله : «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» فما علينا إلا أن نثق بوعده ونعتمد عليه وحده ، والنصر مضمون لنا ، وحاشا أن نذل أو نخذل والله معنا ، فقام أصحابه من فورهم وكأنما أخبرهم بشىء كانوا يجهلونه ، وقالوا هيا بنا إلى حيث شئت وكيف تريد والله معنا .

قوة إرادة

أخذ الفتى عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود صحبه وسار بهم من الكويت فى الصحراء متجها نحو الرياض ، وقد وضع نصب عينيه أمر الاستيلاء عليها، وصمم أن لا يرجع عن عزمه حتى يحقق الغاية التى سار من أجلها وهى نشر الدعوة السلفية لعبادة رب البرية . ولقد طال بهم المسير وأدركهم الشتاء وهم يعانون آلام الجوع والعطش دون أن يساورهم شىء من اليأس أو القنوط .

أما الإمام عبد الرحمن فكان لا ينام الليل قلقا عليهم ، ثم اجتمع يوما بالأمير مبارك بن الصباح وتذاكرا فى أمر الفتى عبد العزيز وصحبه ، واستقر رأيهما على أن يكتبا إليه خطابا ينصحانه فيه بالعدول عن خطته ، ويطلبان منه العودة إلى الكويت حرصا على حياته وحياة أصحابه ، ونفذا الأمر وبعثا إليه بالرسالة ؛ فما أن وصلت إليه وقرأها الفتى عبد العزيز على صحبه حتى أججت فى نفوسهم نار الحماسة ، وأقسم الفتى عبد العزيز أن لا يرجع عن عزمه حتى يبلغ قصده ويستعيد بساعده سابق عزه ومجده . فردد صحبه مثل قسمه وما زادتهم تلك النصيحة إلا مضاء وقوة ، ولسان حالهم يقول :

لأستسهلن الصعب أو أبلغ المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر

حسن تدبيره

اجتمع الفتى عبد العزيز بصحبه وتشاوروا فى وضع الخطة التى بها يصلون إلى غايبهم ، فقال قائل منهم : إنا لا نستطيع أن نقتحم الرياض بالقوة ، فليس لدينا منها ما يكفى لمصادمة جيش ابن الرشيد ، إذاً فلا بد أن نعمد إلى وسيلة أخرى تؤدى بنا إلى الغاية ؛ فاتفق الرأى بينهم على التكتم الشديد والسير فى وسط الربع الخالى حتى لا يعلم بتنقلاتهم أحد ، ثم ترقب الفرص للسطو على الرياض واحتلال القلعة وبسط سلطانهم على البلاد . وكتب الفتى عبد العزيز إلى والده بذلك فى ٢٩ من شهر رجب سنة ١٣١٩ ، ومضى بصحبه لتنفيذ خطتهم طوال شهر شعبان ورمضان وثلاث ليال من شوال ، حتى أمسوا على مسافة ساعة ونصف من الرياض فى مكان يقال له ضلع الشعب ، وهناك أناخوا ركابهم وتركوا متاعهم . وسار فى منتصف الليل أربعون رجلا مشيا على الأقدام بقيادة زعيمهم الفتى عبد العزيز ، وما أن بلغوا سور المدينة حتى ترك الفتى عبد العزيز ثلاثة وثلاثين رجلا من صحبه بقيادة أخيه محمد ، وسار هو بستة من رجاله : وهم عبد العزيز بن جلوى ، وعبد الله بن جلوى ، وناصر بن سعود واثنان من الخدم ، ودخلوا المدينة فرادى متفرقين ، حتى إذا جاءوا إلى كوخ حقير لرجل مسن يدعى جويسر يتجر فى بيع الأبقار بجانب المنزل الذى يقطن فيه حاكم البلدة المولى من قبل ابن الرشيد واسمه الأمير عجلان ، تقدم الفتى عبد العزيز بكل جرأة وإقدام ، وطرق الباب على ساكنيه ، فردت عليه إحدى بنات صاحب المنزل

وقالت له : من أنت ؟ فأجابها بقوله: رسول من قبل الأمير يريد الوالد لشراء بعض الأبقار منه ، وطلب منها أن تفتح له الباب فرفضت ، فهددها بقتل والدها إذا هي لم تفتح الباب، فانتبه الوالد للحديث فأسرع إلى الباب ففتحه وهو يرتعد خوفا فأمنه وأهله على أنفسهم وقفزوا من جدار الكوخ إلى بيت آخر بجواره ، فألفوا رجلا وزوجه فأوثقوهما وهددوهما بالقتل إذا هما تكلما .

ثم أرسل الفتى عبد العزيز إلى أخيه محمد يستدعيه للحضور مع باقى الصحب وظل فى انتظارهم إلى أن حضروا وتجمعوا فى البيت المذكور ، وإذ ذاك تسلقوا الحائط إلى منزل الحاكم وطافوا فى أنحائه وبدءوا بالخدم فألقوا القبض عليهم وشدوا وثاقهم ، ودخل الفتى عبد العزيز على حجرة نوم الحاكم عجلان وزوجته فسدد إليهما بندقيته ثم أيقظهما وأمرهما بالتسليم له ، وما أشد دهشته عند ما تبين أن النائمين ليسا عجلان وحرمه وإنما هما زوجة عجلان وأختها ، فسألهما عن عجلان فقالتا : إنه يبيت فى الحصن المجاور لرحبة الدار وإنه لا يجىء إلى البيت إلا فى الضحوة الكبرى ، وكان الوقت إذ ذاك قبيل الفجر فى الثلث الأخير من الليل . فقام الفتى عبد العزيز فأسبغ وضوءه وتوجه إلى الله بالدعاء بأن يمده بنصره وتأييده . وظل كذلك إلى أن صلى الصبح فى جماعة ثم أخذوا يتشاورون فيما يجب عمله لاقتحام الحصن، وبينما هم على ذلك والشمس قد ملأت الأرجاء إذا بباب الحصن يفتح ويخرج منه الخدم كعادتهم بخيولهم يربطونها فى ساحة الحصن . فهم الفتى عبد العزيز ورجاله بالإسراع فى النزول من سلالم البيت ليهاجموا الحصن من بابه ويدخلوا قصر الحاكم لاغتياله ، ولكن الحاكم عجلان كان أسبق منهم فى الخروج من الحصن فخرج ومعه عشرة رجال من خدمه وأقبل على البيت الذى هم فيه . وما أن أبصر الفتى عبد العزيز وصحبه حتى ولى هاربا منه ، فأطلق عليه بندقيته فأصابته ولكنها لم تصب مقتلا منه . فعدا إلى داخل الحصن فلحقه الفتى عبد العزيز ورجاله مهللين مكبرين واقتحموا الحصن وكان به نحو ثمانين جنديا استولى عليهم الرعب والذعر وقتل بعضهم واستسلم الباقون . وأجهز بن جلوى على الأمير عجلان فأرداه قتيلا . وكان ذلك فى يوم ٣ شوال سنة ١٣١٩ هـ الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ .

وما أن ذاع الخبر وشاع فى طول البلاد وعرضها حتى عم الفرح والسرور فى جميع الأنحاء ، وأقبل أهل الرياض على القصر يهنئون الأمير عبد العزيز بفوزه ونصره،

ويقدمون الطاعة ويعربون له عن خالص الحب وعظيم الولاء . وترامى الخبر فى البادية فهرع شيوخها إلى الرياض يؤيدون آل سعود ويؤكدون للأمير الإخــــلاص ويعاهدونه على الانضمام تحت رايته ومحاربة أعدائه . فقام بإصلاح ما هو مهدم من سور المدينة والحصن وأرسل إلى الكويت فى طلب المدد فوافاه وهدأت الحالة واستتب الأمن تماما فى طول البلاد وعرضها .

تأسيس الملك

قام الفتى عبد العزيز بما قام به من الأعمال الجبارة وقاسى أنواع الشدائد ورمى بنفسه فى الأخطار والمهالك فى سبيل الله ، وعند ما تم له ما أراد وأقبل عليه الناس يقدمون له الطاعة ويبايعونه بالإمارة أبى ذلك بشمم وإباء لأنه ذكر ربه وآثر طاعته بر والده قبل كل شىء ، فأرسل إليه يستدعيه وأجلسه فى المكان الذى أحرج منه وسلمه مقالد الحكم فى البلاد ، وخرج هو بمائة ذاول وأربعين فرسا إلى الصحراء يدبر مكيدة يوقع بها خصمه ، وأرسل بعض الجواسيس إلى ابن الرشيد يؤكدون له أن عبد العزيز قد اختلف مع أبيه على الحكم فترك الرياض ناقما ، ولم يبق لدى الإمام عبد الرحمن إلا النذر القليل من الجند .

فما أن سمع ابن الرشيد بذلك حتى امتلأ بشرا وسرورا . وسار بجنده إلى الرياض ونزل بمكان يقال له (بيان) على بعد ثمانى ساعات من الرياض ثم سار إلى الخرج وعسكر فى محل يقال له (نعجان) بقرب (الدلم) وهى قرية تابعة للرياض أمير فيها ابن سعود أحد أخواله محمد السديرى .

كل هذا والأمير عبد العزيز يجوب البادية ويجمع الجموع ، ويستحث القوم على القتال بمختلف الوسائل ، حتى بلغ مقدار جنده ألف مقاتل سار بهم إلى (الدلم) فبلغها قبيل الفجر وكان قد مضى عليه أسبوع كامل لم يكتحل جفناه بالكرى ولم يتذوق خلاله طعم الراحة ولذيذ العيش . فكان أكبر همه أن يتطلب الراحة لبدنه من شدة التعب وعظيم السهر فدهنه بالسمن والملح ونام نوما عميقا من صلاة الفجر حتى أذان الظهر . ثم استيقظ وأخذ فى ترتيب جنده وإعداد العدة لمهاجمة خصمه ، وفى صبيحة اليوم الثانى فاجأهم رجال ابن الرشيد بالهجوم على الدلم ، فكر عليهم الأمير عبد العزيز بجيشه فهزموهم ولحقوا بهم وتعقبوهم حتى قصوهم إلى ما وراء الرياض مدحورين .

رجع البطل عبد العزيز إلى الرياض بعد أن أقصى قوى ابن [illegible] عنها وأقبل على والده الإمام عبد الرحمن يقبل يديه ويطلب رضاه ودعاءه ؛ [illegible] استقبال الفاتحين ، ثم قال له فى عزة وإباء : يا بنى إن بلدا فتحتها بعزمك لأنت أحق بالإمارة فيها ، ومابى شهوة للحكم ولا رغبة فى السيطرة . فقد طلقت كل ذلك واعتزلت الحكم من تلقاء نفسى وهجرت نجدا ابتغاء مرضاة ربى ، فلتستلم مقاليد الأمور ولتمض فى طريقك لإعلاء دينك ونشر دعوتك والله معك ، وإنى على استعداد لأن أظل بجانبك أخلص لك النصح ، وأرشدك إلى السبيل السوى ما وفقنى الله إلى ذلك .

فتردد البطل عبد العزيز فى قبول الإمارة دون أبيه ، وآثر أن يكون بطلا محاربا وقائدا مقداما من أن يكون أميرا حاكما ، ولكن أبوه قد ألح عليه فى الأمر فما وسعه إلا أن ينزل على إرادة أبيه ويقبل ما كلفه به لما فى ذلك من بره بوالده ، فطاعة الأمر خير من سلوك الأدب .

فأخذ يتولى شؤون الحكم ونهض يعمل لإعداد العدة لفتح جديد ودعوة لله عامة . فضم الخرج والمحمل والشعيب والوشم إلى أملاكه فى عام ١٣٢٠ هـ ، الموافق ١٩٠٢ — ١٩٠٣ . واشتبك فى عدة حروب ومناوشات مع عدوه الألد ابن الرشيد من عام ١٣٢١ إلى عام ١٣٢٤هـ ، الموافق ١٩٠٦ م انتهت بمقتل ابن الرشيد فى روضة مهنا ، وتم الاستيلاء على القصيم من يد آل الرشيد — ومن والاهم من الأتراك بفضل الله وعظيم معونته .

رده للجميل

بينما كان الأمير عبد العزيز بن سعود مشتغلا بشؤون إمارته الفتية ، إذا بالشيخ مبارك بن الصباح مضيفه بالأمس يكتب إليه مستنجدا ومستعينا على أمر دهاه وخطب سيحل به . ذلك أن الدولة العثمانية قد حرضت سعدون باشا رئيس قبائل المنتفق فى العراق على مقاتلته . وقد تفرق من حوله الأنصار وهو فى حاجة إلى نجدة بنجدة عبد العزيز بن سعود . . .

فما أن سمع بذلك ابن سعود وهو المعروف بعرفان الجميل حتى غلت فى نفسه النخوة العربية ، وذكر ما كان لابن الصباح عليه من أياد عديدة بإيوائه ووالده عنده وبمساعدته له على تحقيق أمنيته ، نهض مسرعا إلى الكويت وقابل شيخها ابن الصباح

وتفاوضا فى الأمر ، فنصح ابن سعود شيخ الكويت بالتفاهم مع السعدون باشا بما يحل المشكلة من غير إراقة دماء ، وعرض عليه التوسط فى الأمر فأبى إلا أن يخوض غمار الحرب ، فلم يجد ابن سعود بدا من أن يضع نفسه ومن معه تحت إمرة شيخ الكويت ، وسار معه فى جيش يقدر بسبعة آلاف مقاتل ، وهم أن يتولى قيادة الجيش ليدبره بحسن تدبيره فأبى عليه ذلك شيخ الكويت ، بل إنه لم يعمل بنصحه وإرشاده .

ومع كل هذا ، فقد ظل ابن سعود مسخرا منقادا إلى معركة لا علاقة له بها ولا رأى له فى تدبيرها ، تاركا شؤون بلاده مضحيا بنفسه وجيشه فى سبيل الوفاء لمضيفه وناصره بالأمس شيخ الكويت ، حتى وقعت الواقعة وتغلبت عليهم جنود السعدون فى أول جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ هـ الموافق عام ١٩١٠ م ورجع بن سعود مع الشيخ جابر بن مبارك الصباح إلى الكويت يشد عزائمه ويهون عليه خطبه ويدعوه إلى الجلد والصبر فالله مع الصابرين .

قضاؤه على الفتن الداخلية

لقد ظل الإمام عبد العزيز بن سعود فى معسكر ابن الصباح مطيعا لأوامره لا يفكر فى شىء إلا أن يقوم بما عليه من واجب يشعر به نحو من أمده بذلك النزر القليل من المال والعتاد فى أيام محنته ، وبينما هو كذلك إذ جاءه النذير من نجد بأن قبيلة مطير اعتدت على قبيلتى قحطان وسبيع التابعتين له والنازلتين فى حدود الكويت . فعندئذ استأذن ابن الصباح فى أمر السفر هذه المهمة ، وسافر ابن سعود عائدا إلى نجد حيث جمع جموعه وقام بتأديب العصاة وآمن شرهم ، وقد تم له ذلك فى سنة ١٣٣٠ هـ الموافق عام ١٩١٣ م .

فتحه للأحساء

بعد أن أمن الأمير بن سعود جانب الفتن الداخلية أخذ يفكر فى أمر منشىء تلك الفتن وعلى رأسهم ذلك النفوذ التركى المتركز فى الأحساء والذى تعود أن يوغر قلوب أمراء العرب على بعضهم لتكون له السلطة على الجميع . والذى لا يزال يعتقد بوجوده فى تلك الجهة أن نجدا ولاية تركية .

لقد تعود الأمير ابن سعود منذ صباه أن يستشير صحبه فى كل أمر ، خصوصاً

ما كان هاما من شؤون البلاد ، ثم يتوجه إلى ربه يسأله الهداية [illegible] السبيل، ثم يمضى إلى تنفيذ ماينشرح له صدره ويطمئن إليه ضميره . لذلك بادر فى هذه المرة [illegible] صحبه وتشاور معهم فى أمر الاستيلاء على الأحساء واقتلاع نفوذ الدولة العثمانية من تلك الربوع ، فقال قائل منهم : أنى لنا ذلك وليست الأحساء بالإمارة التى يمكن إخضاعها بقتل حاكمها أو التغلب على شيوخها ؟ فوراءها دولة عظمى لها خطرها بين الدول وقد شهدنا مواقفها مع آبائك من قبل ؟

فأجابه ابن سعود فى إيمان ويقين لايتطرق إليه الشك : ألسنا نعمل لنشر الدعوة إلى الله وإخلاص العبادة له ؟ ألسنا قد أخذنا على عاتقنا إعلاء كلمة الله وتنفيذ أحكام الشريعة وفق الكتاب والسنة ؟ وهؤلاء قوم يستحلون الحرمات ، ويروجون البدع والخرافات ، ويحكمون غير ما أنزل الله ، فلنقاتلهم فى سبيل الله ولنمت شهداء ابتغاء إحدى الحسنيين فقال آخر : ولكن الخطر هنا محقق فنحن ضعفاء وهم أقوياء والله تعالى يقول : « ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ففزع ابن سعود من مقالته ونهض قائلا : هذه لعمر الله حجة الجبناء المتخلفين عن نصر الله « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله — ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » فهلل الجميع وكبروا هاتفين : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » وهنا أطرق ابن سعود إطراقا طويلا كأنما يستوحى من الله شيئا ثم قال : هيا بنا إلى الحرب ولكن استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .

، خرج بجيشه فى أوائل ربيع الأول سنة ١٣٣١ هـ متجها إلى الغرب كأنما بقصد تأديب بعض القبائل ثم عرج على الخفس على مقربة من الأحساء وشن الغارة على بنى مرة القاطنين هنالك وأخضعهم . ثم أخذ فى ترتيب خطته وتنظيم جنوده واختار منهم ستمائة مقاتل جمعهم فى يوم ٤ جمادى الأولى وصلى بهم العشاء ثم ألقى عليهم خطبته التاريخية حيث قال : (يا رجال التوحيد : إننا سنهاجم ترك الليلة وإننا واثقون بنصر الله ، فاسيروا صامتين حتى إذا خاطبكم أحد فلا تخاطبوه ، وإذا أطلق عليكم الرصاص فلا تجيبوه . بل امضوا حتى تبلغوا الأحساء وهناك حاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم . وحذار أن تدخلوا البيوت أو تعتدوا على النساء والأطفال) .

وكان له بعض الأنصار فى الأحساء هم وكلاؤه آل القصيبي، ويوسف بن سويلم، فكتبوا له عن مواضع الضعف والأماكن التى تصلح للهجوم . ثم سار بجيشه فى ظلام

الليل مشيا على الأقدام فى هدوء وسكون لا يشعر بهم أحد حتى بلغوا أسوار المدينة فقسمهم إلى ثلاثة أقسام : عهد إلى أحدها باحتلال الباب الجنوبي من البلدة وما يليه . وعهد إلى الثانى بتسلق الحوائط والمبادرة إلى بيت المتصرف للقبض عليه ، وعهد إلى الثالث باحتلال أبراج السور . وما هى إلا لحظات حتى قام كل فريق بتنفيذ ما عهد إليه وأخذ خصمه على غرة فى ظلام الليل مؤيدا بتوفيق الله وعونه جل وعلا وقد فر المتصرف ولجأ إلى الحصن واحتمى به وأذن مؤذن الفجر يدعو الناس إلى الصلاة ووجوب تقديم الطاعة إلى إمام أهل السنة ونصير التوحيد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

فلبي الجميع نداءه وأقبلوا عليه مهنئين معلنين الطاعة والولاء ، ولجأ الجيش العثمانى إلى حصنى (الهفوف والكوت) فاعتصم بها ، وظل يمطر المدينة بوابل من القنابل إرهابا وانتقاما ، فصمم رجال ابن سعود على اقتحام الحصنين عنوة ، ولكن الأمير عبد العزيز أبى عليهم ذلك وكتب إلى المتصرف يدعوه إلى التسليم ويؤمنه على أرواح عموم الأتراك القاطنين فى البلد وأموالهم ، وينذره فى حالة الإصرار على عدم التسليم بالفتك به وبهم أجمعين ، فألقى الله فى قلب المتصرف الرعب وخشى على أرواح أبناء جلدته من القتل والتعذيب فوافق على التسليم ، فأكرمهم الأمير ابن سعود غاية الإكرام وأظهر لهم منتهى العظمة وعدم الاكتراث حيث سمح للجيش التركى أخذ جميع مؤنه وسلاحه ومعداته الحربية معه ، وقال للمتصرف إننا نقدر للجندى العثمانى بسالته ولذلك فإنا نجل أنفسنا عن إهانته بنزع سلاحه منه . فأكبر المتصرف منه هذا النبل وشكره كل التشكر ومضى بقافلة عظيمة من الجنود والأسر التركية وما معها من الزاد والأثاث على ملأ من الناس تحرسهم قوة من رجال ابن سعود الأشداء من اعداء المعتدين حتى بلغوا العقير . ومنها أركبهم سفن إلى البحرين . وقد سجل التاريخ لابن سعود هذه المكرمة التى تعد الأولى من نوعها فى تاريخ الدول العربية قديما وحديثا

وكان هذا الحادث موضع غرابة عند الأتراك فى حربهم واعتبروه غباوة من ابن سعود وقومه العرب ولذلك فإنهم ما كادوا يصلون إلى البحرين حتى تجمعوا وتشاوروا وقرروا إعادة الكرة مرة واسترجاع الأحساء بالقوة التى معهم فركبوا سفن وتظاهروا بالسفر إلى بغداد ولكنهم يمموا صوب العقير وأنزلوا جنودهم به :

فانقض عليهم رجال الحامية وأصلوهم نارا حامية وهزموهم ... سر هزيمة ، فما وسعهم إلا الالتجاء إلى سفنهم والعودة من حيث أتوا تاركين ما ... من العتاد والذخيرة ، وعفا الإمام ابن سعود عمن وقع فى الأسر من المتخلفين من الترك ، وأبلغهم مأمنهم ، وضرب لهم أيضا المثل الأعلى فى العفو عند المقدرة .
ولقد تمت له بذلك السيطرة التامة على جميع أنحاء نجد وما إليها ، وأمنه الله من مكر الماكرين ، ونصره على أبطال الحرب من الأتراك المحاربين .

حذره من الأتراك

بعد أن تم لابن سعود النصر على الأتراك ، واستخلاص الأحساء من براثنهم ، وانتزاع نفوذهم من تلك الجهة ، أخذ يفكر فيما يبيتونه له من مكائد وما عساهم ينصبون له من شباك ، بل إنه كان موقنا كل اليقين بأن الدولة العثمانية سوف لا تسكت عن حربه ولا تدعه وشأنه ، خصوصا وأنه لا يزال لها فى الحجاز قوة كبيرة لا يستهان بها ؛ إذا فليبحث عن طريقة يأمن بها سرها ، ويتقى أذاها

وفى هذه الأثناء اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى وانحازت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا وحلفائها . وتوالت الأخبار بانتصارها انتصارا باهرا زاد من مخاوفه على إمارته وبلاده ؛ فالدولة العثمانية متى خرجت من هذه الحرب ظافرة فسوف لا تتردد لحظة واحدة عن أن تحمل عليه حملة قوية للتنكيل به واسترجاع البلاد من يديه ، وهذا ماجعله يطيل النظر ويظل دائم الحذر

معاهدة الانجليز

بينما كان ابن سعود يحاذر الأتراك إذ اتصل به أن بريطانيا العظمى قد تحدثت مع الحسين بن على صنيعه لها فى بلاد العرب واعترفت له بالزعامة عليهم بمقتضى خطابات ما كمهون الذى لا يعلم حقيقة ما حوته . وأن ... هذا الأمر لأن معنى هذا أن بريطانيا ستحاول بسط نفوذها على نجد وماسواها من بلاد العرب عن طريقه ؛ وعندئذ أسقط فى يده وأيقن أنه إذا سلم من الدولة العثمانية فسوف لا يخلص من نفوذ بريطانيا وهو الرجل الذى ما قام إلا لنصر دين الله وإعلاء كلمته ، فعظم همه وزاد حذره ، ولا معين له غير الله . ... فى خلواته .

ويستعينه به فى دعواته ، ويسأله أن يجعل له من ضيقه فرجا ومخرجا . وبينما هو على هذه الحالة إذا هو يحس بالمدد الإلهى يدنو منه فيحمل بريطانيا أن تبعث إليه رسولها السر بريس كوكس ليفاوضه فى أمر الاتفاق معها على شروط واضحة يأمن بها على استقلاله وحريته الدينية فى حكم بلاده بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلا بنفسه يناجيها أفى يقظة أنا أم فى منام ؟ ما أعظمها من منة ، وما أجلها من قدرة إلهية ! تلك التى جعلت بريطانيا العظمى فى أوج عزها تخطب وده وترسل إليه كبار ساستها للحصول على رضاه . يجب أن يشكر الله على نعمه ودوام نصره ، وأن عليه أن يشترط عليها ما يأمن به على ملكه . قال هذا فى سره وإذا بالسر بريس كوكس يبدؤه الحديث قائلا : إن بريطانيا العظمى قد انتدبتنى إليك لأعقد معك أيها الأمير معاهدة صداقة تحقق لك كلما تصبو إليه وتمنع عنا مانخشاه من ضرر قد يتأتى منك ، فماذا تريد ؟ فلم يكد يسمع ابن سعود هذا من مندوب بريطانيا حتى تلألأ وجهه فرحا وأجابه بصراحة العربى وطيبة قلبه . إن نجد والأحساء والقطيف والجبل وملحقاتها والمرافئ التابعة لها على سواحل خليج العجم كل هذه المقاطعات تابعة لى ولآبائى من قبلى وأنا الحاكم المطلق على جميع القبائل الموجودة فيها ، وكل ما أريده هو أن أحتفظ باستقلالى ولا يعارضنى أحد فى الحكم والسلطان . وإذا حاول أحد الاعتداء على فأريد منكم أن تعينونى عليه ولا أريد منكم غير هذا . وأنتم ماذا تريدون ؟ فأجابه السر بريس كوكس بكل سياسى العظيم ودهائه : نحن على استعداد لأن نجيبك إلى طلبك هذا ولا نريد منك إلا مافيه رعاية مصالحك وتقديم كل مايمكن من الخدمات إليك وذلك يتلخص فى أمور أربع :

١ — أن لاتتخلى ولا تبيع ولا ترهن بأية صورة من الصور ، ولا تترك قطعة من الأراضى التى ذكرتها آنفا . ولا تمنح امتيازات بها لدولة أجنبية إلا بعد استشارتنا إذ ربما يكون فى ذلك ضرر يعود على الحكومة البريطانية ، ومن الخير لك أن تتبع نصائحها فيما لا يضر بمصالحك .

٢ — أن لاتوصد الطرق المؤدية إلى البلاد المقدسة فى بلادك . بل عليك أن تدعها مفتوحة فى وجه حجاج بيت الله . وأن تحافظ عليهم فى أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها .

٣ — أن تمتنع عن كل تحرش وتجاوز فى أراضى الكويت والبحرين وأراضى

مشائخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انجلترا والذين لهم معاهدات معها .

٤ — وفى حالة ما إذا كنت تريد استمرار هذه المعاهدة مع أبنائك من بعدك ، فيشترط فيمن يخلفك أن يكون منتخبا من قبل الإمام الحاكم ، وأن لا يكون مخاصما لانكلترا بوجه من الوجوه ، أى أنه يجب أن لا يعمل ضد المبادئ التى تم الاتفاق عليها فى هذه المعاهدة .

عند ما أتم المندوب البريطانى حديثه لم ير فيها ابن سعود ما يتنافى مع الغاية التى يتمناها فى سره لأنه لا يريد أن يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا يترك قطعة من بلاده بمحض اختياره لأى أحد ، بل إنه يعمل للمحافظة عليها بكل قواه ؛ كما أنه لم يكن يفكر فى منح أى دولة من الدول امتيازات فى بلاده ؛ وإذا كان هناك ما يحتاج إلى الاستشارة فلا مانع من أن يكون بمشورة بريطانيا لأنه لا يضمر لها شرا ولا يقصد معاداتها ، وهى التى ستساعده على أعدائه وتحميه من شرهم ، ويرى من واجبه أن يسهل سبيل الحج وأن يحمى حجاج بيت الله من كل سوء ، وما عليه إلا أن يحد من مطامعه فى البلاد المجاورة له والمحمية بحماية بريطانية مقابل كسب صداقتها وتعضيدها له ؛ ومع كل فقد خلا الأمير ابن سعود بصحبه وكلهم من شيوخ القبائل الذين لا يعرفون لغة السياسة وأساليب الاستعمار ولا يؤمنون بالحق لغير الصارم البتار واستشارهم فى الأمر كعادته ، فأجابوه بلسان واحد بقولهم : نحن اليوم فى حالة ضعف ونحتاج إلى نصير وخصمنا قوى جبار ، والذى نراه هو أن مثل هذه المعاهدة تنفعنا بإذن الله تعالى ، ونحن على ما نحن عليه من ضعف ، ولا تضرنا إذا كنا فى حالة منعة وسلطان ، بل قد يكون فى استطاعتنا تعديلها فيما بعد ، فالعبرة بالقوة فى جميع الأحوال وكافة الأوقات ، فقم وتوكل على الله ولا تتردد فى التوقيع على المعاهدة ، فأمر الأمير بكتابة المعاهدة على ذلك الأساس ، فكتبت ووقعها كل من ابن سعود والسير برس كوكس مندوب بريطانيا فى عام ١٩١٦ .

وقد تناولها الكتاب فيما بعد بالنقد دون أن يدركوا الظروف والملابسات التى دعت إلى توقيعها والموقف الذى كان فيه ابن سعود ، ولو علموا وأنصفوا لما وجدوا فى الأمر ما يخول الانتقاد ، فما أشبه ما اتخذه جلالة الملك من خطوة فى هذا الموقف الذى قضت به الظروف الوقتية الطارئة بما كان من صلح الحديبية الذى لم يرض عنه

كثير من الصحابة فى حينه ، وما أبهر النتائج التى نتجت عن الموقفين ، ولا غرو فجلالته إنما يقتدى فى كل عمل بين يديه بما كان من عمل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، بل لقد صدق رأى من استشارهم ابن سعود فى أمرها حيث جرى تعديلها بمعاهدة جدة سنة ١٩٢٧ عند ما عظمت شوكة ابن سعود باستيلائه على الحجاز .

مناوءة الحسين له

لقد كانت قبيلتا سبيع والبقوم تنزل على حدود الحجاز ونجد ويتبعان عادة قريتا الخرمة وتربة ، وكان كل من أمراء نجد وأمراء الحجاز يعتبرهما تابعتين له ، وعند ما عين الحسين بن على أميرا على مكة فى عهد الأتراك أراد أن يركز نفوذه فيهما ، فجهز أول حملة له تحت قيادته بالذات فى سنة ١٣٢٦ ﻫ وتم له إخضاع قبائلهما وعين فيهما أميرا من قبله ، فلم يرق ذلك فى نظر ابن سعود ، ولكنه سكت على ذلك ، لأنه كان فى شغل شاغل عنه بشؤونه الداخلية فى نجد ، وعند ما نشبت الحرب العظمى الأولى سنه ١٩١٤ ، وانضم الحسين إلى الحلفاء على أساس استقلال جميع البلاد العربية ، وأن يكون هو ملك العرب الأكبر وخليفة المسلمين فيما بعد ، واعترفت له الدول بالاستقلال . فأخذ ابن سعود يحسب له أعظم حساب ، وما وسعه إلا أن يتقى أذاه وأذى الدولة العثمانية معا بعقد معاهدة سنه ١٩١٦ م مع بريطانيا العظمى صديقة جميع أمراء العرب كما أسلفنا

وعند ما أمن ابن سعود على إمارته من اعتداء المعتدين أخذ يعمل لتحقيق الغاية الأساسية التى يسعى إليها هو وقومه وهى نشر الدعوة الصحيحة إلى الرجوع إلى حقيقة الدين ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، والاقتداء بسيرة السلف الصالح ، رضوان الله عليهم عن طريق العلماء الثقاة والكتب (من أنصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب) فسيرهم إلى المدن والقرى فى جميع الامصار فجذبوا القلوب وهيئوا الأفكار لتقبل الدعوة السلفية حتى أصبح له فى جميع الأقطار أنصار وفى بادية الحجاز ومدنها أتباع وأعوان . وعندئذ تنبه إلى ذلك الملك الحسين بن على ومنع حجاج نجد من أداء فريضة الحج وأخذ ينكل بكل من له أدنى صلة بنجد ومن يحبذ دعوة الشيخ عبد الوهاب . ومن تتلمذ من أهل نجد فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير أحد العلماء

المدرسين بالمسجد الحرام والإمام بالمقام الحنبلي ، وألقاه في [illegible] مكبلا بالحديد، ولم يطلق سراحه إلى أن أخرج الحسين من الحجاز ، كل هذا وابن [illegible] الأيدى حرا كأنما يجهل ما يجرى فى الخفاء أو ما يراد به من سوء ، خصوصا وأنه كان يلاحظ من الحسين بعض العطف عليه ، أو الرغبة فى التقرب منه وإرضائه بما كان يرسله إليه من وقت لآخر من (الصرر) التى تحوى ألوفا من الجنيهات، دون أن يعلم المراد منها ، أو السر فى إرسالها .

وكان الحسين يقصد منها أن يثبت فضله عليه ، وكان يصور بها لنفسه أن ابن سعود قد أصبح بذلك مدينا له، وشيخا من مشايخ القبائل التابعة له والمحتاجة إليه .

ولما توالى إرسال الصرر من الحسين لابن سعود أراد أن يتبين الأمر فأرسل إلى جلالة الحسين بن على خطابا رقيقا يشكره فيه على هداياه المتكررة ، ويعرض عليه مساعداته بإرسال أحد إخوته أو أبنائه للاشتراك معه فى الحرب ويرجوه فى نهايته أن يتفضل فيحدد الحدود التى بين الحجاز ونجد لتزول الشكوك ومواضع الخلاف . فكبر على الحسين ، وهو الذى يطمع فى جعل بلاد العرب جميعها دولة واحدة تحت سلطانه باعتباره هو المنقذ الأعظم الذى قضى على نفوذ الدولة العثمانية فى بلاد العرب وحل هو محلها ، كبر عليه أن يطالبه ابن سعود بتحديد الحدود بين الحجاز ونجد التى يجب أن تكون تابعة للحجاز فى نظره ؛ ولذلك عد هذا من ابن سعود حماقة وسخفا وكتب له يقول : (يا ابن سعود إنك بكتابتك هذه إما أن تكون سكرانا أو مجنونا ، أفلا تعلم لأى أمر قمنا ، وأى غرض نبغى ؟) ثم أخذ يندد بابن سعود فى صحيفة أم القرى وينذره بشر مستطير ؛ فلم يسع ابن سعود إلا أن يكاشف الإنكليز بما بدا من الملك حسين . فجاءه السير برسى كوكس فى القطيف وقال له : (لا تكترث به فنحن ضامنون استقلالك ومتعهدون بعدم اعتداء أحد عليك ، وأنت تعلم أن أى حركة ضد الشريف اليوم من شأنها أن تضر بمصالحنا ، ونعد مناصرة لأعدائنا ضدنا) فقال ابن سعود : إذا فلا تجعلوه ملك العرب لئلا يطغى ويداخله الغرور ويهدد استقلالى ، فأجابه السير برسى كوكس . [illegible] ، فلم يسع ابن سعود إلا أن يسكت وهو بين الشك واليقين وتضرع إلى ربه أحكم الحاكمين طالبا منه وحده أن ينتصر له وأن يقيه من شر الحسين ومما يبيته له من الشر ، إنه تعالى نصير المستضعفين

إنتقام الله

وعند ما أراد الله أن ينتقم لابن سعود أحدث خلافا بين الأمير عبد الله ابن الحسين والشريف خالد بن لؤى أمير (الخرمة وتربة) وأدّى ذلك الخلاف إلى إعلان الشريف خالد العصيان ضد الملك الحسين الذى عينه فى الإمارة واصطفاه ، ثم كتب إلى ابن سعود يستنجد به فاغتنمها فرصة ، وأوعز إلى أحد رجاله الأشداء سلطان بن بجاد أن يتحرك على رأس حملة من رجال القبائل تقدر بأكثر من ألف مقاتل لنجدة الشريف خالد بن لؤى دفاعا عن تربة والخرمة ، وسار هو على أثره على رأس قوة تقدر باثنى عشر ألف مقاتل . غير أن ابن بجاد كان أسبق فى السير حتى بلغ تربة ، وانضم رجاله إلى رجال خالد ، وتوحدت هناك القوى ، وإذا بالأخبار ترد إلى القائدين العظيمين : ابن بجاد . وخالد بن لؤى أن الأمير عبد الله بن الحسين قد جاءهما بجيش يربو على العشرة آلاف مزود بكل ما غنمه من مخلفات الدولة العثمانية وما حصل عليه من الإنجليز من الذخيرة والعتاد الذى لا قبل لهما به ، فاختلى خالد ابن لؤى بسلطان بن بجاد وتداولا فى الأمر وتشاورا فى وضع الخطة اللازمة للقتال، فقال ابن بجاد : كيف السبيل ياخالد ، وهذه قوة عظيمة لاقدرة لنا على مقاتلتها وابن سعود قد وعد بامدادنا ولكنه قد يبطىء؟ فخير لنا أن نتنحى عن القرية ونرجع إلى الصحراء فى انتظار المدد الذى سيرسله إلينا ابن سعود ، فأجابه خالد : إنها لفكرة صالحة أوافقك عليها . ولكن لاعلى أن ننتظر وصول مدد ابن سعود إلينا ؛ لأن الأمر لايحتاج إلى هذا . بل على أن نهاجم جيش الأمير عبد الله عشية دخوله إلى تربة . إذ أنى أعرف الناس بنفسية الأمير ومواطن الضعف فيه ، فإنى من بنى عمومته ، وكنت من أقرب المقربين إليه ، فالأمير فصيح اللسان . كثير الكلام ، عظيم الزهو والاعتزاز بالنفس . ضعيف الجلد . قليل الصبر ، يحب اللهو ويسأم من الجد ، مولع بالشعر ولعب الشطرنج ، لايعرف شيئا عن تدابير الحرب ، ولا يصلح أن يكون قائدا ، وهو قادم علينا الآن بقوة عظيمة لاشك أنه يزهو بها ، فإذا نحن أخلينا أمامه القرية فسيزيده هذا زهوا وغرورا بنفسه وقوته ، وسوف يعتقد تماما أنه لم يضطرنا إلى ذلك إلا الخوف منه . فيحمله هذا على عدم الاكتراث بنا والتمادى فى غروره ، وربما أقبل على لهوه ولعبه . وعندئذ يجب أن نفاجئه حالا ونأخذه على غرة ، وهو ثمل بنشوة فرحه بالنصر .

فلما سمع ابن بجاد مقالة خالد قال له : إن كان حقا ما تقول [illegible] إنك على رأيك وتدبيرك ، فهيا بنا نرحل . وما هى إلا لحظات حتى أقفرت القرية من [illegible] وعم الذعر البلاد ، وأخذ النساء والأطفال يولولن وظلوا فى قلق عظيم حتى أقبل الأمير عبد الله بجيشه فوجد القرية مفتحة الأبواب خالية من الحامية كليا ، فدخلها دخول الفاتحين فى يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ﻫ الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ م دون أن يريق فى سبيلها قطرة من الدماء ، وكتب إلى والده الحسين يبشره بذلك الفوز المبين ، وكتب إلى رؤساء القبائل الضاربة فى تلك الجهات يدعوهم إلى تقديم الطاعة له فى خلال ست ليال ، وإلا فإنه سينزل بهم الويل والثبور وعظائم الأمور ، وظل يتمثل مشايخ القبائل وهم جاثون على قدميه كما يتمثل فتح الرياض والقضاء على إمارة ابن سعود.

وبينما هو كذلك إذا بالنذير يأتيه فنسر امرأة عجوز إلى الشريف شاكر بن زيد أحد قواد الأمير عبد الله بأن خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد على مقربة منه ، وربما هاجماه الليلة فيسارع الشريف شاكر بنقل الخبر إلى الأمير عبد الله فإذا به يهزأ به ويقول له : (ما كان عهدى بك جبانا إلى هذا الحد ، أعندنا مثل هذا العدد العظيم من الرجال ، وهذه المقادير الوفيرة من ذخيرة الأتراك التى تكفى لسحق نجد ومن فيها ونخشى من ابن بجاد ومن خالد بن لؤى ، أو نحسب لهما حسابا ؟) فلم يسع الشريف شاكرا إلا أن يرجع إلى خيمته يتعثر فى أذيال الخجل . ويأوى إلى فراشه دون أن يستطيع مكاشفة أحد بما نقل إليه مما كان سببا فى ازدراء الأمير عبد الله به .

وما كاد ينقضى من الليل أكثره حتى هاجم سلطان بن بجاد ورجاله الجيش الهاشمى ، وهو يغط فى نومه ، فأعملوا فى أفراده السيف . واقتحم خالد ورجاله مخيم الأمير ، وأحاطوا به من كل جانب يريدون قتله ، فاستيقظ الأمير عبد الله من نومه مذعورا وأقبل على فرسه فامتطاها ، حاسر الرأس ، حافى القدم دون أن يظفر أحد به ، وأطلق لها العنان ولم يتوقف به العدو إلى أن بلغ الطائف حتى قيل إن فراره فى ذلك اليوم كان (بأعجوبة) وحقا إن فراره من وسط أولئك الرجال المحيطين به . ونجاته من تلك المجزرة التى لم ينج منها إلا النزر القليل من رجاله . كانت أعجوبة من أعاجيب الدهر ، وسميت تلك المذبحة بضحية الغرور ، وقد أثرت حوادثها فى نفسه أبلغ الأثر ، حتى إن الأمير عبد الله عبر ما شعر بغلطته ، وأدرك أنه لو احتاط للأمر وأصغى لما قاله الأمير شاكر لما حدث ما حدث ، حتى أنب نفسه ، وانتقم منها

نزع (العمامة) التي هي شارة الشرفاء من أمراء مكة من رأسه، وآلى على نفسه أن لا يضعها على رأسه بعد ذلك اليوم حتى يتمّ له الأخذ بالثأر وفتح الرياض.

ولقد وصل في هذه الأثناء ابن سعود ورجاله إلى ميدان القتال بعد انفضاض المعركة، ووجد الجيوش تتأهب للهجوم على مكة، ودكّ عرش الحسين بن علي، وإقصاء العائلة الهاشمية عن البلاد. فلم يشأ أن يجاريها وفضل التريث كما هي عادته. وأسقط في يد الحسين بن علي، لأنه ما كان يظن أن قوة كالقوة التي سيرها وفيها جلّ مايملك من العتاد يمكن أن يقضى عليها بين عشية وضحاها. فداخله الرعب والذعر وتحولت الأحوال من حال إلى حال، فبعد أن كان ابن سعود يخشى على استقلاله من بأس الحسين إذا بالحسين يحسّ بالخطر محدقا به من رجال ابن سعود، فما وسعه إلا أن يلجأ إلى بريطانيا العظمى يستنجد بها للدفاع عنه وردّ ابن سعود إلى الرياض، فأدركت بريطانيا مبلغ ضعفه وأيقنت أنه ليس بالرجل الذي يمكن أن يعول عليه أو يرجى نفعه، ولكنها استغلت الموقف وجاملته بأن أمرت معتمدها في جدة ولسن باشا (مدير مديرية البحر الأحمر) أن يكتب إلى ابن سعود بإيقاف القتال والرجوع إلى نجد تنفيذا لمعاهدة سنة ١٩١٦ م المعقودة بينهما، واتخذت من ذلك سبيلا للعبث بمقررات النهضة الكبرى التي تمت بينها وبين الحسين من قبل.

وعملا بأمر بريطانيا كتب معتمدها في جدة خطابا إلى ابن سعود يناشده فيه الوفاء بتعهداته لبريطانيا واحترام المعاهدة المعقودة بينهما، وإلا فإن حكومة جلالة الملك تعتبرها لاغية وتتخذ مايلزم من التدابير ضده، وأرسله برسول خاص من قبله هو المستر فلبي إلى ابن سعود بعد أن مهد له الحسين السبل وهيأ له وسائل السفر إلى تربة، ولم تكتف بريطانيا بذلك وخافت من بأس ابن سعود وعدم إذعانه لنصحها بعد ماحصل عليه من نصر، فبادرت بإجابة طلب الحسين وأحضرت بواخر حربية رست في الميناء تحمل كمية من المعدات والطائرات لتطمين الحسين وهمت بإنزال معداتها في رصيف خاص لولا أن ابن سعود كان أعقل مما يتصورون، فما كاد يتلو رسالة المعتمد الإنجليزي بعد ظهر يوم ١٥ رمضان سنة ١٣٣٧ هـ حتى نادى في قومه: إن حسبنا ما أحرزناه من نصر بفضل الله وحسن توفيقه، وعلينا أن نرجع إلى بلادنا لئلا نكون من المعتدين. وقد سمي ذلك الرصيف المذكور (سقالة الإنجليز) وقد وسعته الحكومة السعودية بعد ذلك وسمته الأسكلة الشمالية.

ضم عسير إلى ممتلكاته

كان عايض بن مرعي اليزيدي مؤسس إمارة عسير يدين بالطاعة والولاء لأمراء نجد ، ويدفع لهم الزكاة والخراج ؛ لأن أهل عسير كانوا يعتنقون مذهب السلف ، ويرون في أمير نجد حاكما شرعيا لهم إلى أن وقعت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية ، وأخذ حكم آل سعود يتلاشى بسبب الخلافات الواقعة بينهم ، إذ ذاك اضطر الأمير عايض أن يعلن استقلاله عن نجد . ثم توفي وتولى ابنه محمد الإمارة وعمل على بسط نفوذه على غامد وزهران من قبائل الحجاز وما حولها من القرى ، كما استولى على تهامتي عسير واليمن . فلم يرق ذلك في نظر الدولة العثمانية لاعتدائه على بعض أراضي الحجاز ؛ فجهزت عليه في عام سنة ١٢٨٥ هـ حملة بقيادة رديف باشا وأحمد مختار باشا حاصرت أبها ، فاضطر إلى التسليم فألحقت الدولة العثمانية عسيرا بممتلكاتها وجعلت من عسير متصرفية مقرها أبها . غير أنها عند ما اشتبكت في حرب مع محمد علي الإدريسي رأت من مصلحتها أن تستميل أهل البلاد وتشركهم في الحكم فعينت حسن بن علي بن محمد بن عايض معاونا للمتصرف سليمان شفيق كمالي باشا .

وعند ما نشبت الحرب الكبرى اضطرت الدولة العثمانية إلى سحب جنودها من تلك الجهات فخلا الجو للحسن آل عايض واستقل بالحكم في البلاد وجار في أحكامه ، حتى لقد ضج الناس من مساوئه وسيئاته . فما أن تواترت أخبار انكسار الجيش الهاشمي أمام قوى ابن سعود ذلك الانكسار الشنيع حتى فكر أهل عسير في أن يرفعوا إليه شكواهم من ظلم أميرهم وسوء إدارته ، فبعث إلى أميرهم طائفة من العلماء ورجال التوحيد تسدي إليه النصح بأن يتقي الله في رعيته وتدعوه إلى اتباع طريقة الوهابيين في العمل بكتاب الله وسنة رسوله والرجوع إلى الله في كل وقت ليكون من الفائزين .

فما أن وصلت تلك الجماعة إلى عسير وقابلت أميرها وبلغته النصيحة حتى أخذته العزة بالإثم وأجابها بأسوأ جواب ، إذ قال لها (أبلغوا ابن سعود أنه إذا حاول التدخل في شئون قبائل عسير فسوف نأتيه في عقر داره ونسلبه ملكه ، فرجعت تلك الجماعة إلى ابن سعود وقصت عليه القصص فاستشاط غضبا لله أن يبدى النصيحة

لابن عايض فيسمع منه ذلك الرد القاسى ؛ فما كان منه ـ وقد عاد برجاله من تربة ـ إلا أن يعقد مجلسا من رجال العلم ويستشيرهم فى الأمر فأشاروا عليه بوجوب استعمال الشدة ، وقالوا له : إن من واجب المؤمن أن يغير مايراه من الظلم باليد ، أو اللسان ، أو القلب ، وذلك أضعف الإيمان .

« وقد شكا إليك جماعة من المسلمين فى عسير ما أصابهم من الظلم والعدوان على يد أميرهم وأنت صاحب قوة وقد نصرك الله على أعدائك ، فمن واجبك أن تعمل على نصر دينه وإعلاء كلمته ، والله معك) فبادر فى الحال بإرسال قوة عظيمة بقيادة ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوى فى شعبان سنة ١٣٣٨ إلى أبها لإخضاع أميرها للحق وإرغامه على إقامة العدل والحكم بكتاب الله وسنة رسوله .

فسار ذلك الجيش قاصدا عسيرا ، فما أن علم به ابن عايض أمير عسير حتى جهز جيشا لملاقاته والتحم الجيشان فى معركة عنيفة أسفرت عن انتصار جيش ابن سعود على خصمه وفرار الأمير حسن وبعض فلول جيشه ، واستمر ابن مساعد فى تقدمه حتى بلغ أبها فاستقبله أهلها بكل ترحاب استقبال الفاتحين ، وكان فيهم الكثير ممن أشرب بالدعوة السلفية واعتنق مبادىء الشيخ محمد عبد الوهاب ، فنشطوا وأخذوا يعملون على الجهر بالحق ومحاربة المنكرات والبدع والخرافات ، وسرت الدعوة فى تلك الأنحاء محاطة بقوة ابن سعود المسلحة حتى تم لها إخضاع جميع القبائل وغرس محبة ابن سعود فى قلوبهم ، واضطر أمير عسير وابن عمه محمد آل عايض أن يلقيا سلاحهما وسلما أمرهما إلى ابن جلوى قائد ابن سعود الذى بعث بهما إلى ابن سعود فى الرياض فأكرم وفادتهما وأغدق عليهما المال الوفير ، فعاهداه على الطاعة والخضوع والإخلاص وتناسى الأحقاد ورغبا فى العودة إلى بلادهما فلم يداخله أى شك فيهما وقال لهما كلمته الخالدة : (من خدعنا بالله انخدعنا له . والله حسبنا ونعم الوكيل) ثم أعادهما إلى ديارهما وخصص لهما من المال الشىء الكثير . ولم يكتف بذلك ، بل عين الأمير حسنا مساعدا ومستشارا لعامله فى أبها ، وظل هناك موضع الكرامة والعزة .

فلم يرق ذلك للملك الحسين بن على ، وكبر عليه أن يتسع نفوذ ابن سعود حتى يشمل عسيرا ، فدبر خطة لتقويض سلطانه عن طريق تأليب القبائل عليه ، فبعث إلى الأمير حسن من يحرضه على العصيان ويعده بأتم المساعدات لاسترجاع نفوذه

وعظمته ، وتطوع بإرسال الرسل إلى مشايخ قبائل [illegible] مناصرة أميرهم والتحرير من حكم ابن سعود المشغول عنهم بحرب مع ابن [illegible] القديم ، فأثر ذلك فى نفوسهم ؛ حتى نقض الأمير حسن بن عايض العهد و[illegible] العصيان وقبض على عامل ابن سعود فى أبها فهد العقيلى وجعله أسيرا عنده إلى أن من الله على ابن سعود بالنصر على ابن الرشيد وفرغ له، فجهز عليه حملة تأديبية عظمى بقيادة ابنه الأمير (فيصل) سافرت من الرياض فى شوال سنة ١٣٤٠ هـ ؛ فما أن سمع الأمير حسن بمقدم ذلك الجيش العظيم بقيادة ذلك البطل المغوار حتى داخله الخوف واستولى عليه الذعر ولكنه أعد جموعه فى (حجلة) فهاجمه الأمير فيصل وأصلاه نارا حامية جعلته يتقهقر على غير انتظام ويدافع من غير وعى ، وانتشرت فرق الجيش السعودى تحتل المدن والقرى ، وتقبل طاعة من أطاع إلى أن احتل أبها فى صفر سنة ١٣٤١ هـ ، ولجأ الأمير حسن وابن عمه محمد إلى (حرملة) وهى بلدة تقع على رأس جبل شامخ منيع عرف بوعورة طرقه ومناعته الطبيعية حتى إن جيوش الدولة العثمانية لم تستطع قصد بلوغ قمته .

غير أن هذا لم يكن ليفت فى عضد الأمير فيصل ذلك البطل الصلب القوى الإيمان ، الواثق بنصر الله ، فاستمر فى تقدمه وهاجم بجنوده الجبل واقتحم حصن حرملة الذى يعد آخر حصن لآل عايض وتم بذلك لابن سعود إخضاع جميع بلاد عسير لملكه من جديد وذهبت محاولات الملك الحسين كلها فاشلة ، وفر الأمير حسن وابن عمه محمد إلى القنفذة من قرى الحجاز يستنصران بمن أغراهما على مقاتلة ابن سعود ونقض عهده ويأملان المساعدة والعون ، فما وسع الملك الحسين إلا أن يسير جيشا للانتقام لهما بقيادة الشريف عبد الله بن حمزة الفعر مزودا ببعض الجنود النظاميه والمدافع والرشاشات، فما كادت تقرب من أبها حتى أوقعها الجيش السعودى فى كمين ، فلم ينج منهم غير الشريف الفعر وقائد الجند حمدى بك . ورجع فيصل إلى الرياض ظافرا منصورا فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٤ هـ الموافق ٨ يناير سنة ١٩٢٣ م بعد أن أمر على عسير (سعد بن عفيفان) أحد رجاله . وترك معه قوة بسيطة لحفظ الأمن فى البلاد وظل الأمير حسن وابن عمه محمد وجميع آل عايض مشردين فى الآفاق حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ولم يجدوا بدا من تقديم الطاعة لابن سعود فبعثوا إليه يطلبون العفو والصفح الجميل فعفا عنهم فجاءوا خاضعين

فأكرم وفادتهم وأراهم كيف يكون العفو عند المقدرة حيث جعل حسنا ومحمدا آل عايض من بطانته ورجال حاشيته المقربين ، وأحاطهم بكثير من موجبات التقدير والاحترام .

قضاؤه على حكم آل الرشيد

لم يكد يثق الحسين بن على بعودة ابن سعود إلى نجد ويؤمن بابتعاد الخطر عنه حتى أخذ يفكر فى الطريقة التى تمكنه من تقويض إمارة ابن سعود ، وقد أيقن بضعفه وأنه لا قدرة له على ذلك بعد أن فنى ما كان لديه من ذلك الجيش العظيم والذخائر الوافرة ، فلم يجد أمامه غير طريق الدس والكيد لابن سعود وتأليب العرب عليه خصوصا من كان بينهم وبينه حقد دفين ، فعمد إلى تلك البقية الباقية من أمراء آل الرشيد الذين كانوا يناوئون آل سعود فى نجد إلى أن تقلص ظلهم وانتهى إلى حائل والجوف وعقدت بينهم وبين ابن سعود معاهدة على احترام كل منهما لحقوق الآخر وعدم الاعتداء على بلاده . وزينت له نفسه تفريق ما بينهما ، فكتب الملك الحسين إلى أمير حائل يوغر صدره من ابن سعود ويستحثه على الأخذ بثأر جداده ماداه ابن سعود مشغولا بمقاتلة آل عايض فى عسير ، ويعرب له عن استعداده لمؤازرته بالذخائر والأسلحة والأموال الطائلة لحرب ابن سعود ، حتى توترت بينهما الصلات وانتهت بعزم ابن سعود على غزو آل الرشيد واحتلال حائل، وسير لذلك قوتين إحداهما بقيادة شقيقه الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وجهها إلى حائل لتطويقها وحصارها إلى أن تسلم ، والأخرى بقيادة ابنه الأكبر الأمير سعود وجهها إلى شمر لاحتلالها وإخضاع القبائل الضاربة حولها .

وبعد أيام استسلم عبد الله بن متعب آل الرشيد للأمير سعود فأكرمه وصحبه غاية الإكرام ، وقفل راجعا بهم إلى الرياض حيث شملهم ابن سعود بعفوه وجعلهم من خاصته . وباستسلام الأمير عبد الله بن متعب آل رشيد تولى إمارة آل الرشيد فى حائل محمد بن طلال ، ولم يشأ ابن سعود أن يتدخل فى شؤونهم الداخلية بعد أن أمن جانبهم باستسلام أميرهم الذى كان هو مثار القلاقل ضده .

ولكنه مالبث أن علم بأن محمد بن طلال الأمير الجديد أخذ يجند الجنود ويؤلب القبائل لحرب ابن سعود بمساعدة الملك الحسين ، فما وسعه إلا أن يبعث سرية بقيادة

فيصل الدويش أحد قواده لتأديبه ثم رأى من المصلحة أن يقضى على الإمارة بتاتا ليستأصل بذور الشقاق ويأمن من الفتن الداخلية فى بلاده نهائيا ، فسار بنفسه على رأس جيش عظيم لتنفيذ خطته متجافيا سفك الدماء ما استطاع ، ومراعيا استعمال الحكمة ومحاصرة المدن المحصنة حتى تسلم من تلقاء نفسها إلى أن تم له ما يريد حيث تجمع الناس حول ابن طلال واضطروه أن يرسل مندوبا من قبله هو عبد العزيز بن إبراهيم إلى ابن سعود يفاوضه فى أمر التسليم ويطلب منه الأمان لنفسه وأسرته وجميع آل الرشيد وعموم الموالين له ، فوافق ابن سعود على ذلك وأعطاه عهداً به على أن يقيموا عنده بالرياض محاطين بكل أسباب الراحة والرفاهية والتكريم والتقدير .

وبعد توقيع الاتفاق أرسل ابن سعود عبد العزيز بن مساعد مع ابن إبراهيم لإنفاذ شروط التسليم ، ودخل ابن سعود حائلا فى صفر ١٣٤٠ هـ ١٩٢٠ م فأمن البلاد واستشار أهلها فيمن يوليه الحكم عليهم فأعلنوا الرضا بمن يرضاه .

ولما كان ابن سعود لا يريد الحكم والسلطان ولا يقصد التنكيل بأعزة البلاد ، وإنما يسعى إلى شىء واحد فقط هو أن ينشر دعوته السلفية ، ويحكم الكتاب والسنة فى رعيته ، فقد اصطفى من أبناء عمومة آل الرشيد واحدا توسم فيه الخير والصلاح هو إبراهيم السبهان ، فعينه أميرا على حائل ، وأوصاه بتقوى الله ، وتنفيذ أحكامه وقفل راجعا إلى الرياض وبصحبته آل الرشيد أجمعين وأكرم مثواهم وتزوج منهم فصاروا من أنصاره ومحبيه ، وتم له بذلك إلحاق جميع المقاطعات التى كانت تابعة لابن الرشيد إلى ملكه وسلطانه .

تأييد الله له

أدرك الحسين بعد وقعة تربة مبلغ ضعفه ، وآمن بقوة خصمه ابن سعود من اتساع نفوذه وقضائه على إمارة آل عايض وآل الرشيد ، واعتقد تمام الاعتقاد بأنه لولا بريطانيا ونفوذها القوى لما أمكن لملكه أن يدوم ، وحسب فى نفسه أن بريطانيا العظمى مضطرة للمحافظة على ملكه ، وأن وجوده على رأس حكومة هاشمية ضرورى لصالحها ، وإلا فما الذى دعاها إلى إقصاء ابن سعود عن تربة بعد أن كان قاب قوسين عن إجلائه عن عرش الحجاز ، وأخذ يتلمس الأسباب لذلك فوجدها أكثر من أن تعد ، واستطاع أن يستخلص منها ما يأتى :

١ — لأن بريطانيا ـ وقد حاربت تركيا دولة الخلافة ـ يهمها أن تكسب صداقة المسلمين ولا يمكنها أن تجد واحدا يجمع المسلمون على حبه والرضاء به غيره ؛ لما فيه من مميزات عظيمة : أولها أنه من صميم العرب ومن بيت النبوة ، وثانيها أنه هو الحاكم بأمره فى الحرمين الشريفين .

٢ — لأنه هو الزعيم العربى العظيم الذى انضم إلى الحلفاء وناصرهم فى ساعة الشدة، فلا تجد بريطانيا من المروءة أن تتخلى عنه، بل إنها إذا تخلت عنه فسيكون ذلك موجبا لنقمة مسلمى العالم عليها وضعف ثقة الناس بها .

٣ — لأنه هو الوحيد المرشح لمقام الخلافة لما توفر فيه من الصفات المؤهلة لها.

٤ — لأنه هو الوحيد الذى يمكن لبريطانيا أن تعتمد على صداقته لتحقيق غايتها فى الشرق دون أن يشعر أحد بذلك .

٥ — لأنه قد بسط سلطانه على كل من العراق وسوريا بواسطة اعتلاء أبنائه على عرش تلك البلاد فأصبح هو ملك ملوك العرب وأن أى أمر يصيبه سيكون سببا فى انقضاض تلك الممالك على بريطانيا .

٦ — لأن بريطانيا ملزمة بالوفاء بتعهداتها له وتنفيذ مقررات النهضة الكبرى التى تم الاتفاق عليها بينه وبينها وهذا لا يكون إلا عن طريقه .

٧ — لأن العرب جميعا مضطرون إلى مؤازرته والمحافظة على ملكه لأن فى ذلك ضمانا لاستقلالهم وحريتهم .

لكل ذلك من حقه أن يتدلل ويملى شروطه عليها . ومن واجبها أن تنفذ له أغراضه وتحقق له أمانيه ، وهى القديرة على ذلك بكل سهولة .

إذا فليطالبها بإبعاد ابن سعود عن عسير وإعادة الإمارة لآل عايض المستضعفين كما أبعدته عن تربة والخرمة وأرجعته إلى بلاده بجرة قلم ، وكيف لا يطالب بهذا وجلالته هو ملك ملوك العرب ومنقذهم أجمعين ، وواضع أساس الوحدة العربية ، وإمارة عسير لم تخرج عن كونها جزءا من بلاد العرب المجاورة له والتى يعد احتلال ابن سعود لها خطرا يهدد سلامة بلاده ، خصوصا وقد لجأ إليه آل عايض واحتموا بحماه .

وما أن انتهت الحرب العظمى حتى أخذ الحسين يطالب بريطانيا بإعادة استقلال آل عايض والحد من نفوذ ابن سعود حتى يرجع إلى سابق عهده .

وعبثا حاولت بريطانيا أن تقنعه بأنه على غير حق في [illegible] ولكنه أصر وأصر وهددها غير مرة بترك البلاد والتخلي عن الملك ملتحين من يس[illegible] منه .

وتحيرت بريطانيا وعجز ساستها عن فهم هذه العقلية الغريبة ؛ فبينما هو يطالب باستقلال العرب أجمعين ويدعى لنفسه الزعامة عليهم ، ومن مصلحتها هى أن تظهره بهذا المظهر أمام العالم إذا هو يكتب لها بأنه سيترك البلاد لتسلمها إلى من تختاره بدلا عنه ، فكأنه بذلك يعترف بأنه عامل من عمالها . ولقد حاولت بريطانيا فعلا أن تصلح من سياسته معها وتحتفظ به لولا أنه أصدر منشورا إلى الشعب الإنجليزى باللغة الإنجليزية يشكو إليه حكومته فضاقت ذرعا به وتوترت العلاقات بينها وبينه ورأت من المصلحة أن تتخلى عنه وتتركه وشأنه مع ابن سعود دون أن تتدخل بينهما . وعند ما أحس ابن سعود بهذا وأدرك الجفاء الواقع بين بريطانيا والحسين ، شعر بالحظ يواتيه حيث لمس القدرة الإلهية وهى تعمل لنصرته ، فتحمل الحسين نفسه على إغضاب بريطانيا وتحول دون تفاهمهما وتحلق فى سياستها فكرة التخلى عنه وعدم الحيلولة دون توسع نفوذ ابن سعود وسلطته فى الجزيرة فسجد لله شاكرا ، وأيقن أن الله مايسر له هذا إلا ليعينه على نصر دينه وإعلاء كلمته بتمكين التوحيد الخالص فى قلوب المسلمين . وبدأ يفكر فى العمل لغزو الحجاز ودك عرش الحسين والاتصال بالعالم الإسلامى عن طريق قادته وعلمائه ومفكريه لنشر الدعوة إلى الله والعمل بالكتاب والسنه والاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم . وكان له ما أراد ، والحمد لله

الحسين يعين على نفسه

قلنا إن ابن سعود قد عاد من تربة مكرها ، فيذا لالتزاماته السابقة أمام بريطانيا ، وهو ذلك الرجل الذى يحرص كل الحرص على الوفاء بتعهداته ، إرضاء لربه وإراحة لضميره . وروينا ما كان من تدبر الحسين المكايد له وتحريض آل الرشيد ، وآل عايض ضده ، حتى نصره الله عليهم ، وأشرنا إلى ما كان بين الحسين وبريطانيا من خلاف أدى إلى تخليها عنه ، ومع ذلك فابن سعود لايزال يكتم غيظه . ولا يستطيع أن يبدى حراكا ؛ لأنه يعتقد أن وراء الحسين شعوب : العراق ، وسوريا ، وفلسطين التى يتزعمهم الحسين بن على ، ويعد المنقذ الأعظم لهم من نير

الأتراك ، وهنالك يسيطر أبناؤه ، فلا يسعه إلا أن يخلو بربه يسأله العون والتأييد ، ويعمل على جمع كلمة العرب وتفادى الفتن والكوارث ، ويحاول جهده أن يسترضى الحسين ويكون معه يدا واحدة لخير العرب والإسلام ، فكتب له مرة خطابا يلقبه فيه بلقب صاحب الجلالة الوالد المعظم ويقول له (أهدى إلى حضرتكم جزيل سلامى ، وأعبر لسموكم عن عظيم اشتياقى ، وخالص نواياى لتجديد عهود الصداقة ، وتمكين الصلات الحسنة ، والمناسبات الودية المشتركة التى تربط القطرين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التى طالما أوجبت تأسفى ، وكدرى الخ) .

فلم يجد هذا الكلام اللين من ابن سعود إلا صدا وجفاء من الحسين ، فأراد أن يشهد بريطانيا على سوء نواياه ، فطلب إليها أن تتوسط فى عقد معاهدة ودية بينها وبينه على غرار المعاهدة المعقودة بينه وبين العراق ، فرحبت بريطانيا بالفكرة ، وحاولت أن تحمل الحسين على الدخول فى مفاوضة تضمن إقرار السلام بين البلدين ، فرفض واشترط للبدء فى المفاوضة أن يبادر ابن سعود بالجلاء عن بلاد آل الرشيد وآل عايض وكل بلاد اغتصبها ويعود إلى الحدود التى كانت من قبل ، وإلا فلتعينه بريطانيا ملكا على البلاد وترسله ليحضر لاستلامها ، فما وسعها إلا أن تنفض يدها من الأمر وتتركهما وشأنهما ، غير أن ابن سعود لم يشأ أن يغير موقفه ، وأبى عليه حسن تدبيره أن يشتبك فى حرب مع الحسين (وأبناؤه ملوك فى العراق وشرق الأردن لا يزالون موضع ثقة بريطانيا ، ومن المشاهد أن ثلاثة من العمد ومشايخ الحارات إذا اتحدوا لابد وأن يحسب لهم حساب) .

وعند ما أحجم ابن سعود عن المضى فى تنفيذ خطته وأراد الله بما أراد : دفع الحسين نفسه لأن يسعى إلى حتفه بظلفه ويعمل على تقويض دعائم عرشه بيده ، فلم يحسن سياسة ملكه وعجز عن ضبط الأمن فى بلاده ، ولم يحاول الحصول على رضاء العالم الإسلامى عنه ، بل لم يفكر فى جذب قلوب أفراد شعبه إليه ، واستبد برأيه فى كل أمر ، وأراد أن يسيطر بنفسه على كل شىء ، وحكم البلاد بأحكام قاسية لا تستند إلى منطق سليم ، فهو مثلا يحدد ثمن الجنيه الذهب بسبع ريالات وينكل بمن يصرفه بأكثر من ذلك أشد التنكيل ، فيأمر بهم يكنسون الشوارع على ملأ من الناس ، وهم من علية القوم للسبب المذكور ، بينما هو يأمر وزير ماليته بتبديل ما لديه من

ذهب بعشر ريالات ليصرف منها رواتب الموظفين ؟ وهو يمنع أهل البادية من تصدير ما يبتاعونه من الطعام إلى قراهم إلا برخصة منه خشية أن تتسرب تلك الأرزاق إلى نجد ، بينما هو لايعطيهم تلك الرخص إلا بشق الأنفس ، أو عن طريق دفع الرشوة لمن أمرهم فى هذا الشأن ، إلى غير ذلك من أنواع المظالم ، وصار يصغى للوشايات ويسلط الأدنياء فى رقاب العظماء وأوجد سجنا فى جوف الأرض فيه أنواع العذاب يقال له (القبو) ملأه بكثير من الأبرياء من ضحايا الوشايات ، الأمر الذى حدا ببعض أهل الحجاز أن يهاجر إلى نجد أمثال السيد حمزة غوث ، والسيد حسين نائب الحرم ، وغيرهم من رؤساء العشائر وأكابر رجال البادية ، وكثير منهم من هاجر إلى مصر وغيرها من أنحاء العالم فرارا بنفسه وحفظا لكرامته الأمر الذى حدا بالحسين أن يمنع السفر إلى الخارج ووضع لجنة لتحقيق هوية المسافرين عهد برياستها إلى الشيخ عبد الوهاب قزاز أحد مخلصيه ، فكانت مهمتها منع الناس من السفر إلى الخارج إلا من وثقت برضائه بالحكم السائد ، وهم قليل جدا .

وممن هاجر إلى مصر ناقما من حكمه كاتب هذا التاريخ لأنه أخذ من والدته قسرا وبثمن زهيد عدة دكاكين فى وسط المشعر الحرام أمام باب السلام الصغير الكائنة إلى جوار المدرسة على زعم أنه سيتخذها ملعبا لتلاميذ المدرسة ثم لم يفعل سيئا واتخذها للاستغلال ثم آلت تلك الدكاكين إلى البلدية وقد تملكها أخيرا صدقة كعكى ، وكذلك صادر له سيارة كان قد أحضرها فى أول عهد الحسين لتسييرها فى البلاد والاستفادة منها بحجة أنه لايجوز ركوب السيارات لغير الملك وأبنائه فى الحجاز .

هذا مع العلم بأنا كنا محاطين بعطفه ورعايته ، وكان أخى السيد عبد الملك الخطيب معتمدا سياسيا لجلالته فى مصر .

وإذا كان هذا شأنه مع أنصاره فكيف بأعدائه ؟ .

ولما عمت مظالمه ، وكثرت سيئاته ضجّ المسلمون منه ، وفى مقدمتهم علماء الهند الذين أسربوا بحب الدولة العثمانيّة باعتبارها دولة الخلافة وكانوا يرون خطأً أوصوابا أن الخروج عليها ومحاربتها خروج على خليفة المسلمين ، فأصدروا الفتاوى بمقاطعته ، وإعلان السخط على تصرفاته ، وبلغ ضجيجهم عنان السماء ، وربما كان هذا من ضمن الأسباب التى دعت بريطانيا إلى التخلى عنه وإطلاق يد ابن سعود فى محاربته ،

كل هذا وابن سعود لايبدى حراكا حتى يتأكد من تأييد العالم الإسلامى أجمع له إذا هو قام بعمل حاسم ضده ؛ فابن سعود لايجهل ماغرسته الدولة العثمانية من بغض له ولقومه الوهابيين فى قلوب المسلمين بواسطة تلك الدعايات الكاذبة التى كانت تبثها فى النفوس بواسطة صنائعها من المخرفين والمبتدعة وبعض العلماء الجامدين .

ولم تمض أيام قلائل حتى سمع ابن سعود أن الحسين قد منع البعثة الطبية المصرية من أداء مهمتها الإنسانية فى الحجاز على زعم أن فى ذلك مساساً باستقلاله ، وترتب عن ذلك عودة المحمل المصرى ، فقامت قيامة الشعب المصرى عليه ، وأخذت صحفه تنشر الدعايات السيئة ضده .

وما كادت تخف وطأة تلك الحملة بتسوية الخلاف فى موضوع البعثة الطبية بين الحكومتين حتى سافر جلالة الملك الحسين إلى عمان بدعوة من ابنه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن الذى طبخ له البيعة بالخلافة العظمى وألبسها له فكانت شرا عليه ؛ لأنه رجع بها إلى الحجاز يجر ذيل الخيلاء حتى لتدكبر عليه أن يرى اسم جلالة الملك فؤاد ملك مصر موضوعا على كساء الكعبة المشرفة ، فأمر بانتزاعه منها معللا ذلك بعذر أقبح من الذنب حيث أمر معتمده فى مصر السيد عبد الملك الخطيب أن يبلغ حكومة مصر بأن الذى حدا به إلى ذلك هو قداسة الكعبة التى يتحاشى الطير أن يذرق فوق فضائها فلا ينبغى أن ينقش اسم جلالة الملك على كسوتها ، فغضبت مصر للحادث . ولهذا المنطق السقيم ، وحملت عليه صحفها حملة شعواء حتى طعن بعضها فى دينه وشرفه وحتى رسمته بعض مجلاتها برسوم كريكاتورية مزرية .

ولم يبق أحد فى الحجاز ومصر والهند إلا وأبغضه أشد البغض وصدق عليه قول من قال :

أوتيت ملكا فلم تحسن سياسته كذاك من لايسوس الملك يخلعه

غزو الطائف

عند ماهدت لابن سعود السبل ، وذللت العقبات التى كانت تبدو صعبة وخطيرة في نظره لم ير بدا من أن يستخير الله تعالى ويقرر اغتنام هذه الفرص للاستيلاء على الحجاز لتحقيق الغاية التى كان ينشدها ويعمل لها ، وهى نشر الدعوة إلى الله وإيضاح العقائد السلفية الحقيقية للعالم الإسلامى عن طريق إقناع قادته وعلمائه من وفود بيت الله الحرام ، فأوعز إلى خالد بن لؤى أمير تربة أن يستعد لمهاجمة الطائف، وأمده بقوة أخرى من الغطغط المشربين بحب الدعوة إلى التوحيد الخالص، الملقبين بأنصار التوحيد إخوان من أطاع الله ، والذين ألقى فى نفوسهم أن أهل الحجاز قد انحرفوا عن جادة الصواب والصراط السوى ، فصاروا يأمون السيدة خديجة والسيدة فاطمة ، لقضاء الحاجات وتفريج الكربات . ولذلك يحل قتالهم حتى يصححوا عقائدهم ويحصروا يقينهم فى الله وحده .

وقد تولى قيادة هؤلاء رفيق خالد فى موقعة تربة الأولى سلطان بن بجاد ، وانضم إليهم كثير من قبائل الحجار "النافرة .ن حكم الحسين والتى بلغت بها الفاقة منتهاها ، حتى إذا ما استكمل جمعهم فى تربة وبلغ نحو ثلاثة آلاف مقاتل أمرهم بالسير إلى الطائف والانتظار به حتى يلحق هو بهم .

كل هذا وجلالة الحسين بن على غارق فى أحلامه مسترسل فى خيلائه ، يؤمن بضعفه ، ولكنه لا يعتقد أن على الأرض قوة تستطيع أن تزعزع ملكه ، أو تحد من سلطانه ، ينذر من حالفه بالخروج من بلاده ، ويعتز بمناعة جباله وصحرائه ، ويكيل السباب والشتائم لمسلمى مصر والهند فى صحيفة (القبلة) ويأبى أن يتساهل مع مصر حتى بمجرد الوعد بالسماح بوضع اسم ملكها على كسوة البيت الحرام فى العام القادم .

وبينما هو كذلك إذا بمقدمات جيش بن سعود تهاجم قلعة كلاخ أول حدود الحجاز فتحتلها ، ولم تشرق شمس يوم السبت أول شهر صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م إلا وقد دخلوا الحوية إحدى قرى الطائف ، فطير الخبر إلى الملك الحسين ، فلم يكترث به وأمر وزير حربيته صبرى باشا بإرسال بعض حامية الطائف لصد أولئك المعتدين ، ففعل وأخرج لقتالهم نحواً من أربعمائة

جندى بكامل عدتهم ، وظل يقاوم الجيش المهاجم خمسة أيام اضطر بعدها أن يتراجع إلى أسوار الطائف ، فهلعت قلوب الأهلين . وكان فيهم كثير من المصطافين من أهل مكة فهموا بالرحيل ، ولكن الحكومة منعتهم ، وهدأت من روعهم ، وأرسل الحسين لإمدادهم قوة من مكة بقيادة ابنه الأمير على بلغت الطائف فى ليلة الجمعة ٧ صفر ، وتمركزت فى داخل سور الطائف واستعدت للدفاع عنها وأغلقت عليها أبواب السور فأحاط جيش خالد وسلطان بهم وحاصروهم من ثلاث جهات ، وما كاد الناس يطمئنون بوصول تلك القوة إليهم حتى ملئ قلب الأمير عبد الله باشا ابن محمد زوج ابنة الملك الحسين بالذعر ، فامتطى فرسه ، وجاء إلى حراس باب السور مما يلى الهدى بعد صلاة الجمعة وأمرهم بفتح الباب ففتحوه ، وأطلق لفرسه العنان هو ومن معه . فساد الخوف إلى نفوس الناس وتبعه الكثير حتى لم يعد فى إمكان الحراس أن يردوا الشاردين .

ولما علم بذلك الأمير على بن الحسين لم يسعه إلا أن يأخذ جيشه ويتقهقر إلى الهدى ليعسكر فيها ويترك البلاد من غير حامية فهاجمها جيش خالد وسلطان ومن معهم من قبائل الحجاز الجياع الذين تعودوا قتل الحجاج ونهب أموالهم فى طريق المدينة ، فوجدوا المدينة خالية من الحامية . وقد اعتصم أهلها ببيوتهم فاقتحموها عليهم فأمعنوا فى قتل الأبرياء والقيام بأعمال السلب والنهب حتى مطلع الفجر ، ودخل البلاد ابن بجاد ، ونادى مناد من قبله بإعطاء الأمان للسكان وجمعهم فى حديقة قصر الأشراف بشبرا وأجرى عليهم من القوت ما يكفيهم ثم أذن لهم بالسفر إلى مكة .

وفى هذه الأثناء أرسل الملك الحسين طائرة إنكليزية من أجود طائراته إلى الطائف لمساعدة حاميته ظنا منه أنها لاتزال فى إمرة ابنه الأمير على وما كادت تدنو منها حتى أسقطها الوهابيون برصاصهم . وطير الخبر إلى ابن سعود بالرياض فتأثر كثيرا من حادث تلك المذبحة المنكرة ، لأنه رجل يخاف الله ولم يسبق له أن قتل أعداءه ومقاتليه . فضلا عن المسالمين الآمنين ، بل إنه عرف بالعفو والصفح عن المجرمين وإكرام التائبين .

ولقد أدرك عدم مقدرة القائدين على ضبط شعور رجال القبائل المنضمة إليهما وتحت أمرهما ، فكتب لهما يؤنبهما على ما حصل مهددا لهما بأشد الجزاء إذا صدر من الجيش مثل ذلك الاعتداء على الأبرياء بعد اليوم وحظر عليهما دخول مكة حتى يأتى إليهما .

احتضار المملكة الهاشمية

ماكاد الجيش الهاشمى بقيادة الأمير على بن الحسين يعسكر فى الهدى حتى أقبل عليه الناس من أهل الطائف والمصطافين فيه هاربين ، وقصوا عليه أمر المذبحة الكبرى التى حصلت فى الطائف بعد مبارحة الجيش على أيدى المهاجمين ، فداخل الجميع الرعب واستولى عليهم القلق ، ولما كان الطريق وعراً جدا بين الهدى ومكة ؛ لأنه عبارة عن جبل يبلغ ارتفاعه نحوا من ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ، كله هضاب ونواتئ يصعب على الرجل أن ينزل فيها ماشيا على قدميه، خشى الأمير على بن الحسين أن يهاجمه رجال ابن سعود فى الهدى فلا يتمكن من الهرب ، والقوة التى لديه بسيطة لا تبلغ السبعمائة مقاتل وأمامه قوة ابن سعود تقدر بنحو ثلاثة آلاف ، فما وسعه إلا أن يقرر الانسحاب إلى عرفات ، وأبقى بعض رجال المدفعية فى الهدى لتحمى مؤخرته ، واتصل الملك الحسين بعامل تليفون الهدى طالبا الاتصال بابنه الأمير على فأخبره العامل بأن المذكور قد نزل بجيشه إلى مكة ، فثارت ثائرته ، وأرسل من يستحث أهل مكة للحرب والدفاع عن مكة وأهلها ضد أولئك القتلة السفاحين ، وقد سمعوا بما حل بمن كان فى الطائف على يدهم ، فهرعت الناس أفواجا إلى قصر الملك يطلبون منه أن يفتح خزائنه فيخرج منها من المال مايتركونه لأهلهم ، ومن السلاح مايتغلبون به على عدوهم، وهنا تملكه الشح فلم يسمح لأكثر من مائتين من أهل البلاد بالانضمام إلى الجيش، وأعطى كل واحد منهم عشر ريالات وبندقية واحدة وقليلا من الرصاص وضمهم إلى بقايا جنده النظامى الموجودة فى مكة والذى تقدر بنحو ثمانمائة جندى ، وأمرهم بالسير إلى عرفات ، وبعد لحظة اتصل الأمير على بوالده من عرفات وأخبره بحقيقة الأمر ، وأن الجيش المهاجم يفوقه بالعدد الكبير فوبخه ، وأمره بالعودة من حيث أتى ، واسترجاع الطائف من يد الوهابيين .

وفى هذه الأثناء كان معتمد الحسين فى الإسكندرية السيد عبد الملك الخطيب يفاوض حكومة مصر لأجل تسوية الخلاف الواقع بين الحكومتين بسبب امتناع [illegible] الملك فؤاد من كسوة الكعبة . وقد توصل إلى حل مع الحكومة المصرية أن تحصل على وعد من الملك الحسين بأن لا يعارض فى بقاء الأمير فى [illegible] ، وفى نفس الوقت نشرت الصحف برقية من مكة أن الوهابيين استولوا على الطائف

وبقروا البطون ، وقتلوا الشيوخ ، وسلبوا الأموال فاستبعد المعتمد حصول ذلك وهم بتكذيبه ، لأنه لم يتلق خبرا رسميا به ، ولكنه رأى أن يبرق إلى الحسين مستطلعا حقيقة الأمر فتلقى منه برقية بتاريخ ٢٧ صفر سنة ١٣٤٣ هذا نصها :

(معتمد مصر — نعم هو كذلك لا تكن يا عبد الملك ممن يقعقع له بالشنان تقدم جيشنا للهدى ستسمع مايسرك — حسين)

ولقد أطاع الأمير على أمر أبيه وهو ذلك الفتى الوديع الذى لم يتعود الحرب والضرب ولا قيادة الجند وتدبير المعارك وسار بجنده وذلك النذر اليسير الذى أرسله إليه أبوه قاصدا الهدى ، وبينما هو مقبل على جبل كرى بقصد صعوده كان جيش خالد وابن بجاد قد انتصر على جيش المدفعية الذى أبقاه الأمير على فى الهدى وشرع فى الاندفاع من شاهق ذلك الجبل الوعر كالسيل الداوى وهو يمطر الأمير عليا بوابل رصاصه فما وسع الأمير عليا إلا أن يتراجع بجيشه لا إلى عرفات بل إلى بازان فى أعالى مكة .

وما أن علم الحسين بذلك النبأ المفاجئ حتى أحس بالخطر يحدق به وتصور أن بريطانيا التى ردت ابن سعود عنه بالأمس هى التى بعثت به لمقاتلته اليوم بينما كان الواقع خلاف ذلك : فبريطانيا لم تبعث ابن سعود ولكنها لم تشأ أن تقف فى طريقه غير أن الحسين أخذته العزة وأبت عليه كرامته أن يطلب وساطتها بل أبرق إلى معتمده فى مصر برقية بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣٤٣ هذا نصها :

(معتمد مصر — رحنا يا عبد الملك . تراجع جيشنا إلى بازان ، قابل المندوب السامى الإنجليزى وبلغه أننا نعتبر اعتداء ابن سعود علينا هو من جانب الإنجليز ، وإنى سأتولى الدفاع بنفسى عن مكة . ولو حول جدار الكعبة وأحملهم مسئولية ذلك أمام العالم الإسلامى — حسين) .

ولقد صدع المعتمد بالأمر . وقابل المندوب السامى الإنجليزى الذى أعرب عن تنصله من كل تلك الحوادث . وأكد له أنه ليس لبريطانيا أى تدخل فى الأمر ، وأنه كان بودها من قبل أن تسوى ما بين البلدين من خلاف ، فرفض ذلك الحسين ، ثم هو لا يطلب منها أى تدخل الآن . ولذلك فلا تتأن هنا فى الموضوع .

فأبلغ المعتمد الجواب إلى الحسين فعتبره سماجة من الإنجليز لم تهضمها نفسه . فأجابه بقوله : (إنه سماجة) وصمم على القتال حتى النفس الأخير ، وظل فى قصره [illegible] سبكون .

التآمر ضد الحسين

لم يكد ينتشر فى البلاد خبر تراجع الجيش إلى بازان ، وتصميم الحسين على مقاتلة الوهابيين فى شوارع مكة وحول جدار الكعبة حتى تملك الذعر النفوس ، وأخذ الناس يهربون إلى جدة زرافات ووحدانا ، وارتفعت أجور وسائط النقل ارتفاعا باهظا حتى لم يكد يبقى من ذوى اليسار أحد بمكة ، فهاجروا إلى مصوع وأسمرا وبورتسودان ومصر وسوريا وجزائر ملايا وانتشروا فى الآفاق طلبا للنجاة بأرواحهم من القتل الذى كانوا يتوقعونه على يد الوهابيين كما حصل فى الطائف .

وعند ما استفحل الأمر اجتمع فى جدة بعض ذوى الحل والعقد من وجهاء الأمة أمثال الشيخ محمد الطويل ناظر عموم الرسوم والسيد طاهر الدباغ مدير مالية جدة والسيد الطيب الساسى رئيس تحرير جريدة القبلة والشيخ سليمان قابل رئيس بلدية جدة والشيخ محمد نصيف من كبار أعيان جدة والشيخ عبد الرءوف الصبان من كبار أعيان مكة .

وأخذوا يفكرون فى الطريقة التى بها يعالجون الموقف ويحقنون الدماء ويحفظون للحجاز استقلاله .

فأمامهم عدة مشاكل يجب تذليلها تتلخص فيما يأتى :

١) مشكلة الملك الحسين نفسه ، فما دام على عرشه مصرا على الدفاع وعدم التسليم ـ مع أنه لا يملك المعدات اللازمة له ـ فسيعرض الأهلين لمذبحة عظمى أشد من مذبحة الطائف ، وإذا كان الوهابيون قد أقدموا على قتل الأبرياء المسالمين فى داخل بيوتهم ، فكيف بهم إذا صمدت البلاد لحربهم ودخلوها دخول الفاتحين ؟ لاشك أنهم سوف لا تأخذهم بهم رحمة أو شفقة .

٢) ولا سبيل إلى إنزال الحسين عن عرشه فهو جبار ذو سطوة وبطش ، والشعب قد ألف الطاعة العمياء لحكامه وأمرائه اتباعا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشى» ، وفوق هذا فقد هجر من البلاد كثير من قادتها وزعمائها ، فلا سبيل إلى تكوين جبهة قوية تستطيع خلع الحسين عن عرشه .

٣) إن المتحمسين أنفسهم من أعوان الحسين وأنصاره يحملون له فى رقابهم

بيعة بالملك ولا ينكرون ماله من يد بيضاء على العرب أجمعين بتحريرهم من نير الاستعباد العثماني بالرغم عما له من مظالم وهنات أبسطها استبداده بالأمر وعدم اعتداده برأى أحد منهم ، فكيف يمكنهم الإقدام على خلعه ، وبماذا يستطيعون التغلب عليه وانتزاع السلطة من يده ؟

٤) وعلى فرض تمكنهم من خلعه فما هو السبيل إلى ضمان استقلالهم ، والبلاد مهددة بخطر الغزو الوهابي بين عشية وضحاها بحيث لو استمر الغزو إلى مكة لما وجد في طريقه مقاومة تذكر .

هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى فإن الإنجليز كما يبدو يريدون التخلص من هذه المملكة التي تطالبهم بمقررات النهضة وإلغاء وعد بلفور فهي كالشوكة في حلوقهم، ومن صالحهم أن تزول وتلحق الحجاز بنجد لتكون خاضعة لمعاهدة ١٩١٦ ، فيجب أن يفكروا في حل لا يتنافى مع مصالح بريطانيا ويرجى أن يكون وسيلة للحصول على رضاء ابن سعود .

٥) ليس في البلاد قوة يعتد بها فقد أضاع الأمير عبد الله بن الحسين كل ماغنمته الدولة الهاشمية من الأتراك من عتاد ، وما تناولته من معاونات الإنجليز في مبدإ النهضة في موقعة تربة ، ولم يحاول الحسين تزويد جيشه بشيء من وسائل الدفاع الحديثة كالمدافع والمصفحات والدبابات وما أشبه ذلك .

وكل ما ابتاعه من أوربا هو طائرتان صغيرتان ليس بهما شيء من القنابل والمفرقعات ولم تعتمد حكومته إلا على مجرد الوهم والخيال . بل كان يقول حسبي أن أنفض جبتي فينكشوا على أعقابهم خاسرين .

استعرض المجتمعون كل هذه الاعتبارات وبحثوا الأمر من جميع نواحيه ، فقال قائل منهم : لايمكن تفادي الخطر إلا بإنزال الحسين عن عرشه بأية طريقة كانت ، فإن في تنحيته عن العرش حقنا لدماء الحجازيين كافة ، بل إن فيه صيانة لحياة الحسين وعائلته وذويه وأموالهم ؛ فمن الوفاء له وللأمة أن نعمل على إقناعه بضرورة التنازل عن عرشه وقال آخر : ومن منا يستطيع أن يجرأ على مصارحته بهذه الحقيقة المرة ، اللهم إلا إذا استعنا عليه بابنه الأمير علي وذلك بأن نفهمهما أن مصلحة البلاد تقتضي تنازل الحسين عن العرش لانه لما في ذلك من الفوائد الآتية :

(ا) صون حياة الحسين من القتل المؤكد فى [redacted] على الحرب داخل المسجد الحرام ، وصون كرامته عن الخضوع والتسليم لخصمه [redacted] ـ

(ب) إفساح المجال لابنه على حتى يعالج الموقف بصلح شريف مع [redacted] ، فنحن نعلم أن ابن سعود لايقصد من حربه هذه إلا التنكيل بشخص الحسين الذى حاول إرضاءه والتفاهم معه فلم يفلح ، والتاريخ شاهد بحسن نوايا آل سعود من قديم الزمان حتى الآن ؛ فإنهم عند ما دخلوا الحجاز فى المرات السابقة لم يتعرضوا لحق الأشراف فى إمارة الحجاز ، بل أبقوا الشريف عبد المعين والشريف غالبا فى الإمارة ، ودعوهما فقط للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ومحاربة كل مايؤدى إلى الشرك من البدع والخرافات .

كما أن الأمير عبد العزيز نفسه فى حربه مع آل رشيد وآل عايض لم يتشدد معهم إلا عند ما خانوا عهده ومع ذلك فإنه لايزال يحتفظ لهم بكرامتهم .

(ج) إن الحسين إذا علم برغبتنا فى تنصيب ابنه الأمير على يتأكد أنا لانقصد به السوء وأن عليا معنا على هذا الرأى فى الباطن فيوقن أنه لم يعد له نصير فيخشى من كل من حوله حتى ابنه المذكور فلايسعه إلا الرضوخ لمشيئتنا ، وقد يؤمل فى أن يكون الحكم بيده مادام ابنه هو ملك البلاد .

(د) نحن على ثقة بأن الأمير عليا هو خير من تجمع عليه الأمة ؛ لأنه عرف بوداعة الأخلاق ولين الجانب ، وهو إلى جانب هذا لايتردد فى قبول الملك لتفادى الخطر الذى لاينكر أنه محدق بالجميع .

قال آخر : وعلى فرض أنه تنازل ونصب ابنه الأمير عليا ملكا ، فماذا يكون الموقف فيما إذا رفض ابن سعود عقد صلح معه ، وما هى الثمرة التى نجنيها من وراء ذلك ؟ فأجابه الجميع إننا بعملنا هذا نكون قد أدينا الواجب أمام أمتنا أولا ، وقبل كل شىء بحقن دماء أبنائها ، ثم إننا نتشبث لنيل رضاء العالم الإسلامى عنا ، واستمالة بريطانيا لتأييدنا ، ومساعدتنا على الاحتفاظ باستقلالنا بقدر الإمكان ، فإن قدر لنا النجاح فبها ونعمت ، وإلا فلا يلام المرء بعد الاجتهاد .

ثم قال آخر : ولكن بريطانيا سوف لاتؤيد أية حكومة تحل محل حكومة الحسين تعمل على نهجه وتطالب بتنفيذ تعهداتها له (مقررات "نهضه") ؛ لأن ذلك ليس فى صالحها ، بل إن من الخير لها أن تزول الحكومة الهاشمية ويصبح الحجاز تابعا لابن سعود ؛ لتسرى عليه معاهدة سنة ١٩١٦ .

فتشاور الجميع حول هذه النقطة ، وانتهوا إلى قرار فى هذا الشأن بتغيير اسم الحكومة وشكل الحكم فيها . وقد وضع الجميع قرارا مطولا يتلخص فيما يأتى :

أولا — ضرورة إلزام الملك الحسين بالنزول عن عرش المملكة إلى ابنه الأمير على .

ثانيا — أن تكون هذه الحكومة حجازية تعمل لصالح الحجاز والحجازيين .

ثالثا — أن ينادى بالملك علىّ ملكا دستوريا على البلاد، على أن توضع الأنظمة اللازمة لذلك فيما بعد .

رابعا — أن تفوض هذه الحكومة فى عقد صلح مع ابن سعود تحقن به الدماء ، وترجع إلى البلاد طمأنينتها .

خامسا — أن تعمل هذه الحكومة على استرضاء العالم الإسلامى واستدرار عطفه.

سادسا — أن تسعى هذه الحكومة لتحسين علاقاتها مع بريطانيا وباقى الدول لنيل تأييدها ومناصرتها .

سابعا — أن تقوم هذه الحكومة فى الحال بتقوية الجيش وإعداد العدة للدفاع عن البلاد وشراء أحدث الأسلحة اللازمة لذلك، وما انتهوا من قرارهم هذا حتى بعثوا إلى الأمير على بمن يكاشفه به ، فلم يعارض ، وإنما أعرب عن رغبته فى اختيار ملك سواه حرصا على عدم إغضاب والده عليه ، فأفهم أن هذه إرادة الأمة ، والمطلوب منه أن يقنع الملك الحسين بها ليكون راضيا عنها أيضا ، فلا يعرقل جهودها ومساعيها . وأنه فى حالة ما إذا أصر على عدم قبول الملك أو أصر الحسين على عدم التنازل فإن مسئولية الكارثة ستكون على عاتق سموه . فما وسعه إلا القبول .

ورجع الرسول إليهم وأبلغهم موافقة الأمير علىّ على قرارهم ، فعقدوا الاجتماع الثانى لهم ورفعوا للملك الحسين أول برقية من نوعها بتاريخ ٤ ربيع أول سنة ١٣٤٣ ﻫ هذا نصها :

« مكة : صاحب الجلالة الملك المعظم :

بما أن الشعب الحجازى بأجمعه واقع الآن فى الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع ، وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال ؛ وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعنى أمره جميع المسلمين ، لذلك قررت الأمة نهائيا طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب

ابنه الشريف على ملكا على الحجاز فقط ، مقيدا بدستور ومجلسين وطنيين ، فترجو التكرم بتنفيذ هذه الرغبة لتضيفوا هذه المكرمة إلى سابق خدماتكم للإسلام والأمة . مولاى) .

وقد وقع على هذه البرقية مائة وأربعون شخصا .

تخلى الحسين عن الملك

فى الوقت الذى كان فيه بعض أقطاب الحجاز يقررون نزول الحسين عن عرشه حقنا لدماء الأهلين ، والخطر يهدد البلاد والناس فى قلق عظيم ، كان الحسين بن على غارقا فى أحلامه وخيالاته ، فهو لم يؤمن بعد بإمكان استيلاء ابن سعود على الحجاز ، ويعتقد اعتقادا جازما أنه ماجاء إلا مدفوعا من بريطانيا لمجرد إرهابه والتأثير عليه ، للترخص فى بعض مقررات النهضة وغض النظر عن وعد بلفور .

وهو إلى جانب هذا لايشك فى أن بريطانيا لا تسمح لنفسها باستيلاء الوهابيين على الحجاز لما ينشأ عن ذلك من سخط العالم الإسلامى أجمع على بريطانيا ومطالبتها بإقصائه عنه ، كما كان يثق تماما بأن ابنيه فى العراق وشرق الأردن سوف لايقصران فى العمل للتأثير على بريطانيا وإرغامها على التدخل فى الأمر وضرورة إعادة ابن سعود إلى مقره كما حصل فى السابق دون أن يتنازل هو بتقديم هذا الطلب إليها .

وأيد له هذه النظريات ما رآه من توقف جيش الوهابيين عن الاستمرار فى هجومهم على مكة طوال تلك المدة التى تقرب من الشهر الأمر الذى جعله يعتقد أنه لو لم يكن هناك تأثير أو سياسة من بريطانيا لتقدم الجيش واحتل البلاد فى يوم واحد ، ولذلك ظل الحسين ناعم البال قرير العين واثقا بحسن النتائج بالرغم عن قلق من حوله من الناس أجمعين .

وبينما هو كذلك فاجأته تلك البرقية المرسلة من أعيان الحجاز طالبين تنازله عن العرش ، فجن جنونه ، وساورته الأوهام والظنون ، وأحس أن الأمر مدبر بليل ، وأن ابنه وولى عهده قد اشترك فى المؤامرة ضده ، فبمن يستعين ؟ وعلى من يعول ، والخطر يهدده من الداخل والخارج ، لكنه تمالك نفسه وطلب فى الحال ابنه عليا ليسبر غوره ويتبين حقيقة أمره ، وكاشفه بأمر البرقية الواردة إليه وقال له ما رأيك

يابنى فى هذا ؛ فأجابه الأمير على بقوله : مولاى لقد جاهدتم فى سبيل هذه الأمة كثيرا ، وأغضبتم من أغضبتم فى سبيل إسعادها وقد علم الناس بقراركم الأخير بالموت فى ساحة الوغى دفاعا عنها ، ولذلك اجتمع هؤلاء الموقعون على هذه البرقية وفكروا فى الطريقة التى يفتدون بها جلالتكم ، ويحافظون على حياتكم الغالية عندهم ، وكلهم من محاسيبكم ، ونحن جميعا عبيدكم فلم نهتد إلى حل غير هذا ، فربما استطاع الخادم أن يفاوض ابن سعود ويعقد معه صلحا شريفا أو أن يفاوض الإنجليز ويقنعها بضرورة التدخل فى الأمر وإعادة ابن سعود إلى بلاده كما حصل سابقا، فإذا قدر لنا النجاح فالبلاد بلادكم وكانا خدمكم . وتحت أمركم ، وإلا فلنذهب جميعا فداء جلالتكم .

وعند ما أتم الأمير على حديثه أراد الحسين أن يتبين حقيقة الأمر ، وهل المراد من هذه الحركة هو إنقاذ الموقف (الذى لم يكن يؤمن بخطورته بعد) أم أن ذلك ناشئ عن مؤامرة ضده بإيعاز من ابنه على . فأجابه بقوله لابأس من تنازلى عن العرش ولكننى لا أوافق على أن يكون التنازل لك فأنت ابنى ، وما يصيبك يصيبنى فليختاروا لهم ملكا غيرك ، فأجابه الأمير على : لا بأس هذا خير ، وقد طلبت إليهم فعلا من قبل اختيار سواى للملك فأبوا ، وحيث قد وافق رأى جلالتكم على رأيى فليكن ذلك فقال الملك ، بارك الله فيك . وأمر برئيس ديوانه فحضر ، وأملى عليه فى الحال برقية للجماعة هذا نصها : جدة فى ٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ

إلى الهيئة الموقرة بواسطة قائمقام جدة .

مع الممنونية والشكر: وهذا أساس رغبتنا التى أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه وقد صرحت قبله ببضع دقائق وإنى مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عينتم غير على ، وإنى منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .

(حسين)

بعث الحسين بالبرقية إلى جدة ، وظل ينتظر الجواب وهو يضرب أخماسا بأسداس بين مصدق ومكذب ، وبينما هو كذلك إذا بجرس التليفون يقرع ، وإذا بالمتحدث رئيس بلدية جدة الشيخ سليمان قابل أحد الموقعين على البرقية ، وإذا به يردد ما جاء فى البرقية من طلب التنازل ، فكبر عليه أن يجرأ المذكور على مخاطبته بهذا الأمر ، فانتهره وقال له : أنت موظف من قبلى فلا تخاطبنى فى هذا الشأن . ووضع

السماعة والدم يغلي في عروقه ، فإذا به يدق جرس التليفون [redacted]
الشيخ محمد نصيف يخاطبه في موضوع التخلي عن العرش أيضا ، فأجابه [redacted] من رجال حكومتي ، فلا أسمح لك بمخاطبتي في هذا الأمر .

وما كاد يلقي السماعة من يده حتى دق له الجرس فوضع السماعة على أذنه ، وقال من ؟ فأجابه المتحدث بلهجة صارمة : أنا سكرتير الحزب الوطني الحجازي (وكان هو السيد طاهر الدباغ) فما أن سمع كلمة الحزب الوطني حتى أحس بالتطور الفكري الذي حصل ، وأدرك أن الأمر جدي في حيز التنفيذ ، فقال : وما ذا تريد ؟ فأجابه السكرتير : إن المركز الحرج الذي وصلت إليه البلاد يدعوني إلى أن أبلغكم أن الأمة قد قررت طلب تخليكم عن العرش لسمو الأمير علي .

فقاطعه الحسين بقوله :

الملك — أنا وابني واحد ، وإذا كنت قد صرت عندكم بطالا (أي غير صالح) فولدي علي أيضا بطال ، فلا أتنازل له ، وأنا لا يهمني الملك ، ولكني لا أفهم القصد من تمسككم بولدي علي .

السكرتير — لا يامولاي ، نحن لم ننسب إلى جلالتكم شيئا من ذلك ، وإنما نريد أن نسلك سياسة غير التي سرتم عليها لعلنا نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج ، والأمة مجمعة على طلب ذلك من جلالتكم ، وإنا نرجو إجابة رغبة الأمة التي حرصتم على مصالحها دائما .

الملك — يابنيّ لكم أن تفعلوا ماتشاءون أما أنا فلا أتنازل لولدي علي أبدا ، عندكم الشريف علي أمير مكة السابق ، وأخي ناصر ، وعندكم خديوي مصر عباس ، وعندكم الأشراف وهم كثير ، اختاروا أي واحد تشاءون وأنا مستعدّ بالتنازل له ، أما ولدي علي فلا يمكن : لأني أنا وهو شيء واحد ، خيره وشره عائدان لي .

السكرتير — مولاي ، إن الأمة التي سهرتم على مصالحها وحرصتم على رضائها هي التي اختارت الأمير عليا فنرجو من جلالتكم الموافقة .

الملك — لا يمكن هذا ، أنظروا غير ابني ، وأنا مستعد .

السكرتير — مولاي .

الملك — لا يمكن قطعيا .

السكرتير — سأبلغ هيئة الحزب ؟

وهنا تشاور المجتمعون وقرروا فصل موضوع التنازل عن البحث فى أمر من يخلف المليك ، وأبرقوا للحسين فى الحال البرقية الآتية :

صاحب الجلالة الملك المعظم مكة :

الحالة حرجة جدا ، وليس الوقت وقت مفاوضات ، فإذا كنتم لا تتنازلون للأمير على فنسترحم بلسان الإنسانية أن تتنازلوا جلالتكم عن الملك ، لتتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة ، وإذا تأخرتم عن إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم .

(الإمضاء)

الحزب الوطنى الحجازى

وصلت هذه البرقية إلى يد الحسين بعد صلاة المغرب فأخذ يفكر كثيرا ، ولم يعد لديه من يستشيره أو من يثق به ويعتمد عليه ، فهداه تفكيره إلى أن الموضوع لابد وأن يكون مدبرا مع مندوب بريطانيا فى جدة ، وأنه هو الذى أشار بتأليف الحزب وأشار بتغيير شكل الحكومة وتسميتها بالحكومة الحجازية بدلا من الحكومة الهاشمية ، وأنه لابد وأن يكون قد ضمن لهذه الحكومة البقاء . إذا هى قامت بتنفيذ مقترحاته ، فرأى من المصلحة أن يكون ابنه علىّ على رأس الحكومة فبادر بإرسال الجواب الآتى فى الساعة الثالثة ليلا .

جدة : الحزب الوطنى الحجازى فى ٤ ربيع الأول

ج : لا بأس ، قبلنا التنازل بكل ارتياح ، إذ ليس لنا رغبة إلا فى سكينة البلاد وراحتها وسعادتها ، فالآن عينوا لنا مأمورين من هنا يستلمون البلاد بكل سرعة ، ونحن نتوجه فى الحال إذا تأخرتم ووقع حادث فأنتم المسئولون . والأشراف عندكم كثيرون فأرسلوا واحدا منهم أو من سواهم ، وعلاوة على هذا إذا قبل منكم على الأمر فعينوه رأسا .

(حسين)

وأبرق إلى معتمده بمصر برقية يقول فيها :

إن أصحابك (يعنى الإنجليز) لم يرضهم أن أكون على الملك ، ورغبوا فى تعيين ابننا علىّ . فلا بأس ، اعتمدوا ما يأتيكم منه .

(حسين)

بيعة الملك على

لم يكد الحزب الوطنى الحجازى يتلقى برقية الحسين بالموافقة على التنازل عن العرش ورضائه باختيار على له حتى كفاه مؤنة التفكير فى اختيار سواه وبادر فى الحال إلى كتابة الخطاب الآتى :

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك على بن الحسين المعظم :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد : فبناء على طلب الأمة قد تنازل جلالة والدكم بموجب البرقية رقم ١٩ المؤرخة فى ٤ ربيع الأول وقد قررت الأمة نهائيا البيعة لجلالتكم ملكا دستوريا على الحجاز فقط وأن يكون للبلاد مجلس نيابى وطنى وقانون أساسى تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار فى الأمم المتمدنة . وبما أن الوقت ضيق يضيق الآن دون تأسيس المجلس النيابى الوطنى فقد قررت الأمة أن تشكل هيئة لمراقبة أعمال الحكومة ، وإنا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله .

وقد وقع هذا الخطاب جمع من الحاضرين بوصفهم أعضاء الحزب الوطنى الذى تقرر فيما بينهم تأليفه وحملوه إلى جلالته ، وكان إذ ذاك فى جده وأكدوا لجلالته البيعة بأنفسهم فشكرهم على ذلك وأعرب لهم عن تقديره لإخلاصهم لبيت الهاشمى وقال لهم إنكم تبايعوننى الآن بعرش متهدم ولولا احترام الواجب لما قبلت هذه البيعة منكم ولكنى أرجو أن نتعاون بكل قوانا حتى نصل ببلادنا وأمتنا إلى بر السلامة إن شاء الله .

ولقد تلقى الناس خبر التنازل والبيعة بكل تحفظ ولم يصدقوا بأنها حقيقة واقعة ؛ وذهب الكثير منهم إلى أن هذه سياسة مدبرة من الحسين فى الظاهر فقط وإلا فإنه هو الملك الحقيقى فى الباطن ، إذ أنه لا يزال فى قصره محتفظا بكل مظاهر العظمة والجلال . إلا أن الهرج والمرج قد عم البلاد وقيل إن جماعة من خصوم الحسين ومن يحمل له فى قلبه حقدا دفينا يريدون الاعتداء على قصر الملك والتنكيل به فخاف الملك من مغبة ذلك فأبرق فى اليوم التالى ٥ ربيع الأول برقية إلى رئيس الحزب الوطنى الحجازى يقول فيها (إن الفوضى التى ذكرتموها وقعت بداعى إظهاركم رغبة التنازل وإنى لا أقبل أية مسئولية تقع إذا لم تسرعوا اليوم فى تعيين من يتولى الأمر لاتوجه فى الحال إلى الجهة التى يختارها البارى عن طريق جدة وهذا ليس هربا من أى شىء تتصورونه بل دفعا للظنون والشبهات) . (حسين)

فأجابه الحزب برقيا بتاريخ ٥ ربيع الأول بما يأتى :

مكة ، صاحب الشرف الأسمى الشريف حسين المعظم :

جواب برقيتكم ١٧ بحمد الله ومساعى مولاى قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم وقد فاوض جلالته من يلزم فى استلام البلاد وإدارة شؤونها ، فالمنتظر من مولاى مباركتها بكل احترام تهدئة للأحوال .   عن الرئيس : طاهر الدباغ

تأليف الحزب الوطنى



الشيخ محمد الطويل

وعلى أثر هذا تقرر تأليف « الحزب الوطنى الحجازى » رسميا وأن تكون الهيئة الإدارية له اثنى عشر شخصا ، جرى انتخابهم فى الحال ، وهم : الشيخ محمد طويل ناظر عموم الرسوم ، السيد محمد طاهر الدباغ رئيس مالية جدة ، الشيخ سليمان قابل رئيس بلدية جدة ، الشيخ عبد الله رضا قائمقام جدة ، الشيخ قاسم زينل أحد تجار جدة ، الشيخ محمد نصيف من كبار أعيان جدة ، السيد صالح شطا من كبار علماء مكة ، الشيخ محمد صالح نصيف من كبار أعيان جدة ، الشيخ عبد الرءوف الصبان من كبار أعيان مكة وجدة ، والشريف شرف بن راجح أحد أشراف مكة ، الشيخ محمد ماجد الكردى صاحب المطبعة الماجدية بمكة ، الشيخ محمود شلهوب من أعيان مكة .

ثم اختاروا من بينهم الشيخ محمد الطويل لرياسة الحزب والسيد طاهر الدباغ سكرتيرا للحزب ، وعينوا لهذه الهيئة كاتبا من أعضاء الحزب هو الشيخ محمد باجبير .

وحددت مهمة الحزب فيما يأتى :

١) السعى بكل الوسائل لحفظ البلاد من الكارثة الساحقة المحدقة .

٢) المحافظة على جعل البلاد دستورية سالمة من كل شوائب الدسائس والنفوذ الأجنبى .

٣) النزول على مايرتئيه العالم الإسلامى لمصلحة البلاد والعباد وكيفية إدارة البلاد

ثم أقسم أعضاء الهيئة الإدارية للحزب اليمين الآتى :

أشهد الله وملائكته وأقسم بالله الكريم أن أكون مخلصا للوطن وأن أدافع عن كل فرد من أفراد الحزب كدفاعي عن نفسي، وإني أعاهد الله على ذلك، والله على ما أقول شهيد .

ثم أقسم أفراد الحزب الموجودون للهيئة الإدارية بما يأتي :

نعاهد الحزب الحجازي الوطني معاهدة طوع وإيثار وإخلاص من طويتنا وصدق من نيتنا طائعين غير مكرهين ونحلف بالله وعظيم آياته أن نكون طائعين للحزب في كل مايوافق هذه المبادئ لمصلحة البلاد ، وأن لانخفي عليه مانعلمه من كل ماينفع الأمة ، وأن نحفظ أسراره ، ونكون له عينا على كل أعدائه ، نعادي من عاداه ، ونوالي من والاه ، علينا بهذا العهد عهد الله إن عهد الله كان مسئولا ، وما أخذه الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عباده مواثيق ومحكمات عهوده أن نتمسك بهذا العهد ونستقيم ولا نميل . وإن نكثنا هذا العهد أو بدلنا شرطا من شروطه معلنين أو مسرين أو محتالين أو متأولين خذلنا الله يوم نحتاج إليه . وبرأنا من حوله وألجأنا إلى حولنا وقوتنا ، والله عز وجل بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيدا .

ليلة الاثنين ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ .

بيانان للحزب

وقد أصدرت الهيئة الإدارية للحزب بعد ذلك بيانين بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ : وجهت أحدهما إلى الأمة ، هذا نصه :

نحمده تعالى ونستعينه ، ونصلي ونسلم على نبيه الكريم ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وصحبه الأكرمين .

وبعد ، فإن المأزق الحرج الذي وقعت فيه البلاد قد دفع الأمة إلى التفكير فيما يجب عمله لدرء الخطر المدلهم ، وأن تتولى أمر نفسها بنفسها ، وأن تسعى بكل الوسائط لحفظ البلاد والعباد ، ولأجل أن تكون الأعمال في يد قادة صالحين للعمل مفكرين فيما يجب عليهم نحو وطنهم المحبوب . تشكل حزبنا الوطني الحجازي من ذوي الأفكار السامية والنظر الثاقب ، وانتخبوا من بينهم اثني عشر عضوا للقيام بالأعمال التي توجبها الحالة الحاضرة ، وقد باشروا — والحمد لله — عملهم بهمة لاتعرف الكلل ، وعزيمة لايعرض لها الملل . وأنهم يسيرون على مبادئ الحزب القويمة التي يقبلها ويتفانى لأجلها كل من في قلبه مثقال خردلة من إيمان ، وحب للوطن غير

هيابين ولا وجلين متذرعين بالصبر والحزم والثبات ، وقد عاهدوا الله سبحانه وتعالى ، وأقسموا بعظيم آياته أن لايدعوا صغيرة ولا كبيرة من الأعمال العائدة لمصلحة البلاد والعباد إلا فعلوها بقدر استطاعتهم ، وأن كل ما يرغبونه من الأمة الحجازية التي أشرق نور الإسلام من ربوعها أن يتذرعوا بالصبر والعقل ، وأن يضعوا ثقتهم التامة في الحزب ورجاله المخلصين ، وأن لايلتفتوا إلى ما قيل وما يقال من الأراجيف الباطلة ، وأن ينكبوا على أعمالهم الخاصة ، وعلى ما يعود على بلادهم بالنفع العام ، فإن هذا خير وسيلة لحفظ البلاد مما يحيق بها ، وهذا مما يمكن رجال الحزب من العمل على القيام بواجبهم بالنيابة عن أمتهم ، والله المسئول أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح آمين . حرر في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ .

رئيس الحزب الوطني الحجازي
محمد طويل بجدة

والبيان الثاني وجهته إلى العالم الإسلامي هذا نصه :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد : فيا أيها المسلمون قد وصفكم الله تعالى بقوله عز وجل (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال عز من قائل حثا على التفاوض والاتحاد (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

فامتثالا لأوامر الله تعالى وأوامر نبيه الكريم ، قد رأت الأمة الحجازية الممثلة في خيرة رجالها الموجودين بجدة أن تلم شعثها . وتجمع كلمتها ، وتخلص نفسها من الكارثة الساحقة المحدقة بها . فشكلت حزبا وطنيا حجازيا تتجلى فيه إرادتها ، وتظهر فيه قوتها وعظمتها واتحادها وتضامنها يقوم بالنيابة عنها في العمل الواجب في الوقت الحاضر والمستقبل لما يعود بالنفع العام للعباد والبلاد .

فيا عباد الله إن الواجب الديني والوطني يدعوكم لمناصرة الحزب وشد أزره ، والالتفاف حوله ، والأخذ بناصره ؛ ليتمكن من القيام بأعماله الوطنية الملقاة على عاتقه ، وقد رسم الحزب لنفسه خطة واضحة جلية يسعى لأجلها ويتفانى فى الحصول عليها ، ورأى أنها السبيل الوحيد لتخلص البلاد مما دهمها ويداهمها من الكوارث .

وبأدناه بيان لنظام إدارة الحزب ومبادئه ، وأن الهيئة الإدارية قد تشكلت ، والحمد لله — من رجال لاشك فى إخلاصهم ونزاهتهم ورغبتهم الصادقة فى الأخذ بيد البلاد إلى أسمى مراقى السعادة والهناء ، وأنه يدعو جميع المسلمين من حجازيين ومجاورين كبيرهم وصغيرهم للدخول فيه والعمل بمبادئه والسعى لبلوغ نتائجه بكل الوسائل بقيد أسمائهم فى سجلات الحزب وحلف اليمين على العمل ضمن مبادئه القويمة .

وقد اتخذ الحزب مركزا له محل حضرة الشيخ محمد نصيف .

والله يعلم أن ليس لنا قصد سوى تخليص البلاد من مأزقها الحرج وسعادتها (فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) .

هذا وإنا قد بذلنا النصح لكافة المسلمين امتثالا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقوله «الدين النصيحة ، قالها : ثلاثا قالوا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، أو كما قال » .

ونسأل الله أن يكلل الأعمال بالنجاح والتوفيق آمين .

احتجاج الحسين على الحزب

وما أن علم الملك الحسين بقرارات الحزب حتى كتب إلى قائمقام جدة خطابا يحتج فيه على حصر الحكومة فى منطقة الحجاز وأن تكون حكومة دستورية هذا نصه :

وقفت على بلاغ فخامة قاضى القضاة نائب رئيس الوكلاء البرقى الصادر فى ٥ ربيع الأول سنة ٤٣ وعدد ٤ لقائم مقام القصر العالى المتضمن أن هيئة جمعية جدة تشير إلى رغبة اعتزالى عن المصلحة ، الأمر الذى صرحت بإنفاذه عند رغبة الأهالى أو أبسط مقتضى بكل ارتياح وانشراح من أول عام نهضتنا ، ولم أزل أصرح به إلى تاريخى ، وأن رغباتى ومقاصدى هى محصورة فى سبيل راحة عموم البلاد ورفاهيتها وسعادتها باستقلالها التام ، ولا يهمنى تقلد أمر رياستها لأى شخص كان ، وأنها واجهت مقامها لابنى على على شرط أن يكون أمر حكومتنا الحجازية ونفوذها محصورا فى منطقة الحجاز فقط ، وأن تكون حكومة دستورية وعية . ولكون

نهضنا مؤسسة أولا على استقلال البلاد العربية المصرح بحدودها ثم العمل فى أقطار الحرمين الشريفين بأحكام كتاب الله وسنة رسوله، فتحديد سلطة الحجاز الجارى مخ برات أولى الشان معه إلى هذه الساعة فى شؤون استقلال العرب ببلادهم ، ولولم يكن فى هذا التحديد إلا تأملنا ما فى مساعى الحضرة السعودية باستيلائها على حائل قاعدة إمارة الرشيد، والجوف مقر آل الشعلان وتشبثه فى ضبط الكويت وتعرضه لتير إمارة آل عايض ، بل تجاوزه على مكة المكرمة ومساعى إمام صنعاء لضم بلاد (حاشد) وتهامة الشوافع وحضرة الإدريسى على الحديدة وما حولها ، وجعله: أى الحجاز حكومة دستورية ينبذ فيها العمل سيما الحرمين الشريفين بأحكام كتاب الله وسنة رسوله للعمل فيها بالقوانين البشرية مما تأباه شعائر الإسلام وفرائض الدين والأخلاق الشريفة مادة ومعنى ، وهذا علاوة على مخالفة ذلك لأساس نهضتنا التى سفك فى سبيلها الحجاز خصوصا والعرب عموما دماءهم وأموالهم وأنفسهم لنيل هاتين العايتين الشريفتين المقدستين .

وعليه تبلغوا هيئة الجمعية الموقرة المذكورة وكل من يقتضى إبلاغه احتجاجى القطعى:

أولا على تحديد نفوذ الحجاز كما ذكر بما نشأ من قطيعة العرب وحرمانهم من حقوقهم الحيانيه الاساسية .

الثانى مافى إبدال العمل لكتاب الله والشريعة، ولذا فإنى أحفظ حقوق اعتراضى وإنكارى المادة والمعنى بكل ماذكر ولذا تحرر

فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ . (حسين)

رثاء الحسين حيا

وانتهى بهذا آخر عهد الحسين بالحكم ، وقد نظم فيه الأستاذ خير الدين الزركلى قصيدة تاريخية وصفه فيها أصدق وصف ، وحفظها كثير من أهل الحجاز وصاروا يترنمون بها ، وهذا نصها :

صبر العظيم على العظيم ... جبار زمزم والحطيم
إن القضاء إذا تسلط ... ضاع فيه حجا الحكيم
والنفس جامحة فخذ ... ما استطعت منها بالشكيم
انهض فقد طلع الصباح ... ولاح محمر الأديم
ألق السلام على الطلول ... وحى شاخصة الرسوم

ودع قصور (ابى يمى)   لست [illegible]
راعتك رائعة الملوك   وبوئت بالخطب [illegible]
سهم رماك الأقربون   به فغلغل فى الصميم
لم يجدك الحذر الطويل   من الموالى والخصيم
أيام كنت تسىء ظنك   بالوضيع وبالفطيم
ماكنت تحفل بالنصيح   وكنت أحفى بالنموم
للنعميات يد الوشاة   وللأياة لظى الجحيم
ريع الكرام بقصرك ال   عالى فذق روع الكريم
اسمع أنين (القبو) وبـ   ـح (القبو) من حنق كظيم
أعددت للأحرار فيه   عقاب منتقم ظلوم
أكلت حياة القبو من   أرواحهم ومن الجسوم
طال انقيادك للخصوم   وأنت أدرى بالخصوم
عجبا لمن طلب الخلا   فة والخلافة فى النجوم
أين الخلافة لا خلا   فه فى الحديث ولا القديم
تلك التى ذهبت مع ال   أيام قبل ذوى سليم
أو لست أعجب للزعيم   يفوته سهر الزعيم
الجامع المتناقضات   من الغرائز والفهوم
الغافل اليقظ الحريص   الباذل الماقى الرحيم
المـدره العصى   الطيع الشرس الحليم
الصادق الظن الصحيح   الفاسد الرأى السقيم
الطيب النفس الآنس   السىء الخلق السئوم
يا ناظم العقد النثير   وناثر العقد النظيم
لم ألف قبلك هادما   ماكان يبنى من أطوم
كانت تخومك لا تنال   فهل حميت حمى التخوم
هذا وليدك[1] فى الرقيم   يعيث فى أهل الرقيم
يحبو (يهوذا) ماحبوت   وليس غيرك من ملوم
العرب قومك ياحسين   وأنت منهم فى الصميم

---

(١) يشير إلى الأمير عبد الله أمير شرق الأردن اذ ذاك

كم علموك فما علمت ... وحاولوا بك من مروم
هلا اقتديت وأنت تشهد ... بالفتى عبد الكريم
المستعز بقومه ... والمستبد على الغشوم
التارك الأسبان ... طائشة المدارك والحلوم
رفع العقيرة فى الجوع ... وأنت لاه بالنعيم
ونفى الهموم عن الربوع ... وأنت تبعث بالهموم
وشفى الصدور من الكلوم ... وأنت كنت من الكلوم
ماذا ادخرت لمثل يومك ... والنذير نذير شوم
أعددت خمسا سابحات ... فى الفضاء بلا رجوم
وسفائنا مر النسيم ... يحيلهن إلى هشيم
ومدارسا ماكان ينقص ... حسنهن سوى العلوم
أعددت أجنادا وما ... عودتها صد القروم
مافى الذين دعيت (منقذهم) ... سوى شاك هضيم
ياعبرة لأولى البصائر ... فى الحميد وفى الذميم
قل للذين سيخلفونك ... من عدو أو حميم
تمر الممالك مايساس ... سياسة البغى الوخيم
مافى العروش على الجهالة ... والغباء بمستقيم
ومن استدام الملك منسيا ... فلمس بمستديم
ماعرش مكة بالإمارة ... (فى ثقيف) أو تميم
العرش منهار إذا ... لم يحمه علم العليم
أترى يتم (ابن السعود) ... إذا استوى عن طيب خيم
فيؤاف الوحدات طى ... بة المنابت والأروم
ويهيب الآحاد يوقظها ... وبالحشد الجسيم
أم يستبد كما استبد ... مجانب السنن القويم
غيبت يجرع ماتجرعه ... سواه من السموم
ما كان ذنبه ، الحسين) ... التسبيح بالشيخ المشوم
لكن من حب الهزيم ... رمته صاعقة الهزيم

من حاد عن شرك الغمو م اصطاده شرك الهموم
طلب السلامة بالونى فإذا به غير السليم

الحكومة الحجازية

على أثر تنازل الحسين عن العرش والمناداة بابنه الملك على ملكا على الحجاز شكل الحزب الوطنى أول حكومة دستورية تتألف ممن يأتى :

الشيخ عبد الله سراج	رئيسا للوزارة
السيد محمد طاهر الدباغ	وزيرا للمالية
الشيخ محمد الطويل	وزيرا للرسوم
الشريف محسن بن منصور	وزيرا للداخلية
الشيخ فؤاد الخطيب	وزيرا للخارجية
الشيخ عبد القادر غزاوى	وزيرا للمواصلات
تحسين باشا الفقير	وزيرا للدفاع
الدكتور خالد الخطيب	وزيرا للصحه
عارف باشا الأدلبى	وزيرا للحربية

وقد اجتمع أعضاء مجلس الوزراء وتشاوروا فيما يجب اتخاذه من الوسائل لضمان استقلال البلاد، وانتهوا إلى عدة قرارات تتلخص فيما يأتى :

١) ضرورة المبادرة بإخراج الحسين من الحجاز ليكون ذلك برهانا عمليا على جدية الموضوع فتتمكن الحكومة من تنفيذ برنامجها وعهدوا بهذه المهمة إلى جلالة الملك لتحقيقها بالطرق السلمية .

٢) مفاوضة السلطان ابن سعود فى أمر الصلح .

٣) الاتصال بالعالم الإسلامى عن طريق هيئاته المعتبرة ومطالبته بالوساطة فى الحرب الحاضرة .

٤) الاتصال بالدول الأجنبية للحصول على اعترافها .

٥) السعى لعقد معاهدة مع بريطانيا .

٦) بذل الجهود لتقوية الجيش وطلب إمدادات من حكومة العراق وشرق الأردن .

وبادر الملك على بتنفيذ ماعهد به إليه حيث سافر إلى مكة وعمل على إقناع والده بضرورة السفر ، وتولى الإشراف على ترتيبات سفره كما سيذكر بعد ، وأبرق إلى السلطان ابن سعود يخبره بما تم ، ويعرب له عن رغبته فى السلم واستعداده لتسوية الخلافات الحاصلة بين الحجاز ونجد ويقترح سحب جنوده إلى نجد وعقد مؤتمر لذلك فى الكويت ينتهى بحول الله إلى حل يرضى الجميع . وأبرقت الحكومة من جانبها فى نفس الوقت إلى المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين وإلى جمعية الخلافة بالهند تناشدهم الوساطة لحل الموضوع ودرء الخطر الوهابى عن البلاد المقدسة . وعهدت إلى مندوب الملك الحسين فى لندن السيد ناجى الأصيل بعقد المعاهدة مع بريطانيا على الأسس التى وضعتها بريطانيا نفسها ولم يقبلها الحسين من قبل كما عهدت إلى السيد عبد الملك الخطيب معتمد الملك الحسين فى مصر فى مقاولة بعض الشركات، لإحضار كمية من السلاح لها من الخارج، وأبرقت إلى كل من الملك فيصل ملك العراق والأمير عبد الله أمير شرق الأردن بطلب المساعدة بالمال والرجال والعتاد ، وباتوا ينتظرون النتائج .

عمل جلالة الملك على على تهدئة الخواطر فسافر إلى مكة فوجد أهلها فى أشد حالات الذعر لما كانوا يتوقعونه من القتل على يد الوهابيين قياسا على مجزرة الطائف فطمنهم بعودته وتولية شؤون الملك ؛ لأنهم ظنوا أنه على تفاهم مع ابن سعود أو الإنجليز على تسوية الأمور بهذا الحل . وأخذ هو من جانبه يعمل على إقناع والده بسرعة سفره وأنهم لايقصدون من ذلك إلا إفهام ابن سعود وبريطانيا بجدية الموضوع. ولولا ذلك لما طلبوا منه مبارحة البلاد. ومع كل فان البلاد بلاده وينبغى أن لايخرج منها ولذلك فإنهم يختارون له السفر إلى العقبة باعتبارها إحدى البلاد التابعة له ليستطيع تزويدهم من هناك بآرائه ويمدهم بمساعداته حتى ينالوا "النصر النهائى إن شاء الله فيرجع إذ ذاك إلى مكة مكرما معززا ، وما زال به حتى اطمأن إلى قوله ووافق على السفر إلى حيث أراد وأخذ يعد العدة للرحيل .

الحسين والعقبة

فى يوم الخميس ١٠ ربيع أول سنة ١٣٤٣ سافر الحسين إلى جدة مستصحبا معه ما لديه من الذهب الوهاج فى "صناديق التى لم يستطع أحد أن يمسها بأذى ، وعند

وصوله إليها لم يذهب الناس لاستقباله كعادته فغلى الحقد فى [illegible] لا يقابله منهم إلا من يريد، وظل بجدة حتى يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول حيث [illegible] (الرقتين) فركبها وسارت به وبعائلته إلى العقبة باعتبارها أحد موانىء الحجاز الطبيعية التابعة له، وقد كانت فعلا تابعة له لولا أن خدعه الأمير عبد الله أثناء زيارة الحسين لشرق الأردن فطلب منه أن تكون إدارتها مرتبطة به نظرا لقربها منه وهو لم يخرج عن كونه ابنه ومن عماله، وشرق الأردن نفسها تابعة لجلالته، فوافقه الحسين على ذلك وأمر بربط إدارتها به تمنا لمقام الخلافة العظمى الذى مهده له. ولقد حاول بعض المخلصين من رجال الحسين إذ ذاك ومنهم معتمده بمصر (السيد عبد الملك الخطيب) أن يقنعوه بأن ماقاله ابنه عبد الله لم يكن مطابقا للحقيقة، وأن شرق الأردن تحت الانتداب البريطانى، فلما علم الأمير عبد الله بذلك أنكره وطلب من الحسين أن يصدر مرسوما ساميا (فرمانا) بتعيينه أميرا على شرق الأردن ووعد بأنه سيتلوه على ملأ من الناس فى احتفال رسمى ليثبت بذلك ارتباط شرق الأردن بالحجاز، فقنع الحسين بهذا المنطق وأصدر له (الفرمان) ولكنه أجل إذاعته إلى ما بعد عودة الحسين إلى مكة. ثم حصلت حوادث الحجاز فألقى بذلك (الفرمان) فى زوايا الإهمال واقتطعت العقبة من جسم الحجاز.

وعند ما انتقل الحسين إلى العقبة وشعر الأمير عبد الله بقرب زوال الملك الهاشمى عنه كتب إلى أخيه الملك على يطلب إليه أن يتنازل له عن العقبة ومعان لما فى ذلك من عدة فوائد أهمها أن يكون فى مأمن من اعتداء ابن سعود عليها خوفا من الإنجليز بحكم المعاهدة التى تربطها به، وأنه فى حالة ما إذا تم النصر للحكومة الحجازية فقد تعهد الأمير عبد الله بإعادتهما إليها، فقنع جلالة الملك على بهذا المنطق ووافق على ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن على شروط تتلخص فيما يأتى:

١) أن لا يتم تسليمهما مادام الحسين باقيا فى العقبة حرصا على عدم إغضابه.

٢) أن لا يشمل هذا التنازل الخط الحجازى الممتد من المدينة المنورة إلى عمان

٣) أن تكون لحكومة الحجاز الحرية التامة فى نقل جنودها وذخائرها على الخطوط الحديدية الموجودة فيها إلى أى محل تريده قبل التسليم وبعده.

٤) أن تبقى جنود الخط الحديدى الحجازى مكلفة بالمحافظة على الخط والقطارات تحت قيادة قائدهم وتحت نظارة ناظر الخط المذكور.

٥) أن يبق لاسلكى معان بالمدينة نفسها لتأمين المخابرة مع الخط الذى تظل نظارته على حكمها .

٦) أن يكلف ناظر الخط بعمل إحصاء لجميع موجودات الخط من معان إلى مدائن صالح وتقديم ذلك لحكومة الحجاز .

٧) أن لايشمل التنازل أيضا جميع وسائل النقل من السيارات التى يجب أن تنقل إلى الحجاز لحاجته إليها .

ثم سافر من عمان إلى معان بقطار خاص كل من الأمير عبد الله ورضا باشا الركابى رئيس الوزارة وعبد القادر بك الجندى رئيس هيئة أركان حرب الجيش الأردنى ورجال المعية والحرس الخاص وبعض الضباط وفصيلة من الجند النظامى لحضور الحفلة الرسمية التى أقيمت بهذه المناسبة .

وما كاد الحسين يصل إلى قبرص حتى فوجئ بهذا النبأ الذى زاد فى آلامه، فأبرق فى الحال إلى جمعية الأمم احتجاجا على ذلك ، هذا نصه :

(بصفتى المعلومة الأساسية أقدم لفخامتكم وللهيئة الموقرة احتراماتى ثم أجلب أنظار كمالات مزاياكم إلى المعاملات الجارية فى عموم سوريا ونتائجها المؤدية إلى محو العرب والمؤثرة حتى على شرفى المقدس الأساسى من تشكيل وتأسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد إعلان الحلفاء العظام بصورة رسمية أنهم لم يخوضوا غمار الحرب إلا لخلاص الشعوب المضطهدة وإعادة حقوقهم ومنافعهم إلا إن كان العرب لاتشملهم مقاصد تلك التأسيسات ، ولكن بلاغ العظمة البريطانية الأخيرة لمخلصكم بأن هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها أيضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربى يخالف ذلك . وعليه فالمرجو من الفخامة إصدار القرار القطعى الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الأساسية على ماترى انتدابه من بلادهم . وإلا فالعرب لهم الفخر فى الحكم عليهم بأن يكونوا ضحية لمصالح الحلفاء العظام وأخلاق المدنية الحاضرة . واقبلوا مزيد تعظيماتى) .

إخلاء مكة

لقد كان الحزب الوطنى أو الحكومة الحجازية تعتقد أن العلة فى عدم نجاحها هو بقاء الحسين فى داخل المملكة ، ولذلك فإنها سعت بجد لسرعة إخراجه منها ، غير أنه

ماكاد ينجح الملك على فى مهمة إخراجه حتى تلقى ردا برقيا من ابن سعود يخبره فيه بأنه لا صلح مادام أبناء الحسين يتوارثون الملك فى الحجاز ، وأن مصير الحجاز يجب أن يقرره العالم الإسلامى ؛ كما تلقى برقية من مولانا شوكت على رئيس جمعية الخلافة بأنها لاترضى بحكومة يكون على رأسها أحد أبناء الحسين ، وأنه لابد من تأسيس حكومة ديمقراطية يشترك فيها جميع المسلمين . وحاول الحاج أمين الحسينى التوسط لدى ابن سعود فى أمر الصلح فلم يوفق فكان ذلك أول نذير بخيبة الأمل . وعندئذ أيقن الملك على أنه لا طاقة له على المقاومة فى مكة لأن جيشه لا يتجاوز أربعمائة جندى ، فما وسعه إلا أن يترك مكة ليلا بما عنده من قوى على حين غفلة من أهلها فى مساء يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول إلى جدة . وماكادت تبزغ شمس يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول إلا وقد انتشرت الإشاعات فى طول مكة وعرضها بأن الحسين قد ركب الباخرة ، وأن ابنه الملك على قد بارح مكة بجيشه إلى جدة ، ولا يعلم إذا كان ينوى البقاء بها أم مغادرتها أيضا ، فانهلعت القلوب ، ووقف كل رجل حيال داره وأخذت بادية الحجاز القريبة من مكة تفد إليها ، وهاجمت دور الحكومة لسلبها ، وكادت تسطو على البيوت لولا أن نزل الشريف حمزة الفعر أحد أشراف الحجاز وأخذ ينادى فيهم بأن البلاد فى أمان ابن سعود ، وأنه سيوقع أشد الجزاء على كل معتد ، فهدأت الحالة إلى حد ما ، ولم تمض سحابة ذلك اليوم حتى اتصلت الأخبار بالقائدين خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد ، فهرعا إلى مكة ودخلاها بجيشهما فى صبيحة يوم الخميس ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ (١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٤) محرمين ملبين بالعمرة ، وأقبلوا على المسجد الحرام وطافوا بالبيت وسعوا بالمشعر الحرام ، ثم فكوا الإحرام وأقبلوا على دور الحكومة فاحتلوها وصعد القائدان إلى المكان الذى كان يجلس فيه الحسين للحكم فتربعا فيه وأقبل عليهما أهل مكة يقدمون الطاعة للإمام عبد العزيز بن سعود دون أن يمسهم أى أذى مما كانوا يتصورونه ، وذلك تنفيذا لإرادة الإمام عبد العزيز ابن سعود المشددة عليهما بالحذر من تكرر مأساة الطائف ، واطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم بعد تلك المخاوف التى كانوا يعانونها . وهدأت الحالة تماما لولا بعض الغلظة التى كان يجدها الأهلون من بعض الأعراب من (الغطغط) الذين كانوا يخاطبون أهل مكة بقولهم (يامشركين) فكان هذا مما يحز فى نفوسهم ويسبب بعض الخصومات فيتولى أحد القائدين حلها بسلام .

الحزب وابن لؤى

ما كاد الأمير خالد بن لؤى يصل إلى مكة ويستقر به المقام حتى بعث إليه الحزب الوطني بيانه الصادر فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ فأرسل إليه بالخطاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إلى محمد الطويل وأتباعه من الأعضاء المذكورين وكافة أهل جدة وسكانها ، سلام على عباد الله الصالحين .

أما بعد : فقد وصل إلينا منشوركم ، وما أشرتم به كان لدينا معلوم ، وتعلمون أن ليس لنا معشر المسلمين قصد إلا امتثال أمر الله تعالى وفرائضه التى أمرنا بها ومحبة من قام بها وإن كان عبدا حبشيا، وإن كان أبعد الأبعدين ومعاداة الكفار والمشركين وإن كانوا أقرب الأقربين كما ذكر الله ذلك فى محكم كتابه بقوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) وقال فى سورة المجادلة (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية ، وقوله تعالى (إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) الآية .

ولو عددنا أمثال ذلك لأطلنا ، ولو نظرتم فى أحوالنا وتفكرتم فى طريقتنا لعلمتم ذلك ، فمن قام منكم بما ذكرتم فطريقه طريق المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم . وأما تأمينكم فقد أتاكم كتاب الإمام وبه الكفاية ، وهذا زيادة تأكد منا لخواطركم كافة لمن أتى أو بقى فعليه ذمة المسلمين يكون آمنا مطمئنا ، يكون معلوما .

حرر فى ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٤٣ .

عن كافة قواد الإخوان — خالد بن منصور بن لؤى

وأشفع خطابه هذا بخطاب كان قد وجهه ابن سعود إلى أهل الحجاز قاطبة قبل أن يتم له الاستيلاء على الحجاز، هذا نصه .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

إلى كافة من يراه من إخواننا أهالى مكة وجدة وتوابعها من الأشراف والأعيان

والمجاورين والسكان ، [redacted]

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فإن الموجب لهذا الكتاب هو شفقتنا على المسلمين لصلاح فى [redacted] وأمر دينهم ودنياهم ، ولم نزل نكرر على الحسين النصائح ونحرضه على ما يجمع شمل العرب لتكون كلمتهم واحدة ولكن الطبع يغلب على التطبع ، ولا يحتاج تطويل الشرح بما انطوى عليه ، لأن أكبر شاهد على ذلك ما رأيتموه منه وشاهدتموه من أقواله وأفعاله فى هذه البقاع المباركة التى هى مهبط الوحى مما ينكره عقل كل مسلم، وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ، ولو لم يكن منهم فالرجل ترك مزايا الإنصاف وهى ما انتسب فى هذا البيت الكريم وأهمل حقوق هذه البقعة المباركة عليه فى عدم ركوب طريقة السلف الصالح التى هى شرفه وشرف المسلمين خصوصا وشرف العرب عموما ؛ ولا شك أنه من ترك ما كان عليه النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وخلفاؤه وأصحابه وهو ينسمى باسم الإسلام وبالخصوص إن كان من أهل البيت الشريف وطمح إلى غيرها من الزخارف التى هى أكبر شؤم على الإسلام خصوصا وعلى العرب عموما فهو لا خير فيه ، فمنذ دخل الحجاز يجعل أكبر همه الإيقاع بنجد والنجديين ، وقد تظاهر بذلك منذ أن تمرد بالحكم وقبض على زمام الأمور فيها . وقد بلغ منه التهور أن قد منع أهل نجد قاطبة عن حج بيت الله الحرام وهو أحد الأركان الخمسة ، فهذا فضلا عما يأتيه هو وعماله من المظالم والمعاملات القاسية تجاه حجاج بيت الله الحرام الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها ؛ وفى هذه المدة قد تركنا التداخل فى أمور الحجاز لأجل احترام هذا البيت ورجاء للسلم والأمان ، ولكن من الأسف أننا لم نحظ منه بذلك ، وفى هذه الأيام الماضيه فى سفره إلى الأردن بانت نواياه ومقاصده للمسلمين نحونا حينما طلب تجزئة بلادنا وتشتيت شملنا حتى لقد يئسنا من الوصول إلى حسن التفاهم معه جمع كلمة العرب ولا - والله - نعلم شيئا له من النقم علينا إلا كما قال الله تعالى . (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ولكننا ولله الحمد لسنا بآسفين على شىء إذا سلم لنا شرفنا فى أمر ديننا ودنيانا . فليس لنا قصد فى زخارف الحسين وأتباعه لا فى ملك ولا فى خلافة ولكن غاية قصدنا وما ندعو إليه هى أن تكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر ويسلم شرف العرب فذلك حفتنا الغيرة

الإسلامية والحمية العربية أن نفدى بأموالنا وأنفسنا كل مايقوم به دين الله ويحمى به حرمه الشريف الذى أمر الله بتطهيره وتعظيمه ، قال الله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) .

وقد أرسلنا سرية من المسلمين لاحتلال الطائف لأجل القرب للتفاهم بيننا وبين إخواننا فأحببت أن أعرض عليكم ماعندى ، فإن أجبتمونا فنعم المطلوب ، وإن أبيتم فهذا الذى يعذرنا عند الله وعند المسلمين ، وأبرأ إلى الله أن أتجاوز شيئا منها حرمة الشريعة خصوصا فى هذا الحرم الشريف الذى قال الله فيه (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وحرمة هذا البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين كما قال الشاعر :

إن الفضول تعاقدوا وتعاهدوا　　أن لايقر ببطن مكة ظالم

وأما الأمر الذى عندى لكم ، فهو أنى أقول : عليكم يا أهل مكة وأتباعها من أشراف وأهل البلد عموما والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار — عهد الله وميثاقه على أموالكم ودمائكم وأن تحرموا بحرمة هذا البيت كما حرمه الله على لسانى خليله إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم ، وأن لا نعاملكم بعمل تكرهونه . وأن لا يمضى فيكم دقيق أو جليل ، إلا بحكم مشروع ، لا فى عاجل الأمر ولا فى آجله ، وأن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأن لانولى عليكم من تكرهونه ، وأن لانعاملكم بمعاملة الملك والجبروت ، بل نعاملكم بمعاملة النصح والسكينة والراحة ، وأن يكون أمر هذين الحرمين شورى بين المسلمين وأن لايمضى فيهما أمر يضر بهما أو بشرفهما أو بأهلهما إلا ماتوافق عليه المسلمون وأمضته الشريعة ، وهذا الكتاب شاهد لى وعلىّ عند الله ثم عند جميع المسلمين ، وعلى ماقلته أعلاه أيضا عهد الله وميثاقه فهذا الذى يلزمنا ، ولا بد إن شاء الله ترون مايسر خواطركم أكثر مما ذكر ، ونرجو الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى ويصلح بنا وبكم البلاد والعباد ، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهديين ويمنعنا وإياكم من سوء الفتن وأن ينصر دينه ويعلى كلمته ويذل أعداءه ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ؟

الختم

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣ هـ　　عبد العزيز عبد الرحمن السعود

بدء المفاوضة

عند ما تلقى الحزب خطاب ابن لؤى مشفوعا بكتاب ابن سعود كتب إليه الخطاب الآتى :

من عموم أهالى جدة وأهالى مكة الموجودين بجدة إلى حضرة خالد بن منصور ابن لؤى قائد الجيوش السعودية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصل إلينا كتاب الإمام عبد العزيز ابن السعود الذى يخاطب به جميع أهل مكة وجدة ويؤمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم ، فأما ما ذكر عن الشريف الحسين وما هو واقع بينهما فنفيدكم أن المذكور قد تنازل عن الملك إجابة لطلب الأمة وبارح البلاد ، وبايع الناس ولده الشريف على لما يعرفونه من حسن أخلاقه وحبه للمسالمة لعموم من فى جزيرة العرب واشترطوا عليه النزول على رأى المسلمين فيما يقررونه لسعادة البلاد واستقرارها . وحيث إن الإمام عبد العزيز قد ذكر فى كتابه أنه سيجعل أمر هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين ، فقد اتفقنا ـ والحمد لله ـ نحن وإياه فى نقطة واحدة لا شك أن فيها المصلحة العامة لهذه البلاد المحترمة المقدسة ، فنرى أنه لم يبق موجب للقتال وسفك الدماء وأصبح الحل المطلوب من الطرفين واضحا جليا . وحيث إن الأمر كما ذكر نكلف سيادتكم بالموافقة على إرسال مندوبين من طرفنا إليكم يكونون فى أمان الله وأمان الإمام عبد العزيز بن السعود وأمانكم لعقد هدنة توقف القتال وتصون الطرفين عن سفك الدماء إلى أن تحضر الوفود التى طلبنا حضورها من جميع الأقطار الإسلامية وعلى الخصوص من جمعية الخلافة بالهند .

وبعد اجتماع الوفود ننزل على ما تقرره وتراه، هذا ما ندعوكم إليه ونكلفكم بقبوله طبقا لما جاء بكتاب الإمام عبد العزيز بن السعود ، ولا شك أنكم توافقون عليه . والله ولى التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

٢١ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ .

السكرتير	رئيس الحزب الوطنى الحجازى
السيد طاهر الدباغ	محمد الطويل

الجواب عليه :

من خالد بن منصور بن لؤى إلى محمد الطويل وكافة الأعضاء .

السلام على عباد الله الصالحين .

أما بعد : خطابكم وصل وفهمنا مضمونه بعده من طرف بيت الله الحرام وأتباعه جاء الله به للمسلمين وطهر الله بيته من الحسين وأولاده بسبب إلحادهم فى حرم الله وتضييعهم حدود الله وظلمهم فى كل قطر ، والذى يثنى عليه ويتعلق بمحبته ومعاونته ماله عندنا إلا القوامة بحول الله وقوته ، وإن بغى على بن الحسين الأمان فيقبل ويواجهنا مأمونا، والمجالس والمخابرة لماراع وهو الإمام عبد العزيز حفظه الله ورعاه ، ومع وصول الخبر يستوى علم زين ومقام على عندكم من غير مواجهة بيننا وبينه نتيجة الفساد يكون معلوم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢٢ ربيع الأول ١٣٤٣هـ) .

من محمد الطويل وجميع الأعضاء إلى حضرة الأمير خالد بن منصور بن لؤى قائد الجيوش :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصل كتابكم وجميع ما به علم ، وسنرسل لكم بعد باكر أربعة أشخاص بالنيابة عن جميع الأهالى الموجودين بجدة للسلام عليكم وإفهامكم الحقائق وأخذ الحقائق منكم رأسا وأما ما ذكرتموه من المحبة والتعلق بالرجل فليس عندنا من هذا شيء ، لا لنا تعلق إلا بما فيه مصلحة المسلمين ، والله على ما نقول وكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ٢٣ ربيع أول سنة ١٣٤٣ هـ .

الإمضاءات : سليمان قابل . صالح أبو بكر شطا ، محمود شلهوب ، عبد الرءوف الصبان ، عبد الله على رضا ، (وقد جاءهم الجواب بالقبول) .

مندوبو الحزب

بناء على ما حصل عليه التفاهم بين الحزب وأمير القوى النجدية الموجودة فى مكة انتدب الحزب وفدا من قبله أرسله إلى مكة للمفاوضة مكونا من الشيخ محمد نصيف رئيسا والشيخ عبد الرءوف الصبان والسيد صالح شطا والشيخ محمود شلهوب والشيخ سليمان عزابة والشيخ على سلامة أعضاء ، وسافر الوفد فعلا إلى مكة فى يوم الأربعاء

٢٣ ربيع الاول فبلغ مكة وقابل الأمير خالد بن لؤى و[illegible] يدع الأمير لهم مجالا للبحث بل خيرهم بين ثلاث أمور : إما أن يقبضوا على [illegible] وإما أن يكرهوه على مبارحة الحجاز ، وإما أن يعملوا على مساعدة الجيش النجدى المرابط فى خارج جدة على دخول البلاد ، فما وسع الوفد إلا أن يعود إلى جدة. وقد اختلفت وجهات نظر أفراده بعد الذى رأوه فى مكة من قوة رجال ابن سعود واستقرار الأمن فيها وانتشرت فى البلاد فكرة ترمى إلى ترك الحرب . فما أن علمت بذلك حكومة الملك على حتى قبضت على خمسة من أعضاء الحزب الوطنى هم : السيد صالح شطا ، والشيخ قاسم زينل ، والشيخ عبد الرحمن باجنيد ، والشيخ على سلامة ، والشيخ سليمان عزابة وقدمتهم للمحكمة العسكرية بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم فحكمت على بعضهم بالسجن وعلى الآخرين بالإعدام فى ٩ ربيع الثانى . ولما عرض الحكم على جلالة الملك على أمر بالعفو عنهم وأطلق سراحهم فى ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ هـ . ثم رؤى بعد ذلك اعتقال الشيخ محمد نصيف ، والشيخ سليمان عزابة ، والشيخ سعيد باحشوين ، والشيخ عبد الرحمن باجنيد وبادروا بإبعادهم عن جدة حيث رحلوا فى ١٤ رجب سنة ١٣٤٣ هـ على الباخرة الرقمتين إلى العقبة ، وهنالك أدخلوا فى غياهب السجن وظلوا هنالك إلى أن تشفع لهم شيخ العروبة أحمد زكى باشا بواسطة الأمير عبد الله بن الحسين فأفرج عنهم وعادوا إلى جدة فى صبيحة يوم الأربعاء ٨ رمضان سنة ١٣٤٣ هـ .

جهود ضائعة

لقد انقطع كل أمل للحكومة الحجازية فى التفاهم مع ابن سعود ومن يؤيده من مسلمى الهند ، فلم يبق إلا أن تعمل بجد فى تنظيم خط دفاعها والمحافظة على كيانها بكل ما تملك ، فنصبت الأسلاك الشائكة خارج جدة وبثت الألغام من حولها واستعدت للقتال ، وأخذت تنفق فى هذا السبيل من جيوب أعضاء الحزب المؤسسين ، وكان أعظمهم مساهمة فى هذا السبيل الشيخ محمد الطويل حيث بذل كل ما لديه وما ادخره من مال فى عهد الحسين ، وبذل الملك على كل ما لديه حتى باع حلى أهله وباع أطيانه وأطيان عمته فى مصر لسد حاجة الدولة وحاولت الحكومة أن تحصل على قرض من بعض الدول أو الشركات الأجنبية فلم تفلح ، لعدم وجود الضمانة الكافية لديها ،

ولكنها وفقت إلى إقناع الحسين بمساعدتها بالشيء اليسير من المال الذى كان يمونها به من وقت لآخر بكل اقتصاد .

ولقد قام الحسين بتجنيد بعض العربان من شرق الأردن وإرسالهم إلى جدة كما أرسل طبيبه الخاص الدكتور ثابت باشا نعمان لابتياع بعض المهمات للحكومة من مصر ، فأكلها عليه ، وظل فى مصر واشترى بواسطة معتمده بمصر السيد عبد الملك الخطيب بعض السلاح ، ولكنه حجز فى جمرك السويس ، ومع كل هذا فقد ظلت هذه الحكومة تبذل جهودا جبارة لإطالة أمد الحرب علها تصل بواسطة مندوبها فى لندن « ناجى الأصيل » إلى عقد معاهدة مع بريطانيا ترد عنها عادية ابن سعود ، وتضمن لها استقلالها . وقامت بدعاية واسعه النطاق فى مصر وخلافها من البلدان العربية لاستمالة أهلها وباتت ترقب ما يكنه الغيب فى طياته فلكل أجل كتاب .

كما أسس بعض رجال الحزب الوطنى لهم صحيفة أسبوعية فى جدة اسمها (بريد الحجاز) أعطى امتيازها للشيخ محمد صالح نصيف صدر منها ٥٦ عددا ثم توقفت عن الصدور بانتهاء عهد الحكومة الحجازية ، وقد أصدرت الحكومة النجدية جريدة بمكة فى نفس الوقت باسم (أم القرى) حلت محل جريدة القبلة التى كان يصدرها الملك الحسين ، ويشرف هو على تحريرها .

ابن سعود والتطورات

تكلمنا فيما مضى عن التطورات التى حدثت فى الحجاز ومصير الحكومة الهاشمية، وتأسيس الحكومة الحجازية وجهودها .

فلنعد إلى ما كان من ابن سعود خلال تلك الفترة فقد قلنا : إنه عندما اتصل بعلمه ما حدث بالطائف من القتل والسلب أحس بعجز القائدين عن كبح جماح رجال القبائل المنضمة إليهما ، فغضب كثيرا وأرسل إليهما محذرا من ارتكاب مثل تلك الفظائع فى المستقبل ، بل منعهما زيادة فى الاحتياط من دخول مكة حتى يأتى إليهما، فرضخ القائدان لأمره . وقبعا فى الطائف مدة طويلة حسبها رجال الحزب الوطنى ناشئة عن تنفيذ فكرة إنجليزية خاصة . فحملهم ذلك على الإقدام على ما أقدموا عليه من طلب تنازل الحسين وتنصيب الملك على ليمهدوا بذلك سبيل التفاهم بإزالة العقبة الكئود التى كانت تعترض طريقه . وهى وجود الحسين بن على رأس تلك

الحكومة ، ولم تكن فى الواقع إلا رحمة من ابن سعود بأهل الحرمين الشريفين وإشفاقا بهم من أن يذهبوا ضحية تصرفات الحسين السيئة وعناده المستمر دون أن يكون لهم من الأمر شيء . وهو يعلم أن الكثير من حاضرة الحجاز وباديته كانوا يضجون من ظلم الحسين واستبداده ، فلا ينبغى أن ينكل بهم أو يساء إليهم .

ولما هم بالسفر إلى ميدان القتال كوعده للقائدين ، عقد مجلسا من العلماء واستفتاهم فى الأمر ، فقالوا له : إنه لا يجوز دخول الحرم الشريف بقصد القتال ، ولذلك امتنع عن السفر ، وكتب إلى خالد بن لؤى بأن يظل فى مكانه إلى أن يتيسر له دخول مكة من غير حرب ، وكأنه لاحظ أن بقاء جيشه فى الطائف مما يقض مضجع الحكومة القائمة فى الحجاز ، فلا تستطيع الاستمرار على تلك الحالة من القلق ، ولا هى قادرة على مهاجمة جيشه والسلامة من خطره .

ولقد ظل ابن سعود فى حيرة من أمره تتنازعه عوامل شتى ، فهو يريد أن يقضى على ملك الحسين ويعمل على تصحيح العقائد واجتذاب القلوب إلى الله بكمال توحيده وإخلاص العبادة له . وفقا لما أخذه على نفسه هو وآباؤه من قبله ، ولكنه يصطدم فى غايته بأمر دينى خطير ، هو أن مكة بلد حرام لا يجوز دخولها حربا وأهلها آمنون مسالمون يحرم قتالهم ، وملكها رجل أنانى عنيد لايخضع ولا يلين ، إذا فكيف السبيل إلى بلوغ غايته ؟

وبينما هو يطيل التفكير إذ سمع بتلك التطورات التى حصلت فحمد الله وسجد شكراً له ؛ وما لبث أن جاءته برقية من الملك علىّ تؤيد ذلك فلم يؤمن بصحة ماجاء فيها ، وخشى أن يكون الأمر مدبرا من قبل الحسين من ضمن مكايده ، فاشترط للصلح أن لا يكون ملك الحجاز فى آل الحسين . وأراد بهذا أن يتبين حقيقة الحزب الوطنى ، فإن استطاع أن يخلع الملك عليا ويعرب عن استعداده للتفاهم على هذا الأساس ، مدّ إليه يد الولاء ، وإلا فإن أصر على بقاء الملك فى آل الحسين فذلك دليل قائم على صحة ما انصرف إليه ذهنه .

والواقع أن الحزب لم يجنح إلى اختيار الملك على من الأساس إلا ليستعين به على التخلص من والده الحسين ، ولم يتمسك به حبا فى العائلة الهاشمية . وتعلق بها ، فإنها لم تحسن إلى الشعب قط ، بل إنها أنشأته على الجهل والخمول . وغرست فيه الجبن والذل ؛ لأنها كانت تدخل فى روعه أن الأشراف هم السادة ، وأفراد الشعب

العبيد بحيث إذا قتل أحد أفراد الشعب شريفا اقتص له بأربعة من أفراد القبيلة ؛ كما يقضى بذلك نظام أبي نمى جد العائلة الهاشمية ، ويجب أن لايخاطب الناس الأمير إلا بلقب ولىّ النعم سيدنا وسيد الجميع ، ولا ترفع العرائض له إلا بعد كلمة عبدكم أو جاريتكم ، ولا بد أن يضاف إلى تقبيل يد الأمير تقبيل ركبتيه ، ولا ينبغى لأحد من الشعب أن يسير أمام قصر الأمير راكبا ، بل عليه أن ينزل عن دابته ويقودها ويسير ماشياً على قدميه إلى غير ذلك من الأعمال التى كانت تحز فى نفوس الناس ولا يستطيعون أن يبدوا حراكا . وبالجملة فإن الأشراف لم يتركوا فى البلاد أثرا طيباً خالداً يحمل الناس على حبهم والتمسك بهم ، اللهم إلا بعض النفعيين الذين أثروا من المظالم ، ولكن ما العمل وظروف الحزب إذ ذاك تضطره إلى مجاملة الملك على ، فليس فى جدة من الشخصيات من تجمع عليه الأمة ، أو من يقبل ذلك الملك المتهدم سواه ، وكذلك ليس لدى رجال الحزب من المال مايمكنه من أداء ماتتطلبه الدولة من الأموال ؛ ولذلك فإنه مضطر إلى الاحتفاظ بالملك على للاستفادة من أمواله وأموال ولده وإخوته ملك العراق وأمير سرف الأردن .

وهذا ماحدا برجال الحكومه الحجازية أن لايسلموا بما جعله ابن سعود سرطا أساسيا للصلح . وإن كان هو على حق فى ذلك . وظلوا يتلمسون الطرف المؤديه إلى نجاح الغاية المؤدية إلى صمان استقلالهم وحربتهم بكل ما أوتوا من جهد وطاقة .

ولما لم تجد مع ابن سعود التوسلات وأحس الملك على أنه وعائلته المقصودون بالذات . وجاءته بعض النجدات رأى أن يظهر لخصمه الجلد والثبات ويلوح له بما لديه من قوات فربما كان فى ذلك مايحمله على تعديل بعض القرارات، فكتب إليه يقول:

(من على بن الحسين إلى صاحب العظمه السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

أما بعد : فإنى لعلى يقين من أن التسافك فى الجزيرة يقطع الأرحام ، ويذهب بالأحلام ، ويغرى عدو العرب على الاستفادة من الخصام ، وأنت تعلم أنه عدو شديد عنيد ، لا يستنيم إلى رعاية العهود ، ولا يطمئن إلى السكينة ، فماذا أنت فاعل ؟ وقد بسطت لك الحالة كما هى من غير تشويه فى حقيقتها ، أو لبس فى مظاهرها ؟ وإن أقصى رغبتى هى أن يسود السلام فى الجزيرة ، وأن تعود السكينه ما بين نجد والحجاز ، وإنى لباسط يمينى ... السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر ، لإزالة بواعث

الخلاف ، وينبغي أن تعلم عظمتك أن تدخل الأجانب بين الأمم المسلمة ضار بنا وبمصلحة بلادنا . وهذا التدخل لايبعد أن يجر إلى تشاحن عظيم ، وهذا أمر لا أرغب فيه ، ولا أوافقك عليه .

وما شأن الأعاجم فى بلادنا (يقصد علماء الهند الذين فوض ابن سعود الأمر إلى حكمهم عند عقد المؤتمر الإسلامى والذين لم يدخلهم فى الأمر غير الحكومة الحجازية التى طلبت وساطتهم فى الصلح من الأساس)وأنت تعلم أن لهم من مشاغلهم فى بلادهم مايضطرهم إلى التنحى عن الاهتمام بمصير الحجاز ، فإذاهم جدوا فى استقلال بلادهم كان ذلك أحرى لهم من كل أمر .

لذلك ، فإنى أقترح عليك عقد مؤتمر يحضره مندوبو الطرفين للصلح ، والرجوع إلى إتمام المفاوضات التى دارت فى مؤتمر الكويت من قبل ، وأرغب إليك جلاء النجديين من الأراضى الحجازية المحتلة وإلا فسنستردها بالسيف ، فإذا لم يبلغك صوتى ويصلك نذيرى فإنى مضطر إلى الاصطلاء بنار الحرب بلا شفقة ولا رحمة ، وللتاريخ بعد ذلك حكمه الذى لايرد فى الباغى منا ، وإذا كنت باغيا فلا يذكرنى التاريخ بخير ، وإن كنت أنت الباغى حقت عليك كلمة الله ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون) ؟

(على بن الحسين)

فما كان من ابن سعود إلا أن رد عليه بكل لطف وهدوء مرددا قوله السابق بما يأتى :

(الشريف على ابن الشريف حسين — جدة ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤م

إنى أحترم شخصكم احتراما عظيما ولكن معاملة والدكم لأهل نجد وسائر المسلمين هى التى جعلتنا نقف هذا الموقف ، فإذا كنتم تحبون السلام وحقن الدماء فأخلوا الحجاز وانتظروا حكم العالم الإسلامى فإن اختاركم أو اختار غيركم فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح ، أما إذا بقيتم فى أرض الحجاز فإن مسئولية مايقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا) ؟ .

(عبد العزيز)

إبن سعود والمسلمون

لقد أحجم ابن سعود عن الزحف على الحجاز مخافة أن يشاب عمله بما لا يرضى الله من قصد القتال فى المسجد الحرام ، ورغبة منه فى أن لايصطدم بالرأى العام الإسلامى الذى تهمه صحته وقال فى نفسه : إنى إذا أمنت من جانب تداخل

بريطانيا فى الأمر من أجل الحسين فما يدرينا لعلها تتداخل فيما بعد من أجل العالم الإسلامى إذا أنا بسطت نفوذى على الحرمين الشريفين وحاولت إقامة الدين الحق . ولذلك فلابد أن أنتظر ، وأنتظر طويلا حتى يأذن الله لى وهو أحكم الحاكمين .

وبينما هو كذلك إذا بجمعية الخلافة المعروفة بشدة تعصبها للدين وللدولة العثمانية على الخصوص تكتب له بناء على طلب الوساطة الذى أرسله لها رجال الحكومة الحجازية وتطالبه بتحرير الحجاز من المظالم ، وإقصاء العائلة الهاشمية ، وأن يعمل على عقد مؤتمر إسلامى عام يقرر فيه مصير تلك المملكة ، فحمد الله وأثنى عليه وتجلت له عظمة الله وفائق آلائه ، فإنه تعالى إذا أراد أمرا يسر أسبابه وجعل من يخشى معارضتهم فيه دعاة إليه ؛ فما أجله من خالق عظيم ومدبر حكيم ، تعس من لا يؤمن به ولا يقر بوحدانيته .

وبينما هو غارق فى تفكيره سابح فى تعداد نعم الله عليه إذ جاءه البشير بأن جيش خالد وابن بجاد قد دخل مكة ملبيا طائعا كما يريد من غير إراقة قطرة واحدة من الدماء ، ودون أن يلحق بأحد من جيرة بيت الله أى أذى . فبادر إلى السجود بالشكر لله ، وقرر التوجه إلى حيث هيأ الله له السبيل ، وكتب إلى جميع ملوك الإسلام وأمرائه يشعرهم بسفره إلى مكة غير باغ ولا آثم ، ويخبرهم بأنه عازم على عقد مؤتمر هناك يفكر فيما يراه كفيلا بتوطيد الأمن ونشر الإسلام ، ويطلب منهم انتداب ممثل لهم فى ذلك المؤتمر . وجمع كبار قومه وخطب فيهم خطبته التاريخية التى استهلها بحمد الله والصلاة على نبيه وأفضل خلقه ثم قال .

أما بعد : فإنى مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم التى أرهقت كاهل عباد الله . إنى مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها ، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع ، الذى يجب أن نطأطئ جميع الرءوس له . إن مكة للمسلمين كافة فيجب أن يكون أمر إدارتها وتنظيمها طبق رغائب العالم الإسلامى . إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامى هناك ، وسنتبادل معهم الرأى فى كل الوسائل التى تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية وتحفظ راحة قاصدى حرم الله . إن الحجاز سيكون مفتوحا لكل من يريد فعل الخير من الأفراد والجماعات) .

ثم سار بجيشه لعظيم إلى مكة ، وبينما هو فى طريقه إليها ، إذ أرسل إليه خالد وابن بجاد بنص الخطاب الموجه إليهما من قناصل الدول فى جدة بتاريخ ٤ نوفمبر

سنة ١٩٢٤ م يشعرون فيه بأن حكوماتهم واقفة على [illegible] النزاع الحاضر
في الحجاز ، فزاد إعجابه بقدرة الله التي حملت تلك الدول على التزام جانب الحياد
وجعلتها تكتب بهذا لقواده من تلقاء نفسها ودون أن يطلب ذلك منهم .

وكتب إلى قناصل تلك الدول الرد الآتي ووضع بطيه خطابا آخر إلى أهل جدة هذا نصهما :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها :

في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ (٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م) .

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جدة ، معتمد الدولة البهية البريطانية ، وقنصل جنرال الدولة الإيطاليه ، ووكيل جنرال الجمهورية الفرنسية ، ونائب قنصل ملكة هولندة ، ووكيل قنصل شاه إيران المحترمين .

بعد إهداء مايليق بجنابكم من الاحترام نحيط علمكم بأننا أحطنا علما بكتابكم المؤرخ ٤ نوفمبر المرسل إلى أمراء جيشنا خالد بن منصور وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم إزاء الحرب القائمة بين نجد والحجاز . ولقد كنت أود من صميم قلبي أن تحقن الدماء وتنفذ رغائب العالم الإسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثماني الأخيرة ، ولكن الشريف عليا بن الحسين بموقفه في جدة لم يجعل لنا مجالا للوصول إلى أغراضنا الشريفة ، ولذلك فإني حبا في سلامة رعاياكم ومحافظة على أرواحهم وأملاكهم وما قد يحدث لهم من الأضرار أحببنا أن نعرض عليكم مايأتي :

١) أن تخصصوا مكانا ملائما لرعاياكم في داخل جدة أو خارجها وتخبرونا بذلك المكان لنرسل إليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم .

٢) إذا أحببتم أن ترسلوهم إلى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن غوائل الحرب وأخطارها فإننا نقبلهم على الرحب والسعة وننزلهم المنزل اللائقة بهم .

وإننا نرجوكم أن ترسلوا كتابنا طيه إلى أهل جدة حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، وإننا لا نعد أنفسنا مسئولين عن شيء يقع بعد بياننا هذا .

وتقبلوا في الختام تحية خالصة مني » .
الختم .

(٦ — نجد حديث — ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها .

من عبد العزيز الفيصل آل سعود إلى أهل جدة كافة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فلا بد أنه بلغكم أن أغلب العالم الإسلامى قد أبدى عدم رضائه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده ، وإنا — حبا فى سيادة الإسلام وحقنا للدماء — نعرض عليكم أنكم فى عهد الله وأمانه على أموالكم وأنفسكم إذا سلكتم مسلك أهل مكة . وبالنظر إلى وجود الأمير على بين أظهركم وخروجه على الرأى العام الإسلامى فإنا نعرض عليكم الخروج من البلد إلى مكان معين أو القدوم إلى مكة سلامة لأرواحكم وأموالكم ، أو الضغط على الشريف على وإخراجه من بلادكم ، فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور أو موالاته فنحن معذورون أمام العالم الإسلامى ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون على المسبب والسلام .

ولقد بعث ابن سعود بالخطابين إلى قناصل الدول الأجنبية فى جدة . وواصل سيره إلى مكة حتى بلغ العشيرة (قرية على بعد ثلاثة أيام من مكة) فى اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى ، فوجد هناك سلطان بن بجاد أحد قواد جنده ومعه الكثير من أشراف الحجاز وعظمائه الذين جاءوا لاستقباله وتقديم الطاعة له ، ففرح بهم وأكرم مثواهم ، ثم واصل السير إلى السيل (إحدى القرى القريبة من الطائف) فأحرم بالعمرة وسار إلى مكة حتى بلغها فى مساء الخميس ٧ جمادى الأولى وحط رحاله فى أعالى مكة بمكان يقال له الأبطح ، وهنالك استقبله الأهلون بالتهليل والترحيب وبعد أن استراح قليلا امتطى وبعض حاشيته ظهور الخيل وسار خاشعا لله يقصد البيت الحرام ملبيا شاكرا ، وما أن أقبل على باب السلام وترجل من فوق فرسه حتى أحاط به الناس يدعون له بالنصر المبين ، فدخل المسجد الحرام خاضعا خاشعا وطاف بالبيت وصلى بمقام إبراهيم الخليل ، ثم خرج إلى المسعى فأتم نسكه ، ثم ذهب إلى دار باناجه فتحلل من إحرامه وجلس يتقبل سلام المسلمين وتهنئة المهنئين بثغر باسم ومنطق عذب ، وكان جل حديثه التحدث بنعمة الله عليه وتأييده له بالنصر .

ومما قاله فى تلك الليلة : لقد حاولت كثيرا أن أتفاهم مع الحسين على جمع كلمة العرب وعز الإسلام وكنت أتمنى أن أحضر إليه وهو على عرشه وأبادله الحب

والولاء ولكنه أبى ذلك ولم يكن يخطر على بالى أن آخطر

بل إننى لو رأيت المنام ما تم لى الآن لما عبرت رؤياى لدى أحـ

(العلماء) مخافة أن يسخروا منى ولكن فضل الله لا يحد وهذا من محض إحسانه جل وعلا وإكرامه لى ، أسأله تعالى أن ينصر دينه ويعلى كلمته وأن يوفقنى للعمل بكتاب الله وإحياء سنة سيد المرسلين أنه سميع مجيب الدعوات .

ثم ترك الدار وعاد إلى معسكره فى الأبطح ونام فى الموضع الذى أعد له بين جنده.

ابن سعود فى مكة

فى صبيحة ٨ جمادى الأولى احتشد أهل مكة فى الأبطح فى السرادق العظيم الذى أعد لاستقبال القادم الكريم ، وما كادت الشمس تعلو قليلا حتى خرج السلطان ابن سعود من مكانه وظل بين أقوامه يستعرض رجال جنده ، فلم يفرق الناس بينه وبينهم لبساطه ملبسه وعظيم تواضعه ؛ وما أن أقبل عليهم حتى التفوا حوله وهموا بتقبيل يديه على حسب ماعودهم به الأشراف فى عهدهم الغابر ، فإذا به يفاجئهم بعبارة لم يسمعوها من قبل إذ يقول : هذا ما يفعله الأعاجم بملوكهم ، أما نحن فعرب ومن عادتنا المصافحة وكذلك كان يفعل الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان لهذه الجملة أحسن الأثر فى نفوس القوم ، واستبشروا منها خيرا ؛ لما تنطوى عليه من معان جمة ، وأخذ كل منها له مشربا : فمن قائل ياله من سلطان متواضع لايريد أن يسلم أحد عليه . ومن قائل : حقا إنه على فطرة العربى وسليقته ، يكره الملق ويمقت المداهنة . ومن قائل : إنه يشعر ما لعظمته فى نفسه فلا يحتاج إلى من يعظمه . ومن قائل : اليوم تذوقنا لذة الحرية وشعرنا بالخلاص من رق الاستبعاد . ومن قائل : لقد ورمت شفاهنا من كثرة تقبيل الأيدى والركب فلتهنأ بالراحة الدائمة . ومن قائل: أسمعتم أنه يصلى على النبى بعكس ما فهمنا من قبل أنه يكرهه عليه الصلاة والسلام . ومن قائل : إنه لايريد بنا السوء بل إنه يعلمنا كيف نحتفظ بعزة العربى وكرامته والتمسك بأخلاقه وعاداته .

وأخذت هذه الأحاديث تتبادل بين الحاضرين إلى أن استقر ابن سعود فى مكانه : وعندئذ وقف الشيخ عبد القادر الشيبى عين أعيان أهل مكة وعميد بنى شيبة سادن الكعبة المشرفة وأخذ يقدم له كبار الشخصيات ، وما أن انتهى من ذلك حتى وقف

ابن سعود وبين لهم أنه لم يأتهم مقاتلا ولا ظالما ، وإنما جاء ليخلصهم من جور الحسين وعسفه وليبسر للمسلمين سبيل الحج إلى بيت الله الحرام ، جاء ليدعو الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويبسط لهم حقيقة الوهابية ليفهم الناس عنها فكرة صحيحة بعيدة عن الأغراض وأقوال المرهفين . ثم أعرب لهم عن أسفه لما حدث في الطائف من الاعتداء الذي لم يأمر به ولم يكن يعلم شيئا عنه ، وواسى المنكوبين بفقد الأعزاء ، ووعد بتعويض المصابين بضياع الأموال ؛ فتقدم إليه الشيخ الشيبي وقال : هل لكم ياعظمة السلطان أن تتفضلوا بتعيين موعد تجتمعون فيه بعلماء المسجد الحرام ، وتوضحون لهم ماخفي عهم من حقيقة عقيدة الوهابية فقد كثر حولها الكلام ونفر منها العوام ؟ فأجابه ابن سعود : لكم ذلك ، وهذا هو كل ما أتمناه ، ولنجتمع غدا السبت في الساعة الثامنة بدار الحكومة ، فخير البر عاجله .

وفي اليوم الثاني اجتمع العلماء وذوو الرأي من أهل مكة والمهاجرين فيها في الحميدية ؛ وفي الوقت المحدد حضر السلطان ابن سعود وحيا الحاضرين بتحية الإسلام ، ثم تقدم الشيخ حافظ وهبه أحد أخصاء السلطان فألقى عليهم الكلمة الآتية :

(نكرر عليكم في هذا الموقف ماكنا ذكرناه لكم في الاجتماع السابق ، وهو أن عظمة السلطان عبد العزيز بن سعود يرى أن هذه البقعة المباركة من أقدس بلاد الله ، وأن قلوب مئات الملايين من المسلمين تهفو إليها وتحبها ، فإذا كانت هذه البلاد التي هي مسطع النور ومهبط الوحي ومنشأ الهدى للناس أجمعين ، يرجع الأمر فيها كما بدأ في أول أمره وتطهر من البدع والضلالات يزداد مقامها في قلوب المسلمين أضعافا مضاعفة ، وعلى العكس إذا بدلت معالم الدين فيها بدل ما في قلوب الناس عنها . إنكم تعلمون أن أكثر البلاد الإسلامية قد كثر فيها البدع ، والسبب في ذلك أن أكثر الإمارات الإسلامية ظهرت فيها بدعة عامة وهي مايسمونه بطلب الترقي المدني . أما نحن فلا نريد هذا الارتقاء الذي تدعون إليه . وإنما ندعو ونريد الارتقاء الديني ، ونعتقد أنه لايمكن إرجاع الرقي للمسلمين إلا برجوعهم للسير على السنن التي سنها لهم الله من قبل في كتابه وعلى لسان نبيه ، وهذا هو مايريده عبد العزيز ، وهذا هو الأمر الأول .

أما الأمر الثاني : فهو أن عبد العزيز يريد أن يرجع إلى هذه البلاد عهد الشورى الذي نتمتع فيها ؛ وهو لايريد أن يستبد بكم ، ولا أن يجري في بلادكم

إلا مايوافق شرع الله . إنه يريد أن يستفيد من تجارب المجربين ، وبابه مفتوح لسماع نصيحة كل ناصح ، وأبغض الأخلاق إليه التملق . وكل من أراد التقرب إليه بالتملق فإنما يعكس بذلك الأمر على نفسه .

والأمر الثالث : هو أن عبد العزيز ـ كما ستسمعون منه ـ لايريد أن يكون هذا البيت ملكا لأحد ، بل مشاعا بين المسلمين ، ولكل شعب من الشعوب ، ولكل فرد من أفراد العالم الإسلامى حق فيه .

والأمر الرابع : هو أن التجارب السابقة دلت على أن الحسين وآله غير صالحين لإدارة هذه البلاد ؛ ولذلك فإنا سنضحي بنفوسنا وأموالنا فى تطهير البلاد المقدسة منهم .

وهنا قال الشيخ حبيب الله الشنقيطى قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره) وما دامت غاية السلطان عبد العزيز نصرة الإسلام فالله ينصره ويؤيده .

فوقف السلطان عبد العزيز ، فحمد الله وصلى على نبيه ثم أخذ يخطب فى ذلك الجمع العظيم بعبارات جزلة تعبر عما يكنه فى نفسه الكريمة من إيمان وتقوى ، وما يضمره من إخلاص لله ورغبه فى إقامه دينه الحق على أحسن وجه حيث قال :

(إن الأمور كلها بيد الله . وإن الله قد ضرب الأمثال فى القرآن ولم يترك شيئا اتأديبا إلا ذكره فى كتابه . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — الذى من أحبه فقد أحب الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله — يأخذ نفسه بآداب القرآن الذى نزل به أمين السماء : جبريل ، على أمين الأرض : محمد صلى الله عليه وسلم . ولا أظن رجلا عنده ذرة من عقل وعرف ما جاء فى كتاب الله إلا قدر هذه الآداب حق قدرها ، ورأى أن الخير كل الخير فى اتباع الهدى الحكيم ؛ وأنتم تعلمون أن نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ما جاء إلا ليدلنا على طرق الخير ويبين لنا السبيل الأقوم)

ثم قال : (إن أفضل البقاع بقاع يقام فيها شرع الله . وأفضل الناس من اتبع أمر الله وعمل به . فهل تعلمون قبيلة أفضل من قريش ؟ ولولم يكونوا أفضل العرب لما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام منهم . وهل فى البلاد أفضل من مكة ؟ ولو لم تكن كذلك لما كان بيت الله فيها ، ولما نشأ الإسلام والرسول بها . أو ليس كذلك ؟ ألم يقاتل من كان بمكة ؟ نعم كان هذا . وذلك لأن قريشا عصوا الله وأعرضوا عن الحق .

ألم يشرف بلال الحبشى وسلمان الفارسى بالإسلام ؟ والأول عبد حبشى والآخر رجل فارسى .

ألم يذل أبو لهب بالكفر ، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالشرف ليس بالحسب ولا بالنسب ، وإنما هو بالعمل الصالح . إن هذا البيت هو شرف الإسلام الخالد ، وما عمل فيه من الأعمال الجيدة يضاعف الله أجره ، وما عمل فيه من السيئات يضاعف الله وزره .

إن لهذا البيت شرفه ومقامه منذ رفع سمكه بيد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وقد عظم العرب شأنه فى جاهليتهم فتحالفوا وتعاقدوا ألا يقر ببطن مكة ظالم صيانة لهذا البيت أن يقع الظلم فيه :

إن الفضول تعاقدوا وتعاهدوا ألا يقر ببطن مكة ظالم

أولئك كانوا على الشرك والضلالة . أفيليق بنا ونحن مسلمون أن نقر فيه ظلما أو نتعدى فيه حدود الله ؟)

ثم تكلم عن العقائد فقال :

(إن العقائد التى جاء بها الأنبياء من قبل ذات أصل واحد ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ؛ وينحصر فى قول (لا إله إلا الله) فلفظ إلا الله معناه إثبات العبادة لله وحده . فإذا لم يكن كل عمل صالح مبنيا على هذا الأساس فهو باطل ، قال الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فدلت هذه الآية الكريمة على أن النجاة لا يكفى لها العمل الصالح وحده بل لابد من إخلاص العبادة والدعاء لله وحده) .

ثم قال : (والله وبالله وتالله ورب البيت والمقدر كائن لقد كان من أحب الأمور إلىّ أن يقيم الحسين شرع الله فى هذا البيت المبارك ولا يعمل لإبادتنا من الوجود ، فأفد عليه مع الوافدين أقبل يده وأساعده على كل شىء يريده ، ولكن هكذا شاءت إرادة الله . ولو لم يلحق الأذى بالأم الآدين والنفوس لما أقدمنا على ما أقدمنا عليه ، فقد قرر الحسين تقسيم بلادنا وتوزيعها وأصر عليه وأخذ يعمل له ، وهذه جريدة القبلة أمامكم تعرفكم نياته نحونا فإن الحسين أتى إلى هذه الديار مؤمرا من قبل الترك وأقام فيها حتى خلعهم . فنحن فى ديارنا اليوم لا غير سيوفنا واتباع أمر الله) .

ثم قال (لا ينفعنا غير الإخلاص فى كل شىء ، الإخلاص [illegible]
ثم قال (أنا بذمتكم وأنتم بذمتى أنا منكم وأنتم منى) .

ثم قال (هذه عقيدتنا فى الكتب التى بين أيديكم، فإن كان فيها مايخالف كتاب الله فردنا إليه . إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا فيما أيدوه بقول من كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم . أما أحكامنا فنسير فيها طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل) .

ثم قال (لقد أشاع الترك عنا كثيرا ، وقالوا فى جملة ما كذبوه عنا : إننا لانصلى على محمد . وإننا نعد الصلاة عليه شركا بالله ، نعوذ بالله ، نعوذ بالله من ذلك ، أو ليست الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ركنا من أركان الصلاة لاتتم إلا بها ، ويقولون : إننا ننكر شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة . معاذ الله أن نقول هذا ، وإنما نطلب من الله أن يشفع فينا نبينا (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) بل ندعو الله أن يشفع فينا الولد الصغير ونقول « اللهم اجعله فرطا لأبويه وشفيعاً مجابا » ولا نطلب الشفاعة من الطفل .

وأما محبة الأولياء والصالحين فمن ذا الذى يعصمهم منا ، فإن كان هذا مقبولا عندكم فتعالوا نتبايع على كتاب الله وسنه رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده) .

فأجاب الحاضرون (كلنا نبايع ، كلنا نبايع) .

فقال ابن سعود (قولوا لنا بصريح القول ماعندكم؟) .

فرد الحاضرون (ماعندنا غير هذا) .

فقال ابن سعود (أعيذكم بالله من التقية . لاتكتمونا شيئا) .

وقال الشيخ الشنقيطى (إنا نريد أن نجتمع بعلماء نجد فنتباحث فى الأصول والفروع ، ونقرر ماننفق عليه إن شاء الله) فأجابه ابن سعود : حسن .

واستأنف الشيخ الشنقيطى الكلام فقال (إذا أردنا المناظرة مع علماء نجد فيقتضى أن يعرف كل منا طبيعة الآخر حتى إذا أقيمت الحجة عليه أذعن بدون سخط ولا غضب)

فقال ابن سعود : مادام المرجع كتاب الله فلا سخط ولا غضب .

العلماء يتفاهمون

لقد انفض الناس من اجتماع الحميدية وهم يلهجون بعظمة ابن سعود ، وكرم أخلاقه ، وحسن نواياه ، والمبادئ التي يدعو إليها ؛ غير أنهم لم يتبينوا بعد حقيقة ما ينطوي عليه المذهب الوهابي من التعاليم التي يخشى أن تكون خطرا على الدين كما كان يشاع ذلك من قبل ، وقد سروا من طلب الشيخ الشنقيطي مباحثة علماء نجد في الأصول والفروع وموافقة ابن سعود على ذلك لما فيه من إحقاق الحق وزهوق الباطل .

وفي يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى اجتمع الشيخ محمد حبيب الله من أكابر العلماء المحدثين في مكة ، وثلاثة من كبار علماء الأحناف بالمسجد الحرام هم الشيخ درويش عجيمي والسيد محمد المرزوقي أبو حسين والشيخ أحمد النجار ، واثنان من كبار علماء الشافعية هما الشيخ عمر باجنيد والسيد عبد الرحمن زواوي ، واثنان من كبار علماء المالكية هما السيد عباس مالكي والشيخ جمال مالكي بستة من أقطاب الوهابية الذين قدموا مع ابن سعود : اثنان منهم من أحفاد آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هما الشيخ عبد الله بن حسن والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، وأربعة من خيار علماء نجد هم الشيخ محمد بن عثمان الشاوي والشيخ عبد الرحمن بن داود والشيخ عبد الله بن زاحم والشيخ مبارك بن باز . وتباحثوا في الأصول والفروع فتبين لهم أن ما يدعو إليه الوهابية هو الحق الذي دعا إليه جميع الأئمة وصرحت به كتب كافة المذاهب .

وهو يتلخص فيما يأتي :

١) أن عقيدة السلف الصالح أسلم ، وهي التي يجب أن تتبع .

٢) أن أركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ؛ فمن جحد ركنا من هذه الأركان فهو كافر يستتاب ثلاثة ، فإن تاب وإلا قتل .

٣) أن دعاء غير الله لجلب المنافع ودفع المضار ، وعبادة غير الله ولو بقصد التقرب من الله كفر .

٤) أن البناء على القبور ، واتخاذ السرج عليها ، وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشرع .

٥) أن من يسأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما .

وقد أذاعوا بيانا للأمة بهذا لتقتنع بأن كل ما كان يذاع عن الوهابيين ما هو إلا مجرد دعاية لا نصيب لها من الصحة ، وقد اخترعه المغرضون بقصد تفريق الكلمة وتمزيق شمل العرب .

وعلى أثر صدور هذا القرار الحاسم من العلماء بدحض كل ما نسب إلى الوهابيين من الخروج عن إجماع المسلمين أصدر ابن سعود بيانا رسميا إلى أهل الحجاز أعلن فيه الغاية من مجيئه إلى الحجاز ، والخطة التي يريد أن تسير عليها البلاد المقدسة ، وما يضمره نحو أهلها حيث جاء في البيان المذكور ما يأتي :

يا سكان الحجاز من حضر وبدو :

١) إننا لم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصارا لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودفعا للشرور التي كان يكيدها لنا ولديارنا من استبد فيكم بالأمر قبلنا .

٢) وسنجعل الأمر في هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين ، ولذلك أبرقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحه لأحكام الله في هذه البلاد المطهرة .

٣) إن مصدر التشريع في الأحكام بينكم يجب أن لا يكون إلا من كتاب الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس . أو أجمعوا عليه مما لم يكن في كتاب الله أو سنة نبيه .

٤) كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ، إن لم نزده فلا ننقصه شيئا إلا رجل أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه فذاك ممنوع مما كان له من قبل . وكذلك كل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقص منه شيئا .

٥) لا قوى عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق منه . وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ، ولا أقبل فيها شفاعة .

ولم يكد يصدر هذا البيان من ابن سعود حتى تناوله الناس بالدرس والتمحيص ، فإذا به يعبر عن أقصى أماني الأمة ومنتهى سعادتها لولا ما داخلها في النشأة الثانية :

من أن تقرير شكل الحكومة سيكون عائدا لرأى المسلمين الذين سيعقد منهم المؤتمر العام المزمع تأليفه .

ومعنى هذا أن ابن سعود لم ير الشعب الحجازى أهلا لتقرير شكل حكومته ، فأساءهم هذا وخافوا أن ينشأ عن ذلك تدخل الدول الأجنبية فى حكم البلاد عن طريق رعاياها من أعضاء المؤتمر التابعين لهم .

وكان هذا سببا فى نقمة كثير من الحجازيين المقيمين فى داخل البلاد والمنتشرين فى خارجها . وأخذوا يعملون على إحباط المؤتمر فى مهمته . والعمل على أن تقوم الحكومة على الشكل الذى يريدونها هم كما سيجىء بعد

الحجازيون وعلى بن الحسين

أدرك الناس فى مكة المكرمة الفرق العظيم بين حكم الأشراف وحكم ابن سعود، وتذوقوا لذة الأمن والحرية ، وتلمسوا فى بيان ابن سعود معنى السعادة التى تنتظرهم على ضوء الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله واتباع السلف الصالح .

وملك ابن سعود قلوبهم بما اتصف به من أخلاق إسلامية عالية ونفس ديمقراطية سامية، فتقربوا إليه وعملوا على مناصرته ، . راعهم أن يقف على بن الحسين فى جدة مؤيدا بنفر من رجال الحزب الوطنى الحجازى فقط ، يعبث بمصالحهم ويسد فى وجههم سبيل الاتصال بالعالم الخارجى . والحصول على قوتهم منه ، فكتبوا إليه خطابا بتاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ بتوقيع الشيخ عبد القادر الشيبى وبعض العلماء والوجهاء هذا نصه :

إلى حضرة صاحب السمو الأمير على بن الحسين وفقه الله .

بعد السلام اللائق بالمقام ، لا يخفاكم أننا جيران بيت الله الحرام الذى قال الله فى حقهم (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وقال أيضا (أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا) فأين عطفكم من وصية الله بنا ؟ وما السبب فى إقدامكم على منع القوت عنا وإيصال الإضرار إلينا ؟ لأن قوة نجد وجيوشها دخلت مكة ، ولسنا نحن المسئولين عن ذلك بل أنتم المسئولون عنه عند الله وعند خلقه .

أولا — لأنكم لم تعملوا على إصلاح ذات بينكم ولا لإزالة أسباب الخلاف بينكم وبين نجد وإمامها وغيرهم حتى يكون حرم الله آمنا .

ثانيا — عند دخول جيوش حكومة نجد الطائف طلبنا منكم تخليص (عائلاتنا) ومحارمنا وأموالنا من الطائف فأبيتم ذلك وأعطيتمونا العهد بالمحافظة ثم شردتم وتركتمونا ، فلا أنتم حافظتم علينا ولا سمحتم لنا بالخروج حتى كان ما كان . ثم لما قدمتم مكة راجعناكم أنت ووالدك مرارا فوعدتمونا بالدفاع عنا برقابكم ثم شردتم وتركتمونا فوضى . وإننا نخشى عليكم عقوبة ما جرى على بيت الله الحرام من الخوف والهلع ، وبعد ذلك أعلنتم أنكم ما خرجتم من مكة إلا حقنا للدماء ، فسموكم تورعتم عن قتل أهل نجد وأبحتم المصيبة لجيران بيت الله بمنعكم الأرزاق عنهم وحجزكم معايشهم .

والآن نسأل سموكم إن كان جيران بيت الله مجرمين فأنبئونا نستغفر الله ، وإن كنا فقراء ضعفاء لاجئين إلى بيته فما السبب فى التضييق علينا فى أرزاقنا وأنفسنا ؟ فإن كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فليس لنا يد فى دخولهم ولا طاقة لنا على إخراجهم ، ولكننا نرجو الله ثم سموكم أن تفعلوا أحد أمرين :

إما أن تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تنفتح لنا طرق أرزاقنا .

وإما أن تتركونا وتتركوا جدة محل معايشنا

وعند ما وصل هذا الخطاب إلى يد الشريف على بن الحسين ثارت ثائرته ، وكتب ردا عليه بتاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ وبعثه فى منشور بإحدى طائراته ، فألقته على مكة جاء فيه ما يأتى :

لم نمنع الأرزاق عنكم إلا مكرهين ، فالقواعد الحربية تقضى بذلك ، ولا قصد لنا إلا إخراج مراكز العدو وعدم تموين جيوشه . ولئلا يغدر بكم العدو ويضع يده عليها ، ونحن على يقين أن كتابكم الذى وصلنا لم تحرروه إلا مرغمين ، وعسى من فحواه أن العدو لم يضطركم إلى هذا إلا لضعفه وعجزه . إننى لم أترك مكة إلا لأمرين : أولهما عدم القتال فيها حرمة لها . والثانى حفظكم من مثل ما حصل فى الطائف ، وإنى عاهدت الله على الموت فى سبيلكم وإنقاذكم بعون الله . فاصبروا صبر الكرام . وقريبا إن شاء الله يكون الاجتماع بكم فى حرم الله على أسر حال .

ثم يقول هذا المنشور (إن كان هو أى ابن سعود) وأذنابه يحترمون حرم

الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون إلى خارج الحرم فهناك تظهر حقائقهم إن شاء الله . ويرون كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة ، وإن لم يخرجوا ولبثوا فى مكانهم جامدين فإننا سنوافيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن فوقهم حتى تكون كلمة الله هى العليا .

ابن سعود يعدل من خطته

لقد آمن ابن سعود بحب أهل مكة له ، وتعلقهم به عند ما أدرك نفورهم من تصرفات الشريف على بن الحسين نحوهم ، وأحس باستيائهم من ناحية إحالة تقرير مصيرهم إلى المؤتمر الإسلامى المزمع عقده ، فعدل من خطته ، وأسرع إلى دعوة العلماء وذوى الرأى فى البلاد فى اليوم الثانى والعشرين من شهر جمادى الأولى ، وألقى فيهم خطاباً مؤثرا جاء فيه مانصه :

(يا أبناء الحجاز ، وياجيرة البيت الحرام ! ! !

إن ديارا كدياركم تحتاج إلى اهتمام زائد فى إدارة شؤونها ، وعندنا مثل يعرفه الناس جميعا ، وهو : « إن أهل مكة أدرى بشعابها » فأنتم أعلم ببلدكم من البعيدين عنكم ، وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسئوليات الأعمال على عواتقكم ، وأريد منكم أن تعينوا وقتاً يجتمع فيه نخبة العلماء ونخبة الأعيان ، ونخبة التجار جميعا ، وينتخب كل صنف من هؤلاء عددا معينا كما ترتضون وتقررون ، وذلك بموجب أوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة والنظر فى شئونهم . ثم هؤلاء الأشخاص يستلمون زمام الأمور فيعينون لأنفسهم أوقاتاً معينة يجتمعون فيها ويقررون مافيه المصلحة للبلد . وجميع شكايات الناس ومطالباتهم يجب أن يكون مرجعها هؤلاء النخبة من الناس ، ويكونون أيضا الواسطة بين الأهالين وبينى ، فهم عيون لى ، وآذان للناس يسمعون شكاويهم وينظرون فيها ثم يراجعونى

إنى أريد من الهيئة التى ستجتمع لانتخاب الأشخاص المطلوبين أن يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة . ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى .

تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة ولكن كثيرا من تلك المجالس تكون وهمية أكثر منها حقيقة ، تشكل ليقال : إن هناك مجالس وهيئات ، ويكون العمل بيد شخص واحد ، وينسب العمل للمجموع

أما أنا فلا أريد هذا المجلس الذى أدعوكم لانتخابه أشكالا وهمية ، وإنما أريد شكلا حقيقيا يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم فى تحرى المصلحة العامة . لا أريد أوهاما ، وإنما أريد حقائق ، أريد رجالا يعملون . فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل علىّ أمر من الأمور رجعت إليهم فى حله وعملت بمشورتهم ، وتكون ذمتى سالمة من المسئولية ، وأريد منهم أن يعملوا بما يجدون فيه المصلحة ، وليس لأحد من الذين هم أطرافى سلطة عليهم ولا على غيرهم .

وأريد الصراحة فى القول . لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم : رجل كذاب يكذب على عن تعمد ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق ، فهؤلاء أبغض الناس عندى .

فأرجوكم بعد هذا المجلس أن تجتمعوا بالسرعة الممكنة ، وذلك بعد أن تنظموا لى قائمة بأسماء الذين سيجتمعون من كل صنف من الأصناف الثلاثة ، لأقابلها على القائمة التى عندى ، فأتحقق من أن جميع أهل الرأى اشتركوا فى انتخاب المطلوبين .

وتنفيذا للأمر المذكور اجتمع النخبة من العلماء والأعيان والتجار ، وقاموا بعملية الانتخاب المذكور ، فأسفرت النتيجة عن انتخاب الذوات الآتية أسماؤهم لأول مجلس فى الحجاز :

وهم : الشيخ عبد القادر الشيبى رئيسا ، وأحد عشر عضوا ، هم : السيد محمد ابن يحي بن عقيل السقاف ، والشيخ عرابى سجينى ، والشيخ أبو بكر بابصيل ، والسيد عباس مالكى ، والشيخ محمد نور فطانى . والسيد سليمان نائب الحرم ، والشيخ محمد نور ملائكه ، والسيد عمر علوى ، والشيخ أمين عاصم ، والشيخ تاج قطب ، والشيخ عمر جان .

وعند ما عرضت نتيجة الانتخاب على ابن سعود أقرها ، ودعا المنتخبين وأوصاهم بمباشرة أعمالهم بصدق وإخلاص ومراقبة الله فى كل أمر .

ورغب إليهم أن يعملوا على عدم تخلف الناس عن الصلاة فى الجماعة فى جميع الأوقات ، على أن يقوم رجال الأمن بالمحافظة على متاجرهم خلال ذلك .

فتقرر أن يقوم رجال البلدية بدعوة الناس إلى الصلاة مع الجماعة فى كافة الأوقات ، ونادى مناد فى البلاد قائلا :

يامعشر المسلمين سكان البلد الأمين ، على كل واحد منكم إذا سمع المؤذن أن يجيب داعى الله ، ويبادر إلى الصلاة فى الحرم مع أحد الأئمة الأربعة ، ومن كان بعيدا عنه فليصل فى أقرب مسجد منه، وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء الشرعى عليه .

كما أصدر أمره بتعيين الشيخ حافظ وهبة محافظا على مكة ، والشريف هزاع العبدل أميرا على بدو الحجاز ، كما خصص خالد بن لؤى بشؤون نجد ، فهدأت بذلك الحال ، وسرت الخواطر وانتظمت الأمور .

وعمل ابن سعود على احتلال الليث ورابغ ، واتصل بالعالم الخارجى عن ذلك الطريق ، وأتى للبلاد بحاجتها من الأرزاق ، وأخذ يستعد لمهاجمة جدة وإنهاء الموضوع حالا لولا أن جاءه خطاب من ممثلى الدول فى جدة بتوقيع خمسة منهم : هم ممثل دولة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وإيران جوابا على خطابه السابق لهم الذى اقترح عليهم فيه أن يعزلوا رعاياهم إلى جانب ما صيانة لهم ، أو أن يبعثوهم إلى مكة ليكونوا فى مأمن على أرواحهم وأموالهم ، يقولون فيه :

(إن الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب لم نقبل . لأن احترام رعايانا مبنى على حقوق دولية متبعة فى أيام الحرب

وبناء عليه نذكركم باسم حكوماتنا جميعها إلى احترام أشخاصهم وأموالهم فى أى وقت ، وفى كل مكان . وألا تكونوا مسئولين عن كل مايقع عليهم : كما أن خطابكم لأهل جدة لا يمكن تسبيمه من قبلنا مراعاة لواجب الحياد الذى نتبعه ونحرص عليه) .

وما أن تسلم ابن سعود هذا الخطاب حتى رجع عن رأيه فى مهاجمة جدة ؛ لأنه لايستطيع أن يضمن سلامة الرعايا الأجانب ، وهم مختلطون بالأهلين اختلاطا تاما ، وبدأ يفكر فى الطريق التى توصله إلى احتلال البلاد وإقصاء الملك على من غير إراقة دماء . فرأى أن خير سبيل لذلك هو تطويق جدة من الخارج ومضايقة الحكومة القائمة حتى تضطر إلى التسليم . وهو يعلم أن حكومة كهذه لايمكن أن تعمر كثيرا فى رقعة ضيقة كجدة . ليس لها من الواردات ما يكفى لسد حاجتها من النفقة ، فضلا

من السلاح والعتاد ، ومن جنده ليعسكر حول [illegible] أهلها
ليس إلا .

وسطاء الصلح

لقد عملت حكومة الملك على فى جدة على تطويق جدة بشبكة من الأسلاك الشائكة، وبثت خلالها الألغام وحصنتها بقوة من الأسلحة والجنود التى أمدها بها الحسين بن على من العقبة . وعملت على إطالة أمد الحرب ، وأخذت تسعى إلى بذل الجهود لحمل ابن سعود على الإذعان للصلح . ولما أن يئست من تدخل بريطانيا رغم صلة الملك فيصل والأمير عبد الله بها كما كانت تظن عمدت إلى بعض الشخصيات المحبوبة لدى ابن سعود تناشدها الوساطة فى الأمر فلبى نداءها من العراق السيد طالب النقيب ، ومن الشام الأستاذ أمين الريحانى ، ومن شرق الأردن المستر فلبى بصفتهم من أصدقاء ابن سعود القدماء الذين لاترد وساطتهم عنده ، وحضروا جميعا إلى جدة ، وكتبوا إلى ابن سعود ليأذن لهم بمقابلته . فكان وقع خطاباتهم على نفس ابن سعود أشد من وقع خطاب ممثلى الدول ، فقد أراد أولئك تعجيزه بتحميله مسئولية ما يصيب رعاياهم المتعاملين فى وسط المدينة . فعالج أمرهم بموضوع الحصار الذى ضربه على البلاد .

أما هؤلاء فإنما جاءوا مدفوعين بدافع العاطفة فقط ليشفعوا فى أمر يعتقد أن فيه ضرا على بلاده وعلى البلاد المقدسة نفسها ؛ ولذلك رأى من الأصلح أن يصدهم عن هذا الغرض. فكتب إلى المستر فلبى يقول : (إذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا فى بعض الشؤون الخاصة بنا فعلى الرحب والسعة ، وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم ، أما إذا كنتم تنوون التدخل فى مسائل الحجاز فلا أرى فى البحث فائدة . وإنه ليس من مصلحتى الخاصة ولا من مصلحتك ياصديقنا أن تكون أنت وسيطا فى هذه المسألة الإسلامية المحضة) .

وكتب إلى الأستاذ الريحانى يقول : (ذكرتم أنكم من قبل جمعية فى سوريا وأنكم تحملون كتابا منهم إلينا . وإنى أرحب فى كل حال بصديقنا العزيز أمين الريحانى . ولكن أحب أن ألفت نظركم إلى أمر هام . وهو إذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا أرى فيه فائدة ، لأن مشكلة الحجاز يجب أن يحلها المسلمون ،

وترك الأمر لهوى أنفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الإسلامية ولا العربية ، وفى كل حال أحب توضيح الأمر وجلاءه قبل المقابلة .

وكتب إلى السيد طالب النقيب أيضا يقول : (لقد ذكرتم أنكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم ، ولكن يجب أن نعرف هل المقابلة شخصية ودية أم هى للوساطة فى مسألة الحجاز ، فإذا كان الغرض التوسط فى هذه المسألة فإنى لا أرى فائدة من ذلك ، وإذا كان الشريف على يود حقن الدماء فعليه أن يتخلى عن جدة ، أما إذا قبله العالم الإسلامى وانتخبه حاكما فمحله غير مجهول) .

وبوصول هذه الخطابات إلى أصحابها لم يجد المستر فلبى والسيد طالب النقيب أمامهما إلا الرحيل ، وظل الأستاذ الريحانى فى جدة ، وكتب إلى ابن سعود يرجوه الإذن لصديقه حسين العوينى التاجر السورى فى جدة بالحضور ليحمل له ما لديه فأذن ابن سعود له فأرسله وزوده بخطاب من وجهاء المسلمين فى بيروت ، ومذكرة خاصة منه ضمنها بعض آرائه فى الحالة الحاضرة ، وختم بقوله : فإن كنت مصيبا فمولاى وصديقى عبد العزيز لا يتبع غير الصواب ، وإن كنت مخطئا فحبى وإخلاصى يشفعان بى فيما قد نقصا فى عملى ، أما إذا كان فيما قدمته مزيج من الخطأ والصواب فأنا أول من يرغب فى التمحيص ، وإنى أقبل الحقيقة من السوقة ، فكيف لا أقبلها من الملوك . أعلمونى ياطويل العمر إذا كنت مخطئا ، واسمحوا لى إذا كنت مصيبا .

ورجع حسين العوينى برسول الريحانى من مكة يحمل إليه خطابا لينا من ابن سعود ووجد فى نفس الملك على شيئا من الغرور بما لديه من قوى ، فصرح إلى الريحانى بأنه قد تم استعداده للحرب ، وأنه فى إمكانه بالطائرات التى لديه أن يدمر الوهابيين من الجو ، وأنه يعتقد أنه بهذا السلاح الذى لديه والذى لا يوجد مثله عند ابن سعود يستطيع أن يتغلب عليه . وطلب إليه أن يكتب لابن سعود لينذره بذلك ، فلم يؤمن الريحانى بنظرية الملك على . ولكنه أيقن أن الملك عليا يحاول أن يقوم بحركة مذبوح ، وأن استعماله لهذا السلاح مما يزعج بلا شك سكان البلد الأمين فكيف السبيل إلى الحيلولة دون ذلك؟ ثم هو كيف يستطيع أن يقنع الملك عليا بضعفه وخطئه فى نظريته ، أم كيف يمكنه أن يرد طلبه بالكتابة لابن سعود بما يمليه هو عليه ، وقد جاء من بلاده خصيصا متوسطا لدى ابن سعود فى حل مشكلته . فإذا عجز عنها فلا أقل من أن يجامله بتبليغ رسالته إلى ابن سعود . ولذلك كتب له خطابا رقيقا بتاريخ ٧ جمادى الثانية سنة [illegible] :

(إن الحكومة والجند وأصحابي في قلق وارتياب مما شاع هذا المساء بخصوص تقدمكم إلى جدة ، وهم يأبون التربص والامتناع عن الحركات العسكرية الحربية ، ولكنني تمكنت من توقيفهم يومين آخرين ، أي إلى مساء الأحد ، فأرجوكم إذن أن تخابروني حالما يصلكم كتابي هذا ليصلني الجواب مساء الأحد ، وإذا كان النجاب لا يرجع في اليوم الثاني فأرسلوا الجواب مع نجاب آخر من عندكم ، في كل حال أنتظر جوابكم مساء الأحد في ٩ الجاري ، فلا تخيبوا أملي) .

فأجابه ابن سعود بكتابه الآتي :

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى أمين الريحاني .

كتابك وصل وما عرضت كان معلوماً من خصوص كتابك السابق ، وهذا مضمونه تراه طي الكتاب ، وأما كونه وصل إليكم أو لم يصل فلا بد أنك تتحقق عن ذلك من أصدقائك الموجودين عندك : وأما ما ذكرت في الملحق عن تحمس الجنود لما بلغهم منزلنا حداء ، وإغارة بعض الرايات عليهم ، وأنك طلبت منهم أن يتأخروا فلا نقول إلا كما قال سبحانه (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ونقول أيضا : (يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين) . وأما رجاؤك أنهم يتأخرون فكما قال الشاعر :

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

إن كنت تعرف الحقيقة كما نظن أنك تعرفها عن القوم وعنا وتتجاهلها فتلك مصيبة ، وإن كنت لا تعرف الحال وأن القوم يتهكمون عليك فالمصيبة أعظم .

ولكن رجاؤك لتوقيفهم عن الزحف علينا فلا نرى لجنابك فيه فضلا . وإنما نرجوك أن ترخص لهم ، كما نرجوك أن تبلغ الأمير أنه بلغني أنه يستحرمنا حرمة الحرم ، وأننا إذا لم نخرج منه يقاتلنا فيه وليس بذلك حرج . أما نحن فقد خرجنا فالرجاء فيه أن الكريم إذا قال وفى ، ونرجو من الله تعالى أن ينصر جند الرحمن على جند الشيطان (والسلام على من اتبع الهدى) .

فما وسع الريحاني عند ذلك إلا أن يقرر الرحيل ، ثم بارح البلاد عائدا إلى مصر في ٩ رجب سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٢٥ م .

مفاوضات رسمية

لقد فشل الوسطاء فى أمر الصلح، وأيقنت حكومة الملك علىّ فى سرها بأنه لاقدرة لها على التقدم لاسترجاع مكة ، ولا سبيل إلى التفاهم مع ابن سعود ، ولكنها مع ذلك كانت تظهر منتهى الجلد والثبات وتؤمل فيما سيتمخض به الغد ، خصوصا إذا أقبل موسم الحج، وشعر المسلمون بحاجتهم إلى التدخل فى الأمر؛ لتسهيل سبل الحج؛ فصممت على الاستمرار فى دفاعها ؛ لإطالة أمد الحرب إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا

فلا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة ، وعلى هذا الأمل ظلت ثابتة فى موقفها رغم ماتعانيه من ضيق مال، حتى إذا ما انتصف سهر رمضان وأشرفت الأشهر الحرم أن تهل إذا ببوادر الأمل تلوح أمامها حيث رغب منها قناصل بعض الدول من المسلمين كأحمد بك لارى قنصل إيران وأودين قنصل هولندا . وعبد الكريم حكيموف قنصل روسيا السماح لهم بالسفر إلى مكة بقصد الاعتمار ، وأنهم ربما استطاعوا بصفتهم الشخصية تمهيد السبل لدى ابن سعود ، لفتح باب المفاوضة الرسمية للصلح بين الفريقين ؛ فسرت الحكومة لذلك فبحثوا إلى السلطان ابن سعود يستأذنونه فى الحضور إلى مكة بقصد الاعتمار ، فرحب بهم ، وسافروا لهذه الغاية إلى مكة محرمين بالعمرة ، وعند مقابلتهم لعظمة السلطان رغبوا إليه بصفتهم الشخصية أن يتفضل فيأذن بالمثول بين يديه للشيخ فؤاد الخطيب وزير خارجية الملك علىّ لعل فى ذلك ما يوصل إلى حل يرضى الجميع. فلم يجد السلطان مانعا من ذلك ، ورحب به . وعاد القناصل إلى جدة وأخبروا حكومتها بذلك ففتح لها باب الأمل فى الصلح من جديد ، وكتب الشيخ فؤاد إلى عظمة السلطان ما يأتى :

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، أيده الله .

أرفع إلى مقامكم الأنيل أجزل الاحترام والتبجيل .

أما بعد : فقد أنبأنى بعض الأصحاب بما حقق الأمل المعقود بمقابلة عظمتكم السلطانية مساء الثلاثاء الواقع فى ٢٧ رمضان المبارك أو فى يوم آخر تسمح به

عظمتكم . وإنى لأرجو أن تأمروا من ينتظرنى من رجالكم الكرام أثناء الطريق والفضل بالجواب السامى . وأدام الله عظمتكم بالخير بمنه تعالى وكرمه .

الإمضاء . المخلص (فؤاد الخطيب)

جدة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان ١٣٤٣ هـ .

فأجابه ابن سعود قائلا فى خطابه الذى بعثه إلى الشيخ فؤاد فى ٢٧/٩/١٣٤٣ هـ .

أهدى لحضرتكم أزكى التحيات . وأخبركم بوصول كتابكم الكريم المؤرخ ٢٦ رمضان الذى ترغبون فيه أن نضرب لملاقاتكم موعدا بعد أن حقق أملكم بعض الأصحاب بالمقابلة .

فأجيب سعادتكم : لما سافر من عندنا هؤلاء الأصحاب عقدت مجلسا من المسلمين وشاورتهم فى الأمر فإذا هم يرجوننى التريث فى الأمر والتبصر فيه والنظر إليه من جميع جهاته فى الحال وفى المستقبل ، وقد أدلوا بحججهم وإذا هى صحيحة وجديرة بالاهتمام ، فلا يسعنا أن نكلفكم أو ندعوكم قبل أن نحيطكم علما بهذه الشروط كى تجاوبونا عليها بصراحة ، ليحصل لنا اطمئنان وثقة ، وهى :

الأول : هل سعادتكم على استعداد للموافقة على ماتمليه عليكم من الشروط الضرورية ، ثقلت وطأته أو خفت ؟

الثانى : ماجنس التعهدات والضمانات التى فى استطاعتكم تقديمها لنا والتى فى وسعها أن تكفل تطبيق هـــذه الشروط وتمضى بمفعولها فى المستقبل وتجعلنا نثق بها ونطمئن بحرمتها؟ .

أكون مسرورا إذا تفضلتم وأجبتمونا فى بادئ الأمر بما تقدرون عليه من الصراحة والوضوح على هاتين المسألتين اللتين هما فى نظرنا المحور الأساسى الذى يدور عليه الأمر . ولسعادتكم خالص التحية وجزيل الإكرام .

فبادر الشيخ فؤاد إلى الجواب فى ٢٨ / ٩ / ١٣٤٣ هـ ذاكرا للسلطان أنه يريد مقابلته للتعرف به ثم لتمهيد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة لتكون محورا لما يحسن به التفاهم ويصون كرامة العرب .

فأجابه ابن سعود فى الثامن والعشرين من شهر رمضان بخطاب يقول له فيه : إنه قد أذن له فى القدوم إليه لظهور رغبته الأكيدة فى المقابلة وظهور مقاصده الأخيرة . ويسأله عن المحل الذى يحب أن يستقبله فيه رجاله السعوديون .

فبعث إليه فى ٢٩ / ٩ / ١٣٤٣ هـ يقول له : إنه سيخرج من النزلة اليمانية بعد ظهر اليوم فى الساعة السابعة تماما . ويرجو أن يقابله رجاله عند (قهوة القائم) وسيكون على دابة ، ومعه خادمان مستظلان بمظلة تكون معه كعلامة فارقة .

وانتظره رجال ابن سعود وصحبوه إلى مقره، واجتمع به بضع مرات دار بينهما ما تلخصه :

الخطيب : قدمت إليكم للتعرف بكم ، ولإصلاح ذات البين .

ابن سعود : أما تعرّفك بشخصى فالحمد لله، وإنى أحب كل عربى مخلص لدينه ووطنه . وأما إصلاح ذات البين فإنى أحب ذلك ولكن أين الطريق الذى يوصلنا إليه ؟ إننا لم نجدها لفقدان الأمان فى العاجل والآجل . ومن تكون صداقتنا معه بعد الإصلاح ؟

الخطيب : بينكم وبين علىّ .

ابن سعود : أما يزال الحسين فى العقبة يرتقب الفرصة للرجوع إلى ما كان عليه ؟

الخطيب : ما أظن ذلك ، وما ترك الحسين فى العقبة إلا ليعاون الحكومة ببعض المعاونات .

ابن سعود : كلا ، إن الحسين لم يقم فى العقبة لهذا ، وإنما ارتقابا للفرص ، أما المعاونات فليس منها شىء ، إذ لو كانت هناك مساعدات منه لما ظلم العباد وسلبت أموالهم . وهذا ما فعل بأهل جدة .

الخطيب : الحكومة أدرى بأمور رعاياها .

ابن سعود : نعم أنت صادق ، ولكن الناس ينظرون إلى ماتفعله الحكومة برعاياها، فإن ساء معاملتها للأبعد أسوء ، ثم أليس علىّ ولدا للحسين وأخا لعبد الله وفيصل؟

الخطيب : نعم ، إنه ولد الرجل وأخو الرجلين . ولكنه غيرهم ، وإن له لنية طيبة .

ابن سعود : لم أقل فى الرجل شيئا وأبرأ إلى الله من أن أتكلم فيه بما لا أعلمه ، ولكن يكفى فيه أنه ولد الرجل وأخو الرجلين ، ولست آمنا منه ، كما أنه ليس هناك من يضمن لى بعض ما أشترط .

الخطيب : الضامن هو أنت ، لأنك أنت الغالب، والعادة أن الغالب هو الضامن .

ابن سعود : لا أعلم ضامنا له ساطة يكفل ما أطلب وأثق به . فالدول كلها على الحياد

ولا نقبل تدخلها فى الأماكن المقدسة ، وأمر العالم الإسلامى كما ترى .

الخطيب : إن ضمنت فأنت خير ضامن ، ونحن تحت سيطرتك ، وإن ابتغيت ضامنا غير ذلك فنحن نفكر فيه .

ابن سعود : إنى أقول لك بصراحة . إن المسلمين من قومنا اجتمعوا وتفكروا فى أمر دينهم ودنياهم فلم يجدوا للصلح مع الحسين وأولاده ما يرضيهم ، فأرجوك تركه ونسيانه ، فإن كان هناك أمر غير ذلك فأنا مستعد .

الخطيب : ما هو ذلك الأمر ؟

ابن سعود إذا كان علىّ يريد شيئا من أمور الدنيا ، فأنا أتعهد له به فى العاجل أو الآجل ، ولكننى أريد أن أسألك سؤالا عن الأمر الذى دعاك إلى رجوعك إلى جدة بعد ذهابك منها ؟ وما الذى دعا بعض السوريين والفلسطينيين إلى أن يأتوا إلى جدة لقتالنا ؟ أقتالهم لنا قتال دينى أو حمية وطنية ؟ أم الحسين وأولاده قاموا بأمر منتظم يرون أننا أتينا لتخريبه ؟

الخطيب : لا أعلم شيئا من ذلك إلا أنهم يدّعون أن الحجاز مستقل ويرجون له دوام ذلك الاستقلال .

ابن سعود : أيجوز للناس الدخول فى أمر لم يعلموا حقيقته ؟ أيجوز لهم محاربة أحد قبل السعى فى إصلاح ذات البين .

الخطيب : لا ، لا يجوز .

ابن سعود : ألم تعلموا حربنا مع الحسين قبل هذا الوقت بتسع سنوات ، فمن الذى سعى بالإصلاح ، ومن الذى اجتهد ليعلم المخطئ من المصيب فى دين أو دنيا ؟

الخطيب : إن بعض الأشخاص طلبوا ذلك من الحسين فوعدهم ، ولكنه لم يعمل شيئا .

ابن سعود : هل اطلعتم أو اطلع أحد على المعاهدة التى بين الحسين والحكومة الإنكليزية ؟

الخطيب : (وهو وزير الخارجية) لا .

ابن سعود : ألم تكن وزيرا للخارجية ؟ وهل يخفى عليك شىء من ذلك ؟ ومن الذى يجيبنا بعدك عن هذا ؟

الخطيب : إننى وزير خارجية للإمضاء لا للفعل .

ابن سعود : . . . ؟

الخطيب : وأغلب الأخبار لم أطلع عليها إلا بالسماع من الناس ، ولقد أقمت سنوات فى المدة الأخيرة أشتغل بالأدب ، وهذه وظيفتى .

ابن سعود : نعم لدىّ شاهد على ما تقول ، فلقد وجدنا فى أوراق الديوان الهاشمى كتابا من بعض القناصل للحسين يقول له فيه : وصلنا كتاب باسم وزارة الخارجية بمضى باسم (فؤاد الخطيب) ولكن الإمضاء ليس إمضاء الشيخ فؤاد المعروف . فما هى حقيقة الأمر ؟

الخطيب : نعم لقد وقع مثل هذا .

ابن سعود : فإذا كانت الحجج هذه ، والدولة المنظمة هذه شؤونها ، فلا شك أن هذا يدل على أن الأمور كلها قائمة على الباطل والتمويه ، فكيف ياشيخ فؤاد تؤيد مثل هذه الحكومة ؟

الخطيب : لم أقل شيئا فى الحكومة البائدة ، ولكنى أحدثكم من جهة الشريف علىّ .

ابن سعود : أما من جهة علىّ فقد أجبتك عنه بما يكفى عن الإعادة .

ولقد عاد الشيخ فؤاد إلى جدة ، وهو مؤمن بعظمة ابن سعود وسمو خلقه وصلابة رأيه . وأنه ليس ممن تنطلى عليه الترهات أو تخدعه المظاهر وشقاشق الأقوال . وكاشف بعض من وجد من رجال الحزب الوطنى فى جدة بأنه لاسبيل إلى بقاء الحكومة الحجازية إلا إذا أمكن التخلص من الملك على وقطع صلتها بالأشراف نهائيا ، فنصحوا له بأن لا يتكلم بهذا حتى لايظن أن ابن سعود قد استماله إليه، ويعدّ هذا خيانة عظمى لقلب نظام الحكم فيعرض نفسه للخطر . فما وسعه إلا أن يسكت على مضض . ويسير مع الحكومة القائمة إلى النهاية .

تحرج موقف الحكومة الحجازية

لقد قامت الحكومة الحجازية على الوهم ، فلم يترك الحسين لها من القوة ما تستطيع أن تدافع به عن نفسها ، إذ أن كل ما غنمه من سلاح الأتراك أضاعه الأمير عبد الله فى موقعة تربة الأولى ، ولم يحاول الحسين أن يستعد للحرب اعتماداً على أن بريطانيا ستدفع عنه غائلته . ولذلك فإن الحكومة الحجازية عند ماتأسست لم تكن تؤمن بإمكان تغلبها على عدوها فى ساحة القتال ، وإنما كانت تعتقد أنها إذا استطاعت

الثبات وإطالة أمد الحرب لابد أن تحصل على صلح مع ابن سعود يضمن لها البقاء والنهوض بأعباء الحكم وإدارة البلاد ، ولكنها ظلت تقوم ببعض المناورات الحربية حول أسوار جدة ؛ لتثبت وجودها وقدرتها على الدفاع عن نفسها .

ولقد أطمعها فى نجاح خطتها توقف جيش السلطان ابن سعود عن مهاجمتها كل تلك المدة ، غير أن اليأس من قدرتها على المضى فى خطتها أخذ يساورها بمضى الزمن، لأنه لم يكن لها من مورد مالى تعتمد عليه غير خزائن الحسين التى كان يمدها منها بالشىء اليسير من المال من وقت لآخر بكل اقتصاد ، والذى لم يكن يكفى لرواتب الجند وإعاشتهم .

وكان الأمير عبد الله أمير شرق الأردن خلال هذه الفترة يكتب لأخيه الملك على بأن السر فى عدم رضاء ابن سعود عن حكومة الحجاز ، وامتناع الإنجليز عن مساعدتها ووقوفها موقف الحياد من هذه الحرب القائمة هو أنها لم تصدق بعد بصحة ذلك الانقلاب بسبب وجود الحسين فى العقبة وإمداده للحكومة الحجازية بالمال والرجال ، وأنه لاسبيل إلى فوزها إلا بإخراجه منها حتى أدخل فى روعه ذلك وحمله على أن يتوسل إليه أن يقوم هو بهذه المهمة ، ففعل وقام بدور الناصح لوالده بأن المصلحة تقضى بمغادرته للعقبة ، ليتدخل الإنجليز فى حل المشكلة وصيانة استقلال الحجاز ، ولكن الحسين أصر على عدم مبارحة البلاد إلا أن يخرج منها بالقوة ، فلم يجد الأمير عبد الله بدّا إلا أن يشير إلى بريطانيا بضرورة إخراج والده من العقبة باعتبارها من البلاد التابعة له والمشمولة بالانتداب البريطانى ، ووجود والده فيها قد يضر بمصالحها ويعرضها لغزو ابن سعود لها ، فما وسع بريطانيا إلا أن تبعث إليه باخرة حربيـة إلى العقبة فى يوم الخميس ٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ (٢٨ مايو سنة ١٩٢٥ م) تحمل إليه البلاغ الآتى :

إلى جلالة الملك الحسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى .

(تبلغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة ، وذلك لأن حكومة جلالتكم بها ، ولأن حكومة الحجاز جعلت معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن سعود ، فهى تدعوكم إلى مغادرة العقبة ، لكى لا تكونوا سببا لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد ، وتصر بإلحاح على وجوب مغادرتكم العقبة إذ لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع) .

وكان هذا الإنذار شديد الوقع على نفس الحسين فثار ثورة المهزوم الذى لا مفر له ، فما معنى هذه الملاحقة أينما ذهب ؟ . ابن سعود . . . ابن سعود . . . يؤلب كل ما فى الدنيا على الحسين ، إنه يلاحقه حتى إنه يعكر عليه صفو وحدته فى معتزله ، فيالعثار الحظ وخيبة الأمل، حتى بريطانيا الحليفة تحسب لابن سعود حسابا ومن أجله تطلب إليه أن يغادر أرضا حجازية .

فأجاب الحسين جوابا شديد اللهجة . هذا ملخصه :

(إننى منذ ابتداء النهضة العربية حتى هذه الساعة وأنا مخلص فى ولائى لحكومة جلالة ملك بريطانيا ثابت على مبدئى اعتمادا على شرفها وعهودها ومواثيقها التى قطعتها على نفسها ، بشأن محافظتها على حقوق العرب ، وتأمين الوحدة العربية ، والتصديق على استقلال العرب ومنحها الحرية للشعب العربى الذى اشترك مع حليفته جنبا إلى جنب وسفك دماء زهرة الشبيبة من أبنائه ، وفادى بالنفس والنفيس فى سبيل الحصول على تلك الحرية الشريفة .

وإنى وأقوامى العرب حريصون أشد الحرص على تنفيذ أحكام تلك العهود والمواثيق التى كانت أساس النهضة العربية دون أن تخل بما يوجب مسئوليتنا أمام محكمة الضمير النزيه . وإنى فاديت بكل شىء وتخليت عن الملك وغادرت وطنى حبا فى السلم وحقن الدماء وأتيت العقبة لأبرهن للعالم أجمع بأن لا مطمح لى سوى سعادة أقوامى وتحرير بلادى بعد أن قمت بواجباتى . ولم آل جهدا فى سبيل المحافظة على حقوق العرب ، والسعى وراء الوحدة العربية . والتمسك بنص المعاهدة وانتظار تنفيذها : ولم ينقطع الأمل من الحكومة البريطانية بشأن إنجاز وعدها والوفاء بعهدها استنادا على شرف تقاليدها ، وها أنا اليوم كما ترانى مقيم فى إحدى قرى الحجاز معتزلا عن العالم ومبتعدا عن كل ما من شأنه أن يوجب الشغب وسوء التفاهم .

ولما كان هذا الاعتزال والابتعاد لم يخلصنى من أمثال تلك الشوائب ، فلا شك فى أننى أينما ذهبت لا يخلو الأمر من حدوث شىء مما فى التبليغات الأخيرة ، وربما كانت أشد هولا من موقفى الحالى ، إذ لا أضمن هياج الشعب العربى وقتئذ وحدوث مالا تحمد عقباه نحو الحليفة وغيرها . ولهذا فإننى لا أرى مندوحة من بقائى فى مكانى، وإن شاءت حكومة جلالة الملك فلتبعث بى إلى عالم المريخ فإنى مستعد لإنفاذ رأيها فى هذه البعثة فى أول دقيقة التبليغ ، أو أنها إذا نسيت ورأت عظمتها لأن تبعث

إحدى وسائطها الحربية لتهلكني وعائلتي وخلاص الجميع من هذه الغوائل ، ولن أزال أساعد الحكومة الحجازية بمالي الخاص الذي ادخرته لمستقبلي المجهول، لأن من لاخير فيه لوطنه لايرجى منه الخير لحلفائه وأصدقائه ، ولي الشرف أيضا بكوني ثبت على مبدئي وأخلصت في عملي وقمت بواجباتي ، فما على من غيري فيما إذا لم يف بوعده ولم يقم بإنجاز عهده ونفذ مطامعه بقوة مدرعاته وبرؤوس حرابه ، فهناك يكون الحكم لمن غلب .

إن القوى الموجودة في معان هي لأجل المحافظة على الخط الحجازي والمدافعة عن المدينة مع ملحقاتها تجاه كل طارئ أو معتد ، كما وإن ابن السعود قد هاجم شرقي الأردن غير مرة في أواخر العام المنصرم دون أن يكون لحكومة الحجاز أو لحامية معان أقل دخل فيها ، فلماذا لم تعرفه حده لتوقفه عنده ؟.

ثم صرح جلالته بأنه لم يعترف بالانتداب على البلاد العربية من أساسه ، وأنه ما زال يحتج على الحكومة البريطانية التي جعلت فلسطين وطنا قوميا لليهود وشمالي سوريا تحت الانتداب ومأوى للأرمن ، وإنه ليعجب من تغافل الحكومة البريطانية عما حل بالحجاز بل بالطائف من السحق والمحق في الأموال والأنفس ، والدمار الذي لا يمكن تلافيه إلا بعد عشرات السنين . ثم اهتمامها بمحافظة معان والعقبة الأمر الذي لايبقي محل لإطالة البحث فيه ، لأن ذلك كاف لأقل تأمل .

ثم ختم جوابه بقوله : فإني أكرر جوابي النهائي من أساسه ، ولا يمكنني مغادرة العقبة إلا بعد إبلاغي لغوه ، وبعدئذ أذهب الى حيث تريد حكومة جلالة الملك بشرط أن يكون محل إقامتي ضمن البلاد العربية ، وأن لا أكون مسئولا عما عساه قد يحدث من شغب ، أو هياج شعب تطمح نفسه لرفع نير الاستعمار وتجديد النهضة فيما إذا مست الحاجة . وإلا فإني لا أبرح مهما كانت النتيجة ولو أدى الأمر لهلاكي ومحو عائلتي من الوجود . وإني لا أقصد بهذه المناداة معاداة بريطانيا أو سواها ، وإنما هي في سبيل انقاذ وطني وبني قومي، وكل ماتفعله الحكومة البريطانية لمما يزيدني شرفا وفخرا بين شعبي وأقوامي حيث يسجل التاريخ لكل منا عمله ، وفي هذا بلاغ) .

إخراج الحسين من العقبة

وفى يوم الثلاثاء ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ (١٦ يونيو سنة ١٩٢٥ م) أبلغه قائد المدرعة البريطانية أن يستعد للسفر إلى الجهة التى اختيرت له فى يوم غد ، وقال له مشافهة : إنه إذا أبى وقاوم فسيتخذ تدابير أخرى ، فطلب الحسين أن يقيم فى حيفا أو يافا ، فأبرق القائد إلى لندن فجاءه الجواب بالرفض وأبلغ أن عليه أن يسافر إلى قبرص .

فقال الحسين : إنه مستعد للسفر إلى (المريخ) إذا أرادت بريطانيا ، وما دامت تريد إرساله إلى قبرص فهو لا يعارض، لأن المسألة مسألة قوة، وإنما طلب إمهاله يومين يعد فيهما عدة السفر فلم يمكنه القائد البريطانى وأجبره على السفر يوم الخميس فطلب أن يركب باخرته (الرقتين) لتنقله إلى الحجاز فأبى وقال إنه لا عدول عن السفر بالبارجة دلهى المخصصة لركوبه . وعندئذ لم يجد مناصا من الرضوخ لإرادة الانكليز التى تمت بتدبير ابنه الأمير عبد الله .

وفى صبيحة يوم الأربعاء ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ نزل الحسين بن على من منزله الذى كان يقيم فيه فى العقبة ومعه حرمه التركية وبنتاه منها وكاتب بسيط كان قد ثبت على خدمته وطاهية وخدمه ، ورافقه اللواء جميل باشا الراوى ، وعند صعوده إلى الباخرة استقبل فيها بكل ترحاب وخصص له جناح خاص له ولعائلته ، وسارت بهم الباخرة إلى قبرص .

وعند ما رست الباخرة فى ميناء السويس صعد إليها السيد عبد الملك الخطيب معتمده فى مصر ومعه أخوه كاتب هذا التاريخ ، وحبيب لطف الله الذى أنعم عليه الحسين من قبل بلقب الإمارة واعتبره أميرا هاشميا ، وإسكندر بك طراد وكيل إدارة أطيانه فى مصر ، فقابلهم رجال الباخرة وحاشية الملك بكل احترام ، وأبلغوهم أن جلالة الملك قد آوى إلى فراشه الآن ، وسيستقبلهم فى صباح الغد فناموا .

وفى الصباح أقلعت الباخرة وهى تسير الهوينا وتعبر قنال السويس .

واستيقظ الحسين من نومه وصلى الفجر ثم دعا ضيوفه لمقابلته فكانت أول كلمة فاه بها قوله :

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها

ثم وجه خطابه إلى معتمده بمصر فقال له : هكذا شاء أصحابك (يعني الإنجليز) يا عبد الملك وأنا أعترف أن ذنبي معهم إنما هو عدم تساهلي معهم فى أمر المعاهدة التى جاء بها ناجي الأصيل وعدم إقرارى بوعد بلفور ، ولأن أضحى بالتاج خير لى من أن يسجل التاريخ تفريطى فى شيء من حقوق العرب أو اعترافى بالوطن القومى لليهود فى فلسطين . ولكن لايظن أصحابك أن مارفضته أنا سيقبله عربى واحد فى الوجود ، ولن يتم لهم مايريدون ، وما أنا إلا ضحية بريئة ، ولقد كنت مخلصا لهم عند مانصحتهم بالوفاء بتعهداتهم للعرب وتنفيذ مقررات النهضة ، ولكن لايحبون الناصحين ، يقولون إن وجودى فى العقبة هو السبب فى عدم التفاهم مع ابن سعود والإنجليز ، وها أنا ذاهب وسأرى ما يكون .

وهنا أراد السيد عبد الملك الخطيب أن يعجم عود مولاه ، فقال له : حقا يامولاى ماتقول ، ولكنى أعلم أن الإنجليز كانوا يقولون لنا : إن مثلنا معكم كمثل دائن ومدين ، يقول المدين للدائن ، خذ هذا القدر الذى أستطيع دفعه لك الآن ، وانتظر حتى أعطيك الباقى على التراخى ، فهلا ترون جلالتكم أننا لو رضينا بذلك واتبعنا سياسة إيجابية ، أما كان خيرا لنا من اتباع تلك السياسة السلبية التى سلكناها ؟ فأجابه الحسين ، لا لا يابنى إن التساهل فى الحقوق سبب لضياعها ، أما زوال الملك ، فإنه لايؤثر فى الحق شيئا ، وإنى لم أتعاقد مع بريطانيا باسمى ، بل باسم العرب أجمعين، فماذا أقول لهم إذا أنا فرطت فى حقوقهم ، تثبيتا لعرشى ، واحتفاظا بملكى .

قبل سبعة عشر عاما مررت بهذا القنال فى طريقى إلى الحجاز ، لأتولى الإمارة فيه ، وإذا كنت قد تركته اليوم واعتزلت الحكم ، فإن للبيت ربا يحميه ، وفى العرب ـ ولله الحمد ـ من يستطيع أن يجاهد فى سبيل تشييد ما أسست ، وإكمال مابه بدأت . على أنى أعرف نفسى أنى ما أخطأت فى سياستى ، إلا لأنى وثقت بوعود بريطانيا ، وحسبت من أخلاق الأورباويين مراعاة الشهامة ، وتقدير قيمة الإخلاص. ومع كل فإن ذلك لم يكن منى إلا عن حسن نية .

وهنا قال له معتمده السيد عبد الملك الخطيب : لقد كانت الخلافة يامولاى شؤما علينا ، لأنها أثارت الرأى العام الإسلامى ضدنا ، فلم تجد بريطانيا من مصلحتها تأييدنا بعد أن اتهمت بأنها هى التى تريد ذلك ، فأجابه الحسين : ألا تعلم أننى لم أطلب الخلافة ، وإنما العرب فى شرق الأردن وسوريا هم الذين اختارونى لها ، وعبد الله

هو الذى ألح على بقبولها ، وقال : إنها مما تعزز مركزنا وتحمل بريطانيا على الوفاء بتعهداتها لنا والإذعان لمقررات النهضة ، فقبولى لها ما كان إلا لخدمة القضية العربية، وفى سبيل نجاحها .

ودعا الحسين ضيوفه للغداء معه على ظهر الباخرة ، ودعا معهم قائد البارجة الذى أعرب عن تقدير البريطانيين لموقف الملك الحسين من الحلفاء فى الحرب العامة، وأنه بتنازله بقبوله السفر إلى أى جهة تعينها له بريطانيا لدليل على عظم ثقته بها ، ولذلك فإنه سيكون موضع الإجلال والاحترام فى أى بلد يحل فيها ، كما أن فى نقله على هذه الباخرة التى سبق أن استقلها جلالة الملك جورج الخامس أثناء زيارته للهند لدليل على إكبار بريطانيا لجلالة الملك الحسين ، وفى المساء ودع المعتمد ورفاقه الحسين فى مشهد أليم ، حيث كانت الدموع تتقاطر من عيون الجميع ونزلوا من الباخرة وهم يرددون قول الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) .

وأبحرت البارجة تقل الحسين إلى قبرص ، وأقام فى البلد التى اختارتها له صديقته بريطانيا (نوقوسيا) وأرسل له ابنه الأمير عبد الله نجله الأكبر (طلال) موظفاً فى معية حاكم قبرص ليتسنى له بذلك القيام بخدمة جده الحسين عن قرب بحكم صلته بالإنجليز .

آخر سهم فى الكنانة

ما كاد الحسين يلقى عصا تسياره فى (نوقسيا) بقبرص حتى كتب الملك على إلى أخيه الأمير عبد الله يستنجزه وعده بالوساطة لتدخل الإنجليز فى حل الخلاف وإنهاء الحرب بعد أن أقصى الحسين عن تلك المنطقة نهائيا ولم يعد يخشى من عودته إلى الحكم ثانيا . فطلب الأمير عبد الله من أولياء أمره مساعدة أخيه الملك على والتوسط فى أمر الصلح ، فقبلت بريطانيا ذلك وكتبت إلى السلطان ابن سعود فى ١٢ صفر تعرض عليه ذلك . فرد عليها بأنه ما جاء إلا مفوضا من قبل العالم الإسلامى لتطهير الحجاز من الظلم والعدوان ، وإن العالم الإسلامى هو صاحب الحق فى أمر تقرير مصير الحجاز .

فلم تر بريطانيا من المصلحة أن تصطدم بميول العالم الإسلامى إرضاء لعاملها

بشرق الأردن وقنعت بهذا الرد ، لأنها تعلم أن الحالة فى الحجاز على يد الملك على سوف لا تكون أحسن من الحالة فى عهد والده التى أوجبت حنق مسلمى الهند ومصر وغيرهما من بلاد الإسلام .

وعند ماعلمت الدول الإسلامية بمـا أجاب به السلطان ابن سعود بريطانيا ، وأن الأمر قد أصبح من حق المسلمين هالهم أن تظل البلاد المقدسة فى حالة حرب وقلق والمسلمون لايبدون ما يقضى عليهم به الدين الإسلامى من واجب الإصلاح بين الإخوة ، خصوصا وقد أزيح من الوسط شبح الحسين الذى كان موضع سخط العالم الإسلامى ، فبادر صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر فأوفد وفدا من قبله مكونا من فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعية العليا وسعادة عبدالوهاب بك طلعت سكرتير جلالته إلى جدة يحملان منه كتبا إلى كل من الملك على والسلطان ابن سعود يعرضان عليهما فيها وساطته لتسوية الخلاف وتقريب وجهة النظر لعقد صلح يؤمن الغاية التى يريدها المسلمون ويضمن مصلحة الجميع ، فرحل الوفد إلى ميناء جدة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ ﻫ (٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م) واتصل بجلالة الملك على ساعة وصوله ، فرحب به وأبدى استعداده لقبول مايراه الوفد موافقا لمصلحة البلاد المقدسة . ثم سافر الوفد إلى ابن سعود فاستقبله بمـا يليق من الحفاوة والإجلال وعهد إلى أحد أخصائه الشيخ حافظ وهبة وهو مصرى الأصل ومن كبار علماء الأزهر الشريف أن يتفاهم مع الوفد على مافيه المصلحة العامة . فقام المذكور بمهمته وركز مع رجال الوفد الغاية التى جاءوا إليها ، وهى أن يحفظ للحجاز استقلاله ، وأن تقوم فيه حكومة تقر الأمن فى ربوعه بنشر العلم بين أبنائه ، وتعمل على رفع مستواه من جميع الجهات ، من غير نظر إلى شخصية الملك الذى يكون على رأس هذه الحكومة، فإنه لاغاية لجلالة الملك فؤاد ولاللشعب المصرى فى بقاء العائلة الهاشمية على رأس هذه الحكومة ، وإنمـا يهمهم كما يهم المسلمين أجمعين عدم سفك الدماء البريئة من العرب فى غير ماشرع الله .

وهنا أكد الشيخ حافظ وهبة للوفد وأقنعهم بمـا يأتى :

١) أن عظمة السلطان ابن سعود لم يقصد قط الاعتداء على استقلال الحجاز وحريته .

٢) أن عظمته يوافق على جعل الحجاز للحجازيين يختارون نوع الحكم الذى يرضيهم .

٣) أن عظمته يتعهد بتنفيذ كل مايجمع على طلبه المسلمون من الحقوق والمصالح التى تؤمن راحة الحجاج وسلامتهم فى البلاد المقدسة .

٤) أن عظمته سوف لايهاجم المدن ولا يعتدى على الآمنين .

وبمقابلة الوفد لعظمة السلطان أكد لهم ماقاله لهم الشيخ حافظ وهبة وزاد عليه قوله : إنى أحب مصر ومليكها العظيم حبا جما ، ولأجل التأكد من سلامة نيتى وإخلاصى لجلالة الملك فؤاد فإنى أفوضه فى عقد مؤتمر فى مصر إذا شاء يجتمع فيه وفود الأمم الإسلامية للنظر فى هذه الأمور ، وإنى على استعداد لتنفيذ قراراته .

فقنع الوفد بنزاهة ابن سعود ، وبعد نظره ، وشرف غايته ، وقفل راجعا إلى مصر ، وبارح جدة فى صباح الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ (٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ م) موفقا فى مهمته خير توفيق .

ولم تكد تمضى على سفر وفد مصر بضعة أيام حتى وصل إلى جدة وفد إنجليزى مؤلف من : السير جلبرت كلايتون ، والخواجة جورج انتونيوس المفتش الأول فى إدارة معارف فلسطين ، وتوفيق بك السويدى من العراق ، وكاتب إنجليزى هو (المستر هارفى) أحد الموظفين بحكومة فلسطين، فاستبشرت حكومة جدة بقدوم هذا الوفد ظنا منها أنه جاء بناء على وعود الأمير عبد الله المتكررة بضرورة حل المشكلة بعد مبارحة الحسين للعقبة . ولذلك أملت من ورائه خيرا ، وسهلت له أمر السفر إلى السلطان ابن سعود الذى بعث إليه الشيخ حافظ وهبة لاستقباله من النزلة اليمانية لجدة ومرافقته إلى حيث يتشرف بمقابلة عظمته فى بحرة . فسافر إليها فى يوم ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٩٢٥ م) ماعدا السيد توفيق السويدى الذى تخلف عنهم فى جدة ، ثم لحق بهم أخيراً وعند وصول الوفد إلى بحرة استقبله عظمة السلطان بما يليق به من الاحترام .

وكان أول كلمة قالها المندوب : إن بريطانيا لاتزال محافظة على حيادها التام فى المسألة الحجازية النجدية ، ولكنه يهمها أن تتفاهم معه على بعض امور تتعلق بالعراق وشرق الأردن المشمولتين بالانتداب البريطانى . فأعرب له السلطان عن استعداده للبحث فى هذه الأمور ، واستمر البحث بينهم خمسة وعشرين يوما ، حضر خلالها من جدة توفيق بك السويدى المنتدب عن حكومة العراق ، وأسفرت النتيجة عن وضع اتفاقيتين ، أطلق على الأولى اتفاقية بحرة ، ووقعت فى مخيم بحرة

بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٣٤٤ هـ الموافق (١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م) وأطلق على الثانية اتفاقية (حداء) ووقعت فى ١٥ / ٤ / ١٣٤٤ هـ الموافق (٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م) ولم تشر كلتا الاتفاقيتين إلى شيء عن الحجاز كما كانت تتوقع حكومة الملك على .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م) قفل الوفد المذكور راجعا إلى جدة حيث استقل الباخرة من حيث أتى .

وما أن علم بما ذكر جلالة الملك على فى جدة حتى خاب كل أمل كان يتوقعه عن طريق أخويه فيصل وعبد الله ملوك العراق وشرق الأردن ، خصوصا وقد حضر إلى جدة خلال هذه الفترة وفد من إيران مكون من غفار خان جلال السلطنة وحبيب الله خان عين الملك ومحمد رضا سكرتير الوفد ، قيل إنه قادم للوساطة فى أمر الصلح ، فعقدت حكومة الحجاز على مجيئه بعض الآمال فى التأثير على السلطان ابن سعود والوصول معه إلى حل مرضى ، ولكنه علم لها أخيرا أن الوفد المذكور أيضا عند ماحظى بمقابلة عظمة السلطان قال له : إن مهمته منحصرة فى تبين حقيقة الحالة فى الحجاز والتأكد من صحة ما أشيع عن ضرب القبة النبوية بالقنابل ، فرحب به عظمة السلطان ابن سعود ، وأرسله إلى مكة مع أحد رجاله الشيخ عبد الله الفضل لتسهيل مهمته فبلغها فى مساء يوم وصوله الأربعاء ١٣٤٤/٤/٣ هـ (١٩٢٥/١٠/٢١ م) واتصل الوفد بكثير من الإيرانيين المجاورين حول البيت الحرام ، وتبين الحقائق من أفراد الشعب ، واقتنع بما يشعر به الحجازيون من الفارق العظيم بين العهد السعودى والعهد الهاشمى ، وأنه لاصحة لما قيل من ضرب القبة النبوية بالقنابل ، فرجع مغتبطا عما رأى ، إلا أنه اتباعا للتعليمات التى معه سافر (عين الملك) قنصل إيران العام فى سوريا إلى المدينة المنورة بنفسه فى يوم الأربعاء ١٧ / ٤ / ١٣٤٤ هـ الموافق (٤ نوفمبر سنة ١٩٢٥) أى فى اليوم الثانى من عودة الوفد الإنجليزى إلى جدة

كما أنه علم أيضا أن ملك اليمن الإمام يحيى حميد الدين كان قد وجه خلال هذه الفترة أيضا خطابا إلى كل من جلالة الملك على وعظمة السلطان ابن سعود بتاريخ ١٣٤٤/٤/٣هـ يعرب لهما فيه عن رغبته فى إرسال وفد للسعى للإصلاح إذا سمحا به ، فرد عليه الملك بالقبول . وأجابه عظمة السلطان بأنه دعا المسلمين إلى مؤتمر ويرجوه إرسال مندوبه لحضوره والاشتراك فى أبحاثه .

وبذلك استحوذ اليأس على رجال الحكومة الحجازية . وقطع الملك على كل أمل له فى أخويه فيصل وعبد الله وفى الناس أجمعين .

احتضار الحكومة الحجازية

قلنا إن الحكومة الحجازية التى نشأت فى جدة لم تقم إلا على الوهم . ولم تكن تعتمد فى بأسها على قوة السلاح ، فليس لديها منه ما يمكنها من استعادة ما فقدته من أجزاء المملكة ، بل ليس لديها من المال ما يساعدها على البقاء ، وكل ما كانت تطمع فيه هو إطالة أمد الحرب بمعونة الحسين بن علىّ على أمل أن تحصل خلال ذلك على صلح سلمى يحفظ لها كيانها ويضمن لها حياتها ، وقد قطع عليها الأمير عبد الله بمساعدة الإنجليز ذلك المعين الذى كانت تقتات منه بإخراج الملك الحسين من العقبة وإقصائه فى قبرص .

كما ثبت لديها أنه لا خير يرجى من تلك الأشباح القائمة فى العراق وشرق الأردن ، ولا حقيقة لتلك الوعود الزائفة التى كانت تتلقاها من شرق الأردن ، بانجلاء حقيقة مباحثات الوفد الانجليزى العربى بتلك المعاهدات التى تمت فى بحرة وحدة ، وحلت بها المشاكل التى كانت معقدة بين نجد والعراق وشرق الأردن .

كما أنه ظهر لها أن سياسة ابن سعود اليوم غير سياسة أجداده من قبل التى كانت ترمى إلى التسامح مع الأشراف واحترام نفوذهم فى البلاد حيث إنه أصر على عدم التساهل ورفض جميع الوسطاء من مختلف الطبقات ؛ فلم يبق أمامها إلا أن تفكر فى طريقة التسليم وما يؤمن القائمين بها على أرواحهم وأموالهم، وآخذ رجالها يتشاورون مع جلالة الملك على فيما ينبغى عمله ، وقد اشتدت الضائقة المالية بهم حتى اضطر الملك علىّ لبيع سيفه وملبوساته لتأمين نفقة بيته .

وقد توالت عليه البرقيات من حامية المدينة بطلب الأرزاق اللازمة للجند وإلا اضطروا إلى التسليم ، فضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولم يجد ما يجيبهم به غير المطل والتسويف ، الأمر الذى اضطر قائد حامية المدينة المنورة عبد المجيد المدفعى ورئيس ديوان الإمارة عبد الله عمير وعزت أفندى مدير الخط الحجازى إلى مفاوضة الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود قائد الجيش المحاصر للمدينة ، وعرضوا عليه أن التسليم على شرط إعطاء الأمان لجميع الجنود والضباط والأهلين ، وإعلان عفو عام عما مضى عن جميع أهل المدينة ، فوافقهم سموه على ذلك .

وبمقتضى هذا دخل الأمير ناصر بن سعود والشيخ عبد الله الفضل مع الجنود وتسلموا قلعة سلع وما فيها من الذخائر والعتاد ، كما دخلوا إلى البلاد وتسلموا دور الحكومة والمراكز العسكرية ، وذلك فى صبيحة يوم السبت ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م بعد أن مضى على حصارها أكثر من عشرة أشهر.

وفى صبيحة اليوم الثانى الأحد احتفلت مدينة الرسول باستقبال أميرها الأمير محمد ابن السلطان عبد العزيز آل سعود الذى أم المسجد وصلى فى الروضة المباركة ، ثم استقبل القبر الشريف فسلم على صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، ثم غادر المسجد إلى دار الحكومة حيث استقبل المهنئين من أهل البلدة الطاهرة ووزع عليهم ألف كيس من الأرز وألفى كيس من الدقيق التى بعث بها أبوه لتوزيعها عليهم إسعافا لهم من المجاعة التى كانوا يعانون مرها ، ودعوا لعظمته بالنصر والتأييد .

إستغاثة الحسين بجمعية الأمم

عند مايئس الأمير عبدالله من عطف العالم الإسلامى على الهاشميين، وقطع الأمل من استعادة ملكهم عن طريق القوة شد رحاله إلى والده الحسين فى منفاه قبرص ، وأشار عليه بأن يستجدى هيئة الأمم معاونته على إخراج ابن سعود من الحجاز وإعادة ملكه بحراب الدول الأوربية، فصاغ منشورا قدمه إلى جمعية الأمم فى صورة احتجاج جمع بين الاستجداء والتهديد بلغته المعلومة، وعبر فيه أصدق تعبير عما يعتقده ويسره : من أنه ما كان إلا موظفا بريطانيا ، وأنه لم يكن يستعد لمقاومة ابن سعود اعتمادا عليها ، وأن كل ما أصابه ما كان إلا بوحى من قبلها ، وهذا بعض ما جاء فيه :

قال الحسين : ولذلك فإنى أحتج أشد الاحتجاج ، أولا : على هذا العمل الوحشى من قبل قائد عصابات الوهابيين، وثانيا: على الجمعية لعدم معاملتى بموجب قانونها الأساسى.

وإنى أطلب بإلحاح من الجمعية الموقرة طرد هؤلاء الوهابيين من بلادى بقوة الدول أعضاء جمعية الأمم، متفقة التى لى الشرف بأن أكون عضوا مؤسسا فيها، وإعادة ملك آبائى وأجدادى إلى ، وأرى من العبث أن أعين لرياستكم المواد القاضية لى من قانون الجمعية بهذا الحق الصريح .

أما أنا الموقع بذيله ملك الحجاز وعضو جمعية الأمم وحليف الدول الحلفاء

العظماء والمنتصرين فى الحرب الكبرى لم أعن بشأن هذه العصابات المتوحشة عناية الخائف من تعديها على ملكى ، لأننى كنت أدرى بأننا لسنا اليوم فى العصور الوسطى، ولأننى كنت على أكثر من اليقين بأنها لا تتجاسر أن تهاجم بلادا يقدسها ثلاثمائة مليون من المسلمين الموحدين ، ويصلون إلى قبلتها، ويحجون إلى كعبتها من كل صوب وحدب . وما كنت لأظن بأن واحدة من هذه الدول العظمى توعز إلى رجال هذه العصابات المتوحشة بواسطة بعض ساستها الأغبياء فيدخلون الأراضى المقدسة دخول اللصوص السفاكين الغاصبين .

أجل، إنى ما كنت لأتصور أن الحليفة الكبرى تأتى من وراء أكبر حليف لها فى الشرق وأعظم مساعد لها فى الحرب الكبرى ، وعلى الأخص عند فتحها القدس باعتراف قائد جيوشها الأكبر فتطعنه فى ظهره دون أن يكون لها ضمير يوبخها أو مروءة ووفاء يمنعها عن هذا العمل الفظيع الظالم. أما الحليفة الكبرى أو بالحرى الحكومة الإنكليزية . فإنها شعرت الآن بفظاعة عملها هذا وعلى الأخص عند ما رأت اشمئزاز الرأى العام الإنكليزى ، أو بالحرى اشمئزاز الشعب البريطانى النبيل من سياستها المتخبطة بل السقيمة الخرقاء ، ومن حرمان الإنكليز وأقدس البلاد الإسلامية من حليف شريف وملك عريق فى الحسب والنسب ومسالم لم يفكر قط فى الإضرار بالآخرين ، واستعاضتها عنه بقائد عصابات همجية شريرة هو وإياها ألد أعداء المسلمين وغير المسلمين ، وألد أعداء المدنية الإسلامية والغربية أيضا .

إنى أطلب من جمعية الأمم الموقرة إخلاء البلاد المقدسة والأقطار الحجازية من الوهابيين .

إننى أطلب إطلاق يدى فى العمل لإعادة ملكى وملك آبائى وأجدادى المغتصب ورفع حكم رجال الحكومة الإنكليزية الجائر وضغطهم على .

إن من مصالح الدول الحيوية طرد الوهابيين من الأراضى المقدسة ، وإن قيام جميع هذه الدول بهذا الواجب لا تلزمهم به فقط التعهدات التى تربط جميع أعضاء عصبة الأمم متضامنين ، بل هناك مصالح أعظم وأكبر تضطرهم أن يقوموا بهذا العمل الشريف . وهى مصالح الملايين من رعاياهم المسلمين الذين فرضت عليهم فريضة الحج لبيت الله الحرام ، وهو اليوم مغتصب ومحتل بفئة كافرة لاتعتقد اعتقادهم ولا تكرم أنبياءهم وتمتهن أولياءهم ، وقد سد طريق الحج فى وجوههم ؛ فالواجب

والمصلحة تقضيان على هذه الدول المتضامنة باخراج هذه الطائفة الضالة والقبائل الهمجية من الأراضى المقدسة وإعادتها إلى أصحابها من آل البيت النبوى الشريف .

نعم إننا رأينا الخلفاء العثمانيين فى أعلى مجدهم وسؤددهم يولون الأشراف حكاما على البلاد المقدسة ، فهل الأتراك هم أعدل منكم وباقرار الحق لأصحابه أحق وأجدر منكم وأنتم أعلام العدالة ومنفذو القوانين والنظامات ؟

إننى أكتب هذا الاحتجاج الشديد لرياسة جمعيتكم لكى تعلم الدول كافة ويعلم الشعب الإنكليزى النبيل خاصة بواسطتكم بأن أعمال رجال حكومته فى الحجاز غير العادلة وغير الحقة تحط من مقامها ومن مقامه السامى فى أعين عامة المسلمين الأصحاء.

نعم فليعلم الشعب الإنكليزى النبيل هذه الحقائق ، وليتحرك من جموده ، وليقف موقف المنقذ العادل الشريف ليضع حدا بين الظالم والمظلوم فيرفع الظلامة التى سببتها حكومته عن المظلوم . وعندئذ فقد يجوز أن نقول بأن الشعب الإنكليزى هو نبيل وعادل ، ويحب العدالة والحق .

وإنى فى الأخير أطلب من جمعيتكم المحترمة كعضو مؤسس فيها أن تتدخل الجمعية بكل قواها المستمدة من الدول المتحالفة العظمى فى مسألة الحجاز ووضعها فى جدول أعمالها وبحثها بحثا دقيقا وعادلا ، ومساعدتى مساعدة فعلية لاستعادة ملكى وملك آبائى وأجدادى وإرجاع الوهابيين إلى بلادهم ، فتكسب بذلك حب عامة المسلمين الأصحاء فى العالم وإعزازهم لها واحترامهم لأحكامها ، وتكون مطمئنة الضمير بأنها فعلت الواجب الذى من أجله تأسست جمعيتها وخلقت عصبتها ، وإنها فاعلة إن شاء الله .

تسليم الملك على

ما كاد يصل إلى مسامع الملك على خبر تسليم المدينة المنورة إلى القائد السعودى حتى تحطمت أعصابه ، وسئم الحياة ، لأنه كان يعتقد أن فى استطاعته إطالة أمد الحرب أشهر أوسنين لو أنه وجد من يمونه بالمال فقط ، لأن الطعام كان موجودا فى يد التجار بالمدينة وجدة، وكان فى إمكان الحكومة أن تنظم أمر التموين بحيث تستطيع الاستمرار على ما هى عليه أياما طوالا لولا أن الجند يطالب برواتبه ومعاشه ، وليس فى خزينته ما يفى من ذلك . وإذ ذاك حنق كثيرا على أخيه الأمير عبد الله الذى

أبعد أباه عن العقبة وحرمه من مدده ، وحنق عليه وعلى الملك فيصل لعدم اهتمامهما بأمره ، وتقصيرهما فى إمداده بالمال اللازم لبلدتين صغيرتين ، هما المدينة وجدة ، وكان فى إمكانهما أن يفترضا أنهما من البلاد التابعة لممالكهما ، والواجب يقضى عليهما بصرف رواتب حرسهما إن لم يكن من خزينة الدولة فليكن من مالهما الخاص ، ولو قترا على أنفسهما فى المصرف واستغنيا عن شىء من مظاهر الأبهة والعظمة ، وكان هذا هو المنتظر منهما بالنسبة إلى المملكة التى كانت سببا فى اعتلائهما على عرش العراق وشرق الأردن .

من أجل هـذا كانت خيبة الأمل فى أخوة هاتين الشخصيتين العظيمتين سبباً فى تنكب الحياة فى وجه جلالة الملك على ، وهو الذى لم يقبل الملك إلا للمحافظة على شرف العائلة والإبقاء على حياة والده ، وحفظ كرامته ، وصيانة أمواله ، ولولا الدين وخوف الله لآثر الموت عن الحياة فى الدنيا . هذا مبلغ الأخوة بين أبناء ساداتها . ثم أخذ يفكر ماذا يكون مصيره إذا هو سلم البلاد لخصمه ؟ وأين يقيم ومن أين له أن ينفق على أهله ، ولم يعد لديه من حطام الدنيا مايمكن أن يعتمد عليه ؟ أيسلم نفسه إلى خصمه ابن سعود ؟ إنها لكبيرة عليه، أم يذهب إلى أبيه، وهو أشبه بأسير فى يد بريطانيا ؟ أم يذهب إلى أخويه وقد ضنا عليه بالمساعدة فى كل شىء حتى أوصلاه إلى ماوصل إليه .

لقد ظل يفكر فى كل هذا عشرة أيام كاملة حتى أوحى إليه عقله بأن كل المصائب التى حلت بأبيه وبملكه من بعده ، إنمـا جاءت إليه من الأمير عبد الله . فهو الذى كان يزين للحسين محاربة ابن سعود وقومه والاستخفاف بهم ، وهو الذى أفنى جيش الحجاز فى واقعة تربة الأولى ، وهو الذى آلى على نفسه الانتقام من ابن سعود ، ثم لم يفعل شيئا ، وهو الذى طبخ لوالده الخلافة وزينها له فكانت شؤما عليه ، لأنها ألبت العالم الإسلامى ضده ، وهو الذى قال بضرورة إبعاد الحسين عن العقبة ، وحرمه من معاونته . ثم لم يقم هو بشىء من المعاونات المـالية له ، وهو الذى مناه بمساعدة بريطانيا بمجرد إبعاد الحسين عن البحر الأحمر ، ثم ظهر أنه لايستند إلى حقيقة فى وعوده ، وأنه لم يقصد إلا تثبيت العقبة له ، ولو أضر بذلك حكومة أخيه الملك على فى الحجاز .

أما جلالة الملك فيصل فإنه كان يدعو إلى مسالمة ابن سعود ، وينقم على سياسة

والده وأخيه عبد الله من عدة جهات ، وكان يتنبأ بكل ماحصل ، ولذلك فإنه عند ماوقعت الواقعة صارح والده بحقيقة الإنجليز ، وأنه لا أمل فى مساعدتهم له ، وأن المصلحة تقضى بترك البلاد لأهلها ومبارحتها بعائلته نهائيا ، ولم يكن يقر شيئا مما حصل من التطورات ، لأنه كان يعتقد أنها محاولات فاشلة لاينبغى للعاقل أن يقدم عليها أو يستمر فيها ؛ ولذلك فإنه لم يمنه بشىء ثم يخلفه ، وكل مافى الأمر أنه لم يبذل له ماتقتضيه واجبات الأخوة من المساعدات ، ولعل عذره فى ذلك واضح .

عند ماذكر جلالة الملك على هذا دعا رجال حكومته ، واعترف أمامهم بأن الملك فيصل كان أبعد نظرا من والده وأخيه عبد الله ، وأنه لذلك قرر أن يبرق له يستفتيه فى الأمر ، فجاءه الرد منه يدعوه إلى تشريف العراق إلى أن تنجلى السحب وتتحسن الأحوال .

فتلا عليهم البرقية وأخبرهم أنه لذلك قرر السفر إلى العراق ، وأن عليهم أن يختاروا لهم ملكا سواه ويعملوا على تشكيل حكومة جديدة من حقها أن تتدبر الأمر وتقرر ماترى فيه المصلحة من الحرب أو التسليم .

فقال له الجميع : إنا قد ثبتنا معك وسنثبت معك إلى النهاية ، وإذا كنت قد قررت السفر فنحن لا نتحمل مسئولية التسليم ، بل عليك أن تتولى أمر المفاوضة مع ابن سعود على أمر التسليم ، أو أن تعرب عن تنازلك عن الملك ، وتعهد إلى من شئت بأن يقوم بعملية التسليم . فوافقهم على رأيهم ، واستدعى المستر جوردون نائب المعتمد البريطانى فى جدة فى مساء يوم الثلاء ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ ، وأبلغه رغبته فى الوساطة لدى ابن سعود على تسليم البلاد إليه مع جميع القوى البرية والبحرية والجوية التى لدى الحكومة بحالتها الراهنة من غير تخريب أو إتلاف ، وأن يتعهد بأن يبارح البلاد فى أقرب فرصة ، مصحوبا بجميع ممتلكاته الشخصية من سيارة وخيول وما أشبه ذلك ، على شرط أن يتعهد السلطان ابن سعود بما يأتى :

أولا — إعلان عفو عام عن الموظفين الملكيين والعسكريين والأشراف ، وكل من والى الحكومة الحجازية أو ناصرها من المدنيين وأهل القبائل ويؤمنهم على أرواحهم وأموالهم .

ثانيا — ترحيل جميع الضباط والجنود الذين جىء بهم من الأقطار العربية إلى

أوطانهم مع تأمين نفقاتهم ومصاريفهم السفرية ، وأن يوزع عليهم مبلغ خمسة آلاف جنيه مكافأة لهم بنسبة معتدلة .

ثالثا — تأمين سائر الموظفين على وظائفهم وعدم إخراج أحد منهم من عمله إلا بجنحة أو سبب معقول .

رابعا — سريان الشروط السابقة على جميع السكان والموظفين والضباط والجنود الموجودين فى ينبع ماعدا المكافأة النقدية فإنهم لا يدخلون فيها .

خامسا — الاحتفاظ بممتلكات العائلة الهاشمية فى الحجاز لأصحاب الحقوق فيها بعدم الاعتداء عليها أو مصادرتها .

فسر نائب المعتمد البريطانى من هذا الخبر ، ولكنه لم يشأ أن يتقدم به إلى عظمة السلطان قبل أن يستأذن حكومته فيه ، فأبرق لها به فأذنت له . وفى اليوم الثانى أرسل نائب المعتمد البريطانى خطابا إلى عظمة السلطان بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ م حمله إليه (المنشى إحسان الله) أحد موظفى دار الاعتماد البريطانية ، هذا نصه :

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد .

بعد الاحترام مراعاة للإنسانية ، ولأجل تسهيل عودة السلم والرفاهية للحجاز ، أكون مسرورا إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتى بالرغامة غدا يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع مايمكن . وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام ؟

نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى

وكيل القنصل : جردون

وما لبث الرسول أن عاد من لدن عظمة السلطان يحمل إلى نائب المعتمد الخطاب الآتى :

الرغامة فى ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى سعادة المعتمد البريطانى المستر جردون المفخم .

تحية وسلاما . أتشرف بأن أخبر سعادتكم بأنى تناولت كتابكم المؤرخ فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥م وفهمت ماتضمنه ، حالا حضرنا فى العرض (معسكر الجيش) لمقابلة سعادتكم فى المحل الذى يخبركم عنه المنشى إحسان الله .

هذا ، وتقبلوا فائق احتراماتى .		الختم السلطانى

وفى اليوم الثانى الخميس ١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ ركب نائب المعتمد البريطانى فى سيارته وذهب بها إلى المكان المعين للاجتماع ، وعند تشرفه بمقابلة عظمة السلطان قال له : إن بريطانيا العظمى كانت قد أخذت على نفسها التزام جانب الحياد التام إزاء الحرب الحاضرة بين الحجاز ونجد، ولكنه حدث مايدعوها إلى الوساطة لحقن الدماء وقرار السلم فى هذه الديار ، وبالنظر لما نعرفه من حبكم للسلم وراحة المسلمين أذنت لى حكومتى بهذه الوساطة .

ذلك أن الشريف على بن الحسين وحكومته فى جدة على استعداد للتسليم إليكم على شروط مخصوصة طلبوا إلى عرضها على عظمتكم ، وبالنظر لأن هذه الشروط فيما أرى معتدلة ومعقولة فإنى أتشرف بعرضها على عظمتكم . وبعد تلاوة السلطان ابن سعود لها لم يتردد فى الموافقة عليها لأنها تنطبق على ما جبلت عليه نفسه الكريمة من الرغبة فى الإحسان وعدم حمل الحقد لكائن من كان . بل إنه كان على استعداد تام لإكرام الشريف على ومعاملته بأحسن مما عامل ويعامل به أمراء ابن الرشيد وعسير من الإجلال والاحترام ، بل ربما أقره فى الإمارة إذا أثبت له حسن نواياه ، ولذلك فقد رأى عظمة السلطان أن الشروط التى قدمها إليه الملك على هى أقل مما كان ينويها عظمته له . فقد سبق له أن عرض عليه ما يحتاج لشخصه من الأموال مكافأة لما قدمه من التضحيات .

ومن أجل هذا قبل عظمة السلطان الشروط ووقع الاتفاقية ، وسلمها إلى نائب المعتمد الذى عاد بها إلى جدة فى مساء ذلك اليوم ، وذهب بها فورا إلى قصر الملك على ، وأخذ توقيعه عليها بعد منتصف الليل ، وأصبحت نافذة من ذلك التاريخ .

وسادت الطمأنينة ، واستقرت الحالة ، وبدأت بعض الشخصيات الكبيرة كفضيلة الشيخ عبد الله سراج رئيس الحكومة فى عهد الملك الحسين وعهد الملك على ، والشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية فى العهدين . والشيخ محمد الطويل ، والسيد طاهر الدباغ ، ومن على شاكلتهم من رجال الحزب الوطنى يستعدون للسفر إلى الخارج ، وبارح بعضهم البلاد إلى مصر وآخرون إلى بورتسودان ومصوع .

مبارحة الملك على الحجاز

وفى صبيحة يوم الأحد ٤ جمادى الثانية وصلت البارجة الحربية البريطانية (كورن فلاور) لتنقل جلالة الملك على إلى العراق بناء على رغبة جلالة الملك فيصل ملك العراق ، فبادر جلالته إلى توزيع منشور على الشعب جاء فيه ما يأتى :

(إلى جيشى الباسل وشعبي الكريم :

إنى أحمد الله حمدا كثيرا وأشكره شكرا جزيلا فى السراء والضراء منذ تشرفت بالقدوم إلى هذه البلاد المقدسة مع جلالة والدى ، وأنا أعتبر نفسى فردا من أفرادها العاملين لخدمة وطنى حتى جاء اليوم الذى تنازل فيه ، فكلفتمونى بتولى الأمر بعده فى ذلك اليوم العصيب والخطب الجسيم والعدو على الأبواب ، وأصررتم كل الإصرار رغما عن إرادتى حتى قبلته ، مستعينا بالله، مستمدا منه العون والتوفيق، مشمرا عن ساعد الجد ، مرتديا رداء الثبات والصبر ، وأحضرت كل ما استطعت مما رأيتموه من جند وأسلحة ، وسهرت الليالى الطوال وصابرت فى هذه الحرب ، وصبرتم يا أهل هذه البلاد معى على الكوارث وشاركتمونى فى ويلاتها ومشاقها وخسائرها ، مما جعلنى مدينا لكم الى الممات ، حتى نفد ما كان فى اليد من المال مما أملكه ومما أعنتمونى به أنتم ووالدى ، وهلك كل ما فى القدرة والمستطاع ، فها أنا اليوم مضطر لأن أصرح لكم بأنى رجحت الانسحاب من الحرب ، ودخلت فى مفاوضة تضمن السلام وتصون الحقوق لكم جميعا ، فكونوا على علم .

وإنى أرجوكم تطبيق كل ما جرى عليه القرار وتنفيذه حفظا للسكينة والحقوق العامة والشخصية . وإنى أرجو لكم مستقبلا حميدا ، وأرجوكم الصفح عن الزلات والخطا والهفوات ، وأشكركم من صميم فؤادى على ثباتكم الشريف وموقفكم الحميد وتضامنكم الحسن .

وقد شكلت حكومة مؤقتة أهلية للنظر فى الأمور يرأسها القائمقام الشيخ عبد الله زينل مع بقاء جميع كبار الموظفين الأهلين .

إنى أستودعكم الله لعينه التى لا تنام . . . . الخ)

ثم نزل من قصره بين إجلال الشعب واحترامه ، واستقل زورقا بخاريا الى البارجة ولحقه اليها الشريف شاكر بن زيد وكاتبه الخاص عبد الله رشيد وبعض

الخدم ، وودعه قناصل الدول والوجهاء ، وفى الساعة الرابعة أقلعت به البارجة الى عدن فالعراق . والناس لايذكرونه إلا بكل تقدير واحترام لما كان عليه من الدعة ولين الجانب .

إنتهاء العهد الهاشمي

لقد تنازل الملك علىّ بن الحسين عن الملك عندما سئم الحرب وأيقن بعجزه عن القيام بواجباته ، وبذلك سقط كل حق للعائلة الهاشمية فى الملك ، أو الإمارة على تلك الديار ، وانتهى بركوب الملك على ظهر الباخرة ذلك العهد الماضى ، وقد توارت من الميدان تلك الحكومة الحجازية التى لم تقدر لها الحياة أكثر من خمسة عشر شهرا قضتها بين الخوف والأمل حتى انتهت الى ما انتهت اليه .

وفى اليوم الثانى الاثنين ٥ جمادى الثانية أخذ وكيل المعتمد البريطانى رئيس الحكومة الموقتة سعادة قائممقام جدة الشيخ عبد الله زينل ورئيس القوة الحربية المدافعة القائمقام محمد عبد الله صادق ، وذهب لتقديمهما إلى عظمة السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، فاستقبلهم عظمته بما عهد عنه من اللطف ومكارم الأخلاق ، وأعرب وكيل المعتمد عما يخالج قلبه من السرور بانتهاء هذه الحرب وحقن الدماء البريئة على يده حيث جاء إليه برئيس الحكومة المؤقتة وقائد الجيش ليكونا مسئولين أمامه عن أمر التسليم ، فشكره عظمة السلطان ، وأثنى على عمله ، وحيا رئيس الحكومة وقائد الجند بعطفه وحسن تقديره .

وما كاد المعتمد البريطانى يرجع إلى المدينة حتى هرع الأعيان والموظفون بما فيهم رجال ديوان الملك علىّ وكبار رجال حكومته يفدون على مخيم السلطان ، يعلنون الطاعة ، ويقدمون خالص التهنئة ، ويستمعون الى نصائح عظمة السلطان ودرره الغوالى حتى انقضت سحابة ذلك اليوم .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء ٦ جمادى الثانية بعث عظمة السلطان فريقا من خيار خاصته هم : الشيخ يوسف ياسين وخالد بك الحكيم وحسن بك وفقى والشيخ عبد العزيز العتيقى الى جدة لتنفيذ شروط التسليم والإشراف على سير الأعمال ، بينما أخذ الأهلون يعدّون سرادقا فخما بجهة الكندرة خارج البلدة ، لاستقبال عظمة السلطان .

وفى صبيحة اليوم الثانى الأربعاء ٧ جمادى الثانية ، هرعت الناس على اختلاف طبقاتهم إلى ذلك السرادق استعدادا لاستقبال سلطانهم العظيم ، فكان أول المقبلين الأمير عبد الله ابن عبد الرحمن (شقيق عظمة السلطان) قائد الجيش المرابط حول جدة بقسم من جنده ، للاشتراك فى استقبال عظمة السلطان الذى مالبث أن أقبل عليهم بسيارته الخاصة ، فعلت الأصوات بالتهليل والتكبير ، وحياة عظمة السلطان ، وأطلقت المدافع بتحية القدوم ، ثم ترجل وحيا تلك الجموع التى كانت تتسابق لاجتلاء طلعته وتقديم التحية والطاعة له .

وعندما استقرّ به المقام فى المكان الذى أعد له بصدر السرادق أخذ رئيس الحكومة المؤقتة قائمقام جدة الشيخ عبد الله زينل يقدم لعظمته قناصل الدول ومندوبى الشركات الأجنبية . ثم ألقى عميد الهيئة الدبلوماسية كلمة باللغة العربية هنأ بها عظمة السلطان بهذا الفوز المبين ، وأعرب له عن أطيب تمنياته وتمنيات رجال الهيئات السياسية وحكوماتهم .

فأجابه عظمة السلطان بأنه لم يتباطأ فى الأعمال الحربية إلا انتظارا لهذه النتائج السلمية التى كان يتوقعها ، وأنه يشكر قناصل الدول على موقفهم الحيادى إزاء الحوادث الأخيرة ، ويخص منهم بالشكر سعادة المعتمد البريطانى بوساطته الأخيرة فى إنهاء الموضوع بهذا الشكل .

ثم تكلم قائمقام جدة ، فرحب بعظمة السلطان وأعرب له عن سرور الناس بهذه النتيجة وما يؤملونه من الخير العظيم للبلاد وأهلها على يده ، كما شكر قناصل الدول على ما تحملوه من مصاعب مع الأهلين وما أبدوه من حسن العواطف وكريم الشعور .

وهنا انصرف قناصل الدول والجاليات الأجنبية وأقبل ضباط الجيش والعلماء والأعيان للسلام عليه ، وتولى قائمقام جدة أيضا تعريف عظمة السلطان بهم ، فاستقبلهم عظمته واقفا وغمرهم بلطفه ومكارم أخلاقه ، وخرجوا وهم يلهجون بحمده وشكره والتحدث بسمو نفسه وعظمة خلقه ، وقضى السلطان سحابة يوم وليلة فى السكندرة .

• •

وفى صبيحة يوم الخميس ٨ جمادى الثانية الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م دخل السلطان جدة ونزل فى بيت العالم السلفى الشيخ محمد نصيف وكيل العائلة الهاشمية فى السابق حيث أقبلت عليه عموم أهل جدة فرحين مهنئين داعين له بطول العمر ، ثم

تقدم إليه طلبة المدارس ينشدون مقطوعات شعرية فى استقباله . وعظمته يقابلهم بمنتهى اللطف ، وينشر عليهم وابلا من نصائحه الغالية ، وما يريده لهم من عز وإسعاد ، وما يدعوهم إليه من التمسك بالدين ، والتخلق بأخلاق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

بعد استسلام جدة

وعلى أثر انتهاء العهد الهاشمى واستسلام حكومة جدة لعظمة السلطان عبد العزيز آل سعود أصدر عظمته بلاغا عاما ، هذا نصه :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فإنى أحمد الله إليكم وحده الذى صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وأهنئكم وأهنئ نفسى بما منّ الله علينا وعليكم من هذا الفتح الذى أزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم ، وأرجو من الله أن ينصر دينه ويعلى كلمته ، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعى هداه .

إخوانى ، تفهمون أنى بذلت جهدى وما تحت يدى فى تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه إطاعة لأمر الله ، قال جلّ من قال (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) .

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن فى الحجاز من أقصاه إلى أقصاه بعد هذه المدة الطويلة التى ذاق الناس فيها مر الحياة وأتعابها .

ولما منّ الله بما منّ من هذا الفتح السلمى الذى كنا ننتظره ونتوخاه أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية فى البلاد ، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعى لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية فى العموم .

وإنى أبشركم — بحول الله وقوته — أن بلد الله الحرام فى إقبال وخير وأمن

وراحة ، وإنى ان شاء الله تعالى سأبذل جهدى فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها .

لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء فى العمل ، فأوصيكم بتقوى الله ، واتباع مرضاته ، والحث على طاعته ، فإنه من تمسك بالله كفاه ، ومن عاداه — والعياذ بالله — باء بالخيبة والخسران .

إن لكم علينا حقوقا ، فمن حقوقكم علينا النصح لكم فى الباطن والظاهر ، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة . وحقنا عليكم المناصحة « والمسلم مرآة أخيه » فمن رأى منكم منكرا فى أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه ، فإن كان فى الدين فالمرجع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان فى أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء .

إن البلاد لايصلحها غير الأمن والسكون ، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة ، وإنى أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التى ينتج عنها إفساد الأمن فى هذه الديار ، فإنى لاأراعى فى هذا الباب صغيرا ولا كبيرا ، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره .

هذا مايتعلق بأمر اليوم الحاضر ، وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعا فيه مع أهل الحجاز لينظروا فى مستقبل الحجاز ومصالحها .

وإنى أسأل الله أن يعيننا جميعا ويوفقنا لما فيه الخير والسداد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تحريرا فى ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود

الحكومة الشرعية

لقد كان الشعب الحجازى منذ العهد العثمانى مستعبدا للأشراف الذين كانوا ينظرون إلى أفراده بنظر العبيد، الذين قضى الله أن يكونوا أرقاء لسادتهم الأشراف باعتبارهم من بيت النبوة ، وكان الآباء الأقدمون يرضخون لهم ويسلمون بهذه النظرية عن طيب نفس وابتغاء مرضاة الله وحبا فى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم المنزل عليه قوله فى القرآن الشريف (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى)

لم يثنهم عن عقيدتهم هذه ما ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) حتى لقد كانوا يجلونهم كل الإجلال ويطيعونهم فى جميع الشئون اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم «اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشى» فكيف إذا كان هذا الأمير هو من بيت النبوة ؟.

ولقد أدركت الدولة العثمانية هذه العقيدة المتغلغلة فى نفوس الشعب ، فلم تشأ أن تنتزع الإمارة من هذا البيت وأقرت الأشراف فى الحكم إبان حكمها الحجاز وإحاطتهم بسياج من القداسة والإجلال ، وأغدقت عليهم وابلا من النعم حتى أطغتهم وزادتهم غرورا على غرورهم ، فسنوا لهم نظاما خاصا يسمى قانون أبى نمى يقضى بأن يؤخذ دم الشريف بأربع من غير الشرفاء . واستبدوا فى أحكامهم وحكموا جلساءهم وخدمهم الذين كانوا يسمون فى عهدهم (البارودية والخزناوية) فى رقاب العباد ، وفرضوا لبعضهم بعض الإتاوات على الأهلين والحجاج ، وانصرفوا إلى جمع الأموال وشراء العقارات لهم ولأبنائهم من بعدهم ، حتى لقد أصبحت عقارات مكة نصفها لعائلة آل غالب وآل عون . وأهملوا النظر فى أمر الرعية ومصالح البلاد ولم يعنوا قط بشئون وفود بيت الله الحرام من الحجاج ، بل إنهم أصبحوا بمثابة الشركاء لرجال البوادى وقطاع الطرق فى سلب أموال الحجاج وإزهاق أرواحهم وعليهم يقع وزر مايصيب الحجاج من شدة التعب والنصب ، وانتشار الأمراض فيما بينهم بسبب إهمالهم وتغاضيهم عن العمل لسلامة أرواحهم وتأمين راحتهم وهنائهم . وقتلوا العلم بمحاربة أهله وتصدير الجهلة الأميين والسذج المجانين أمثال (على بو) جليس الشريف عون الرفيق ، وهو رجل أهبل مختل الشعور أدناه أمير مكة الشريف عون الرفيق منه وصار يأمر الناس بواسطة (البارودية) بالقيام له إذا سار موكبه فى شوارع العاصمة .

ولم يفتحوا خلال حكمهم الحجاز مدرسة واحدة لتعليم الناس ماعدا مدارس الحسين فى آخر عهده كما سيجىء بعد ، ولم يفكروا قط فى النهوض بالشعب اقتصاديا، فلم يؤسسوا فى البلاد معملا واحدا للاستفادة منه وتشغيل الأيدى العاطلة ، بل كانوا يبثون فى نفوس الناس أن مما يزرى بقداسة جيران بيت الله أن يعملوا فى التجارة أو الزراعة والصناعة ، وأن لهم من خدمة الحجاج وسقياهم من ماء زمزم والصدقات

التى يبذلها المسلمون هنالك أو ما يأتون به إليهم من أوقاف الحرمين ما يكفيهم حتى عمت البطالة وتعودت الأغلبية على الشحاذة وابتزاز أموال الحجاج .

أما التجارة والصناعة فجلها فى أيدى الغرباء من الأتراك والسوريين والحضارمة والهنود والبخارية وخلافهم .

وكانت الجاسوسية منتشرة فى تلك الأيام بشكل فظيع ، فلا يكاد الرجل ينطق بكلمة اعتراض أو دعوة الى الإصلاح حتى يؤخذ به من الدار الى النار كما يقولون : أى إلى غياهب السجون .

ولقد كان الناس يقولون إن موقفنا من الأشراف كموقف الملائكة من رب العزة ، نصبح ونمسى نسبح بحمدهم ونقدس .

وإنى لأذكر بهذه المناسبة كلمة كنت أسمعها وأنا طفل صغير من مجور من أعيان الحجاز هو الشيخ (ابراهيم أزهر) تلك الكلمة هى (إن شفاهنا قد تورمت من كثرة تقبيل أيدى الأشراف وركبهم ، فمتى يريحها الله من هذه القبل) .

لذلك فما كاد أهل الحجاز يتذوقون طعم الحرية بانتهاء العهد الهاشمى ويجدون فى السلطان ابن سعود من الأخلاق الإسلامية العالية والخلال الحميدة حتى تنفسوا الصعداء وأحبوه حبا جما وتعلقوا بأذياله لايريدون عنه بديلا ، وانما كان يقض مضجعهم ما يسمعون كل يوم من أن عظمته قد دعا الأمم الإسلامية الى عقد مؤتمر يقرر مصير الحجاز ، ومعنى هذا أن الحجازيين ليسوا أهلا لأن يقرروا مصيرهم كباقى الأمم ، وبهذا يكون الحجاز تحت سيطرة أفراد من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، لايبعد أن يختاروا له ملكا من سلالة الأشراف الذين اكتووا بنارهم كل تلك السنين الطوال ، ولايزال شبحهم ماثلا أمام أنظارهم ، ومن أجل هذا بعث أهل جدة وفداً من عيون أعيانهم قوامه : الشيخ محمد نصيف ، والشيخ سليمان زينل ، والشيخ قاسم زينل ، والشيخ محمد حسن قابل ، والشيخ عبد الله رضا ، والشيخ محمد باعشن ، والشيخ حمزة جلال ، والشيخ عبد السلام رضوان ، والشيخ عمر نصيف ، والشيخ أبو بكر خميس ، والشيخ أحمد بادكوك ، والشيخ محمد الماس ، والشيخ محمد صالح جمجوم ، والشيخ على سلامة ، والشيخ محمد هزازى ، والشيخ عبد الله التركى ، والشيخ أحمد حماد ،

والشيخ سعيد باخشوين إلى مكة ، ليبين الحالة ومايتحسس به أهلها نحوالإدارة خلال الفترة الماضية فى حكم ابن سعود ، فلم يسمعوا غير الثناء المستطاب ، وحدثوهم بما كان من تأسيس عظمة السلطان لمجلس الشورى الأهلى ، وتصريحاته السابقة لهم من (أن أهل مكة أدرى بشعابها فأنتم أعلم ببلادكم من البعيدين عنه، وما أرى لكم أحسن من أن تلق مسئوليات الأعمال على عواتقكم) فاجتمعوا بالنخبة الممتازة من أعيان مكة ، وهم : السيد صالح شطا ، والشيخ عبد القادر شيبي ، والشريف شرف رضا ، والسيد عباس مالكى ، والشيخ محمد على خوقير ، والسيد محمد المرزوقى أبو حسين ، والشيخ محمد سعيد أبو الخير ، والشيخ عبد اللطيف عالم ، والشريف حسن عدنان ، والسيد على كتبي ، والسيد حسين بن عبد الله العطاس ، والسيد عبد الرحمن زواوى ، والشيخ محمد صالح قطب ، والشيخ عبد العزيز رئيس ، والشيخ أحمد مفتى ، والشيخ عبد الرحمن بشناف ، والشيخ بكرى قزاز ، والشيخ عبد الله حمدوه ، والسيد عبد الله بن أحمد زواوى ، والشيخ عرابى سجينى ، والسيد عيدروس بن عقيل ، والشيخ محمد نور فطانى ، والشيخ صدقة عبد الجبار ، والشيخ محمود شلهوب . والشيخ عبد الرحمن محمد ياسين ، وتشاوروا فى أمر ملك الحجاز ، فقال قائل منهم : إن ملك الحجاز ملك معترف به دوليا فيجب أن نبادر بالاحتفاظ به ، واختيار ملك علينا قبل أن نتلاعب به الأهواء الأجنبية عن طريق مندوبى بعض البلاد الخاضعة لتحكم الأجنبي فى المؤتمر الإسلامى الذى وعد عظمة السلطان بعقده . وبحثوا فيمن يصلح لهذا الأمر فلم يجدوا أمامهم من يصلح له غير عظمة السلطان عبد العزيز نفسه آل سعود ؛ لأسباب عديدة: منها أنه هو الذى حررهم من قيود الذل والاستعباد ، وأمرهم بالتخلى عن عادة تقبيل الأيدى والأقدام ، ومنها أنه جمع من الخلال العالية . والأخلاق السامية ما يذكر بعهد الصحابة رضوان الله عليهم .

ولا غرو فهو الذى دعاهم أول ما دعاهم إلى التمسك بالدين والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وإشاعة التناصح بين المسلمين ، والأخذ بالشورى ، وهو الذى يدعو إلى الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل ، ويكره الكذب والملق ويحذر منهما . وهو الذى لايرى مانعا من أن يحتك بالشعب ويزاورهم ويجلس فى متاجرهم ويقول لهم كلمته الخالدة : (أنا منكم وأنتم منى ، أنا بذمتكم ، وأنتم بذمتى) .

ولذلك أجمعوا أمرهم على بيعته بالملك عليهم ، وانتقل المجتمعون إلى قصره

فى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الثانية ، وطلبوا من عظمته أن يسمح لهم بساعة من وقته للبحث فى أمر يهمهم ، فسمح لهم بالكلام فصارحوه بما يدور فى خلدهم ورغبتهم فى أن يبايعوه بالملك عليهم على كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يكون الحجاز للحجازيين ، وأن تكون مكة عاصمة للحكومة ، وأنهم هم الذين يقومون بإدارة شؤونهم ، فوافقهم على ذلك فعادوا إلى أماكنهم ثم جمعوا كافة العلماء والوجهاء وذوى الرأى فى البلد وأخبرهم الخبر فسروا به غاية السرور ، وأقروا عملهم بالإجماع، لأن تلك هى الأمنية التى كانت تنشدها حكومة جدة ، ولو علمت من قبل بموافقة جلالة الملك عبد العزيز بهذا لما ترددوا فى الخلاص من الملك علىّ وتسليم البلاد إلى ابن سعود من بادئ الأمر ، فكانت هى أول حكومة شرعية للحجاز قرر الحجازيون شكلها وانتخبوا ملكها بكامل حريتهم ومحض إرادتهم،ولم يبق أمامهم إلا أن يعلنوا ذلك على الملأ ، ويسيروا فى طريقهم على بركة الله .

بلاغ عام

ولقد تفضل صاحب العظمة السلطان عبد العزيز آل سعود فأذاع على الملأ البلاغ الرسمى الآتى :

(إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونسلم على خير أنبيائه وأشرف مخلوقاته سيدنا محمد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : فلقد بلغ القاصى والدانى ما كان من أمر الحسين وأولاده وأمرنا إلى أن اضطرونا لامتشاق الحسام دفاعا عن أرواحنا وأوطاننا ، ودفاعا عن حرمات الله ومحارمه . ولقد بذلت النفس والنفيس فى سبيل تطهير هذه الديار المقدسة إلى أن يسر الله الكريم بفضله فتح البلاد واستتباب الأمن فيها . ولقد كانت عزيمتى منذ باشرت العمل فى هذه الديار أن أنزل على حكم العالم الإسلامى — وأهل الحجاز ركن منه — فى مستقبل هذه الديار المقدسة .

ولقد أذعت الدعوة للمسلمين عامة غير مرة أدعوهم لعقد مؤتمر إسلامى يقرر فى مصير الحجاز مايرى فيه المصلحة ثم عززت ذلك بدعوة عامة وخاصة ، فأرسلت كتابا للحكومات وللشعوب الإسلامية فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ ﻫ ، وقد نشر ذلك الكتاب فى سائر صحف العالم ومضى عليه مايزيد عن الشهرين لم أتلق على دعوتى

جوابا من أحد ماعدا جمعية الخلافة فى الهند فإنها — بارك الله فيها — عملت وتعمل كل ما فى وسعها لراحة الحجاز وهنائه .

ولما انتهى الأمر فى الحجاز إلى هذه النتيجة التى نحمد الله عليها جاءنى أهل الحجاز جماعات ووحدانا يطلبون منى أن أمنحهم حريتهم التى وعدتهم بها فى تقرير مصيرهم ، فلم يسعنى أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا فى شأن بلادهم ما يشتهون بعد ما ظهر من العالم الإسلامى هذا الصد والإعراض عن مثل هذه القضية الهامة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ .

إعلان البيعة

فى مساء يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية بعث أهل الحجاز وفدا من قبلهم إلى عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود تثبيتا لما دار بينهم وبين عظمته من الحديث خطابا موقعا من جميع أهل الحل والعقد فى سائر أنحاء المملكة ، هذا نصه :

حضرة صاحب العظمة السلطانية الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، أيده الله .

المعروض إلى عظمة السلطان الموفق المعان ، أنه قد اجتمع الداعون الموقعون أدناه من أهل الحل والعقد بمكة المكرمة وتذاكروا فى الأمر وقابلوا بارتياح كل ماجرى بين عظمتكم وبين الهيئة المتمثلة فى مجلسكم العالى صباح أمس من خيرة الأهلين.

وبمناسبة اهتمامكم بذلك ومزيد بشرهم به سارعوا جميعا إلى تقرير عقد البيعة على المنوال المسطور أعلاه ، راجين أن ينزل ذلك من رغبات عظمتكم منزلة القبول ، وأن تتفضلوا بتتويجه بالإشارة السلطانية ليكمل لهم مقصدهم الوحيد بحصول رضائكم العظيم ، مسترحمين الإنعام عليهم بتعيين وقت عقد البيعة عند البيت المعظم ، والله يديم بالتوفيق دولتكم .

فى ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ .

وأرفقوا بهذا الخطاب صك البيعة كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبى بعده .

نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على أن تكون ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله ، وأن يكون الحجاز للحجازيين ، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه ، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم .

ولدى عرض ذلك على أنظار عظمة السلطان كتب لهم على صك البيعة العبارة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى إخواننا الموقعين أسماءهم :

سلام عليكم : وبعد فقد أجبناكم إلى ما طلبتم ، ونسأله سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق للجميع . الختم الملكى

فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ

ثم إنه فى يوم الجمعة ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ٨ يناير سنة ١٩٢٦ م تجمع الناس حول باب الصفا من خارج المسجد الحرام وداخله ، حيث أعد المكان الخاص لتلاوة نص البيعة على مشهد من أهل البلاد والمهاجرين إليها .

وبعد صلاة الجمعة شرف جلالة الملك المكان المذكور فتعالى هتاف الناس بحياة جلالته ، ثم اعتلى منصة الخطابة فضيلة الشيخ عبد الملك مرداد وألقى الخطبة الآتية :

أحمد رب هذا البيت المعظم وأشكره على ما أنعم به وتكرم ، فقد من علينا بنعم لا تحصى ومنن لا تستقصى ، حيث أبدل خوفنا أمنا وشدتنا رخاء ، وقد انقشعت عنا غمة الحرب وساد فى هذه الربوع السلم التام .

ولقد توحدت الكلمة وأجمع الرأى على بيعة عظمة السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بالملك علينا ، وتفضل عظمته بقبول هذه البيعة منا بعد أن طلبنا منه ذلك ، وإنى أتلو عليكم أيها الإخوان الحاضرون نص وثيقة البيعة التى جرى الاتفاق عليها .

وبعد أن أتم تلاوتها على النص الذى ذكر سابقا تقدم الناس طوائف طوائف وأفرادا وجماعات عن جميع أنحاء المملكة إلى جلالته يبايعونه بالملك ، ويعاهدونه على السمع والطاعة ، وأطلقت المدافع من قلعة جياد إيذانا بتمام البيعة ، وبعد انتهاء الحفلة أخذ جلالة الملك طريقه متوجها إلى ناحية البيت الحرام فطاف به ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ، وحمد الله وأثنى عليه ، وسأله التوفيق إلى القيام بما عهد إليه به مع العون والتأييد ، ثم ذهب إلى دار الحكومة للتحدث إلى أفراد الشعب بما يجول فى نفسه .

وما كاد يستقر به المقام حتى نهض الشيخ حسن قابل أحد شباب جدة الناهض ، وقال بأعلى صوته : (لابد للبلاد من ملك مستقل يكون قادرا على صيانة الحجاز من الداخل والخارج ، ومن غير الملك عبد العزيز يستطيع أن يقوم بهذا الأمر ؟ وهتف الشيخ عبد الرحمن بشناق قائلا : يا عبد العزيز إن الله ما أعطاك هذا الملك إلا لأنك تسعى فى مرضاته ، فقال الشيخ عبد العزيز العتيق : الناس على دين ملوكهم ، أما وقد أعطانا الله هذا الملك الصالح ، فعلينا أن نكون معه دعاة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والمحافظة على شعائر الإسلام حتى نسترد ما كان لنا من مجد عظيم وذكر حسن ، ثم تقدم الخطباء بين يدى جلالته ، يمتدحونه ، ويطرون مفاخره ، وعندئذ نهض جلالة الملك فقال : أسمع خطباءكم يقولون : هذا إمام عادل ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، فكل رجل مهما بلغ من المنازل العليا إذا لم يخش الله ويطلب مرضاته فلا أثر له ولا لعمله ، فمتى تركت الشهوات وهجرت المحرمات وعبدنا الله على بصيرة لاقينا الخير كله ، وهل جاء البلاء للناس إلا من اتباع الشهوات ؛ شهوات النفوس التى فيها خراب الدين والدنيا ؛ لذلك أدعوكم إلى الدين واتباع آثار السلف الصالح ، واتخاذ الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل وترك الرياء والملق .

فمتى اتفق العلماء والأمراء على أن يستر كل منهم على الآخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون ويتملقون ، ضاعت أمور الناس ، وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى .

ولم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم والعلماء وأعوانهم ، وإننى والله لا أود أن أكون منهم .

إن التمدن الذى لم يكن فيه حفظ ديننا وأعراضنا وشرفنا ، فوالله لن نرضخ له ولن نعمل به ، ولو قطعت منا الرقاب .

أيها الإخوان إنى أحمد الله الذى جمع الشمل ، وأمن الأوطان ، وإن لكم على عهد الله وميثاقه أننى أنصح لكم كما أنصح لنفسى ولأولادى وأحبكم فى الله ، وأعاديكم فيه) .

وبعد انتهاء الحفلة ركب جلالة الملك سيارته ورجع إلى قصره بين هتاف الشعب وخالص دعواته ، وما كاد الناس يعودون إلى بيوتهم حتى تلقى أعضاء المجلس الأهلى ووفد جدة دعوة إلى الاجتماع فى قصر المليك بعد صلاة العشاء من ذلك اليوم لأمر هام فلبوا الدعوة . وعند ماتكامل جمعهم أقبل عليهم جلالته ، فوقفوا لتحيته فبادرهم بالسلام ثم تصدر المجلس ، وألقى عليهم كلمة وجيزة تدل على مبلغ حزمه ، وفائق يقظته ، حيث قال : (إننا اليوم فى دور التأسيس ، وقد حانت ساعة العمل ولا يستقيم أمر لا يكون قائما على أساس متين ، وإن العالم ليرقب أعمالنا عن كثب ، فإذا لم نضع لنا أساسا قويا ضاعت أمورنا ، ولذلك فإنى أعددت لكم بعض الملاحظات التى أحب أن تنظروا فيها وتقرروا ما ترونه نافعا معتبرا لصالح البلاد ، فأنتم أصحاب الشأن وذوو الرأى فيها) .

ثم أمر جلالته مستشاره الدكتور عبد الله الدملوجى أن يتلو تلك الملاحظات عليهم فقال :

إن المطلوب أيها السادة هو أن تشكل هيئة منكم جميعا تسمى هيئة التأسيس ، وينضم إليكم مندوبون من سائر بلاد الحجاز ليبحثوا فى المسائل الآتية :

١) وضع اسم رئيس حكومة الحجاز .

٢) وضع ترتيب خاص لتحديد العلاقات بين نجد والحجاز .

٣) تعيين شكل الحكومة ووضع أساسات لتشكيلاتها الداخلية ، والبحث فى الموقف الذى يجب أن يكون للحجاز من الوجهة الدولية .

٤) تعيين شكل العلم والنقود .

فهتف الجميع بحياة جلالة الملك ، وقرروا مبدئيا أن يكون اسم رئيس الحكومة هو (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) على أن يجتمعوا فيما بعد ويقرروا ما يرون من المسائل الثلاث الباقية ، فاقترح جلالة الملك أن يضم إلى الهيئة التأسيسية

ثلاثة من رجاله هم : الشيخ يوسف ياسين ، والدكتور عبد الله الدملوجى ، والشيخ عبد العزيز العتيق .

الهيئة التأسيسية

وتنفيذا للأمر المذكور اجتمع ستة وخمسون شخصا ممن ذكر وانتخبوا من بينهم لجنة مكونة من ثلاثة عشر شخصا لدراسة تلك المواضيع وإعطاء القرار اللازم فيها، وهم:

١) السيد صالح شطا ، وهو عالم جليل عرف بالصراحة وعدم المواربة وحب الإصلاح والرغبة فى رقى الأمة ، وكان عضوا عاملا فى جمعية الاتحاد والترقى فى العهد العثمانى ، وهو إلى جانب هذا من عائلة نبيلة عرفت بالسيادة والعلم والتقى والصلاح .

٢) الشيخ محمد حسين نصيف ، وهو عالم سلفى واسع الاطلاع ، من أكبر العائلات الغنية فى جدة، وكان هو وأجداده الوكلاء الخصوصيين للعائلة الهاشمية إلا أنه شخصيا لم يكن موضع الرضى من الحسين بن على لتمسكه بالعقيدة السلفية ، وهم يعدون فى نظر الناس من أنصار الوهابية ، وله مكتبة عظمى حوت الكثير من كتب التفسير والحديث ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم ومن على شاكلتهم من العلماء المجددين .

٣) الشيخ حسين باسلامه ، وهو سياسى محنك ذو رأى سديد ، وتدبير حكيم ، وهو إلى جانب هذا يعد علما من الأعلام فى الأدب العربى والتاريخ الإسلامى . وله عدة مؤلفات يفخر بها الحجاز فى العهد الجديد .

٤) الشيخ محمود شلهوب ، وهو من الرجال المعدودين فى الخبرة بالشؤون المالية ، وقد كان رئيسا لكتاب وكالة المالية فى الحجاز فى العهد الهاشمى .

٥) السيد محمد المرزوقى أبو حسين ، وهو من الرجال البارزين فى الفقه الإسلامى وقد تولى نيابة القضاء فى العهد الهاشمى ، وعرف بالنزاهة والاستقامة والتواضع ودماثة الأخلاق .

٦) الشيخ محمد سعيد أبو الخير ، وهو من كبار العلماء فى المسجد الحرام الذين عرفوا بالورع والاستقامة .

٧) الشريف شرف عدنان ، وهو من أشراف الحجاز السابقين آل غالب الذين حكموا الحجاز قبل عهد آل عون حتى انتزع الإمارة منهم « محمد على باشا » والى مصر . وقد نشأ وتربى فى الأستانة .

٨) السيد على كتبي ، وهو على جانب عظيم من التواضع والتقى ، ذو نزعة صوفية وقلب حي ، يحب الفقراء ويكثر من مجالستهم ، وله اختصاص فى أحكام المواريث وشؤون المحاكم الشرعية .

٩) الشيخ محمد ماجد الكردى ، وهو من كبار الأثرياء الذين ساهموا فى وضع الحجر الأساسى لنهضة الأمة اقتصاديا حيث أسس أول مطبعة عظمى فى الحجاز من عهد تركيا ، هى مطبعة الترقى الماجدية ، وعمل على طبع عدة كتب قيمة ، وله مكتبة عظمى حوت من المخطوطات والمطبوعات مالا يوجد له نظير فى كثير من البلاد الإسلامية ، وكانت داره ملتقى العلماء وأهل الفضل من مختلف أنحاء العالم الإسلامى .

١٠) الحاج عبد الله زينل ، وهو من أكابر تجار جدة ، وقد امتاز بحصافة الرأى ، وبعد النظر ، وحسن الإدارة حتى عينه الملك الحسين (قائمقام جدة) أى الحاكم الإدارى فيها أثناء العهد الهاشمى ، ثم كان هو رئيس الحكومة المؤقتة التى تولت تسليم البلاد إلى جلالة الملك ابن سعود .

١١) الحاج عبد الله الدهلوى ، وهو من كبار تجار الهند الذين هاجروا إلى الحجاز ، وأخلصوا فى حب أهلها وربحوا حبهم وعطفوا على فقرائها ، فكانوا ولا يزالون واسطة لإيصال الخير من إخوانهم أغنياء الهند إلى كثير من العائلات الفقيرة فى البلاد .

١٢) الشيخ سليمان قابل ، وهو من كبار تجار جدة البارزين الذين ساهموا فى النهضة العربية ، وكان رئيسا لبلدية جدة فى العهد الهاشمى .

١٣) الشريف حسين عدنان ، وهو من أشراف آل غالب الذين تعلموا فى الأستانة وأوذوا واضطهدوا فى عهد الحسين فأمل الناس خيرا فيهم .

وعند ما عرضت أسماء هذه الهيئة المختارة على جلالة الملك وافق على تشكيلها ، وأطلق عليها الهيئة التأسيسية ، وعهد برياستها إلى فضيلة الشيخ عبد القادر الشيبى فاتح بيت الله الحرام ورئيس مجلس الشيوخ فى العهد الهاشمى باعتباره من أقدم العائلات الحجازية التى يتصل نسبها ببنى عبد الدار الذين أمر الله نبيه برد مفتاح بيته إليهم حيث قال « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

ثم مضت هذه الهيئة فى أعمالها واتخذت بعض قرارات تقضى بما يأتى :

١) أن يكون الحجاز مستقلا فى شؤونه الداخلية والخارجية عن نجد، وإنما تجمع بينهما رابطة العرش المشترك وشخص الجالس عليه .
٢) أن يكون شكل الحكومة إسلامية شورية ، دستورها كتاب الله وسنة رسوله ؛ على أن تقوم هذه الهيئة بوضع التشكيلات الداخلية والتعليمات الإدارية بما يوافق أمزجة السكان ، ويلائم طبائعهم .
٣) وأن يكون العلم للمملكتين واحدا وهو أخضر اللون متوج بكلمة التوحيد .
٤) أن تكون النقود فى المملكتين واحدة .

ولم تتعرض الهيئة المذكورة إلى تعيين الحدود بين المملكتين ، وإقامة حواجز جمركية بينهما .

الإجماع على البيعة

لم يكد يذاع نبأ تسليم الحكومة المؤقتة جدة إلى عظمة السلطان ابن سعود حتى قلق الحجازيون الموجودون فى الخارج على مصير استقلالهم، وأيقنوا أن ابن سعود سوف يضم الحجاز إلى ممتلكاته ويضمها إلى ملحقات نجد فتسرى عليه أحكام معاهدة سنة ١٩١٦ م ، وبذلك يضيع استقلاله الذى شروه بدمائهم من جهة ، ومن الأخرى فإن نجد قد عرفت بالبداوة ، وتسيطرها على الحجاز مما يؤدى بها إلى التأخر ، بينما الناس يسيرون بخطى واسعة إلى الحضارة والمدنية إلى غير ذلك مما يشاع عن الوهابيين من بغض للنبى واعتداء على مقدسات المسلمين ، الأمر الذى من شأنه أن يحمل الكثير من المسلمين على عدم السفر إلى الحجاز ، لأداء فريضة الحج فتنقطع عنهم الأرزاق ، ويخسر الحجازيون بسبب ذلك خسارة فادحة .

وبينما كان الحجازيون فى الخارج على هذا قدم مصر سعادة الشيخ حافظ وهبه أحد مستشارى عظمة السلطان ابن سعود، فقصده جماعة من الجالية الحجازية فى مصر وعلى رأسهم عميد الجالية إذ ذاك عبد الحميد الخطيب (كاتب هذا التاريخ) فقابلهم بما جبل عليه من اللطف ومكارم الأخلاق وبحثوا مع سعادته فى هذا الأمر وطلبوا إليه أن يرفع إلى عظمة السلطان استرحامهم أن يحتفظ للحجاز باستقلاله السياسى خدمة للإسلام والعرب فوعدهم بذلك ، ولم يمض غير قليل حتى أذاع روتر فى يوم ١١ يناير خبر المناداة بابن سعود ملكا على الحجاز ، وجاء فى تلغرافات الأهرام

الخاصة من لندن أن أهالى مكة اجتمعوا يوم الجمعة وبايعوه بالملك ، وأن جلالته أذاع على أثر ذلك بلاغا قال فيه : إن إدارة الحجاز مستقلة عن نجد ، وإن جيشه سيحافظ على البلاد وأمانيها ، وإن جلالته اتخذ له لقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، فعمت بذلك الطمأنينة والسرور فى قلب كل حجازى ، وأبرق عميد الجالية الحجازية البرقية الآتية فى ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ١٢ يناير سنة ١٩٢٦ م .

جلالة مليكنا المعظم — جدة .

تحقيقكم لآمال الشعب ملأ قلوب الوطنيين فرحا ، جعل الله على يدكم خير البلاد وسعادتها . (عبد الحميد الخطيب)

وفى اليوم الثالث تلقى من جلالته بتاريخ ١٤ يناير الموافق ٢٩ جمادى الثانية الرد الآتى :

عبد الحميد الخطيب ـ مصر .

نشكركم على تهانيكم ، ونسأله جل شأنه المعونة والتوفيق للجميع .

(ملك الحجاز وسلطان نجد : عبد العزيز)

وعلى أثر هذا بادرت بعض العائلات الحجازية التى نزحت إلى مصر وفى مقدمتها الشيخ يوسف قطان الذى كان وزيرا للنافعة والأشغال فى العهد الهاشمى بالعودة بعائلته إلى الحجاز ، وقرر السيد عبد الملك الخطيب معتمد المملكة الهاشمية تسليم أثاثات الوكالة العربية الهاشمية إلى الحكومة الجديدة ، مع أن جلالة الحسين قبل تنازله عن الملك قد ملكها له وأمره بالاحتفاظ بها لشخصه وأن لا يسلمها للحكومة الحجازية ، إذ أنها قد اشتريت من ماله الخاص وبواسطة وكيل أطيانه فى مصر ولا علاقة للحكومة بها ، ولكن المعتمد المذكور رأى أن يساهم فى خدمة الحكومة الجديدة بهذا القدر ، فسلمها ذلك وإن لم يقبل العمل معها حيث عرض عليه سعادة الشيخ حافظ وهبة العمل مع ابن سعود على أن يثبته فى مركزه ، فأبى لا لشيء إلا مجرد الوفاء للهاشميين الذين كان يعمل معهم ، وقد احتفظ بصداقتهم حتى النهاية مع أنه لم ير منهم بعد ذلك خيرا قط .

ومن ذلك اليوم أصبحت العلاقات بين أعضاء الجالية الحجازية بمصر والحكومة

القائمة على أحسن حال ، حتى إنه عند ما تعين الشيخ فوزان السابق معتمدا لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود قصده عميد الجالية فى يوم ١٩ يناير وأعرب له عن خالص الود وعظيم الولاء ، وكذلك الحال عند ماسافر الشيخ إبراهيم بن معمر داعية ابن سعود فى مصر إلى الحجاز ودعه خير توديع ، وكذلك عند ماسافر الشيخ حافظ وهبه إلى الحجاز فى يوم الجمعة ٨ رجب سنة ١٣٤٤ ه الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٢٦ م ودعه عميد الجالية ولفيف من أعضائها على رصيف المحطة بقطار الساعة ١١ وحملوه إلى جلالة الملك أصدق عبارات الإخلاص والولاء .

المجالس الاستشارية

ولما كانت الغاية التى جاهد من أجلها جلالة الملك ابن سعود إنما هى العمل بما أنزل الله ، ولما كان حكم الفرد دائما معرضا للخطأ والإسلام يدعو إلى الشورى، فقد أمر جلالته بتأليف مجالس استشارية فى سائر المدن وحتم على الحكام الإداريين الأخذ بأقوالهم بما لا يتعارض مع الدين حيث أصدر على الناس فى ٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ ه البلاغ الرسمى الآتى :

امتثالا لأمر الله تعالى فى استشارة أهل الرأى والخبرة ، والرجوع إلى آرائهم فيما يهم من الأمور ، ورعاية لحقوق الأمة وأداء للأمانة التى حملنا إياها أمرنا بما هو آت :

١) يؤلف مجلس استشارى فى كل من مكة والمدينة وجدة وينبع والطائف للنظر فى المسائل الهامة المحلية ، وتكون هذه المجالس بالانتخاب بدرجة واحدة .

٢) يؤلف مجلس مكة من عشرة أعضاء سوى الرئيس الذى تختاره الحكومة ، ومجلس المدينة من ستة أنفار سوى الرئيس ، ومجلس الطائف من أربعة أعضاء سوى الرئيس .

٣) يؤلف مجلس عام يدعى (بمجلس الشورى العام) تنتخب أعضاؤه من قبل المجالس الاستشارية المحلية ، ويؤلف أعضاؤه من ثلاثة عشر عضوا : أربعة من مكة ، واثنان من المدينة ، واثنان من جدة ، وآخران من ينبع ، وواحد من الطائف ، وثلاثة من رؤساء العشائر .

٤) الذين لهم حق الانتخاب هم طوائف العلماء وأعيان البلاد والتجار ورؤساء الحرف والمهن .

٥) الأعضاء المنتخبون يجب أن تتوفر فيهم الشروط الآتية ، وهى :
إجادة القراءة والكتابة ، وحسن السيرة ، وعدم صدور أحكام عليهم مخلة بالدين والشرف .

٦) مدة عضوية هذه المجالس سنة واحدة .

٧) على نائبنا العام القيام بتنفيذ أمرنا هذا .

(ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها : عبد العزيز)

هيئة الأمر بالمعروف

وبالنظر لما يقتضيه الواجب من ضرورة تعيين هيئة لمراقبة تنفيذ الشرع وإقامة الشعائر، فقد صدر أمر جلالة الملك بتأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، جعل مركزها بمدرسة السيد أحمد عيديد بباب الصفا ، ومهمتها ما يأتى :

١) تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات ، فما وافق منها الشرع تقره ، وما خالفه تزيله .

٢) منع البذاءة اللسانية التى تعوّدتها السوقة .

٣) حثّ الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة .

٤) مراقبة المساجد من جهة أئمتها ومؤذنيها ومواظبتهم وحضور الناس بها وغير ذلك من دواعى الإصلاح .

٥) أن تتخذ فى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإذا أعياها أمر من الأمور رفعت به مذكرة إلى أولى الأمر لإجرائه .

وصدر الأمر الملكى بتكوين هذه الهيئة من الذوات الآتية أسماؤهم :

الشيخ عبد الله الشيبى رئيساً
السيد حسين نائب الحرم سكرتيرا

الأعضاء من أهل مكة : محمد عقيل ، محمد شروانى ، عبد الرحمن بشناق ، عمر جان ، عمر فقيه ، عبد الرحمن زواوى ، حسين باسلامه .

ومن أهل نجد : محمد بن مضيان ، على المنصور آل هديان ، أحمد بن ركبان ، عبد الله السليمان ، آل مهنا .

العناية بأمور الدين

كان الناس فيما مضى يتكاسلون فى أمر الصلاة مع الجماعة فى المسجد الحرام بينما يتوافد المسلمون من أنحاء المعمورة لنيل ثوابها ، وكان البعض منهم لايتورع عن ارتكاب بعض المحرمات شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من جهلة المسلمين .

ولما كان الحجاز بلدا له قدسيته وأهله هم جيران بيت الله الذين ينبغى أن يكونوا قدوة حسنة لسائر المسلمين رأى جلالة الملك أنه لا يكفى فى معالجة مثل هذه الأمور مجرد إسداء النصح من قبل العلماء ، بل لابد للحكومة أن تحمل الناس على قبول النصيحة ، وأن تقودهم على إقامة الشعائر الدينية والمواظبة على الجماعة والانتهاء عن ارتكاب المحرمات ، وكل أمر يعود على الأمة بالضرر المادى أو المعنوى ، وأن يمرنهم على الاشتغال بما فيه سعادة الأمة فى الدنيا والآخرة ، والانصراف عما لا خير فيه ولا طائل تحته ، ولذلك أصدر جلالته على الناس فى ١٠ شوال سنة ١٣٤٤ هـ البلاغ الرسمى الآتى :

بما لنا من الولاية العامة ، وحق وضع تعزيرات للمفسدين ، ومحافظة لحدود حرمات الله تعالى من الانتهاك ، أمرنا بما هو آت تطهيرا لبلد الله الحرام من عبث العابثين وإفساد المفسدين :

١) كل من يترك صلاة الجماعة عمدا يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى عشرة أيام ، ويغرم غرامة مالية رادعة .

٢) كل من يشرب الخمر يحد الحد الشرعى ، ويحبس من شهر إلى ستة أشهر ، ويغرم غرامة مالية رادعة ؛ وإذا ثبت عليه جرم الإدمان ينفى من بلد الله الحرام مدة سنتين .

٣) كل من يصنع الخمر أو يبيعه أو يعد محله للشرب يحبس من ستة أشهر إلى

سنتين ، ويصادر محله بكل ما فيه ؛ وعند تكرر ذلك منه ينفى من بلد الله الحرام من سنتين إلى ثلاث سنوات .

٤) بالنظر لأن الدخان من الخبائث وأنه مضر بالبدن والمال وإخلاله بالقوى العقلية وأن طائفة من العلماء أفتت بتحريمه ، لذلك وجب تنزيه هذه البلاد المقدسة عن هذه الشجرة الخبيثة ، لذلك فكل من يشرب الدخان علنا يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى ثلاثة أيام ويغرم غرامة مالية رادعة .

٥) كل اجتماع يقصد به إذاعة أخبار مضرة أو تخديش أذهان الناس بالأراجيف والأحاديث الكاذبة أو تدبير مؤامرات ضد سياسة الحكومة يحبس فاعلوه من سنتين إلى خمس سنوات أو ينفون خارج حدود المملكة الحجازية .

٦) كل من يساعد على إخفاء هؤلاء المجرمين المذكورين فى المادة الخامسة يعد شريكا لهم ، ويعاقب بمثل ما يعاقبون به .

٧) كل اجتماع يقصد به انتهاك حرمات الشريعة المطهرة يحبس فاعلوه من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر ، ويغرمون غرامة مالية رادعة .

٨) كل من يريد الاجتماع لأمر نافع، عليه أن يراجع الحكومة مع بيان مقصد الاجتماع ومحله للحصول على الرخصة .

٩) على جميع المأمورين المختصين بتأمين الانضباط داخل المملكة أن يعتنوا بتطبيق هذه المواد، وكل من يحصل منه أدنى تساهل فى ذلك يعاقب عقابا شديدا .

١٠) إن نائبنا هو المأمور بإجراء هذه الأحكام .

تعتبر هذه الأحكام مرعية الإجراء من حين نشرها

فتوى علماء المدينة

لقد أهمل الناس أمر اتباع السنن فى الإسلام ، وطغى سيل البدع، فى جميع الأنحاء وساعد على تمكينها طائفة العلماء الذين لم ينبهوا الناس إليها، حتى صارت البدعة سنة والسنة بدعة ، الأمر الذى دعا الشيخ محمد عبد الوهاب إلى الجهر بالحق دون خوف من أحد سوى الله ، فرماه المبغضون بالخروج عن المذاهب الأربعة ، ووسموا أتباعه بالوهابية حتى إذا مادعا الرجل إخوته إلى إخلاص العبادة لله وحده ، وتجنب

الشرك فى القول والعمل رموه بالوهابية والخروج على إجماع المسلمين ، والحقيقة غير ذلك .

لذلك رأى جلالة الملك أن يستفتى علماء المدينة فيما شاع من البدع بينهم من البناء على القبور واتخاذها مساجد ، وما يفعله المسلمون حولها وما إلى ذلك مما ينكره المسلمون ، فوجه الشيخ عبد الله بن بليهد رئيس القضاة إلى علماء المدينة بعض الأسئلة وأخذ الإجابة عليها منهم ، وهى كما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم : ما قول علماء المدينة المنورة ، زادهم الله فهما وعلما فى البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا ؟ وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهى عنه نهيا شديدا فهل يجب هدمها ، ومنع الصلاة عندها أم لا ؟ وإذا كان البناء فى أرض مسبلة كالبقيع ، وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنى عليه فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا ؟ ، وما يفعله الجهال عند هذه الأضرحة من التمسح بها ودعائها مع الله ، والتقرب بالذبح والنذر لها ، وإيقاد السرج عليها هل هو جائز أم لا ؟ وما يفعله عند حجرة النبى صلى الله عليه وسلم من التوجه إليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها ، وكذلك ما يفعل فى المسجد الشريف من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا ؟ أفتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين :

الجواب — نقول وبالله التوفيق :

أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا لصحة الأحاديث الواردة فى منعه ، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين فى ذلك بحديث على رضى الله عنه أنه قال لأبى الهياج : « ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته » رواه مسلم .

وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقا وإيقاد السرج عليها ممنوع أيضا لحديث ابن عباس « لعنَ رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن .

وأما مايفعله الجهال عند الأضرحة من التمسح بها والتقرب لها بالذبح والنذر ودعاء أهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعا لا يجوز فعله أصلا .

وأما التوجه إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم عند الدعاء، فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة. وأما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقا. وأما ما يفعل من التذكير والترخيم والتسليم فى الأوقات المذكورة فهو محدث.

هذا ما وصل إليه فهمنا السقيم. وفوق كل ذى علم عليم.

محمود شعبان، محمد بن على التركى، محمد الطيبب، صديق سعيد، محمد الهاشمى، حافظ إبراهيم برى، عمر الكردى، بشير بن أحمد الغوثى، خليل بن محمد، حميد بن الطيب، أحمد بن أحمد، أسعد كاخى، حمد بن طى، محمد بن صقر.

٢٥ رمضان سنة ١٣٤٤ هـ.

فتوى علماء مصر

خشية أن يقال إن فتوى هؤلاء العلماء كانت تحت تأثير جلالته أبرق إلى وزارة الداخلية المصرية يطلب منها استفتاء علماء الأزهر الشريف، فى أمر زيارة القبور والتمسح بها وتقبيل أحجارها، وشرب الدخان، وسماع الموسيقى؛ فكتبت وزارة الداخلية إلى شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية بذلك برقم ٩١ وتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٦ م، فوافاها الرد فأرسلت به إلى جلالة الملك. وهذا نصه:

أما مايتعلق بزيارة القبور فنقول: إنها مندوب إليها شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» وكان صلى الله عليه وسلم يزور قبور المسلمين ببقيع الغرقد ويقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لى ولكم العافية» وكان يزور شهداء أحد على رأس كل حول ويقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ونقل محشى إمداد الفتاح عن القهستانى مانصه: قال فى الإحياء: والمستحب فى زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا وجه الميت، وأن يسلم (ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه) وبين الفقهاء جملة مما يكره عند زيارة القبور ثم أجملوا ذلك بقولهم (وكذا كل مالم يعهد من فعل السنة) وهى قاعدة كلية ينبغى تطبيقها على أى فعل لم يعهد فى السنة، وقد مثلوا له باللمس والتقبيل، ومعلوم أنه لم يعهد من فعل السنة الطواف بغير الكعبة.

وأما مايتعلق بشرب الدخان فنقول: إنه لم يكن موجودا فى عهد النبى صلى الله

عليه وسلم ولا فى عهد خلفائه الراشدين ولا فى الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا فى زمن الأئمة المجتهدين ، وإنما حدث فى القرون الأخيرة ، واختلف العلماء فيه اختلافا كثيرا ، فمنهم من قال بحرمته عملا بحديث أحمد المروى عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها . « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر ، وقال إنه إن لم يكن مسكرا كان مفترا » ، وجنحوا مع هذا إلى نهى ولى الأمر عنه ، والقواعد الفقهية تقضى أن ولى الأمر لو نهى عن مباح لمصلحة دينية حرم ، ومنهم من ذهب إلى أنه مكروه نظرا لما فيه من الضرر الظاهر للأبدان وإضاعة الأموال ، ومنهم من لا يرى أنه مفتر فقال بإباحته أخذا بالقاعدة العامة ، وهى أن الأصل فى الأشياء الإباحة أو التوقف ، ورد على من قال بالحرمة أو الكراهة بأنهما حكمان شرعيان لا يثبتان إلا بدليل ولم يوجد ، والذى يظهر أن أعــدل الأقوال هو القول بالكراهة ، فينبغى تركه وعدم الإصرار على تعاطيه ، فإن الإصرار على الصغائر يقلبها كبائر .

وأما الموسيقى ، فحكمها من جهة الإيقاع والاستماع حكم اللهو واللعب وهو الكراهة التحريمية ، فإن فقهاءنا نصوا على كراهة كل لهو كالرقص والسخرية والتصفيق وضرب الأوتار من الطنبور والبربط والرباب والقانون والمزمار والصنج والبوق ، فإنها كلها مكروهة تحريما ، ولم يستثن من ذلك إلا ضرب الدف فى الأعراس والأعياد الدينية ، وإلا ملاعبة الرجل زوجته ، وتأديبه لفرسه ، ومناضلته بقوسه .

هذا ، ونرى أن تأخذ حكومتنا السنية ــ حرسها الله تعالى ــ بتسهيل أمر الحج على المسلمين ، والسلام عليكم ورحمة الله .

شوال سنة ١٣٤٤ هـ ١٢ مايو سنة ١٩٢٦ م نمرة ٣٩ فتاوى وجه ١٠ جزء ٢٨

شيخ الجامع الأزهر	مفتى الديار المصرية
إمضاء (محمد أبو الفضل)	إمضاء (عبد الرحمن قراعة)

الدعوة للمؤتمر الإسلامى

ولقد رأى جلالة الملك أن بيعته بالملك على الحجاز لا تمنع من الاستنارة برأى العالم الإسلامى فيما يكون فيــه مصلحة الحرمين الشريفين وتوفير أسباب الراحة لقاصديهما ، ولذلك أبرق إلى جلالة ملك مصر ، وجلالة ملك الأفغان ، وللجمهورية

التركية ، ولجلالة شاه إيران ، ولجلالة ملك العراق ، وللأمير عبد الكريم أمير الريف ، ولصاحب السيادة الإمام يحيى ، ولرئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى القدس ، ولرئيس جمعية الخلافة فى بومباى ، ولجمعية الحديث فى أمر تسر ، ولجمعية العلماء فى دلهى ، ولصاحب الدولة باى تونس ، ولرئيس حكومة طرابلس الغرب ، وللشيخ بدر الدين الحسينى وللشيخ بهجت البيطار فى دمشق ، وللنظارة الدينية المركزية فى بلدة أورفا من بلاد روسيا ، وإلى القاضى مصطفى شرشلى فى بلدة تبزى أوزو بالجزائر ولرئيس شركة إسلام فى بلدة جوكجا كارتا من بلاد جاوه ، وللشركة المحمدية فى جاوا أيضا — برقية فى ١٢ رمضان سنة ١٣٤٤ هذا نصها :

خدمة للحرمين الشريفين وأهلهما ، وتأمينا لمستقبلهما ، وتوفيرا لوسائل الراحة للحجاج والزوار ، وإصلاحا لحال البلاد المقدسة من سائر الوجوه التى تهم المسلمين جميعا ، ووفاء بوعودنا وعهودنا التى قطعناها على أنفسنا وميلا منا إلى تكاتف المسلمين وتعاضدهم فى خدمة هذه الديار الطاهرة ، رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثل البلاد الإسلامية والشعوب الإسلامية يكون فى ٢٠ القعدة سنة ١٣٤٤ ﻫ وقد أرسلنا الدعوة لكل من يهمه أمر الحرمين من المسلمين وملوكهم ، وأملى أن مندوبيكم يكونون حاضرين فى التاريخ المحدد ، والله يتولانا جميعا بعنايته .

(ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها — عبد العزيز)

إنعقاد المؤتمر

لبى كثير من الهيئات والشخصيات البارزة من الإسلام دعوة المؤتمر الإسلامى الذى دعا إليه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وعقد المؤتمر أولى جلساته فى صبيحة يوم الاثنين ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ ﻫ فى الساعة ٢/١٧/ من ٥٩ عضوا مكونا من الوفود الآتية :

جمعية الخلافة الهندية

رئيس السيد سليمان الندوى ، وعضوية محمد على ، وشوكت على ، وشعيب قريش .

جمعية العلماء الهندية

رئيس محمد كفاية الله ، وعضوية أحمد سعيد ، وعبد العليم الصديقى ، وشبير أحمد عثمانى .

عن جمعية أهل الحديث الهندية

رئيس: الشيخ ثناء الله، وعضوية: الشيخ حميد الله، والشيخ عبد الواحد الغزنوى، والشيخ إسماعيل الغزنوى .

عن جمعية الخلافة بوادى النيل

رئيس : السيد محمد ماضى أبو العزائم ، وعضوية : السيد كامل عثمان الغندى .

عن علماء مصر

الشيخ عبد السلام هيكل ، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، ومحمود على منصور.

عن جاوا

رئيس: محمد سعيد شكرو ومتيتو، وعضوية: حاج منصور، والشيخ جنان طيب.

عن جمعية الإرشاد الجاوية

رئيس : الشيخ عمر ناجى ، عضو : الشيخ محمد بن طالب .

الوفد الفلسطينى

رئيس : الحاج أمين أفندى الحسينى ، وعضوية : الشيخ إسماعيل أفندى الحافظ ، وعجاج أفندى نويهض .

عن جمعية بيروت

عبد الغنى أفندى الكعكى ، وحسن أفندى المكى .

عن سوريا

الشيخ بهجت البيطار ، والشيخ منح هارون .

عن السودان

الشيخ أبو القاسم أمين ، والشيخ إبراهيم مدثر .

الوفد النجدى

رئيس: الشيخ عبد الله بن بليهد، وعضوية : الشيخ حافظ وهبه، والدكتور عبد الله الدملوجى ، والشيخ حمد الخطيب ، والشيخ يوسف ياسين .

الوفد الحجازى

رئيس: الشريف شرف عدنان، وعضوية: الشريف مزاحم أبو بطين، والشريف على بن حسين الحارثى ، والشيخ عبد الله الشيبى ، والشيخ عبد الله [illegible] . والشيخ [illegible] قابل ، والشيخ محمود [illegible] والشيخ [illegible] والشيخ إسماعيل ابن بيرك، والشيخ محمد نصيف، والشيخ [illegible] بذبان، وإبراهيم [illegible] والشيخ محمد [illegible] .

وفد عسير

توفيق الشريف ، ومحمد أبو زيد ، وعبد العزيز العتيق .

وفد مسلمي روسيا وتركستان

يتكون من: رئيس : كشاف الدين بن قوام الدين ، وعضوية : مصلح الدين بن خليل، وعبد الواحد بن عبد الرءوف، ومهدى بن مقصود ، وعبد الرحمن بن إسماعيل، وطاهر إلياس ، وموسى جار الله .

أديب ثروت بك مبعوث الأستانة فى مجلس الأمة مندوبا عن الجمهورية التركية .

وفد أفغانستان

ويتكون من غلام جيلانى خان رئيسا ، ومير عطا محمد خان، وعبد الصمد خان : أعضاء ، محمد إسماعيل باه ، سكرتيرا .

وفد مصر

وهو مؤلف من الشيخ الأحمدى الظواهرى ، والأميرالاى محمد أحمد بك المسيرى ، وأمين توفيق .

وفد اليمن

السيد حسن ، والحاج محمد الحجرى .

خطاب الملك فى المؤتمر

لقد ترأس أول جلسة للمؤتمر جلالة الملك عبد العزيز بن سعود بنفسه ، وأمر الشيخ حافظ وهبه بإلقاء خطبة الافتتاح ، وهذا نصها :

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

أما بعد، فإنى أحييكم وأرحب بكم وأشكر لكم إجابتكم الدعوة إلى هذا المؤتمر .

أيها المسلمون الغيورون ، لعل اجتماعكم هذا فى شكله وفى موضوعه أول اجتماع فى تاريخ الإسلام ، ونسأله تعالى أن يكون سنة حسنة تتكرر فى كل عام عملا بقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقوله عز وجل (وائتمروا بينكم بمعروف) .

إنكم تعلمون أنه لم يكن فى العصور الماضية أدنى قيمة لما يسمى فى عرف هذا

العصر بالرأى العام الإسلامى ولا بالرأى العام المحلى بحيث يرجع إليه الحكام للتشاور فيما يجب من الإصلاح فى مهد الإسلام ومشرق نوره الذى عم الأنام . وقد تولى أمر الحجاز دول كثيرة كان من خلفائها وسلاطينها من عنوا ضربا من العناية ببعض شئونه ، ومنهم من أراد أن يحسن فأساء بجهله ، ومنهم من لم يبال بأمره ألبتة ، فتركوا الأمراء المتولين لإدارته بالفعل يلحدون فى الحرم ، ويفسدون فى الأرض ، ويظلمون السكان والحجاج ما شاءت مطامعهم وأهواؤهم .

وقد تفاقم البغى والعدوان بعد زوال سيادة الدولة العثمانية عن هذه البلاد وخلوص أمرها إلى الشريف حسين بن على آخر أولئك الأمراء ، فاضطرب العالم الإسلامى كله من استبداده وظلمه ، ومن عجزه عن توطيد الأمن فى البلاد ، ومن جعلها تحت السيطرة الأجنبية غير الإسلامية كما هو منصوص فى مقررات نهضته الرسمية ، وفيما نشره فى جريدة القبلة ، ولدينا مما ترك من أوراقه الخاصة بخطه ما هو أدل مما ذكر على جعل نفسه عاملا موظفا لبعض الدول الأجنبية .

وقد كنا معشر النجديين جيران الحجاز عرضة لبغيه وإيذائه لنا فى ديننا ودنيانا : من رمى بالكفر ومنع أداء فريضة الحج وإغراء لبعض رعايانا بالخروج علينا ، وغير ذلك مما لا محل لبسطه فى هذا الخطاب . فلما بلغ السيل الزبى ، وثبت بالتشاور بين أهل الحل والعقد عندنا أنه يجب علينا شرعا إنقاذ مهد الإسلام من بغيه وظلمه عزمنا على ذلك وتوكلنا على الله فى تنفيذه وبذلنا أموالنا وأنفسنا فى سبيله ، فأيدنا الله بنصره وطهرنا البلاد المقدسة من بغيه وبغى ولده ، كما عاهدنا الله ووعدنا المسلمين .

وكان مما وعدنا به وشرعنا فى تنفيذه الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامى . وقد بينا فى كتاب الدعوة إليه خطتنا ورأينا الشخصى فى حكومة الحجاز المستقبلة ، فلم يجبنى على دعوتى الأولى أحد من المسلمين غير بعض جمعيات إخواننا من مسلمى الهند ، ولكنى مع ذلك الإعراض لم أيأس من اهتمام المسلمين فى هذه الديار المقدسة ، فوجهت الدعوة الثانية إلى عقد هذا المؤتمر .

أيها الإخوان إنكم تشاهدون بأعينكم وتسمعون بآذانكم ممن سبقكم إلى هذه الديار للحج والزيارة أن الأمن العام فى جميع بلاد الحجاز حتى بين الحرمين الشريفين بدرجة الكمال التى لم يعرف مثلها ولا ما يقرب منها منذ قرون كثيرة ، بل لا يوجد ما يفوقها فى أرقى الممالك الدنيا نظاما وقوة ، ولله الفضل والمنة .

ففي بحبوحة هذا الأمن والحرية التي لاتتقيد إلا بأحكام الشرع أدعوكم إلى الائتمار والتشاور فى كل ماترون من مصالح الحجاز الدينية والعمرانية والنظم التي يطمئن بها العالم الإسلامى ؛ بإقامة شرع الله ، والتزام أحكامه ، وآداب دينه فى مهد الإسلام ومهبط الوحي ، وتطهيره من البدع والخرافات والفواحش والمنكرات التي كانت فاشية فيه بدون نكير ، وباستقلاله المطلق وسلامته من كل نفوذ أجنبي .

أدعوكم إلى تدارك كل ماقصر فيه من قبلنا من المسلمين بتركهم وطن دينهم الذى بزغ منه نور الهدى والعرفان فى ظلمات حالكة من الجهل وفساد الأخلاق والآداب .

أدعوكم إلى النظر فى كل وسيلة لجعل حرم الله وحرم رسوله أرقى معاهد العلوم علما وعرفانا ، وخير معاهد التربية تهذيبا وأدبا ، وأكمل بلاد الله صحة ونظافة ، وأولى البلاد الإسلامية بإحياء دعوة الإسلام .

كل شيء فى هـذه البلاد يحتاج إلى الإصلاح . وحكومته وأهله فى أشد الحاجة إلى مساعدة العالم الإسلامى لهما على هذا الإصلاح ، لأن فيه من يعلم مالا يعلمون ويقدر على مالا يقدرون

أيها المؤتمرون الكرام ، إنكم أحرار اليوم فى مؤتمركم هذا . ولا تقيدكم حكومة البلاد بشيء إزاء مايقيدكم به دينكم من التزام أحكامه، إلا بشيء واحد سلبي وهو عدم الخوض فى السياسة الدولية وما بين بعض الشعوب الإسلامية وحكوماتها من خلاف ، فإن هذا من المصالح الوضعية الخاصة بتلك الشعوب .

إن المسلمين قد أهلكهم التفرق فى المذاهب والمشارب ، فائتمروا فى التأليف بينهم والتعاون على مصالحهم ومنافعهم العامة المشتركة ، وعدم جعل اختلاف المذاهب والأجناس سببا للعداوة بينهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنى وإياكم لإقامة دينه الحق ، وخدمة حرمه وحرم رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتأليف بين [illegible] المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

٢٦ ذى القعدة سنه ١٣٤٤ هـ .

مباحثات المؤتمر

ولقد انتخب لرياسة المؤتمر الشريف شرف عدنان بأغلبية ٤٤ صوتا ، كما انتخب كل من الشيخ سليمان الندوى رئيس وفد جمعية الخلافة ، والشيخ ضياء الدين فخر الدين رئيس وفد مسلمى روسيا نائبين للرياسة ، وانتخب توفيق الشريف من عسير سكرتيرا عاما . ووضع برنامج المسائل التى سيبحثها المؤتمر كما يأتى :

١) استقلال الحجاز التام المطلق .

٢) إدارة حكومة الحجاز ، وكونها مقيدة بالشرع والشورى الشرعية .

٣) كون الحجاز قطر سلم وحياد ، والوسائل لاعتراف جميع الدول ذات الشأن بالاعتراف بذلك .

(الفصل الثانى — مصالح الحرمين الشريفين)

٤) إحصاء أوقاف الحرمين الشريفين فى الحجاز فى سائر الأقطار ، ومنها سكة الحديد الحجازية ، ووسائل عمران مافى الحجاز منها ، وضبط مافى الخارج والحصول على ريعه . ووضع نظام لصرف كل ريع يصل إلى حكومة الحجاز من هذه الأوقاف فيما تقتضيه المصلحة مع مراعاة الأحكام الشرعية .

٥) إصلاح عين زبيدة ومجاريها ، وجعل مستودعاتها فى مكة ومنى وعرفات صحية وكافية لأهل البلاد والحجاج .

٦) تنظيم مصلحة الصحة فى البلاد والمعاهد التى يطرقها الحجاج والزائرون .

٧) اتخاذ الوسائل للانتفاع بذبائح النسك . واتقاء ضرر كثرتها ، وتركها عرضة للفساد ، وإفساد هواء المكان الذى تترك فيه .

(المصالح الإسلاميه الدينية العامة المتعلقة بالحجاز)

٨) اتخاذ الوسائل لإحياء علوم الإسلام ولا سيما التفسير والحديث ـ ووسائلها من متن اللغة العربية وفنونها فى الحرمين الشريفين بحيث يكونان مثابة للمسلمين ـ لتلقى العلوم والأخصاء فى كل نوع منها ، كما أنها مثابة لهم فى أعمال النسك وإقامة ركن الإسلام الاجتماعى الأكبر .

٩) إنشاء مدرسة خاصة فى الحجاز لتخريج طائفة من العلماء بتربية خاصة، وتعليم تكون بها أهلا للقيام بما أمر الله تعالى فى قوله (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وما نهى عنه فى قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

١٠) وضع نظام لتعارف المسلمين وتألفهم فى حرم الله تعالى ، وتحقيق معنى الأخوة الإسلامية بينهم على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم .

١١) النظر فى الوسائل لمساعدة العالم الإسلامى على تنفيذ مايقرره المؤتمر من الإصلاح الدينى والمدنى فى الحجاز .

١٢) وضع نظام لجعل هذا المؤتمر الإسلامى سنويا دائما .

بيان الملك للمؤتمر

عقد المؤتمر الإسلامى اثنتى عشرة جلسة من جاساته قضى جلها فى بحث النظام الداخلى المؤتمر، والإصغاء لخطب الوفود ، والاقتراحات المقدمة منهم، وبحث بعض المسائل الفقهية والمشاكل الخلافية ، والاعتراض على بعض الشئون الخارجة عن العدد . ولما أوشكت الأيام المقررة لانعقاده أن تنتهى ، ولم يصل المؤتمرون إلى نتيجة ، وأخذ بعض الأعضاء يستعد للسفر — وجه جلالته إلى المؤتمر البيان الآتى:

(الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه :

أيها الإخوان : لا أريد أن أتدخل فى أعمالكم ، ولا أقيد حرية المؤتمر فى البحث كما وعدت بذلك فى خطاب الافتتاح . ولكنى ألفت نظركم الكريم إلى بعض الأمور بصفتى زعيما من زعماء الإسلام الذين ألقيت إليهم مقاليد الأمور فى هذه البلاد .

إن الدعوة التى وجهتها إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وشعوبهم. والتى عليها أوفدت الحكومات والشعوب ممثليها تنحصر فى إسعاد هذه البلاد وإنهاضها من كبوتها ، وجعلها فى المستوى اللائق بكرامة المسلمين دينيا وعلميا واقتصاديا .

ولقد كنت أنتظر من حضراتكم كما ينتظر إخوانكم المسلمون فى كل مكان أن

تخطوا خطوات واسعة فى هذا السبيل ، ولكن يظهر أننا نحاول القيام بكل شىء فى أول مؤتمر إسلامى، وأخشى أن حرصنا على القيام بكل شىء يجعلنا نفقد كل شىء ، وأفضل شىء التدرج فى السير ، فرب عجلة وهبت ريثا .

أيها الإخوان : إنى وإن لم أحضر مجلسكم وأقف على مباحثكم بالتفصيل ، فإنى على اتصال دائم روحى بكم . ويهمنى جدا أن تنجحوا حتى تبرهنوا للعالم أن المسلمين أهل للحياة ، وأنهم يجب أن يأخذوا قسطهم من الحياة فى هذا الوجود ، وأن دينهم لا يحول دون رقيهم وإن اختلفوا فى الآراء والأفكار ، فهم أمام المصلحة العامة كتلة واحدة لا تنفذ إليهم الأغراض والأهواء .

أيها الإخوان : إنى لا أريد علوا فى الأرض ولا فسادا ، ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول ، عهد السعادة والقوة عهد الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، لا شىء يجمع القلوب ويوحدها سوى جعل أهوائنا تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا بقعة فى الأرض تصلح لهذا الغرس سوى هذه البقعة الطاهرة التى منها بزغ شمس الإسلام ، ولذا فإنى أرى أن تكون الكلمة العليا والرأى النافذ بجميع العلماء المحققين الذين لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وإن جميع البلدان الإسلامية مملوءة بالعلماء أولى البصيرة والخبرة ، فلترسل كل أمة منهم جماعة ليقوموا بالوعظ والإرشاد وتقرير ما يجب تقريره فى هذا البلاد .

كلنا نعلم أن هذه البلاد ينقصها شىء عظيم من الإصلاح دينا فشاركونا فى ذلك نشكركم ويشتد ساعدنا بكم ، أما تركنا نسير وحدنا والوقوف موقف الناقد العاذل فذلك لا يليق بالأخوة الاسلامية التى تربطنا جميعا .

أيها الإخوان : إننا لا نكره أحدا على اعتناق مذهب معين أو السير فى طريق معين فى الدين . فذلك موكول أمره لعلماء الدين وحملة الشريعة ، ولكنى لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات التى لا يعتبرها الشرع وتأباها الفطرة السليمة ، لا يسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته ، ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء بين المسلمين . وخير لنا أن ننظر إلى صالح المسلمين ونترك هذه الأمور الجزئية للعلماء فهم أحرص منا على ذلك .

أيها الإخوان : أرجو أن لا تضيع الفرصة الباقية قبل أن تستفيد البلاد المقدسة منكم حتى يجىء الحج القادم وقد شعر المسلمون الوافدون أنكم قمتم بواجبكم نحو هذه

البلاد ، وبهذه المناسبة أقدم لكم خطتنا السياسية لهذه البلاد لترشدونا إن أخطأنا وتؤيدونا إن أصبنا :

١) أننا لا نقبل أى تدخل أجنبي فى هذه البلاد الطاهرة أيا كان نوعه .

٢) أننا لا نقبل امتيازا لأحد دون أحد، بل جميع الوافدين لهذه البلاد يجب أن يخضعوا للشريعة الإسلامية .

٣) أن بلاد الحجاز يجب أن يوضع لها نظام حيادى خاص لا تحارب ولا تحارب ، ويجب أن يضمن هذا الحياد جميع الحكومات الإسلامية المستقلة .

٤) النظر فى مسائل الصدقات والمبرات من سائر الأقطار الإسلامية ووجوه صرفها وانتفاع البلاد المقدسة منها .

هذا ما أحببت تقديمه إليكم ، والله يتولانا وإياكم برعايته ، ويوفقنا جميعا لما فيه خير الإسلام والمسلمين) .

فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٤٤ .

وعلى أثر هذا والى المؤتمر جلساته حتى انتهت إلى الجلسة الثامنة عسرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذى الحجة، ودامت هذه الجلسة خمس ساعات متواصلة بحث فيها مسالتين من أهم المسائل التى تهم الحجاز والمسلمين عامة : الأولى فيما يتعلق بالعقبة ومعان . والثانية فيما يتعلق بالطريقة العملية لمد السكة الحديدية بين جدة ومكة .

وانتهى بقراره فى المسألة الأولى بالاحتجاج على إلحاق العقبة ومعان بشرق الأردن وعدم اعتباره عملا مشروعا . وأن يطلب من حكومة الحجاز السعى لاسترجاع هذه النقطة إلى الحجاز . وقرر فى الثانية أن يكون مد الخط من طريق جمع التبرعات .

خطبة شبير أحمد عثمانى

وقد ختم الجلسة العلامه الشيخ سبير أحمد عثمانى مندوب الهند بالكلمة الآتية :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . أما بعد، أيها السادة والإخوان : غير خاف على حضراتكم أنى لم أتكلم بشىء من تمهيد هذا المؤتمر إلى الآن ، وقد حان انقضاؤه ، وكان هذا السكوت لأسباب — لقلة بضاعتى وجمود قريحتى ، ولعدم قدرتى على التكلم بفصيح العربية كما هو الأجدر بشأن الفضلاء المؤتمرين ، ولعدم

مسيس الحاجة إلى بيان ما كنت أحب التفوه به ؛ فإن حضور أعاظم زعماء الأمة وحذاق الفضلاء ، مع مارزقوا من البسطة فى الكلام ، وإمعان النظر ، وتلطيف الفكر ، وتنقيح المسائل من كل وجهة ، واستيفاء الشقوق ، وشدة اعتنائهم بالأمور المهمة ، قد أغنى أمثالنا ولله الحمد عن التكلف فيما لايعنى به والتكلم بما لا تدعو إليه ضرورة ، وأنا بفضل الله ورحمته لست من المتكلفين ، ولست ثرثارا متشدقا : إنى اليوم أستأذنكم القول بكلمات يسيرة وجمل صالحة لعلها لايرتبط بعضها ببعض ، إلا أنها لاتخلو من فائدة إن شاء الله تعالى .

سادتى : أعتقد أن جميع الاقتراحات التى قررتموها فى المؤتمر والمحاورات التى جرت بين حضراتكم لاتنفع ولا تنجح إلا بإنشاء روابط الإخاء والوداد ،وإحكامها بين الإخوان المؤتمرين أولا وبالذات وبين سائر مسلمى أقطار العالم ثانيا بواسطة حضراتكم ، فيجب علينا التناصر والموالاة والتعاون على البر والتقوى حسبما أمكن ، وهذا لا يمكن إلا بمراقبة كل منا أحوال عامة المسلمين ، وإفراز قسط من أوقاتنا للتفكر فى المصالح العمومية ومباشرة أسباب وسائل تقربنا إلى ماتبغى من جمع شأن المسلمين وتوحيد كلمتهم ، ومن أعظم هذه الأسباب والوسائل عندى وأهمها ، هو مايسر الله سبحانه وتعالى لنا وهيأه بمحض منه وفضله من تطهير أم القرى وما حولها من أرجاس البغاة الخائنين وتحريرها للمسلمين أن يأتوا إليها من كل فج عميق . إحرازا لإحكام الأخوة الإسلامية وتجديدها ، وإحياء الشريعة المحمدية وإعلاء كلمتها ، وهذا الخطب العظيم المهم جدا قد قدر الله سبحانه وتعالى فى علمه وقضائه أن يقع بيد صاحب الجلالة عبد العزيز بن السعود ، نصره الله وأيده بروح منه ، فهو الذى أنقذ بحول الله وقوته مركز الإسلام وقبلة المسلمين من أيدى الشريف حسين وأعوانه ، وفتح بابا جديدا للعالم الإسلامى أن يجتمعوا فى هذا البلد الأمين أحرارا ويأتمروا بينهم ، وليشهدوا منافع لهم بحيث لايخافون فى الله إلا إياه ، ولا تأخذهم فيه لومة لائم ، وهذا عندى أكرم الفضائل والمزايا التى قد من الله بها على السلطان عبد العزيز ، ولم يتسن لأحد قبله منذ قرون متطاولة « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

سادتى : شاهدنا أحوال المؤتمر كيفها وكمها . وقد مضينا فى منشطها أو مكرهها ، فرضينا وسخطنا وسررنا وتألمنا . وقد جرى بيننا فى أثناء المحاورات والمقاولات

شيء مما كان يشوبه كدر ونقص ، حتى إنه قد صدر من بعض الإخوان فى بعض آخر ما يؤدى إلى الشكوى ، بل يظن من لم يجرب شئون المجالس ولم يمارسها أن الأخ الفلانى قد أهان أخاه الفلانى وذاك قد نال من عرض صاحبه ، والذى أظن ـ والله أعلم وقد أمرنا بإحسان الظن بالمسلمين ولا نزكى أحدا ـ أن هذه المحاورات لم يصدر شيء منها لوجود الشحناء والتباغض ، بل كلها منشؤها الإفراط فى الإخلاص وحسن القصد والنية ، والرأى يخطئ ويصيب ؛ ولعل مثل هذا كمثل ماجرى بين موسى وهارون عليهما السلام لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ألقى الألواح وأخذ بلحية أخيه وبرأسه يجره إليه، واعتذرهارون فقال : (يابن أم لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) . وما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى قصة جيش أسامة كما ذكره الطبرى وغيره ، وغير ذلك من الوقائع الكثيرة، فإن أحد منا أخذ بلحية أخيه فى المؤتمر فالواجب علينا أن لانقوم عن المؤتمر حتى نقول ماقاله موسى عليه‌السلام بعد ماسكت عنه الغضب (رب اغفرلى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وهذا هو اللائق بشأن المؤمنين القانتين والمصلحين المخلصين لاغير .

أيها السادة : هذا الاجتماع المهم الذى ضم مندوبى العالم الإسلامى على هذا المنوال غير مسبوق نظيره ، فحق علينا أن نشكر من صميم القلب رب هذه البلدة الذى آمننا من خوف وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة على هذه المنة الجسيمة والتوفيق العظيم ، ثم نشكر ثانيا جلالة السلطان عبد العزيز الذى أظهر الله سبحانه وتعالى على يده هذه الكرامة : أى كرامة الاجتماع والاتحاد ، فله حرمة خاصة وفخامة شأن كحرمة هذه البلاد المقدسة وفخامتها لاسيما إذا كان السلطان سلطان عدل ودين وسماحة نفس وشرف أخلاق ، يقوم بالدعوى إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والسلوك على منهاج الخلفاء الراشدين والسلف الصالحين والأئمة المتبوعين رضى الله عنهم أجمعين ، وألقى الله له مهابة فى قلوب الظالمين والطاغين وقطاع الطرق ، فأمن الله تعالى به طريق الحج والزيارة تأمينا لايقدر قدره ، وقد حصل تأمين السبل بحمد الله فوق مايمكن أن يطرقه عارض فى هذه البقاع كما سمعنا من الذين سافروا بين مكة والمدينة سماعا متواترا على اختلاف طبقات الرواة وأجيالهم .

نعم ، كما أن أمر الحجاز له سيادة فائقة وقيادة عامة من وجه العالم الإسلامى ،

هكذا عليه مسئولية كبيرة واسعة أذيالها كثيرة لوازمها عظيمة عواقبها ، لا ينهض بأعبائها إلا من وفق من الله سبحانه وتعالى بتوفيق خاص ، فإن حكومة الحجاز هى الهيئة الرابطة بين هذه القوى الإسلامية التى انتدبت إلى دعوة الاتحاد والقوة ، وأمير الحجاز فى الحقيقة هو الروح المدبر لهذا المؤتمر ، وإن فسد فسد المؤتمر .

أيها السادة : ظنى أن المؤتمر فى أكثر شؤونه بل فى جميعه ، لا ولن يفلح إلا باستقامة الحكومة الحجازية المحلية واعتنائها وشعورها بالحقوق الكثيرة التى لها وعليها ، من حيث كونها حكومة المسلمين بأسرهم لامن حيث كونها حكومة نجد مثلا ، وهذه الحقوق قد تحتاج الحكومة فى أداء كثير منها إلى تقوى الله ودينه ، والصبر بالحق ، وإذاعة المعروف وإزالة المنكر بالحكمة والتأنى ، وسماحة النفس وسعة الصدر ، والتدرج فى الإصلاح بحيث لا يحدث من إزالة منكر من المنكرات أشر منه وأضر وأفظع ، ليس غرضنا الإنكار على إزالة البدع والمنكرات التى شاعت فى بلاد الإسلام وفى هذه البلاد المطهرة ، بل الغرض التنبيه على الأخذ بالأهم فالأهم واختيار أهون البليتين إذا ابتلينا بهما على طريق الحكمة والتأنى والاحتراز من الغلو والتعمق فى الدين الذى أهلك الله به من كان قبلكم ، وترك التعجيل فى الحكم بكون الشيء شركا أو بدعة أو ضلالة وموازنة المفاسد بالمصالح العامة الشرعية كما أشير إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت الكعبة » الحديث ، والمراجعة فى المسائل الدينية التى تتعلق بعامة المسلمين وحياتهم بتحقيق علماء المذاهب الأربعة فى جميع الأقطار الإسلامية (وفوق كل ذى علم عليم) .

أيها السادة : أنتم تعلمون ما قصدت بهذا الكلام ، وليس الموضع موضع بسط الفروع والمسائل جزئيا جزئيا ، وقد تشافهنا بأشخاصنا بالتكلم على هذه المسائل التى أهمتنا بحضرة صاحب الجلالة ، وقد أصغى أحسن الله عاقبته إلى ماقلنا واستحسن تصريحنا بما كنا نضمر فى قلوبنا ، وأشار إلى أن نتذاكر ونبحث مع علماء نجد وغيرهم ، ثم تكلمنا مع أكثر علمائهم ولم يتم الكلام إلى الآن ، ولعل هذه الكلمات تثمر تعديل مايلزم المسلمين تعديله . والمرجو من هذا المؤتمر أن يعرض هذا الأصل الجوهرى الأساسى على حكومة الحجاز بأتم وحدة وأكمل وفاق ، وإن صوت الجماعة يؤثر فيما لا يؤثر فيه صوت الآحاد (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، ولا تطاوعوا ولا تختلفوا ، وكونوا عباد الله

إخوانا ، هذا إجمال ما كنت أحببت تفصيله ، ولولا ضيق الوقت ومخافة السآمة على المخاطبين لأطلت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

وفى مساء ذلك اليوم أقام جلالة الملك لأعضاء المؤتمر حفلة عشاء فى دار المؤتمر (التى هى مقر وزارة المالية اليوم) ثم أخذ يتحدث إليهم جلالته ، ويشرح لهم بعض غاياته وخطته ، وبأن المسلمين يجب عليهم أن يكونوا يدا واحدة ، وأن يسيروا فى أعمالهم بما تقتضيه الحكمة والعقل ، وأن يتناولوا من الأمور ما فى مقدورهم ، وأن لا يتعرضوا لما لا يقدرون عليه حتى لا يصيبهم الفشل فى أعمالهم ، وقد استرسل فى هذا الموضوع طويلا وأكثر من ضرب الأمثال ، وتطرق إلى ذكر العرب ، وقال : إن العرب قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا شيئا مذكورا ، كانوا عبيدا للفرس والرومان ، وكانوا يأكلون الخشاش ، وكانوا مستضعفين ؛ إنما شرفهم وفخرهم باتباع هذا النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا لم يتبعوه فليسوا بشرفاء ، والشرف الحقيقى هو اتباع ذلك الرسول « ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » لقد شرف بلال الحبشى وصهيب الرومى ، وذل أبو جهل وأبو لهب وهما من أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تطرق فى البحث إلى الصحافة والصحافيين ، وقال : يجب أن يكون أبناء هذه الأمة يدا واحدة فى التعاضد والتعاون ، ولا يجوز لامرئ متى وجد خلة من أخيه أن لا يبقى فى جام غضبه شيئا إلا صبه ، بل يجب أن يكون النقد والكلام بأدب ورفق حتى لا توغر الصدور ، ويشمت بالمسلمين عدوهم .

ثم ودعهم جلالته بالكلمة الآتية :

أيها الإخوان :

أشكركم على تجشمكم المشاق لحضوركم فى هذا المكان المبارك ، ولم يكن شىء بدافع لكم سوى دينكم . فبارك الله فيكم .

إنكم فى أول خطوات تبرهنون بها على أن الثقة التى أولاكم إياها المسلمون كانت ثقة فى محلها ، وأنكم أديتم الأمانة التى حملتم إياها .

وإنى أرجو الله أن يوفقنا لخدمة الإسلام والمسلمين ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته .

الخلاف بين مصر والحجاز

لقد كانت الصلات بين مصر والحجاز على أتمها حسنا وجمالا ، ولم يعتورها قط أى خلاف ماعدا ذلك الخلاف الذى ولده الحسين لأسباب لاقيمة لها ، وانتزاعه لاسم جلالة الملك فؤاد من كسوة البيت الحرام ، وتوقف سفر المحمل المصرى ، وقد أكره الحسين على التنازل عن عرشه قبل أن يسوى ذلك الخلاف .

وعند ما دخل جلالة الملك الحجاز أوفد إليه جلالة الملك فؤاد ملك مصر وفدا قوامه الشيخ مصطفى المراغى وعبد الوهاب بك طلعت فى ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ للبحث معه فى مستقبل البلاد المقدسة فاستقبله جلالة الملك بكل حفاوة ، ثم إنه عندما تم لجلالة الملك الحكم أوفد فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ فضيلة الشيخ حافظ وهبه لتبليغ تحياته إلى صاحب الجلالة ملك مصر ، وللبحث مع الحكومة المصرية فى إعادة الصلات الحسنة بين البلدين إلى سابق عهدها ؛ وعندما أقبل موسم الحج كتبت رياسة مجلس وزراء مصر برقية إلى جلالة الملك تستوضحه عن رأى حكومته فى بعض أمور خاصة ، فتلقت منه برقية مطولة استهلها جلالة الملك ابن السعود بشكر الحكومة المصرية وجلالة ملكها وامتداحهما على ما بذلاه من المساعدة للحجاز وأهله ، ثم قال : إنهما (أى حكومة مصر وملكها) ذخر الإسلام ؛ ولذلك فإنه يرجو أن يكونا عونا له فى إقامة ما أمر به كتاب الله وسنة الرسول ، وتكلم عن حالة الأمن واستتبابه فى البلاد الحجازية ، وعدم وجود مايخشى منه على سلامة الحجاج ، وذكر أنه يقابل المحمل وركب المحمل على الرحب والسعة ، ويرحب بهم الترحيب اللائق بمقامهم وبمصر وبأمثال مصر وبملك مصر ويسمح بدخول البعثات الطبية كلها .

وذكر أنهم لايتعرضون لعقائد الناس ولا يتداخلون فى معتقداتهم ولكنهم يمنعون مالا يقره الدين ، وقال : إنهم لا يمنعون أحدا من زيارة القبور ولكنهم لايسمحون بالغلو فى ذلك مثل التمسح وتقبيل العتبة والخروج عن أدب [illegible] إلا ببيت الله الحرام فقط أى الكعبة ، وقد نهى الأئمة والسلف الصالح عن الطواف بالقبور .

وتكلم عن الموسيقى والدخان ، وذكر أنه يلفت نظر الحكومة المصرية إلى ماسيذكر فى شأنهما ويرجو الموافقة عليه حفظا لأواصر الصداقة والود .

فقال عن الموسيقى : إنها ولو كانت مسلية للجند ومنظمة لسيرهم فإنها تلهى عن ذكر الله فى البلاد التى أوجدها الله لذكره ، وقال : إنه يقبل مجيئها لغاية جدة فقط؛ لأن فريقا كبيرا من أهل نجد وغيرهم يعدها من الملاهى التى لايصح استعمالها لا سيما فى أوقات العبادة .

وقال عن الدخان : إنها شجرة خبيثة يجب أن تطهر منها البلاد المقدسة التى لايحرق فيها إلا العود والند والمسك . وذكر أنه منع شرب الدخان جهرا .

حادث المحمل

فى أواخر ذى القعدة سنة ١٣٤٤ هـ وصل ركب المحمل المصرى إلى جدة واستقبل فيها بكل ترحاب ، ثم سافر إلى مكة المكرمة ونزل فى مكانه المعتاد وزاره جلالة الملك مع أولاده وبعض حاشيته فى نزله ، وفى مساء الثامن من ذى الحجة قبل الغروب سار المحمل من مكانه قاصدا عرفات ؛ وكان يحيط به بعض نفر من حرس جلالة الملك يمنعون الناس من المرور فى طريق المحمل ليكون رجال المحمل فى راحة من زحام الناس ؛ ولقد سار المحمل بكل راحة وهناء حتى بلغ آخر منى حيث كانت خيام حجاج النجديين تملأ ذلك الوادى ، وإذ ذاك لم يسمع الناس إلا أصوات الأبواق تتصاعد من رجال ركب المحمل وهذه ينكرها أهل نجد ولا يعرفونها ، ولم يكن أحد ليعلم سببا لصوت البوق فى ذلك المكان ، وما درى غير الذين يفقهون إشارة الأبواق ماذا كان يراد من تلك الأصوات وماذا فهم الجند منها لأنها كانت تضرب مشعرة الجند بأوامر تتعلق بالموقف .

تصاعدت أصوات الأبواق من المحمل فعلى التكبير والتهليل وتراجع صداه فى بطن الوادى ، وإذ ذاك أقبل بعض البدو من النجديين الذين كانوا يخيمون بالقرب من طريق المحمل إلى جهة المحمل ينكرون بألسنتهم ضرب الأبواق فى ساعة من ساعات العبادة وفى مشعر من المشاعر الحرام فردهم رجال الحرس الملكى الخاص بعنف وشدة فلم ينتهوا ، وكان ذلك قريبا من بهو جلالة الملك فأوصل الجند الخبر لجلالة الملك فأمر نائبه سمو نجله الأمير فيصل أن يسير إلى محل المحمل ليمنع أى اعتداء

هنالك ولكن سموه سار مسرعا بغير أن يأخذ قوة معه ، فلما وصل المكان وجد بعض البدو يتنابذون ألفاظ السباب ويتبادلونها وتجاوز بعضهم إلى رمى الحرس ببعض الحجارة ، فطلب من رجال المحمل أن لا يتجاوزوا موقفهم وانكفأ على البدو يعرفهم بنفسه لأن الليل كان قد أقبل ويطاردهم بمن معه من حرسه وحرس جلالة والده وأرسل لجلالة والده يطلب منه زيادة على مامعه، فى الحال أمر جلالة الملك أكبر أنجاله الأمير سعود أن يذهب لنجدة أخيه بقوة من الجند، وبينا الأمير سعود يسرع بتنفيذ الأمر والأمير فيصل يكافح بنفسه وهو يهدئ روع رجال المحمل لم يشعر الحجيج إلا والرصاص ينفذ من أفواه بنادق جنود المحمل إلى صدور الحجيج ووراء ذلك قنابل المدافع تضرب يمنة ويسرة تقتل الآمنين المطمئنين، وما هى إلا لمحة والناس بين ملب ومهلل حتى أقبل معظمهم من كل حدب يهرع نحو مخرج النار وفيهم العدد العظيم الذى لم يعلم شيئا عن الخبر ولادرى إلا وقذائف النار تقع عليه وعلى من حوله . كانت الفتنة صغيرة فى طور السباب والشتائم ، فلم يشعر الناس إلا والنار تقذف وقوة الأمير سعود لما تصل، ولو تريث رجال المحمل حتى تصل القوة لما أصابهم شىء ولا وقع ماوقع .

هنالك عظم الشر وقوة المحمل لايزيد عددها عن الأربعمائة جندى وعدد الذين كانوا هدفا لنيران حرس المحمل لايقلون عن التسعين ألفا من الحجاج النجديين وكلهم أولو قوة وألو بأس شديد ، وقد حصدت النيران بعضهم ولم يبق عليهم إلا أن يقابلوا الشر بمثله .

فى تلك الساعة الرهيبة فى ذلك الخطر المحدق الذى لم يكن ليحتاج إلا لقدح زناد بسيط حتى يقضى على الحجيج كله — فى ذلك الموقف المرعب المزعج عرف الناس فضل (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل) ملك الحجاز وسلطان نجد ، فانه ماكاد يسمع إطلاق البنادق والمدافع حتى استعاذ بالله وحوقل ، ثم لم ينتظر لمحة واحدة بل خرج لساعته من سرادقه حيث النار ترمى بشررها فى ذلك الليل البهيم . ليس فى المخيم أحد غير آل سعود وكلهم فى ذلك المخيم بنسائهم وأطفالهم ، فى تلك الساعة ، لم يفكر جلالة الملك فى آل سعود ، لم يفكر فى الأطفال، لم يفكر فى حياته ، لم يفكر بمملكته وضع الملك والعائلة بل جزيرة العرب على كفه وخرج ليحمى المحمل وليحمى الحجيج ، وقد تبعه أولاده وإخوته وأولاد إخوته وأبناء عمومته وكل من يدلى إليه بقرابة

أو نسب مشى بهم إلى حيث النيران تطلق، ولم يكد يقترب من المحمل حتى التف حوله جمع من الإخوان يسألونه أمره ويخبرونه أن قتلاهم يضرجون بدمائهم .

وكان جلالته إذ ذاك فى أشد درجات التأثر ، فالتفت إلى الإخوان وقال : « أذكركم الله وهذا الموقف ، أذكركم دينكم ، أذكركم حميتكم الإسلامية وشيمتكم العربية ، إن حجاج بيت الله ضيوفنا وهم فى وجوهنا فلا تمد إليهم يد بأذى ، إننى سأقف أمام ركب هذا المحمل . واعلموا أنه لا تمد إليه يد بسوء وفى (هذا العنق) دم يجرى .

سمع الإخوان هذا الكلام وكانت النار تكاد تخرج من أنوفهم فكان ذلك النداء بردا وسلاما ، وحملوا سيوفهم وكروا على المجتمعين حول المحمل يردونهم بسيوفهم ، وأخذت الجموع ترجع : ولقد كان فى جملة أولئك القادة الذين ذهبوا لرد القوى المجتمعة حشر بن مقعد بن حميد شيخ من مشايخ الغطغط ، وبينما هو يطارد الجموع وبنادق رجال المحمل لا تزال تضرب لم يشعر وهو يكافح إلا والرصاص يتساقط عليه ، فقتلت فرسه وكسرت يده وسقط على الأرض ، ولقد أصاب الرصاص غيره ممن كانوا يدافعون معه لأن إطلاق النار كان فى ذلك الليل البهيم .

لم يمض على سماع الإخوان كلام إمامهم غير دقائق معدودات حتى رجع كل منهم إلى مكانه وقد وتر منهم من وتر وقتل من قتل . ولم يصب أحد من جند المحمل غير واحد اصيب بحجر فى أنفه ، وجندى آخر أصابته رصاصة طائشة فى يده وقد بلغ عدد الذين قتلوا من أهل نجد خمسة وعشرين بين رجل وامرأة وطفل . وقتل من الإبل أربعون بعيرا . وبعد أن سكنت الفتنة سار المحمل تحف به قوة الحرس حتى وصل عرفات بسلام ، ثم عاد من عرفات إلى منى ومنها إلى مكة المكرمة بكل سكون وهدوء ، ولقد أسف الناس جميعا لوقوع هذا الحادث ، كما حمدوا الله على ظهور أهل نجد بهذا المظهر من الحلم وسعة الصدر وكظمهم غيظهم بعد أن قتل منهم ذلك العدد العديد ، ولولا طول الأناة وذلك الموقف الحكيم الذى وقفه جلالة الملك ، ذلك الموقف الذى لا يقفه إلا أبطال الرجال لكان للحادث وجه غير ذلك الوجه . ولكن الحمد لله الذى أنهى هذه الفتنة عند هذا الحد بعد أن كادت تلتهم الناس ظلما وعدوانا .

وقد أصدرت الحكومة بلاغا رسميا فى ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٤٤ ه أعلنت فيه أن الحادث المذكور يعتبر من الحوادث المحلية التى تحدث فى كل بلدة من البلاد ، وأن ما بين كل من الحجاز ومصر من الصلات المتينة والصداقة الوثيقة العرى لا يمكن أن يؤثر فيها شىء من ذلك .

جمعية الدفاع عن الحجاز



السيد عبد الملك الخطيب

لكل زمان دولة ، ولكل دولة رجال . وعند ما استقر الأمر فى البلاد لجلالة الملك ابن سعود أخذ بعض المتزلفين إليه يلقى فى روعه أن بعض رجال العهد الماضى لا يزال يعمل للكيد لهذه الحكومة ، وأنه من الخطر بقاء هذا النفر فى البلاد يسرح ويمرح ، خصوصا فى أثناء انعقاد المؤتمر الذى دعا إليه جلالته ، ووجود جمهرة عظيمة من كبار المسلمين ، وكتبوا له قائمة بأسماء بعض الشخصيات المحترمة من أنصار الهاشميين وأتباعهم ، وحشروا فيها من ليس فى العير ولا فى النفير ، فما وسع جلالته إلا أن أمر بإلقاء القبض عليهم وإبعادهم إلى الطائف وظلوا هنالك مروعين فى كل يوم بماذا سيكون مصيرهم ، دون أن يعلموا السبب فى سجنهم ! وهذه أسماؤهم :

الشريف محسن بن منصور ، والسيد محمد بن علوى السقاف ، شيخ السادة . السيد أحمد بن علوى السقاف رئيس ديوان الملك الحسين ، عبد القادر غزاوى مدير البرق والبريد . حسين الصبان رئيس تحرير جريدة القبلة . عبد الوهاب قزاز رئيس هيئة تحقيق الهوية ، إبراهيم الرمل مدير الشرطة . صالح قزاز عبد الحق ، قزاز عباس فقيها ، عبد الله عساف ، إبراهيم سقا ، عمر صيرفى ، صبحى طه ، عبد الكريم الخطيب ، سعيد حمد ، محمد عبده ، محمد سعيد باخدلق ، على عباس ، جميل مقادمى ، على هيلكه ، يوسف مكاوى ، خليل غبرا ، محمد العشره ، محمد العوفى .

ولقد اتخذ الأمير عبد الله بن الحسين من هذا العمل سبيلا لاستفزاز الحجازيين الموجودين فى مصر وتأليبهم ضد الحكم الحاضر . وأوحى إلى بعض الأشراف الموجودين بمصر ، وهم : الشريف عبد الله باشا بن محمد ، والشريف حسين بن ناصر ،

وبعض أحفاد الشريف عون لمقابلة السيد عبد الملك الخطيب معتمد الحكومة الهاشمية فى مصر والتفاهم معه على تأسيس جمعية الدفاع عن الحجاز ؛ لرفع الصوت عاليا لاستنكار مثل هذه التصرفات وتعهدوا بأن يقدموا لهذه الجمعية مائة وخمسين جنيهاً شهرياً .

فتألفت الجمعية منهم مضافا إليهم الشيخ عبد الرءوف الصبان ، والسيد صالح دباغ ، وأخذت تعمل على مناوأة حكومة ابن سعود مستغلة إذ ذاك ماحصل بين الحجاز ومصر من خلاف نشأ عن ورود تقرير لوزارة الداخلية من جدة بأن ابن سعود لايسمح للموسيقى بالسفر إلى مكة ، وأنه سيجرد الجيش المصرى المرافق للمحمل من سلاحه فى جدة ، وأنه سيمنع الاحتفال بالكسوة بل إنه سيستلمها من جدة . وما وقع بعد ذلك من الاعتداء على المحمل المصرى فى طريقه إلى عرفات بحجة أنه بدعة فى الدين . واستمرت الجمعية فى عملها دون أن يفى لها الإشراف بتعهداتهم من حيث المساعدة المادية .

ولقد أدى أعضاء هذه الجمعية جهودا متنوعة فى إحباط المساعى التى كانت تبذل لحمل المؤتمر على تأييد ابن سعود فى مؤتمر الخلافة الذى عقد فى مصر فى يوم الخميس ١ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٢٦ وانتهى فى يوم الأربعاء ٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٤ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٦ بإشارة ابن سعود وتفويضه .

فجاء قرار المؤتمر المذكور خلوا من كل ذلك ، وكل ما قرره هو (إمكان إيجاد الخلافة الإسلامية ؛ وحيث إن الشعوب الإسلامية لم تكن ممثلة تمثيلا تاما فى هذا المؤتمر فإنه لايبت فيها الآن ، ويوافق على عقد مؤتمر آخر يجتمع فى القاهرة ويحضره مندوبو الشعوب الإسلامية ، وقد وجه الدعوة إلى الشعوب الإسلامية للاهتمام بمسألة الخلافة خوفا من الوقوع فى الإثم) .

كما أدت الجمعية المذكورة مهمتها : من إحداث الشغب ضد ابن سعود وتشويه سمعته فى الخارج ، وساعدتها ظروف الحال على ذلك ؛ إذ عقد المؤتمر الإسلامى فى مكة فى موسم الحج ، وعاد الشيخ الظواهرى مندوب مصر فيه يحدث الناس عما شاهده فى الحجاز من ضرب النجديين لمن يقول : يارسول الله ، وأنهم يريدون حمل الناس على الأخذ بمذهبهم ، وإلا عنفوه وشتموه ، وإن الحرية المذهبية معدومة

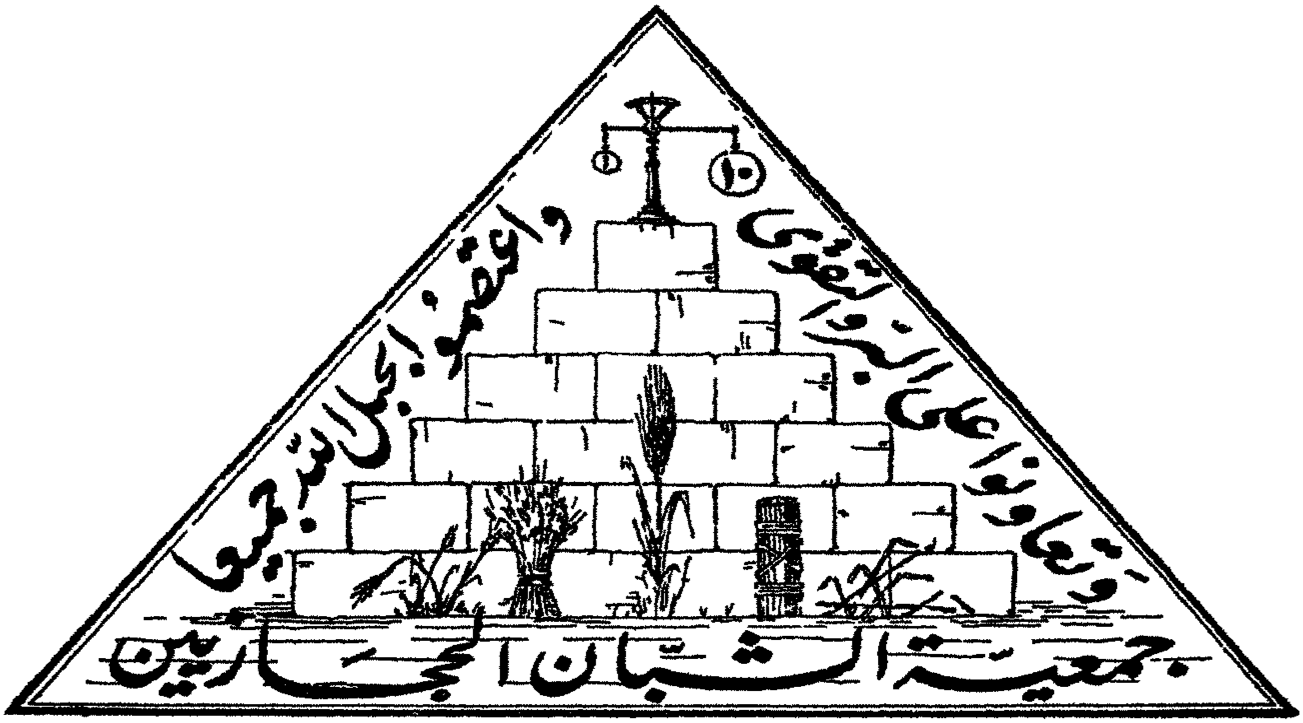
فى الحجاز ، حتى لقد دار جدال عنيف فى المؤتمر حول هذه النقطة ، وتقرر رفض الاقتراح بشأن وضع حد لذلك ، فغضب شوكت على وصاح فى الجلسة قائلا : إن حرية المذاهب غير محترمة فى الحجاز بدليل هدم قبور السلف الصالح وآل البيت ، وأيده فى قوله الوفد المصرى والأفغانى وغيرهم ، ثم تقرر أخيرا (أن يمكن الحجاج من أداء مناسكهم وأعمالهم وفق مذاهبهم ، وأن لايمنع إلا مايمس كرامة أحد من الأحياء والأموات ، أويخالف الإجماع المعتبر عند علماء جميع المذاهب ، وأن الحكم على ما يأتى به المسلم يكون موافقا للمذهب الذى ينسب إليه ، والحكم فى ذلك عائد لعلماء ذلك المذهب دون غيرهم) .

ولقد زاد من حنق الجاليات الحجازية الموجودة فى الخارج ما نشرته الأهرام بعددها ١٥٠٤٧ الصادر فى يوم الجمعة ١٣ المحرم سنة ١٣٤٥ ﻫ نقلا عن جريدة التيمس من بيان لعلى شاه الأفغانى زعم فيه أن ابن سعود قد اعترف له بأنه عند ما دخلت جنوده الطائف وجدت قوى البلاد الأدبية والدينية متضعضعة فقتلوا من قتلوا ، وأن الرجال والنساء الذين قتلوا ليسوا مسلمين لأنهم يعبدون القبور .

واستمرت جمعية الدفاع عن الحجاز فى عملها حتى سئم رئيسها الحقيقى السيد عبد الملك الخطيب من العمل لما رآه من عدم معاضدة الملك فيصل ، ولا الأمير عبد الله ، ولا أحد من الأشراف له وعدم تقديرهم لجهوده ، فقرر الانزواء فى داره ، واعتزل السياسة بتاتا ، وخفت ذلك الصوت الذى كان قائما ضد ابن سعود .

وأطلق جلالة الملك عبد العزيز آل سعود سراح السجناء فى الطائف وأعادهم إلى مكة دون محاكمة .

ولقد أمر بإبعاد السادة والشيوخ من سجناء الطائف ، أمثال السيد أحمد سقاف رئيس ديوان الشريف حسين . والسيد أحمد سقاف شيخ السادة ، والشيخ عبد الوهاب قزاز ، والشيخ عمر عباس ، والسيد عبد الكريم الخطيب ، وخلافهم إلى خارج البلاد باعتبارهم من رجال الحكومة الغابرة وأنصارها ، فانتشروا فى عدة جهات يبثون الدعاية السيئة ضد ابن سعود لاحبا فى الهاشميين ولا دفاعا عنهم ، لأنهم قد تخلوا عنهم ؛ وإنما لما أصابهم من أذى ونفى وتغريب عن الوطن لمجرد سوء الظن وتحت تأثير الوشاية من عمل المفسدين رغم انصرافهم لأعمالهم الخاصة وعدم قيامهم بأى عمل ضد الحكومة .



شعار الجمعية

فى سنة ١٣٤٥ ﻫ عند ماشعر الشبان الحجازيون فى مصر بزوال الكابوس الهاشمى عن الحجاز وتنشقوا نسيم الحرية، فكروا فى تأسيس جمعية تعاونية خيرية لهم فى مصر تعمل على لمّ شعثهم ، وتوحيد كلمتهم ، ومعونة بنى وطنهم خصوصا منهم طلاب العلم وذوى الحاجة من فقراء الحجاز ، فألفوها كما يظهر من شعارها وأطلقوا عليها اسم جمعية الشبان الحجازيين وأسندوا رياستها إلى السيد عبد الحميد الخطيب عميد الجالية الحجازية بمصر إذ ذاك ، فكان أول عمل قام به هو أن ذهب لمقابلة سعادة الشيخ فوزان السابق معتمد الملك ابن سعود فى مصر ، وأخبره بتأليف هذه الجمعية ، وقدم إليه قانونها ، وطلب منه أن يرفعه إلى مقام جلالة الملك ، لتكون الجمعية محل عطفه ورعايته ، فرحب المعتمد بالفكرة ووعد بمساعدتها ، واتخذت الجمعية لها مكتبا بإحدى عمارات رئيسها بشارع الشيخ ريحان رقم ٣٨ بمصر ، وناديا للمحاضرات بالمنيرة ، وسارت فى طريقها خير قيام ، وأسدت إلى الجالية الحجازية بعض أياد بيضاء ، حيث أعانت كثيرا من المحتاجين ، وساعدت بعض الطلبة المقطعين لطلب العلم ، وعنيت بمعالجة الكثير من المرضى، ودفن الموتى ، وترحيل العاطلين والمنقطعين

إلى بلادهم دون أن يكون لها أى تدخل فى السياسة ، بل إنها كانت تريد متابعة النهوض الحاصل فى الحجاز فى عهده الأخير مقتفية خطا صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، فى الدعوة إلى الله ، ونشر الفضيلة ، وإفهام الناس حقائق الدين الحنيف لولا أن بعض المفسدين أخذ يبث الفتن بين حكومة صاحب الجلالة وبين أعضاء الجمعية ورئيسها ، وألقى فى روع معتمد الحكومة فى حقهم ما ألقى ، حتى صار ينظر إليهم وإلى أعمالهم الخيرية بنظر الريبة وعدم الاطمئنان ، وهى سائرة فى طريقها تعمل مخلصة لله ثم الوطن .

فتنة الدويش

عند ما قبل ابن سعود انفصال الحجاز عن نجد ووافق على المناداة به ملكا على الحجاز مضافا إلى سلطنة نجد لم يرق ذلك فى نظر فيصل الدويش الذى كان يطمع فى أن يكون له شيء من السلطنة والنفوذ فيه مكافأة له على أعماله ، وعد هذا من ابن سعود نكرانا لجميله وعدم تقدير لجهوده فأسرها فى نفسه وصمم على الانتقاض عليه واتخذ من تحبيذ ابن سعود لكثير من المخترعات كالتليفون واللاسلكى سببا لإثارة بعض الأعراب عليه بحجة أن هذه من البدع التى لم تكن فى عهد رسول الله وأنها من أعمال السحر المحرم ، واستطاع أن يؤثر بذلك فيهم ، فجمع حوله صاحبه سلطان بن بجاد وابن حثلين وبعض المشايخ الجامدين والرؤساء الرجعيين ، وهموا بإذكاء نار الثورة فى البلاد ، وعملوا على إيجاد بعض الاضطرابات على حدود العراق ومهاجمة مخفر (البصية) العراقى ليحدثوا بعض الفتن والقلاقل ، فاعتبر الإنجليز ذلك تجاوزا على البلاد المشمولة بالانتداب ، وأوشك أن يؤدى الأمر إلى توتر العلاقات السياسية لولا أن تداركها جلالة الملك بحكمته وتدبره وانتهى الأمر عند هذا .

ولقد رأى جلالة الملك أن يضع حدا لأعمال الدويش فعقد مؤتمرا فى قصره بنجد دعا إليه ثمانمائة من عموم الطبقات وخطب فيهم بما عهد فيه من الصراحة التامة والديمقراطية الحقة خطبة تاريخية عظمى تعبر عما ملئت به نفسه الكريمة من الثقة بالله وخلوص العمل له عز وجل حيث قال :

(أيها الإخوان تعلمون عظم المنة التى من الله بها علينا بدين الإسلام إذ جمعنا به بعد الفرقة وأعزنا به بعد الذلة واذكروا قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) الآية

إن شفقتى عليكم وعلى ما من الله به علينا وخوفى من تحـــذيره سبحانه وتعالى بقوله (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) كل هذا دعانى لأن أجمعكم فى هذا المكان لتذكروا ـ أولا ـ ما أنعم الله به علينا فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة ـ وثانيا ـ لأمر بدا فى نفسى ، وهو أننى خشيت أن يكون فى صدر أحد شيء يشكوه منى أو من أحد نوابى وأمرائى بإساءة كانت عليه أو بمنعه حقا من حقوقه . فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك ، وأكون قد أديت ما على من واجب . وثالثا لأسألكم عما فى خواطركم وما لديكم من الآراء أو بمـا ترونه يصلحكم فى أمر دينكم ودنياكم .

أيها الإخوان ، إن القوة لله جميعا ، وكلكم يذكر أننى يوم خرجت عليكم كنتم فرقا وأحزابا يقتل بعضكم بعضا وينهب بعضكم بعضا ، وجميع من ولاه الله أمركم من عربى أو أجنبى كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم لذهاب أمركم ؛ ويوم خرجت كنت محل الضعف وليس لى من عضد وساعد إلا الله وحده ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلا تعلمونهم ، ولا أريد أن أقص عليكم مامنّ الله به علىّ من فتوح ولا ما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم ، لأن تاريخ ذلك منقوش فى صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمونه جميعا . وكما قيل (السيرة تبين السريرة) .

إننى لم أجمعكم اليوم فى هذا المكان خوفا أو رهبا من أحد منكم ، فقد كنت وحدى من قبل وليس لى مساعد إلا الله فما باليت بالجوع ، والله هو الذى نصرنى ، وإنما جمعتكم كما قلت لكم — خوفا من ربى ومخافة من نفسى أن يصيبها زهو أو استكبار ؛ جمعتكم هنا فى هذا المكان لأمر واحد ولا أجيز لأحد أن يتكلم هنا فى غيره ، ذلك هو النظر فى أمر شخصى وحدى . فيجب أن تجتنبوا فى هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع ؛ أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها .

أريد منكم أن تنظروا — أولا — فيمن يتولى أمركم غيرى . وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختاروا واحدا منهم ومن اتفقتم عليه فأنا أقره وأساعده ، وكونوا على يقين بأننى لم أقل هذا القول استخبارا ، لأننى ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منة

علىّ فى مقامى هذا ، بل المنة لله وحده ، ولست فى شىء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بقوة .

ولا يحملنى على هذا القول إلا أمران : الأول محبة راحتى فى دينى ودنياى . والثانى أنى أعوذ بالله من أن أتولى قوما وهم لى كارهون . فإن أجبتمونى إلى هذا فذلك مطلبى ولكم أمان الله ؛ فإن من يتكلم فى هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلا ولا عاجلا ؛ فإن قبلتم طلبى هذا فالحمد لله ، وإن كنتم لاتزالون مصرين على ما كلمتونى به على أثر دعوتى لكم فإنى أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع فى اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله .

(فصاح الحضور على نفس واحد : لانريد بك بديلا، لن نرضى بغيرك)، فاستمر فى الخطابة يقول: فإذا لم يحصل ذلك منكم، فابحثوا فى شخصى وأعمالى ؛ فمن كان له علىّ - أنا عبد العزيز - شكوى أو حق أو انتقاد فى أمر دين أو دنيا فليبينه ، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه أنه حرّ فى كل نقد يبينه ولا مسئولية عليه ، وإنى لا أبيح لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئا من النقد فى صدره ، وكل من كان عنده شىء فليبينه ، ولكم علىّ أن كل نقد تذكرونه أسمعه ، فما كان واقعا أقررت به وبينت سببه وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون فلكم علىّ عهد الله وميثاقه أننى أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئا . وأما الذى تظنونه مما لم يقع فأنا أنفيه لكم وأحكم فى كل ماتقدم شرع الله فما أثبته أثبته وما نفاه أنفيه .

أنتم — أيها الإخوان — أبدوا مابدا لكم ، وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولىّ أمركم أو من نقد موظفيه المسئول عنهم . وأنتم أيها العلماء اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سئلتم عنه اليوم وعما ائتمنكم عليه المسلمون . فأبدوا الحق فى كل ماتسألون عنه ولا تبالوا بكثير ولا صغير ، وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعى وما أوجب للراعى على الرعية فى أمر الدين والدنيا وما تجب فيه طاعة ولى الأمر وما تجب فيه معصيته . وإياكم وكتمان مافى صدوركم فى أمر من الأمور التى تسألون عنها ، ولكل من تكلم بالحق عهد الله وميثاقه أننى لاأعاتبه وأكون مسرورا منه ، وأنى أنفذ قوله الذى يجمع عليه العلماء .

والقول الذى يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء فإنى أعمل فيه عمل السلف الصالح ، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو قول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة .

إياكم — أيها العلماء — أن تكتموا شيئا من الحق تبتغون بذلك مرضاة ى ، فمن كتم أمرا يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة .

أظهروا الحق وبينوه ، وتكلموا بما عندكم .

فرد العلماء بأنهم يبرءون إلى الله من كتمان ماظهر لهم من الحق ، ويعلنون أنهم مانصحوه إلا انتصح ، ولو رأوا فى عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه ، وهم ما رأوا منه إلا الحرص على إقامة شعائر الدين ، واتباع ما أمر به الله ورسوله .

ثم نهض بعض الحضور وقال : لانعرف ما ينتقد إلا (الأتيال) اللاسلكى . فيقال : إنه سحر ، ولا يخفى حكم السحر والسحرة فى الإسلام . والثانى القصور (المخافر) التى تبنيها حكومة العراق على الحدود وهذا ضرر على أرواحنا وأوطاننا .

فأجابه : ليقل العلماء رأى الإسلام فى الأتيال ؟ فأفتى العلماء أنهم لم يجدوا فى القرآن أوالسنة أوقول أحد العلماء ولا من أخبار العارفين دليلا بتحريم الأتيال . وإن من يقول بالتحريم يفترى على الله الكذب ، ونبرأ إلى الله منه .

وأجابهم ابن سعود نفسه عن المخافر قائلا : إن القوم يدّعون أنكم أنتم الذين بدأتموهم بالعدوان ، وذلك بقتل السرية التى أرسلها الدويش لأهل (بصية) ثم غزوات الدويش التى تبعتها فى حين أنى — أنا يا ابن سعود — ماقمت بذلك وأنتم يا أهل نجد ماحميتم ذمة والى أمركم ، وإنهم يزعمون أن هذه القصور (المخافر) لم تبن إلا مخافة من الخطر منكم .

فصاح الإخوان : إننا نبرأ إلى الله من الدويش وقاطعناه هو ومن معه ، وإنا على استعداد لمهاجمته ومجازاته . يا عبد العزيز إننا نبايعك على السمع والطاعة ، وأن نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك ولو دفعتنا إلى البحر لخضناه . إنا نبايعك على مقاتلة من ينازلك ، ومعاداة من عاداك ، ونقوم معك ما أقمت فينا الشريعة .

ملكية نجد والمعاهدة

فى عام ١٣٤٥ ﻫ قرر أهل الحل والعقد فى الرياض إعلان ملكية نجد ، وصدر مرسوم ملكى فى ٢٥ رجب ١٣٤٥ ﻫ بتبديل اسم السلطنة النجدية وملحقاتها بالمملكة النجدية وملحقاتها ، وفى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ﻫ عقدت معاهدة جدة بين جلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . هذا نصها :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

(نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وأمبراطور الهند معاهدة صداقة وحسن تفاهم ، لأجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية ، وحسن التفاهم بين بلدينا ووقعها مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزان للصلاحية التامة المتقابلة ، وذلك فى مدينة جدة فى اليوم الثامن عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٥ ﻫ (الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م) وهى مدرجة فيما يلى .

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار : أمبراطور الهند من جهة ، وجلالة ملك الحجاز ونجد من جهة أخرى ، رغبة فى توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها ؛ قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم .

لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوبا مفوضا عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه فى الحجاز مندوبا مفوضا عنه .

بناء على ما تقدم ، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها . قد اتفق سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن على المواد الآتية :

المادة الأولى : يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها :

المـادة الثانية : يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر ، وبأن يسعى بكل مالديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة فى بلاد الفريق الآخر .

المـادة الثالثة : يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم فى الحجاز .

المـادة الرابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى فى البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفا ، والذين ليس لهم فى بلاد جلالته أوصياء شرعيون إلى المعتمد البريطانى فى جدة أو من ينتدبه لذلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطانى إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة وتستوفى عليها الرسوم المقررة فى القوانين الحجازية أو النجدية .

المادة الخامسة : يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته ، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة .

المـادة السادسة : يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المـادة السابعة : يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق .

المـادة الثامنة : على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت، وتصير المعاهدة نافذة اعتبارا من تاريخ تبادل قرارات الإبرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ ، وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقـدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبق نافذة ، ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر .

المـادة التاسعة : تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وملك الحجاز ونجـد وملحقاتها فى ٢٦ ديسمبر سنـة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكما لنجد وما كان ملحقا بها إذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ إبرام المعاهدة .

المـادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية وللنصين قيمة واحدة . أما إذا وقع اختلاف فى تفسير أى قسم منها فيرجع إلى النص الانكليزى .

المـادة الحادية عشرة : نعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .

وقعت هذه المعاهدة فى جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة سنة ١٣٤٥هـ الموافق (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م) .

جلبرت فلكنجهام كلايتن　　　　فيصل بن عبد العزيز السعود

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر ، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة فى مجموعها مفردة فى كل مادة وفقرة منها ؛ كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعـدا ملوكيا صادقا بأننا سنقوم بحول الله بمـا ورد فيها ونلاحظـه بكمال الأمانة والإخلاص ، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة فى تثبيت صحة كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا ، والله خير الشاهدين .

حرر فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٦ هـ ، الموافق ١٧ من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٧ م .

الختم الملكى　　　　عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

تصديق ملك بريطانيا :

ومن المفيد تتمة هذه الوثيقة التاريخية أن نثبت هنا النص الذى كان من قبل صاحب الجلالة البريطانية فى التصديق على نسخة المعاهدة حيث جاء فيه مايلى :

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار حامى الإيمان وأمبراطور الهند الخ .

إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام .

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها معاهدة وقعت فى جدة من قبل مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزين للصلاحية التامة المتقابلة ، وذلك فى اليوم العشرين من شهر مارس من سنة ١٩٢٧ م لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين بلدينا وهى كلمة بكلمة كما يلى .

فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر فى المعاهدة المتقدمة صدقناها وقبلناها وأثبتناها بجملة وفى كل مادة وفقرة منها، كما أننا بموجب هذا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ونتعهد ونعد وعدا ملوكيا صادقا بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الأمانة والإخلاص ما ورد فيها إجمالا وإفرادا من الأشياء الموجودة والمبينة فى المعاهدة المذكورة ، وبأننا لا نسمح لأحد بالإخلال بها أو منافضتها بأى وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك ، وزيادة فى الاستشهاد والصحة فى كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه المستندات ووقعناها بيدنا الملكية .

معركة السبلة

لقد عرف الدويش وقومه بالبطولة وشدة البأس . وداخل الرعب منهم كل قلب فى الجزيرة ، لما أظهوره من الشجاعة فى جميع حروبهم تحت راية ابن سعود ، وكان الناس يعتقدون أن ابن سعود مدين لهم بكل ما أحرز من نصر وأنهم دعائم ملكه ومصدر شوكته، وبدونهم لايستطيع أن يثبت عرشه أو تدوم دولته ، وداخل الدويش نفسه هذا الوهم الفاسد ولذلك ملأ قلبه بالغرور ، والغرور مادخل قلبا إلا أفسده ، ولذلك ظن أنه سيظفر بتقويض ملك ابن سعود إذا هو أعلن حربه عليه : وعندما فشل فى أمر الفتن التى أثارها على حدود العراق أخذ يعد العدة للقيام بثورة داخلية واسعة النطاق، بما ينشره من الدعاية السيئة فى قبائل نجد ضد ابن سعود زاعما أنه عندما تم له الاستيلاء على الحجاز أقر البدع واكتفى بالملك عن العمل لتأييد دين الله . فلا بد من إقصائه عن الملك واستبداله بسواه . ولقد نجح فى دعوته وجمع

جموعه حول ماء فى نجد يقال لها (السبلة) وانضمت إليه جميع أنصاره ممن غزا بهم الحجاز ؛ ولم يخف كل هذا جلالة الملك لأنه كان يعتقد أنه لم يحصل على ما حصل عليه من نصر عظيم وفتح مبين بقوة أولئك القوم وشجاعتهم بل بتأييد الله له تتيجة لخلوص نيته وحسن صلته به جل وعلا ، ولذلك فإنه لم يكن يحذر من شيء إلا أن يكون سائرا على غير ما يرضى الله سبحانه وتعالى ، ومن أجل هذا جمع كبار قومه وعلماءهم واستنصحهم كما أسلفنا ، لأن الرجل قد لا يرى عيوب نفسه وسيئات حكمه ، فلما وجد منهم الرضى والتأييد استأنس بقولهم باعتبار أن رضاء الناس من رضاء الله ، وأن ألسنة الخلق أقلام الحق ، وقرر حرب البغاة معتمدا فى ذلك على معونة الله وعظيم تأييده ، وأمر بتعبئة جيش من أهل الحواضر الذين لم يمارسوا الحرب من قبل وسار بهم إلى (بريدة) وعسكر فيها ، وسير جيشا آخر بقيادة ابنه الأكبر سمو الأمير سعود إلى مكان يقال له (النبقية) وظل فى مقره إلى ما بعد عيد الفطر سنة ١٣٤٧ هـ ، وقبل أن يقوم بهجومه أرسل جلالة الملك إلى فيصل الدويش وسلطان بن بجاد يدعوهما إلى ما كانا عليه من طاعة ويحذرهما من نتيجة غرورهما ، وما هما قادمان عليه من حركات عدائية ؛ وبينما هو ينتظر الجواب إذ أقبل عليه الدويش بنفسه طالبا منه العفو عنه وعمن معه وأن يعطيه الأمان لهم جميعا على أموالهم ودمائهم فأمنه وعفا عنه ، فطلب أن ينام فى مخيم جلالته سواد تلك الليلة ثم يذهب صباحا ويأتى بجماعته طائعين . فأدرك جلالته بثاقب نظره أنه لابد وأن يكون فى الأمر خدعة مدبرة ، فأجابه بقوله : إذا كنت صادقا فى قولك فقم واذهب إليهم منذ الآن ولتعد معهم إلىّ عند شروق شمس الغد ، وإن لم تعد فسترى ما يصيبكم أجمعين ، فخرج الدويش من وسط المعسكر قاصدا قومه وكاشفهم بما كان يقصده من الذهاب إلى معسكر الملك من اكتشاف مدى قوته وإلقاء الفتنة فى صفوف أنصاره إذا استطاع ، ولكن ابن سعود لم يمكنه من ذلك غير أنه استطاع أن يتبين حقيقة جيشه وسبر غورهم ، وأيقن أنهم ليسوا برجال حرب ولا ضرب ، وأنه سيظفر بما لديهم من غنائم لا تعد عند ما تلتقى الفئتان ، فأطمع ذلك قومه وصمموا معه على الاستمرار فى الحرب .

ولما لم يعد الدويش إلى جلالة الملك فى الموعد المحدد ، أمر جنده بالاستعداد ، وجعل ابنه الأمير سعودا قائد الميمنة ، وأخاه الأمير محمدا قائد الميسرة .

وفى صبيحة يوم السبت ١٩ شوال امتطى فرسه (الصوتية) وشهر سيفه (رقبان) وقاد الجحافل بنفسه وهجم بهم هجمة عنيفة على خصومه ، وما هى إلا لحظات حتى انهزم العصاة ، وأبيد معظمهم ، وفر فيصل الدويش وابنه عبد العزيز وسلطان ابن بجاد إلى الأرطاوية على بعد سبع ساعات عن مكان المعركة ، فأراد الخيالة السعوديون اللحاق بهم ، فأبى عليهم جلالة الملك ذلك جريا على عادته فى الحرب من أنه لايجهز على جريح ولا يتبع من ولوا الأدبار .

وماكاد الدويش يصل إلى الأرطاوية مثخنا بجراحه ، مضرجا بدمائه ، وقد تمزق شمل من معه من الأنصار إلا بعض الفلول من قبيلته حتى شعر بضعفه وتحطم أمله ، فبادر بإرسال خطاب أرسله مع جمع من الأطفال والنساء إلى جلالة الملك يطلبون لهم العفو والصفح ، فما أن رآهم جلالته يبكون حتى رف لحالهم ، وبكى لبكائهم ، وأصدر أمره العالى بالعفو عن فيصل الدويش وابنه عبد العزيز على شرط أن يسلم ابنه عبد العزيز نفسه حالا إلى الحكومة ، ولا بأس من أن يظل الدويش بالأرطاوية حتى يشفى من جراحه ، وعلى شرط أن يقطع علاقته حالا بقبيلة مطير ، فقبل الدويش الشروط وسلم ابنه عبد العزيز نفسه طائعا لجلالة الملك الذى أكرمه وأحسن مثواه ، وكذلك فعل سلطان بن بجاد ، فقد كتب إلى جلالة الملك يستسمحه بالإذن له بالمثول بين يديه ثم ليفعل به مايشاء ، فأمره جلالته بأن يسلم نفسه إلى أمير شقرا ، ففعل وأودع السجن ، وانتهت الفتنة عند هذا الحد ، وسافر جلالة الملك إلى الحجاز للحج والإشراف على راحة وفود بيت الله الحرام .

مؤتمر الدوادمى

ما كاد جلالة الملك يتم نسكه ويستقبل العام الجديد عام ١٣٤٨ ﻫ فى مكة المكرمة حتى وافته الأخبار أن فيصل الدويش بعد أن استعاد قوته فى ظل تسامح جلالة الملك عهد إلى ابنه عبد العزيز أن يستثير العجمان للقيام بأعمال إرهاب أدت إلى اختلال الأمن وقطع الطرق والسلب والنهب فى جميع أنحاء نجد ، فخف جلالته بالسفر إلى نجد ودعا شيوخ القبائل وكبار الشخصيات من عموم الجهات إلى الاجتماع فى الدوادمى ، وقد بلغها جلالته فى يوم الاثنين أول صفر ١٣٤٨ ﻫ فألفى بها مايزيد عن ألف وخمسمائة رجل من علية قومه ، وقد اجتمع كلهم فى سرادق فخم أعد لهم ،

وهنالك أقبل عليهم جلالته مسلماً ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إننى واعدتكم بهذا المكان للاجتماع فيه ، وأنا أعلم أنكم ثلاثة أقسام : أما قسم فإنى موقن من إخلاصه ونصحه لدينه وولايته وليس عندى فيه شك ولا شبهة . وأما قسم فأعلم أنه تبع لكلِّ ناعق . وأما قسم وهو الأقل الأصغر والحمد لله فهو الذى فى قلبه ريب من البغاة ومن اشترك معهم من الذين قدر الله عليهم ماقدر . وكنت استعجلت السفر للحج بعد السبلة قبل أن أتفقد أحوالكم ، وأتميز الخبيث منكم من الطيب ؛ لأن وقت الحج قد أدركنى ، وكان فى ذلك حيرة ؛ إذ كان من الصعب التمييز ومعرفة الحقيقة بعد خروج أولئك البغاة من تلك الكسيرة ، إذ عم الجميع الخوف والذل ، وأظهروا الطاعة ، فمن العسير التمييز بين الصادق فى دعواه ، والمضمر للشر ، ولكن من العادات التى عودنيها ربى أن يخفى على الدوام بألطافه ويفضح أهل الشر الذين يضمرون السوء لدينهم وولايتهم ووطنهم ، فكانت نكرة العجمان ومن التف حولهم من المفسدين سببا لظهور أهل الزيغ بزيغهم وتكلمهم بما يفيد رضاءهم عن أولئك المرتدين الفجرة ، وبذلك تميز أهل الحق عن الباطل، وظهروا عيانا للجماعة المسلمين ؛ إن اعتصامى بالله وسيرى على الطريقة المحمدية واقتدائى بعلماء المسلمين يدعونى إن شاء الله تعالى لعدم الجموح بالنفس ؛ لذلك أقدم قبل كلامى ما أفتى به علماء المسلمين بشأن أولئك البغاة وما كتبوه من النصائح والإرشادات ، ليتبين الحق من الباطل وليحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

ثم أمر جلالته بتلاوة ماأفتى به علماء نجد الأعلام بشأن الذين خرجوا عن الطاعة من أولئك البغاة وما كتبوه من النصائح والإرشادات التى كتبت للجميع فسمعها الجميع منصتين خاشعين باكين مستغفرين . فلما انتهى القارئ وأتمّ مابدأ به عاد جلالته إلى الكلام فقال « يا أهل نجد - ولا أريد بأهل نجد فى هذا الخطاب أولئك الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، بل أريد بهم من كان من أولئك البغاة أو رأى رأيهم - تفهمون أننا ولله الحمد سادتكم ملكنا بالله ثم بكلمة التوحيد والسيف فرحمنا الصغير ووقرنا الكبير وواسيناكم بأنفسنا ، وأصبحتم أعزاء بعد الذلة ، وأغنياء بعد الفقر ، كل ذلك بأسباب الله ثم أسبابنا ؛ فبعد أن نلتم من أسباب العز والظفر مانلتم غرتكم أنفسكم ونفخ الشيطان فى أنوفكم ، وظننتم أنكم صرتم فوق الناس ، فأخذتم تفتاتون فى الأمر على غير علم وهدى ، تحرّمون وتحللون، مددتم ألسنتكم وأيديكم إلى ماليس

لكم به علم ولا حق حتى ظهر الفساد فى البر والبحر ، واستفحل الأمر ، ورأيت أن من الواجب إيقاف المغرور عند حده ، فقدمت لذلك النصائح والمرشدين ، فلم يجد ذلك نفعا حتى قدر الله للسيف لحكم حكمه يوم السبلة ، ذلك اليوم الذى رجوت أن يكون الحاسم للشر فيرجع صاحب العقل إلى رشده ، وقد حصل — ولله الحمد — ما تمنيت فهدى الله من هدى منكم وقامت الحجة على المخالف .

والآن يا أهل نجد إن هذا الملك الذى ولانى الله أمره ، لكم مصالحه تأكلون خيراته ، وأنا أنقل همه ونكباته ، فإن أجهدتم أنفسكم فى صلاح دينكم وملككم فهذا من حظكم بتوفيق الله لكم ، وإن أبيتم إلا أن تكونوا عونا لأعدائكم فى فساد أمركم فأنا برىء من فسادكم ، وسترون عملى فيكم ، وأعتقد أنكم لم تنسوا أمرى فيكم يوم خرجت عليكم بأربعين راكبا وعبد العزيز بن رشيد فى جموعه وجنوده من خاصته ومنكم ، ومن ورائه الترك يمدونه بالجنود والمدافع والأموال ، ثم كانت حكومة الحجاز تناصره وتساعده ، ومساعدى منكم قليل . وذلك القليل كان يساعدنى بقلبه دون فعله ، فأعاننى الله . قتلت الراعى وماسكت الرعية فهل لأحد منكم فى ذلك منة ؟ كلا ثم كلا ، إن المنة لله وحده ، هل منكم أحد إلا الأقل لم تلعب فى رقاب آبائه وأجداده سيوفى وسيوف آبائى وأجدادى من قبل ؟ كل ذلك لعنادكم من قبل ومن بعد عن الخضوع للشريعة ودين الحق .

أفترون بعد هذا كله ترك شرذمة قليلة تبطل الشريعة ، وتفتات على دين الله ، تقطع السبيل وتفرق جماعة المسلمين ؟ لا والله إن شاء الله .

يا أهل نجد ، لقد عاهدت الله على ثلاث . أولا : فى الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة فى الدقيق والجليل . الثانى : فى الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه الثالث : الإحسان للمحسن والإساءة للمسىء .

يا أهل نجد أريد منكم شيئا : إنه من كان له حق عندى فى أمر دينه أو دنياه فليبده لى ، وملعون من كتم ظلامته فى نفسه ، ولكم عهد الله وميثاقه أن من كانت له ظلامة لأنصفنه فيها ولو كانت علىّ أو على إخوتى وأولادى وأمرائى .

فأجاب الجميع : والله مالنا شىء نطالب به ، ولا نرى منك غير الإحسان والنصح.

ثم واصل جلالته الكلام فقال . وثانيا آمركم جميعا يارؤساء القبائل والعشائر من المحسوبين على أن تعاهدوا الله ثم تعاهدوا إخوانكم من أهل نجد فتشركوهم معكم

فى جميع الإحسان الذى تنالونه منى ، وأن تجزعوا لهم من أى عمل يعمل فيهم بغير حكم الشرع . وثالثا ! أريد أن تعاهدونى جميعا وبالأخص جماعتى الذين كانوا معى وكذلك من وثقتم من الذين كانوا مع المخالفين فى السابق ورجعوا لأمر دينهم أن تعاهدونى جميعا على النصح لجماعتكم المخالفين فى السابق ؛ فمن أطاع وأناب فقد أعطيتكم الأمان على ماله ودمه وعن جميع ما يكره ، ومن أبى فعليكم أن تجاهدوه حتى يثخنه الله ولا يبقى له اسم .

واعلموا أننى عازم إن شاء الله تعالى على استئصال شأفة البقية من البغاة المرتدين فلول العجمان وفلول من تبعهم ، ولا بد من المسير إليهم ، وسآمر بالمسير إليهم متى هل هلال ربيع الأول ، ولا أقبل من إنسان حضر واقعة السبلة مع البغاة أن يتخلف عن المسير إليهم ، فمن جاهد وسار معنا فهو منا ونحن منه ، ومن تخلف بغير عذر شرعى فإما أن تقتلوه وتريحوا المسلمين منه ، وإما أن تأخذوا قوته من سلاح وجيش وخيل .

لقد سير جلالة الملك جنوده من عموم الجهات لتأديب العصاة أنى وجدوا حتى أحاطوا بهم ، واستطاع عبد العزيز بن مساعد أمير حائل أن يتعقب عبد العزيز ابن الدويش ومن معه حتى ظفر بهم ، وأمعن فيهم السيف إلى أن قتل عبد العزيز ابن الدويش وكثير من أنصاره . وذلك فى يوم السبت ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ هـ وفر الدويش إلى حدود العراق ، وتم لجلالة الملك بهذا النصر المبين .

مؤتمر شعرا

لم يأمن جلالة الملك من شر الدويش فدعا رؤساء العشائر إلى عقد مؤتمر فى شعراء، وهى قرية بين الرياض ومكة تبعد عن الأولى ٢١٦ ميلا وعن الثانية ٣٨٩ ، وعين موعدا للاجتماع يوم الخميس ٣٠ ربيع الثانى ، لتقرير مصير العصاة والمتخلفين ووضع حد لأمثال هذه الفتن .

وفى الموعد المحدد اجتمع هنالك مالا يحصى من الرجال ، ووصل جلالة الملك ، وأقبل عليه كبار المجاهدين من القارة يهنئونه على الفوز الذى ناله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ارتجل فيهم الكلمة الآتية :

(إن هذه الساعة هى الساعة التى يجب علينا أن نقوم فيها بشكر الله ، وإن أكثر

مايخيفنى أيام الفتح والنصر والتأييد أن نقصر فى واجب شكرنا لله تعالى . ولقد كان من فضل الله علىّ أننى كلما اشتدت علينا المحن عظم رجائى بالله ، وكلما فرج الله عنا الكروب ازداد خوفى من تقصيرنا فى شكر الله أن يبدل نقمته بنعمته ، وأهم ماينبغى علينا فى مثل هذه المواقف أن ننظر عظم منن الله علينا ، فنقوم بما يجب إزاء هذه النعم ، فهذا اليوم هو محل الخوف الحقيقى من تغيير الله على المسلمين ، فبعد شكر الله يجب على المسلمين أن يفكروا فى العمل الذى يمحو الله بسببه سائر الفتن ودواعيها ، حتى نعيش فى أمن وراحة فى ديننا وأوطاننا) .

لقد أكثر الناس الطعن فى الدهينة والخضرى ومن التف حولهم من الأشقياء الذين قدموا من أقاصى الحدود لإشعال الفتنة داخل نجد . أما أنا فأقول جازى الله الدهينة ومن معه فى جهنم ، ولكن لم يحسن إلينا أحد كما أحسن إلينا الدهينة ومن معه ، ولقد كنت موقنا أن أولئك الذين امتنعوا عن حكم الشريعة منهم يوم السبلة وصمدوا لقتال المسلمين يستحيل على أشرارهم أن تطمأن قلوبهم للسكون والاطمئنان حتى يثخنوا إثخانا ؛ ولقد كان يشغل منى الفكر فى أمرهم وأعلم ما انطوت عليه قلوبهم من الغيظ على المسلمين وتربص الدوائر فيهم . ولما مررت بكم فى الدوادمى وشفعتم فيهم لم يكن لتحملنى نفسى على التنكيل بهم لظنون لدى فيهم ، وتركت الأمر وقلت عسى الله أن يهدى قلوبهم ، فأعطيت لهم العطيات وأكرمتهم وصنت لهم جميع حقوقهم ومنعت عنهم كل عدوان، ثم لما وصلت الرياض جاءوا تائبين طائعين ، فكررت لهم العفو وأجزلت لهم العطاء وعاهدونى على السمع والطاعة ، ولكنهم كانوا مع ذلك يضمرون الغدر ويسعون بالمكر حتى جاء الدهينة ومن معه (والدهينة تعلمون والله لاخر ولا جر) فلما صاح بهم إلى الفتنة لبوا إليه مسرعين ، وعند ذلك انجلى الشك ووضح اليقين (وزان المضراب) ولم يبق لأحد حجة فى التخلف فكان ما كان من نعم الله وفضله وتأييده . وقد أتيتكم الساعة لأسمع وأرى رأيكم فى التدابير التى ترون — بعد أن أثخن الله أعداءه — للقضاء على أهل الفساد بحيث لاتقوم لهم قائمة بعد اليوم بحول الله وقوته ، وتذكروا أن أولئك المفسدين لم تردهم موعظة ، ولم يحجزهم إسلام ، ولم يمنعهم عهد ، ولم يفد فيهم عطاء ، ولم يؤلف قلوبهم معروف ، خرجوا عن الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وظاهروا المارقين من الإسلام ، خفروا ذمة المسلمين ، وأفسدوا فى الأرض ، وقطعوا

السابلة وأخافوا الآمن وقتلوا البرىء، ولا نريد أن نشهد فى بلادنا بعد هذا اليوم بحول الله وقوته مثل هذا الحدث ولا مثل هذه النزغات الشيطانية ، ولينصرف كل واحد منكم إلى جماعته ليستشيرهم فيما يرون وأتونى غدا فى هذا المكان لتعلنوا آراءكم على ملأ من الناس ؛ وإن شاء الله تعالى لن أنصرف من مقامى هذا وأترك فى دماغ مفسد أملا فى الرجوع إلى الفتنة بحول الله وقوته .

إنى لا أريد من أحد أن يبدى لى رأيا فيما ذكرت فى هذه الساعة ، وإنما أطلب منكم أن تنصرفوا الآن لترجعوا إلى هذا المكان صباح الغد بآرائكم فى هذا الأمر) .

فسمع الحاضرون الأمر وانصرف كل إلى رعيله يأخذ رأيهم فيما سألهم عنه الإمام أيده الله .

وفى اليوم الثانى انعقد المؤتمر عند الصباح برياسة جلالة الملك وحضره سائر من ذكرنا من العلماء والقادة ، ولم يتخلف غير خالد بن لؤى ومحمد بن سحمى ، لأنهما لم يصلا بعد إلى شعرا ، وقد تقدم كل بالاقتراح الذى عنده وبعد مناقشة دامت أربع ساعات متوالية تقرر ما يأتى :

١) أن جميع الذين قاموا بالعصيان من عتيبة وبنى عبد الله من مطير قد تم القضاء عليهم ، ولم يبق أحد منهم عنده فضل قوة يستطيع أن يأتى بأى عمل منكر .

٢) أن جميع من اشترك فى الفتنة وبقى حيا يؤخذ ماله وجميع مالديه من جيش وسلاح ، وتحكم الشريعة فى رقبته .

٣) أن من كان متهما بممالأة أهل الفساد ولم يجاهدهم مع المسلمين تؤخذ شوكة الحرب منه (وشوكة الحرب فى العرف ما كان من ذلول وفرس وبندق) .

٤) أن الإمام يمنح المجاهدين الصادقين ما يؤخذ من الأشرار المفسدين ليتقووا بما يأخذون من المفسدين .

٥) أن الشجرة التى فيها أناس من أهل الفساد يرسل إليها أمير معه قوة لينظر فى أمر المفسدين بما تقضى به الشريعة والمصلحة العامة .

٦) كل هجرة غلب الفساد على أهلها فإنهم يطردون منها ويفرقون بين القبائل ولا يسمح لأحد منهم بالاجتماع فى مكان واحد .

٧) أن ترسل السرايا لإنفاذ هذه القرارات فى الحال وفى أثناء وجود جلالة الملك فى شعرا ، وأن لا يمتد هذا إلى أكثر من عشرة أيام .

٨) أن جميع الرايات بعد إنفاذ هذه القرارات تنحدر فى الحال إلى أطراف الحدود حيث يقيم الأشقياء من العجمان والدويش .

بين الدويش والملك

اتصل الخبر إلى الدويش فتحطم أمله من جديد ، وكتب إلى جلالة الملك خطابا بتاريخ ٩ رجب سنة ١٣٤٨ هـ يقول فيه : إنّ ماحصل هو بتقدير المولى ، وإنه جاء الآن يطلب عفوه ، ويرجو ألا يلجئه بعدم العفو إلى الكفر والتمادى فى العصيان ، فأدرك جلالة الملك من فحوى كتابه مايدل على سوء نيته ، فصارحه بذلك .

وبالرغم من هذا أعطاه الأمان ، إذ كتب له جوابا بتاريخ ٢٨ رجب هذا ملخصه:

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود — إلى فيصل الدويش .

أما بعد ، فقد وصلنى كتابك المبعوث مع وفدك، وفهمت منه ماانطوى عليه من مقاصد وما ترمى إليه من أغراض لاتخفى على ، وهى على ماأظن تشتمل على مايأتى :

١) الالتجاء إلىّ بعد أن سد الله فى وجهك الطرق ، وأراك عجزك ، وأنزل بك مقته ، فلم تبق لك حيلة تحتالها غير اللجوء إلىّ .

٢) المكر لتقول للناس بعد ذلك إذا أردت أن تمكر فى مرة ثانية : إننى أفعل ما أشتهى ، ثم أركب لابن سعود فأنال منه ما أريد .

٣) الانتصار على من طلبت مد يد المساعدة منهم فلم يمدوها إليك ، فقلت لهم : إذا لم تعطونى مطلبى فسأمضى إلى ابن سعود وأصالحه ثم أغير عليكم وأفعل بكم ما أريد .

٤) تريد بحياتك (يا فيصل الدويش) غيظ المسلمين الذين قتل بعضهم بعضا بسببك إن عفوت عنك .

ولقد كنت أحب ألا يصلنى خطابك ووفدك لأضربك الضربة القاضية ، ولكن أما وقد جاءنى فلا بأس من أن أعطيك الأمان لتقوم الحجة عليك ، وإن كان لديك بقية من الشر تستطيع أن تتمادى فيها ، فالله خير كاف ، وإلا فأقبل أنت ومن معك فى وجهى ، وأمان الله على دمائكم .

وعند ما وصل الخطاب إلى الدويش وأدرك أن جلالة الملك قد فهم ما فى نفسه ، وأنه لابد وأن يكون قد أخذ لنفسه من الحيطة مايفسد نواياه لم يفرح بذلك العفو ، ولم يجد له مصلحة فى العودة إليه فأراد أن يظهر أمام الملك بمظهر العظمة ، وأنه

لم يحمل على الكتابة إليه إلا بدافع الإخلاص لله ؛ ليكسب بذلك ثقته ، فكتب يقول : (إنى شاكر لك عفوك وواثق بما قطعته لى من الأمان ، ولكنى أريد أن تعلم أن الطرق لم تسد فى وجهى كما ظننت ، بل إن الحكومات قد كتبت إلى تخطب ودى، وترجو أن أكون من رعاياها ، وفى استطاعتى أن ألبى دعوتها ، وألجأ إليها .

غير أن دينى لايساعدنى على أن ألجأ إلى بلاد تحت حكم الكفار ، واللجوء إليك وأنت من أئمة المسلمين خير من اللجوء إلى سواك على كل حال . ووعد بأنه سيأتيه عما قريب طائعا مخلصا ويظل فى خدمته حربا على أعدائه ليكفر عن ماضيه ، فلم يرد عليه جلالة الملك انتظارا لقدومه كما وعد .

ولما كانت ثقة ابن سعود بالله قوية ، وهو الذى يردد فى كل وقت قوله : من خدعنا بالله انخدعنا له ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؛ فقد سخر له من يأتيه بالوثائق التى تدل على صدق ظنه فى الدويش حيث رفعت إليه صور خطابين بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣٤٨ ﻫ أرسلهما المذكور إلى الملك فيصل ملك العراق وإلى المستر كاوب المفتش الإدارى للبادية الجنوبية فى العراق الشهير (بأبى حنيك) يقول للأول (إنه خرج على ابن سعود ـ كما يعلم ـ إلا أن الطيارات التابعة لسلاح الطيران البريطانى فى العراق طردته من الأراضى العراقية فيطلب من جلالته أن يردها عنه ليتفرغ لابن سعود وإلا فليأمره بما يريد) ويرجو من الثانى (أن يعتبره من أحد رعاياه ويأمره بما يريد) .

وما لبث ابن سعود أن علم بأن الدويش قد سافر إلى خارج المملكة ، فأرسل برقية بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٣٤٨ ﻫ إلى المندوب السامى فى العراق يقول له فيها إن بريطانيا قد تعهدت بطرد العصاة من أراضى العراق والكويت وشرق الأردن وهاهم فى الكويت ، فإما أن تطردهم الحكومة البريطانية ، وإما أن تسمح للسعوديين بمطاردتهم أنىا ذهبوا أو تعلن حمايتها للعصاة . فتلقى منه الرد بتاريخ ٦ شعبان بأن الحكومة البريطانية جادة فى عمل الترتيبات اللازمة لإخراج العصاة .

وفى ١١ شعبان علم جلالة الملك بأن فيصل الدويش ، ورفيقه نايفا بن حثلين ، وجاسر بن لامى معتقلون فى باخرة بريطانية ، فبعث إلى المندوب السامى برقية فى الحال يطلب إليه تسليم المجرمين إنفاذا لتعهد بريطانيا ، بأن لا تؤوى أحدا منهم فى أراضى العراق وشرق الأردن والكويت . فجاءه الرد بطلب تعيين موعد مكان

للاجتماع فيه للبحث فى أمر اللاجئين ، وعقد معاهدة بشأنهم فعين له يوم ١٨ شعبان على أن يكون الاجتماع فى مكان يقال له (حبارى وضحا) .

مصرع الباغين

إن من أبرز صفات جلالة الملك عبد العزيز وفاءه لأصدقائه وتقديره للعاملين من رجاله ؛ ولذلك فإنه كان فيما مضى كثير العطف والتقدير لفيصل الدويش ، باعتباره صديقا حميما له وقائدا عظيما من قواده ، فأنزله من نفسه منزلة سامية ، وصير له فى قلوب الناس مكانة لاتدانى ، وجعل له من الحشم والأتباع ما لأبنائه الأمراء ، وإذا جلس أجلسه بجانبه ، وإذا قال قولا أجازه ، وإذا طلب مطلبا لايرده، حتى ظن الدويش أن ذلك ناشئ من خوفه منه لاعن تقديره إياه ، وكان هذا من ضمن الأسباب التى أوجدت فى نفس الدويش الشىء الكثير من الغطرسة والاعتزاز بالنفس والكبر والخيلاء ، حتى لقد كان منه ماكان من الانتقاض عليه . وزاد فى غروره بنفسه ما رآه من تسامح جلالة الملك وعفوه عن سيئاته غير مرة ولكنه عند ما نال منه العفو الأخير أدرك من جواب جلالة الملك له أنه سوف لاينال لديه تلك الحظوة الماضية المنبعثة عن سابق الإخلاص والود ، ولم تهضم نفسه أن يمن عليه جلالة الملك بالعفو ، فأراد أن يلقى فى روعه أنه على شىء ليحمله على احترامه بدافع الخوف منه ، فكتب له مهددا بأن الحكومات قد كتبت إليه تخطب وده ، وفى استطاعته أن يلبى طلبها ويلجأ إليها ، ثم تخيل ذلك حقيقة واقعة فطرق باب ملك العراق والمفتش الإدارى للبادية الجنوبية يعرض عليهما استعداده للانضمام إليهما لعله يظفر بتأييدهما له فيتخذ من ذلك برهانا على تدعيم ما كتبه إلى ابن سعود ، وسافر إليهما فعلا ليحقق القول بالفعل ، وفاته أن بريطانيا العظمى أكبر من أن تخدع بأقوال المتنطعين ، وسياستها لاتسمح لها بإيواء المجرمين ؛ ولذلك فإنه ما كاد يصل إلى العراق حتى قبضت الحكومة الإنجليزية عليه مع رفيقيه ، واتخذت منهم وسيلة للتفاهم مع ابن سعود لوضع حد لغارات البادية على الحدود والاتفاق على تبادل تسليم العصاة اللاجئين ، ولقد حضر لهذا الغرض إلى (حبارى وضحا) فى يوم الاثنين ٢٠ شعبان سنة ١٣٤٨ ه كل من الكولونيل بيسكو رئيس المعتمدين السياسيين فى الخليج الفارسى ، والكولونيل ديكسون المعتمد السياسى بالكويت ، والكومندو

برنت معاون قائد الطيران البريطانى فى العراق ، يصحبهم بعض التراجمة والكتاب وسعادة الشيخ حافظ وهبه مندوب ابن سعود فى الكويت إذ ذاك ، وحظى الجميع بمقابلة جلالة الملك فى ذلك اليوم ثم بدأت المفاوضة بينهم ، وتولى البحث بالنيابة عن جلالة الملك كل من سعادة الشيخ يوسف ياسين سكرتير جلالة الملك الخاص ، وسعادة الشيخ حافظ وهبه ؛ واستمرت المفاوضة إلى يوم الاثنين ٢٧ شعبان سنة ١٣٤٨ هـ بعقد اتفاقية فيما بينهم ، تقرر بمقتضاها أن تطرد القوى العراقية العصاة اللاجئين من قبائل العجمان ومطير من الأراضى العراقية حتى تدخلهم حدود نجد ، وأن تحضر طائرة بريطانية الدويش ورفيقيه ابن حثلين وابن لامى رؤساء العصاة إلى جلالة الملك ليفعل بهم مايشاء ، وأمر جلالة الملك أحد خاصته الشيخ عبد الرحمن الطيبشى بالسفر على رأس قوة للإحاطة بأولئك العصاة الذين سيطردون من حدود العراق ، والإتيان بهم إلى مخيم المليك ، وإكرامهم وتبليغهم أمر العفو عنهم ، وسافر المفاوضون الإنجليز إلى أماكنهم .

وفى الساعة الخامسة من صباح يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٨ هـ الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م عادت إحدى الطائرات الإنجليزية بالكولونيل ديكسون ومعه قائد البارجة الحربية البريطانية التى اعتقل المجرمون فيها ومعهم الدويش وابن حثلين وابن لامى ؛ ولما أن تشرفوا بالمثول بين يدى جلالة الملك تكلم الكولونيل ديكسون ، وقال إنه ورفيقه قد قدما خصيصا لتسليم المجرمين إلى جلالة الملك ، فشكرهما جلالته وشكر بريطانيا التى انتدبتهما على حسن وفائها واحتفاظها بصداقته من جهة ، وما بذلته من مساع لاستقرار الأمن والسلام فى تلك الربوع ، ثم استأذنا فى السفر فأذن لهما وعادا من حيث أتيا .

ثم أمر جلالة الملك بالمجرمين الثلاث فأحضروا بين يديه فشملهم بعطفه ، وأذن لهم بالجلوس فجلسوا ، ووجه جلالته إلى الدويش الحديث الآتى :

— أما تخاف رب العزة ؟ ما الذى حملك على هذه المخازى ؟

فتلعثم الدويش ولم يدر مايقول ، ولكنه استجمع قواه وبكى صاغرا مستغفرا . وقال :

— لم يبق شىء من الخزى لم أفعله ، وماذا تريد أعظم من هذا الخزى وهذا الجزاء أمام سائر أهل نجد ؟

— إنك تعلم يافيصل ماعملت من أجلك فى الماضى .

— نعم أعلم .

— ماقصرت فى شىء نحوكم .

— ماقصرت ياطويل العمر .

— لقد كنت - يافيصل - فى حرب مع أهل نجد من أجلكم .

— صدقت يا أبا تركى .

— فهل هذا جزائى منكم .

— وأخذ الدويش يبكى كالنساء لأول مرة فى حياته، واستمر ابن سعود يقول: هل كنتم تريدون الملك ؟ لقد كنتم كلكم ملوكا فى الجهات التى كنتم فيها ، من منكم له الفضل علىّ ؟

— لا أحد .

— الفضل لله وحده .

— صدقت .

— من منكم لم آخذه بسيفى ؟ ليس منكم إلا من قتلت له أباه أو أخاه ، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف .

وأخذ الدويش الجبار السفاك العبوس يئنّ كالثكلى ، فقال ابن سعود :

— قد كنت أنفذ رغائبكم ، فكنت أشقى وأتعب من أجلكم .

— نعم نعم .

— وأواصل الليل بالنهار لراحتكم وسعادتكم . ألا تخاف الله حينما تكتب لجلوب أنك تريد الهجرة إلى العراق ، وأنك تحب أن تكون تابعا له ؟ أكنت تظن أنك ستكون فى منزلة أعلى من منزلتك التى كنت فيها ؟

كان ابن سعود يتكلم . والدويش يبكى ويئن ويرسل الآهات والزفرات ، وقلبه يتصدع من البكاء ما يحبس دمعه حابس ، وقال :

— يعلم الله ياعبد العزيز أنك لم تقصر معنا ، وقد فعلت مايبيض وجهك ، وقد قابلنا معروفك بالإساءة ، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك فى طيارة من طياراتهم ، ويكفى ما أشعر به من الهوان والصغار أمام

الإخوان بعد أن كنتُ عزيزا محترما ، قاتل الله الشيطان، لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا فأوصلنا إلى ماصرنا فيه الآن .

وتكلم ابن لامى وابن حثلين وزعما أنهما يحبان ابن سعود أكثر مما يحبان نفسيهما ، ولكن الشيطان أغواهما ، ويستغفران عما سلف من جرائمهما الشنيعة إلى الله توبة نصوحا .

وبالنظر لما يخشى من نكثهم للعهد وإخلالهم بالأمن أمر جلالة الملك بإيداعهم السجن فظلوا بسجن الرياض ، وقد توفى الدويش بعد ثلاث سنوات أى فى عام سنة ١٣٥١ هـ غير مأسوف عليه ، وقد نال جزاء الغدر والخيانة، وعدم تقدير الجميل ، وكفران النعمة ، بل لقد كان من حادثه عبرة لكل من تحدثه نفسه بالانتقاض على حكم صاحب الجلالة الملك العادل الذى أعلى منار الدين وتمسك بسنة سيد النبيين ، فنصره الله فى مواطن كثيرة ، وأيده بروح منه ، وأخضع أعداءه وخصومه فى الحرب والسلم . وصدق الله العظيم ، إذ يقول : « ولينصرن الله من ينصره » .

تقارب العقلاء

لقد نشأ أبناء الحسين على التنافس والتحاسد فيما بينهم ، فكان كل من الأمير على والأمير فيصل والأمير عبد الله فى عهد والدهم لا يريد أن يسمو عليه أخوه ، بل يحاول كل منهم أن يوجد له أنصارا طمعا منه فى نيل الإمارة فيما بعد والده ، ومن أجل هذا ترى كل فرد منهم يتقصد إلحاق الأذى بأنصار أخيه حتى أفسحت النهضة العربية لهم ميدان الأمل ، فرشح الأمير فيصل نفسه لملك سوريا ، ورشح الأمير عبد الله نفسه لملك العراق ، وانفرد الأمير على بولاية عهد الحجاز . أما الأمير زيد فقد نشأ على الديمقراطية وحب الحرية فلا مطمع له فى الملك لنفرته من قيوده . وأدرك أبوهم منهم ذلك ، فوجه الأمير فيصلا إلى فتح سوريا ، وساعدته بريطانيا على ذلك ، فأمرت جيوش الحلفاء بعدم التقدم إلى سوريا حتى يدخلها جيش حليفهم الحسين بن على ، فدخلها الأمير فيصل فاتحا وظل بها أميرا منتدبا من قبل الدولة الهاشمية ، وأرادت بريطانيا بذلك أن تظل سوريا تحت انتداب الحكومة الهاشمية ، كما أن لبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ، ومن واجب دول الحلفاء أن لا يعتدى أحدهم على نفوذ حليفه فى البلاد التى هى تحت

انتدابه إلى أن يقرر رفع انتداب الدول الثلاث عن هذه المناطق الثلاث دفعة واحدة، ولكن الأمير فيصل بن الحسين لم يرضه ذلك ، فأوعز إلى بعض أنصاره بالمطالبة باستقلال سوريا عن الحجاز . وتنفيذا للخطة المرسومة وافق الحسين على ذلك ، واعترف باستقلال سوريا التى أخذت تطالب بجلاء الفرنساويين عن لبنان فأدركت فرنسا الحيلة ، واتخذت من ذلك فرصة تجعلها فى حل من الاعتداء على ذلك الاستقلال المصطنع وقضت عليه ، ولم يسع الملك فيصلا إلا أن يترك البلاد ويسافر إلى أوربا يطالب بريطانيا بالعمل على تنفيذ مقررات النهضة . وزعم الأمير عبد الله أن فى استطاعته العمل لتخليص سوريا من الفرنساويين ، فسيره أبوه بقوة إلى تلك الجهات ليكون بالقرب من رجال القضية العربية ، وليجمع حوله من رجال القبائل مايمكنه من بلوغ غايته ، فجاء وعسكر فى عمان واتخذها مقرا له ، فوجدت بريطانيا نفسها مضطرة لمجاملته . واعترفت بإمارته لشرق الأردن المشمولة بالانتداب البريطانى .

وعند ما أيقنت بريطانيا أن الشعب العراقى جاد فى طلب الاستقلال ، وأنه لا يمكن أن يساس بالحكم المباشر مهدت للملك فيصل السبيل لاعتلاء عرشه والمناداة به ملكا عليه تحت الانتداب البريطانى أيضا .

وقد أثار هذا الأمر حفيظة الأمير عبد الله واعتبره اعتداء من أخيه الملك فيصل على حقوقه فى ملك العراق الذى عقدت له البيعة به من قبل . حتى لقد قال فى هذا الأستاذ شفيق الخطيب أبياتا جاء منها قوله :

تنازل عن عرش العراق تكرما   وأعظم من ملك العراق تنازله

فأرسل يوبخه على ذلك ويقول له من قال لك إنى تنازلت عنه . أما الملك فيصل فإنه لم يعبأ برضاء أخيه أو سخطه وتنازله عن العرش من عدمه ، لأنه ما كان يقيم لآرائه وزنا بل إنه كان فى مقدمة الناقمين عليه لمداهنته لوالده فى كثير من الأمور. وخصوصا فى معاداته لابن سعود وتحريضه إياه على محاربته ، وكان يتنبأ لوالده بسوء المصير نتيجة إصغائه لأقوال أخيه الأمير عبد الله . ولذلك فإنه عند ما وقعت الواقعة واشتبكت الحرب بين الحجاز ونجد لم يحرك ساكنا ونصح لأخيه الملك على بالتخلى عن الملك ومبارحة البلاد ، بل إنه أرسل مندوبه للمفاوضة فى عقد معاهدة بحره مع ابن سعود ، والحرب مازالت قائمة بين الطرفين .

ثم إنه بعد أن تم لابن سعود الاستيلا على الحجاز وتوطيده ملكه فيه أعرب عن رغبته فى تبادل الود والولاء معه ، فوسطت حكومة العراق المندوب السامى للجمع بين الملكين . فكتب هذا إلى ابن سعود يخبره بهذه الرغبة ، فرحب بها جلالته أيضا ؛ وعلى ذلك كتب جلالة الملك فيصل إلى جلالة الملك عبد العزيز يدعوه إلى زيارته فى (الرخيمة) فاعتذر عن ذلك ، ولكنه رؤى أن يكون الاجتماع فى يوم ٢٣ رمضان سنة ١٣٤٨ ﻫ على ظهر باخرة بريطانية خارج المياه النجدية والعراقية .

واقترح جلالة الملك عبد العزيز أن يسبق هذا الاجتماع اجتماع آخر لبعض كبار الموظفين فى الدولتين للبحث فيما قد يكون هنالك من أمور معلقة قد تدعو إلى تعكير الصفو بين الأمتين ليبنى بذلك الود على أساس متين ، فرحبت حكومة العراق بهذا الرأى ، وانتخبت لهذا الغرض وفداً برياسة ناجى بك الشوكت وزير الداخلية ، وانتدب جلالة الملك ابن سعود ثلاثة من خيرة رجاله هم : الشيخ حافظ وهبه ، والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ إبراهيم بن معمر ، واجتمع المذكورون فى الكويت فى ١١ رمضان وبحثوا فيما يجب بحثه ثم انفضوا فى ١٦ رمضان .

وفى ٢١ رمضان سنة ١٣٤٨ﻫ ركب جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود وحاشيته من (رأس تنورة) الباخرة البريطانية (بتريك ستيوارت) التى أبحرت به إلى المكان المعد للاجتماع .

وفى اليوم المحدد وصلت إلى المكان المقرر البواخر الثلاث (بتريك ستيوارت) تقل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، والباخرة (نرجس) تقل جلالة الملك فيصل ، والباخرة (لوبن) تقل رئيس المعتمدين الانجليزى بالخليج الفارسى ، ودعا رئيس المعتمدين كلا الملكين إلى الغداء على ظهر باخرة (لوبن) فأجابا الدعوة ؛ فكان أول اجتماع لهما على ظهر تلك الباخرة حيث تصافح الملكان وتعانقا ، وقدم كل منهما حاشيته لأخيه، وكانت حاشية الملك عبد العزيز تتألف من الشيخ يوسف ياسين، والشيخ فؤاد حمزة ، والشيخ حافظ وهبة ، والشيخ عبد العزيز القصيبى ، والشيخ عبد الرحمن الطبيشى ، والدكتور مدحت شيخ الأرض .

وحاشية جلالة الملك فيصل تتألف من ناجى بك السويدى (رئيس وزراء

العراق) ومحمد رستم بك حيدر (رئيس ديوان جلالته) وتحسين بك قدرى (مرافق جلالته) والكولونيل كورنواليس (مستشار وزير الداخلية) .

ثم بدأ الكلام جلالة الملك عبد العزيز بشكر الحكومة البريطانية فى شخص المندوب السامى ، لما هيأه لهم من هذه الفرصة السعيدة للاجتماع لغاية سامية هى إحكام روابط الود والإخاء بين أفراد أمة واحدة تجمعها كلمة العرب .

وإن من أهم واجبات الأمراء فى هذا الأوان هو السعى المتواصل لإيجاد اتحاد عربى قوى فيما بينهم يضمن لهم السعادة والهناء .

ثم خطب رئيس المعتمدين ، وأعرب عن سروره وسرور حكومته بحصول هذا الاجتماع الذى يرجى من ورائه كل خير للبلاد العربية، ثم اختلى الملكان ببعضهما مدة طويلة تبادلا خلالها عبارات الإخاء والإخلاص ، ثم قاما إلى الغداء على مائدة المندوب البريطانى مع أفراد حاشيتهما .

وفى المساء لبى جلالة الملك فيصل ورئيس المعتمدين دعوة جلالة الملك عبدالعزيز، على ظهر باخرته وحضر هذه الحفلة عدا رجال حاشية الملكين كبار موظفى البواخر الثلاث وقائد الطيران البريطانى وبعض رجال الصحافة العراقية الذين رافقوا حاشية الملك فيصل فى هذه الرحلة .

وفى اليوم الثانى لبى جلالة الملك عبد العزيز دعوة جلالة الملك فيصل إلى العشاء على ظهر باخرته مع جميع من حضر الحفلة السابقة ، وفى نهايتها ودع كل من الملكين أخاه خير توديع ، وهو يحمل له بين جنبيه عظيم الود ، وأبلغ الإعجاب والتقدير .

وفى اليوم الثالث ٢٥ رمضان أقلعت الباخرة (بتريك ستيوارت) بجلالة الملك عبد العزيز إلى البحرين ، إجابة لدعوة الشيخ عيسى بن خليفة ، حيث استقبل هناك استقبالا رائعا ، لما بين الملك والشيخ من علاقات قوية سابقة ، ثم عاد إلى الميناء وقد مرّ فى طريقه بقصر آل القصيبى حيث تناول عندهم القهوة العربية تكريما لهم ، ثم استقل الزوارق البخارية إلى العقير مودعا من أمراء البحرين وشعبها خير توديع .

حماية الأدارسة

لقد كانت الصلات بين جلالة الملك والسادة الأدارسة على أحسن حال ، وتأيدت هذه الصلات بمعاهدة بين السيد الحسن الإدريسى وجلالة الملك ، عقدت فى مكة المكرمة فى ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ هـ ثم رأى جلالته أن يشير على السيد حسن الإدريسى بإدخال بعض الإصلاحات فى بلاده ، وتنظيم ماليتها ، فأوفد إليه لجنة خاصة للمذاكرة فى هذا الشأن برياسة حمد العبدلى فذهبت اللجنة وبحثت مع السيد الحسن الإدريسى ومستشاريه ، وبالمذاكرة استقر الرأى بين السيد الإدريسى ومجلس مستشاريه بإسناد إدارة بلادها وماليتها إلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز، وأبرق له برقية ، هذا نصها :

جلالة الملك عبد العزيز بن الرحمن الفيصل آل سعود

كتبكم برفقة العبدلى وصلت ، وتذاكرنا مع وفدكم ، فتقرر بموافقتنا ورضانا إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالتكم فأحببنا إشعاركم .

الإمضاء : الحسن بن على الإدريسى

تحريرا فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ .

فتفضل جلالة الملك فأرسل له الرد الآتى :

سيادة السيد الحسن الإدريسى — جيزان

لقد علم أخوكم بما كان من وضعكم ثقتكم بالله ثم به واعتمادكم عليه ، فهذا الأمل فيكم وفى أخوتكم ، ولن تروا منا بحول الله وقوته إلا مايسر خواطركم ، أما من جهتنا فثقوا بالله أننا إن شاء الله لن نعمل فى بلادكم إلا مايصلح أحوالكم ويحصل منه لكم ثلاثة أمور : أولها راحتكم واطمئنان خاطركم وحفظ إدارتكم لكم . وثانيها راحة رعاياكم . وثالثها المحافظة على شرفكم وشرف ولايتكم عن أى اعتداء يقع عليهما .

التوقيع : عبد العزيز

وهذه صورة قرار المجلس :

إنه لما كان اليوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٠ اجتمعنا نحن والإخوان وفد جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن

الفيصل آل سعود ، أيده الله تعالى وتذاكرنا بحضور سيادة الإمام السيد الحسن الإدريسى حفظه الله تعالى فى خصوص ماينبغى اتخاذه من الأعمال ، لإصلاح بلاد الحكومة الإدريسية وانتظام ماليتها واستقرار عموم الحالة فيها على ما يجب . وبعد مداولة الأفكار فى هـــذا الموضوع واستطلاع آراء الطرفين اتفقنا نحن والمذكورون على إسناد إدارة البلاد المذكورة وتنظيم ماليتها إلى جلالة مولانا المعظم ملك الحجاز ونجد ، وعليه حررنا هذا القرار بموافقتنا وإرادتنا ، خدمة للقضية المذكورة ، ونصحا لأولى الأمر ، والله ولىّ التوفيق والإعانة .

حرر بتاريخه فى صبيا .

أعضاء هيئة مجلس الشورى بصبيا : محمد الأمين الشنقيطى ، محمد يحى عوض باصهى . عبد القادر بن محمد بن عوض باصهى . حمود بن عبد الله الحازمى . يحى إبراهيم زكرى .

وبناء على هذا حضر إلى الحجاز فى ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هـ وفد مؤلف من حضرات السادة : السيد محمد العربى الإدريسى ، والسيد مصطفى السفيحى ، والقاضى محمد بن إبراهيم مبجر ، والشيخ محمد بن عبد الله باصهى ، والسيد حسن بن ظافر ، والشيخ مكى بن يحى زكرى ، ودارت المحادثات بينهم وبين جماعة عينهم جلالة الملك لذلك من الحجاز ، وهم : الشيخ عبد الله الفضل ، وفؤاد بك حمزة . والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ عبد الله السليمان برياسة سمو الأمير فيصل من أجل تقرير بعض التفاصيل الخاصة بالإدارة والماليه ، وكيفية تطبيقها وتم الاتفاق على المواد الآتية :

المادة الأولى : يظل السيد الحسن الإدريسى رئيسا للحكومة الإدريسية ، وجميع الأوامر تصدر باسمه بالنيابة عن حضرة صاحب الجلالة فى تلك المقاطعة .

المادة الثانية : يعين حضرة صاحب الجلالة الملك أميرا من قبله ؛ لأجل إدارة شؤون المقاطعة الإدريسية والإشراف على الإصلاحات الداخلية ، وتأمين الأمن والنظام ، وتنفيذ أحكام الشريعة فيها طبقا للأساس المذكور فى المادة الأولى .

المادة الثالثة : يكون إلى جانب الأمير مجلس شورى للمقاطعة تكون وظائفه تقديم المشورة اللازمة للأمير فى كل ماله علاقة بإدارة البلاد .

المادة الرابعة : يعين حضرة صاحب الجلالة الملك ناظرا للمالية فى المقاطعة يكون واجبه تنظيم جباية الأموال الأميرية وتنظيم إنفاقها فى المصالح العامة ؛ طبقا للموازنة المقررة .

المـادة الخامسة : على جميع الموظفين الملكيين والعسكريين سواء كانوا معينين من قبل حضرة صاحب الجلالة رأسا أو كانوا معينين من قبل الحكام والأمراء المحليين أن يلاحظوا منزلة السيد الحسن الإدريسي فى البلاد وأن يحافظوا على كرامته وشرفه مع عائلته فى سائر الأحوال .

المـادة السادسة : يجب أن تعرض جميع مقررات مجلس الشورى على السيد الحسن ، لأجل تصديقها والموافقة عليها ، ولا تكون لها قيمة إلا إذا اقترنت بموافقته وتصديقه ، وإن حصل خلاف بين المجلس والسيد فيحال الخلاف إلى حضرة صاحب الجلالة لحله .

المـادة السابعة : ستوضع تعليمات مفصلة لتعيين كيفية تشكيل مجلس الشورى ، وتعيين أعضائه ، وإجراء أعماله . وقد وقع الحاضرون على هذا المحضر متفقا فى هذا اليوم فى ٢٥ من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هـ .

التوقيعات : فيصل ، عبد الله الفضل ، فؤاد حمزة ، يوسف ياسين ، عبد الله السليمان الحمدان ، محمد العربي الإدريسي مصطفى النعيمي ، محمد إبراهيم مبجر ، مكى ابن يحيى زكرى ، محمد بن عبد الله باصهى ، حسن بن ظافر .

وقد جرى العمل بمقتضى هذا الاتفاق من ذلك التاريخ .

المؤتمر الوطني

فى السنة السابعة من حكم جلالة الملك للبلاد ، رأى بثاقب رأيه أن يدعو إلى مؤتمر وطني يجتمع فيه عدد معين من العلماء وأهل الرأى ينتخبهم أهل كل بلد من أنحاء المملكة للنظر فيما يصلح البلاد فى أمر دينها ودنياها ، وصدرت الإرادة السنية بذلك ، على أن يكون انعقاده فى منى فى يوم الثلاثاء ١٥ المحرم سنة ١٣٥٠ هـ ، وبمناسبة انعقاد المؤتمر الوطني ورغبة فى تعميم الفائدة منه ، أذاعت الحكومة يوم ١٤ محرم البلاغ الرسمى التالى :

بما أن المؤتمر الوطنى سيبحث يوم انعقاده فى كثير من المسائل العامة التى تهم البلاد بوجه عام .

ونظرا إلى أنه من المفيد جدا أن يكون لدى أعضاء المؤتمر معلومات تامة وتفاصيل متنوعة عن الشؤون التى يبحثون فيها ، فإن الجميع مدعوون إلى تقديم

مايحبون أن يقدموه من تقارير ومعلومات إلى المؤتمر بصورة كتابية، على أن يكون مايقدمونه حاويا على الشروط الآتية :

١) يجب أن تقدم المعلومات والتقارير بالإمضاء الصريح ، ولا تقبل المكاتبات الخالية من التوقيع والمرموز إليها برموز وإشارات .

٢) يجب أن تكون المكاتبات عائدة لمواضيع ذات فائدة عامة .

٣) لايجوز أن تكون المكاتبات التى تقدم بخصوص معاملات خاصة أو شخصية أو تبحث فى معاملات يجرى العمل فيها فى الدوائر الرسمية ، وأن القصد من المكاتبات هذه أن تكون خاصة بالمسائل العمومية المفيدة للعموم .

٤) يكون إرسال المكاتبات ، إما بالبريد ، وإما بالذات إلى سكرتير المؤتمر الوطنى فى منى ، ١٤ محرم سنة ١٣٥٠ ﻫ .

خطاب الملك فى المؤتمر

فى يوم الثلاثاء ١٥ المحرم سنة ١٣٥٠ ﻫ انعقد المؤتمر الوطنى بمنى حضرة جلالة الملك بالذات . ثم أمر سكرتيره سعادة الشيخ يوسف ياسين بإلقاء خطاب جلالته الآتى :

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره على مامن به علينا من النعم التى لاتحصى ، ونسأله تعالى لنا ولكم التوفيق فى جميع الأفعال ونسأله الهداية إلى صالح الأعمال . ثم قال :

إن ابن آدم بشر ، ويستحيل على الإنسان أن يكون شيئا يذكر إلا أن ينال عناية من الله تعالى ، وعناية الله لاتكون إلا لمن اتبع أوامر الله تعالى ، ومن وفقه الله ، وكان فى كنف الله وفى عنايته كان النصر حليفه بدون شك .

وشاورهم فى الأمر

إنى أريد أن أتحدث إليكم فى هذا الاجتماع فى أمور متعددة ومقاصد جمة . والغاية من هذا الاجتماع هى :

١) اتباع ماجاء فى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام تنفيذا لما أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (وشاورهم فى الأمر) والمشاورة فوائد جمة لاتحصى ، ولو لم يكن من مصالحها إلا تقويم السنة لكفى ، لأنه إذا أقيمت السنة زالت البدعة .

٣) إن أحب شيء إلى الإنسان فى حياته أن يجتمع مع صديقه ، وأن يتجاذب وإياه أطراف الحديث ، وبهذا يحصل التعارف وتظهر الحقائق ويقع التناصح ، وقد كان السلف الصالح يسير على هذا الطريق فى أعمالهم ، فقد كان أمرهم شورى بينهم ، وكان من أمرهم ما كان ، وكانوا على ضعف فصاروا إلى قوة .

٣) إن الناس الذين لا نشك أن الله عالم بقلوبهم ، وأنهم أعداء بعضهم لبعض كما قال الله تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) قد بلغوا بالشورى مراتب عالية فى الدنيا ، ونحن المسلمون أمرنا الله بالمشورة ، والمشورة لها أساس ، وهو النصح بالتزام الحق ، ولها مزية ورونق تحصل بها الفائدة .

أما السير على غير المشورة فهو مجلبة للنقص وللهوى هوى النفس ، ونحن نريد من المشورة أن نجمع بين السنة وبين ما أمرنا الله به فى قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وأعظم القوى التناصح ، والتقية الصالحة ؛ لأن كل شيء أساسه الإخلاص والنصح .

هذا هو اجتهادنا فى هذه المسألة ، ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية ، وأن يوفقنا لما فيه الخير والفلاح .

إنى لا أشك : والحمد لله ، فى محبة أهل الحجاز لنا ـ سواء فى ذلك صغيرهم وكبيرهم ، ولا شك فى محبتهم لحكومتنا . وإنى أجزم جزما تاما أنهم اليوم إلى أقرب من القريب كما أن القلوب شواهد ، وإنما فى الدنيا الكلام كثير منه مدح ومنه قدح بلى إنه لابد فى الدنيا من مادح وقادح ، وهذا يكون حتى من أهل البيت الواحد .

لا أقول إن أهل الحجاز وأهل نجد أو آل سعود أو آل عبد العزيز . لا يمدحون ولا يقدحون . إن هذه حالة موجودة فى كل زمان ومكان فلا بد من رضا ، ولا بد من غضب ، حتى إن زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت إذا رضيت عنه قالت (ورب محمد) وإذا اغبرت قليلا قالت (ورب إبراهيم) .

بيد أن الحقائق واليقين يحفظان الحقيقة . وعلاوة على ذلك والله إننى ما سمعت قدحا أو ما يكدر الخاطر قط . فالغرض من هذا الاجتماع هو مثل ما ذكرت ، وهو أن سعادة الإنسان وحياته فى الاجتماع مع إخوانه ، وإنى أحب أن أجتمع مع إخوانى فى كل وقت للاطلاع على أحوالهم .

أنا أعرف أن الجميع مشغولون بمصالحى ، أقول مصالحى ، لأن أشغالى وأشغالهم

واحدة ، ومصلحتى ومصلحتهم سواسية ، فما كان فى صالحهم فهو فى صالحى أيضا .

وأنا أشعر بجذل وسرور كلما رأيت الجميع موفقين فى أعمالهم وأشغالهم .

الحقيقة أنه يجب النظر فى أمرين :

١) يجب أن يعلم كل فرد أن كل جماعة لها عاقلة لاتجد الراحة والهناء ؛ وبما أن الحكومة جعلت غرة شهر محرم الحرام مبدأ لأعمالها السنوية والمالية فقد أحببت أن يكون لنا هذا الاجتماع فى هذا الوقت على أن يكون الاجتماع يضا فى شهر محرم من كل عام للنظر فى المصلحة العامة ، وللاطلاع على الأمور التى تمت ، والنظر فى الأمور المقبلة ، وكذلك للاطلاع على الاقتراحات التى تقدم ، وهنالك لابد من مسائل نقدمها للبحث فيها ودرسها كى تحصل نتائج مفيدة من ورائها.

وهنا لابد لى من التنويه بأنه يجب على كل إنسان أن يقول مافى ضميره بصراحة تامة وأن لايخشى فى الحق لومة لائم .

يجب أن يصرح كل فرد بما فى نفسه ويقول مايعتقد فيه المنفعة . فهذا أمر واجب على كل إنسان لأن مجال البحث والتدقيق يوصل إلى نتائج حسنة ، فعلى الإنسان الاجتهاد ، ومن الله التوفيق . نعم من واجب الإنسان النصح والإرشاد ، وأن لايتقيد أحد بأن هذا مخالف أو ذاك موافق ، بل يجب أن يقول بجلاء مايرتابه من خير وفلاح ، فإن لكل مجتهد نصيب .

فنحن دعينا لعقد هذا المؤتمر للوقوف على الحقائق التى لها علاقة بمصالح البلاد والعباد ، وقد أذعنا بلاغا للأهلين كى يقدم كل ما يراه من مصلحة عامة لتدرسوه فتبحثوه .

وهذا من شأنه كشف الحقائق وتطبيب النفوس وتبكيت الأعداء ، أضف إلى ذلك اتباع سنة .

وقد دعوناكم للاجتماع معتمدين على الله ثم عليكم ، والإنسان لايحب أن يدخل أحد إلى بيته لتفتيشه إلا إذا كان من أهل بيته وأنتم أهل البيت ، فدعوناكم للقيام بالمهمة التى ألقيناها على عاتقكم تنفيذا لأساس الشرع والسنة .

إن الناس ليس لهم حياة إلا بعناية الله وتوفيقه ، وهم غير معذورين فى تركهم الاستمساك بما أمر الله به ، أو فى ارتكاب مانهى عنه . قال الله تعالى (الذين إن

مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

إقامة شعائر الدين

أنتم تعرفون أن قبيلا من البشر يسمونهم العرب ، ولو كان لأحد أن يفتخر بهم لوجب أن أفتخر أنا بهم . وكانوا فى ظلمات الجهل والضلالة ، ولكن الله منّ عليهم بنعمته وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وليس من شك فى أن أفضل قبيلة فى الدنيا هى القبيلة التى بعث منها محمد عليه الصلاة والسلام ، وأفضل بقعة هى البقعة التى بعث منها صلى الله عليه وسلم . فالشرف العظيم لاينال بالانتساب إلى الآباء ، وإنما ينال بالتقوى ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

والشرف يكون بأمرين : بالدين ثم بالصدق فى الأقوال والأفعال ، وأفضل شىء يقام هو تنفيذ أوامر الله تعالى فى هذه البقعة المباركة التى أنزل بها الوحى وبعث فيها محمد وهى مسقط رأسه .

أضف إلى ذلك أن الحسنات فيها تضاعف كما تضاعف فيها السيئات أيضا ، ولذا يجب علينا أن نرغب فى جلب الخير ، وأن نرهب من الشر ، وهذا يكون باتباع أوامر الله والنية الصحيحة والعمل الطيب .

والإنسان الذى لايقوم بما أمر الله لاينجح أبدا أينما كان (أفمن زين له سوء عمله) وليس الخبر كالعيان .

وهذا بحث طويل لو أردنا أن نتكلم فيه أياما لا ينتهى . ولكننا نختصر القول، ونشكر الله على أن وفقكم بعنايته ، وجعلكم خير أمة أخرجت للناس ، وبلدكم هذا بلد الله الحرام . فإذا لم نحرم محارم الله فيها كانت نقمة الله علينا عظيمة ، ثم كان هنالك كذب على الله .

ـ الأمر بالمعروف

لذلك يجب أن ننظر فى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تنفيذا لأمر الله وحفظا له يجب النظر فى الأمور التى نتمادى فيها ، وما هى إلا لهو ودنو إلى الشر وبعد عن الخير .

يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ونطهرها من كل الأمور المخالفة وأن ندنو إلى مايرضيه ونخاف عقوبته ، إذ ليست هنالك عقوبة أشد من عقوبة الدين .

إذا وقع الشر فى القلوب خربها ، وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين فى كل عمل من أعمالها ، وقد ترك الناس أمر الصلاة ، وهنالك أمور أخرى لايفعلها إلا الخسيس (وإذا أردنا أن نهلك قرية) فنحن نطلب المساعدة فى هذا الشأن منكم ومن الأهلين .

نريد أن تكونوا عونا للحكومة فى هذا الأمر ، لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء هذه المفاسد سهل العمل ، أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها ، وإن المساعدة التى نطلبها هى :

١) مساعدة الأهالى .

٢) ترتيب طريقة لدرء المفاسد والحيلولة دون هذا الفساد ، لنتمكن من إقامة الشرع الشريف .

فإذا عملنا هذا قمنا باللازم ، وهذا أهم مايجب العناية به ، لأن الدنيا إذا كثرت خيراتها والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها ، بل هذا أساس البلاء ، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره ، واجتنبت محارمه صلحت الدنيا .

فأنا أرجو أن تفكروا فى طاعة الله ومخافته ، واتباع سنة رسوله ، وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماما شديدا يقول المثل : (أهل مكة أدرى بشعابها) فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شىء .

وصفوة القول : إذا صلح الرأس صلح الجسد ، وأمور الدين هى الرأس ، فإذا استقام أمره صلحت أحوالنا الدنيوية .

أمور القضاء

ثم هنالك مسألة أخرى تهمنى كثيرا ، لأنها من أسس الدين ومصالح المسلمين ، وهى مسألة القضاء (الحكم الشرعى) فإنى أرى أمورا تحدث يخجل منها الإنسان ، ويقع فيها التهم والتخالف ، ويمكن أن يكون القاضى سالما بنفسه .

وإننى أبرأ إلى الله من تهمة أحد فيما هو واقع ، ولو علمت خيانة على أحد لعاقبته ؛ وإنما هنالك التعطيل والتقصير الواقع بسبب كثرة الاختلاف فى الدعاوى ،

فنحن نطلب النظر فى هذه الأمور لحسمها وحلها ، وبينكم من هو من أهل الدين ومن أهل الرأى ، وإذا أردتم أنْ نزيدكم من أهل العلم سواء نجدى أو من خارج هذه الهيئة فاطلبوا ، لأننا ما أضفنا أحدا لكم لأن المسألة بالانتخاب .

إن التقصير واقع ، وأنا مسئول عن هذا التقصير ، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر ، وقد كلفت البحث فيه : حينا هيئة الشورى ، وحينا هيئة التحقيق ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة فيجب أن تنظروا فى هذه الأمور ، وأمامكم مسألتان :

١) فى المحكمة قضايا مضت عليها سنتان أو ثلاثة ، وهى واقفة معطلة ، وهذا أمر مشكل ، ومن رأيى انتخاب هيئة من العلماء للنظر فى هذه القضايا ، والبتّ فى أمرها بتا نهائيا .

٢) مسألة الشهود والقدح فيهم ، وهذا واقع فى الحجاز ، واشتكى منه القضاء ، وهذا أمر مشكل ، فالإنسان الذى يصنع القبيح ويثبت عليه ذلك يقام عليه الحد ، وكذلك ينظر فى القدح الذى يقام ، فإذا صح أقيم الحد على المقدوح فيه ، وإذا لم يثبت يجازى المفترى . والحقيقة أن الكثير من الدعاوى تأخر أمره بهذا السبب .

هذه الأمور هى فى الحقيقة من أساس الدين ، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ، وأصلحنا المحاكم هانت الأمور واستقامت الأحوال .

مسألة المطوفين

وهنالك أمور أخرى أحب أن أتحدث إليكم عنها وإن كانت دون المسألتين الأولتين ولا تذكر معهما ، ولكنها ضرورية أيضا ، وهى مسألة المطوفين : ومطوفى الجاوى ، هنالك انتقادات تتعلق بهم قدمت إلى لجنة الحج ومجلس الشورى .

وبهذه المناسبة أذكر تقديرى لمجلس الشورى وأعماله ، فإننى والحق يقال ممنون منه ، فقد حفظ ولايته ، وقام بالمهمة الملقاة على عاتقه على أتم قيام ، وثقتى بالله ثم به عظيمة .

وقد أضفت إليكم مجلس الشورى لأجل إيضاح الأمور وسؤالهم بسبب أن الأنظمة والمشاريع تصدر من مجلسهم والتفتيش منهم ، وهم يوضحون لكم الحقائق .

المطوفون الآخرون هم غير صالحين ، أما رئيسهم فهو مريض مشغول بنفسه ، والشكايات عليهم كثيرة ، ولدى الحكومة الشىء الكثير من هذه الشكايات .

ومن أهم الأمور الشائعة التى يقوم بها هؤلاء إعطاء الأخبار الكاذبة بقصد الإفساد . أنا لا أعرف أشخاصهم ، وقد يكون بينهم الطيب ، ولا بد من النظر فى هذه القضية خشية من أن تشوه أعمال هؤلاء سمعة البلاد ، فيجب وضع طريقة للحيلولة دون ذلك ، وإذا أردتم رؤوس أقلام فى هذا الموضوع ، فالحكومة تقدم لكم ماتبغون .

المسائل الاقتصادية

وكذلك نطلب منكم النظر فى المسائل الاقتصادية ، ويجب فى هذا الشأن إمعان النظر فى الحالة الوسطى والبحث فى مصلحة البلاد والمشاريع التى يمكن تطبيقها فيها ، والتى يرجى منها الفائدة للبلاد والعباد .

وكذلك مسألة السيارات فلها أضرار ومنافع . وقد كنا فكرنا فى توحيدها وجعلها شركة واحدة ، اعتقادا منا أن ذلك فيه المصلحة العامة ، ولكنا وجدنا أن ذلك ليس فيه مصلحة . فنطلب إليكم وضع طريقة مثلى لهذه القضية يكون من ورائها النفع العام .

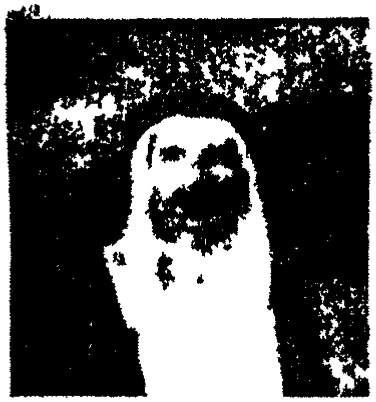
هذه هى الأمور التى نرجو البحث فيها ، وأنتم أحرار فى أبحاثكم ومذاكراتكم ، ولكم الحق أن تسألوا الحكومة عما تبتغون ، ومجلس الشورى كذلك يمكنه أن يعطيكم التفاصيل الكافية التى تطلبونها . فما كان عند المجلس فأعضاؤه معكم ، اسألوهم يقدموا لكم ماتريدون ، وما كان عند الحكومة فتطلبون منها ما تريدون وهى تقدم لكم المستندات ، وقد انتدبت من قبلى عبد الله الفضل وعبد الله على رضا .

والآن ألفت نظركم إلى أنكم أنتم المسئولون عند الله ثم عندى وعند الأمة ، فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها وتعملوا لها بما فيه النفع .

والآن سيلق عليكم يوسف ياسين برنامج العام لتكونوا على إحاطة بما فيه .

والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال .

حزب الأحرار الحجازى



لم يرق فى عين الأمير عبد الله تصرف أخيه الملك فيصل ، وراح يستهجن عمله ويعجب كيف سوغ للملك فيصل إباؤه وشممه العربى أن يضع يده فى اليد التى دكت عرش والده ، وأقصته عن وطنه ، وهاله أن تجمع القلوب على حب ابن سعود ، وتعمل على تأييد ملكه ، فأخذ على نفسه الانفراد وحده بمقاومة ابن سعود ، وإعلان السخط من حكمه فى مجالسه الخاصة والعامة .

ثم أخذ من ذلك الحين يبحث عن أنصار يستخدمهم لغاياته حتى ظفر بشاب من شباب الحجاز الناهضين هو السيد حسين الدباغ فنفخ فيه بغض ابن سعود مرددا تلك الدعاية السيئة التى كانت تنسب إلى الوهابيين من أن لهم عقيدة تنافى ماعليه جماعة المسلمين ، وأنه بحكمهم للحجاز قد اعتدوا على الحرية المذهبية . وأن الحجاز يجب أن يظل للحجازيين ، وأن الاستقلال الذى نالوه بعد جهد لايجوز أن يقضى عليه ابن سعود ويصبح تبعا لابن سعود . وطلب إليه أن يؤلف حزبا سريا للعمل على مناوأة ابن سعود وإخراجه من الحجاز ، وتعهد له بالمال والعتاد ، وفعلا تألف الحزب باسم حزب الأحرار الحجازى ، وأعضاؤه هم : سمو الأمير عبد الله ابن الحسين ، والأمير شاكر بن زيد ، والشريف خالد من ذوى غالب ، والسيد حسين الدباغ وإخوانه : السيد مسعود الدباغ ، والسيد على الدباغ ومحمد أمين الشنقيطى ، وتقرر أن تسند رياسة هذا الحزب إلى السيد طاهر الدباغ الموجود إذ ذاك فى جزائر جاوه لاستغلال اسمه نظرا لأنه سكرتير رئيس الحزب الوطنى الحجازى الذى طالب الحسين بالتنازل عن العرش، فينبغى أن لا يظهر فى الميدان سواه وأبرق له بضرورة الحضور ، وزود السيد حسين الدباغ بالمال ، وسافر لنشر الدعوة لتكوين فروع لهذا الحزب وحضر إلى مصر فألف فرعا فيه قوامه الشيخ عبد الرءوف الصبان ، والسيد صالح دباغ ، والسيد يوسف الزواوى ، والقائمقام محمد عبد الله صادق ، واجتمع هنالك بحامد بن سالم بن رفادة شيخ قبيلة بلى سابقا الذى كان فارا

من وجه ابن سعود ، ومحمد بن عبد الرحيم بن طقيقة ، واتفق معهما على العمل فى الحزب المؤسس من قبل الأمير عبد الله .

ثم سافر إلى عدن واليمن وقمران، وهناك وافاه السيد طاهر الدباغ من جاوه واتخذوا لهم هناك أنصارا أمثال عقيل عباس ، وأحمد أبو النور ، وأحمد مجلد، ومحمد الغال ، وعبد القادر باحميد . واجتمع بالسادة الأدارسة واتفق معهم على الاشتراك فى العمل معه ضمن الحزب . ثم قفل راجعا إلى عمان فوجد الأمير عبد الله مثقلا بالديون الأمر الذى اضطر بريطانيا أن تتدخل فى أمره وتعين له موظفا خاصا يقبض رواتبه ويسدد ديونه . ويتولى الإنفاق عليه وعلى قصره بحسب ماتسمح ظروف ميزانيته .

ولما رآه بهذه الحالة أسقط فى يده ، واعتقد أنه قد فشل فى محاولاته ، ولكن الأمير عبد الله طمنه بأنه وإن تكن حالته كذلك إلا أنه استطاع أن يخدع الخديوى عباس خديوى مصر باسم الحزب ويتفق معه على أن يمده بالمال اللازم لتحقيق الغاية على أمل أن تؤخذ له البيعة بعد ذلك من الحجازيين بالملك عليهم ، وأنه دفع له فعلا مبلغا كبيرا من المال كأول دفعة ووعده بتقديم غيره فيما بعد وتقرر فيما بينهم إشعال الثورة فى الشمال من طريق بن رفادة ، وأن تقوم على أثرها ثورة فى الجنوب فى تهامه عسير بواسطة الإدريسى ، وأن ينتدب إلى الحجاز من يقوم بقتل الملك . وقد أعطى الأمير عبد الله إلى السيد حسين الدباغ جانبا من ذلك المال الذى قبضه من الخديوى عباس ليصرفه فى هذا السبيل ، واستحوذ سموه على الباقى لخاصة نفسه ، وأرسل فى نفس الوقت ياوره حامد باشا الوارى إلى لوزان لقبض جانب آخر من المال ، وأن يتولى شراء بعض الأسلحة وإرسالها من هنالك . فعاد السيد حسين إلى مصر واتصل بحامد بن رفادة ، وعبد الرحيم أبو طقيقة، وأبلغهما أمر الأمير عبد الله بالسفر إلى الحجاز لاستمالة القبائل وإشعال نار الثورة فيها ، وزودهما بجانب من المال .

واستمر السيد حسين فى سفره إلى مصوع بعد أنه عهد إلى السيد يوسف الزواوى بأمر ترحيل ابن رفادة وصحبه. ولما أن بلغ مصوع ظل فيها أياما ثم سافر إلى عدن فلحج وكتب إلى الشريف شاكر تقريرا يخبره فيه بما قام به من الأعمال وما يؤمله من نتائج هذا نصه :

ين لحج فى ١٣ شوال سنة ١٣٥٠ عدد ٩٦٤ .

حضرة الشهم النبيل سمو الأمير شاكر بن زيد رئيس دائرة العشائر فى شرق الأردن دام مجده

بعد التحية : كتبت إليكم من مصر ثم وصلت مصوّع فوجدت الأمر كما يجب ، وقد اعتمدنا القمحة مركزا للحركة ولابد أنكم تعلمون قبائلها المنجحة الذين يزيد عدد المقاتلة فيهم عن ٣٠٠٠ مسلح ، ونفوذهم المقبعة والمحنشة والحزبة ، وبين شيخ الفخذ الثالث ورجال ألمع مصاهرة وحلف ، وسيصل إلى مصوع لحمل التعليمات اللازمة ، والمقصود أن البوادر تدل على النجاح إن شاء الله تعالى . وقد أرسلنا ثلاثة رسل مهمين جدا : واحدا إلى قبائل الساحل ، وواحدا إلى قبائل الجنوب الحجازى ، والآخر إلى عسير ، وسيسافر إلى المسارحة والأدارسة أحد رجال الحزب المهمين ، وفيما تجدونه فى كتاب سكرتير هيئة حزب الأحرار الحجازى بعمان التفاصيل اللازمة .

فنحن قد شرعنا فى الأمر والنتيجة أكثر مما كنا نتصور، ولكن الدفعة التى اتفقنا على تحويلها برقيا لم تصل ، وقد كتبنا برقية لحامد باشا بلوزان والسكرتير لديكم برقية بالنتيجة التى رأيناها حسب الاصطلاح المتفق عليه ، ومضت أيام لم نتناول شيئا ، ونحن مكتفون متعطلون جداً ؟

أرجوكم أن تحذروا حامد باشا والسكرتير من الإهمال، وليتذرعوا بالحزم والهمة ، وأرجوكم ملاحظة الكتاب الأخير المرسل من هنا ، وملاحظة تنفيذه بالدقة المتناهية إذا كنا نريد انتظام الأعمال ، وحركة الشمال يجب أن تكون بعد حركة الجنوب فورا ، فدبروها وهيئوها لتوافق ذلك ، وإذا ابتدأت تبرق الهيئة إلينا بالعنوان المعروف (اشترى) الإمضاء : سعيد . هذا وقد اختار فرع الحزب هنا أن نكتب إلى الشريف شرف ليحضر إلى عدن لحضور مؤتمر وطنى خطير بلهجة سوف لا تدعوه إلى التأخير وتجعله يسرع بالحضور ، وأفهمناه الطريقة السرية التى يسافر باسمها ويصلنا ، وسنسحب يوم وصول الكتاب تحويلا له بـ ١٥ أوعشرين جنيها ، وعند وصوله نفهمه للازم وندعوه لمرافقة الحركة ، هذا رأى فرع الحزب هنا ، وعلى كل سيصانا أمر اللجنة المركزية باللازم بهذا الشأن ، فالرجا أن تبقوا الأمر كما يتعلق بالنجاح والحزم والسرعة والكتمان لازلتم ؟

التوقيع : محمد حسين الدباغ

ولقد مضى السيد حسين الدباغ فى طريقه ، وسافر إلى اليمن وحاول استمالة سيادة الإمام فلم يفلح ، ولـكنه وفق أخيرا إلى الحصول على وعد من ولىّ عهد اليمن بتأييده ومسالمة السادة الأدارسة ومساعدتهم إذا هم قاموا بثورتهم ضد حكومة الحجاز ، واتخذ من بعض اليمنيين أنصارا له فى حركته ، وهذا ماحمل السيد الحسن الإدريسى على الاطمئنان إليه ونقض عهده مع ابن سعود .

ثورة ابن رفادة

لقد اعتمد حامد بن رفادة وعبد الرحيم أبو طقيقة على وعود الحزب ، وسافرا وجماعة من أنصارهما امتثالا لأمر عميده سموّ الأمير عبد الله من مصر فى أوائل محرم سنة ١٣٥١ ﻫ إلى النصب ومنه إلى الخضر ثم إلى درب الزلفة ، وسلكوا طريق الساحل بين البحر والجبال حتى وصلوا إلى طابة آخر نقطة من الحدود المصرية ، ثم اجتازوا الحدود وتعدوا العقبة إلى مكان يقال له (الشريح) على بعد أربع ساعات من العقبة ، وهنالك وافاهم السيد مسعود الدباغ بالعتاد والأرزاق ، ولبثوا هنالك أياما يعملون على استمالة القبائل وتدبير الثورة ، وسمو الأمير عبد الله على اتصال بهم، يزودهم بالأرزاق والعتاد حتى تصور أنه بلغ غايته ، وأيقن من نجاحهم فى مهمتهم ، فأخذ يتحدث إلى من حوله ، بما يتخيله : من انتصارات ابن رفادة ، وما يعلقه من الآمال على أعمال حزبه ، بل إنه أراد أن يعلن ابن سعود بنواياه ضده ، فطلب من الأستاذ إحسان سامى أستاذ اللغة العربية فى جامعة عليكر بالهند أن يبلغ ابن سعود كرهه له ، وأنه يعتبره عدوه اللدود ، وأنه سوف لايترك فرصة يستطيع بها البطش بابن سعود إلا انتهزها ، وقد بلغ الأستاذ المذكور الرسالة إلى ابن سعود فى مقال نشره فى صحيفة المقطم بتاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥١ﻫ .

ولم يكتف سمو الأمير عبد الله بهذا بل إنه رأى من مصلحته أن يقنع الخديوى عباس بجدّية الأمر لينال منه مايريد من مال ، فأخذ يذيع أخبارا لا أساس لها عن انتصارات ابن رفادة ، بينما كان ابن رفادة المسكين سائرا فى عمله يعدّ العدة للثورة

المنتظرة ، ولا يعلم شيئا عما يذيعه الأمير عبد الله وحزبه عنه مما أدى إلى تنبيه الافكار إلى حركاته وسكناته .

وعند ماعلم جلالة الملك بما يدبره الأمير عبد الله بن الحسين من مكائد ، وما يقوم به السيد حسين الدباغ من حركات ، أصدر أمره إلى قواد جنده فى سائر الجهات بالاستعداد الكامل والسير إلى ضبا ، نحو الحدود ، وأخذ للأمر حيطته ، فأمر بإلقاء القبض على بعض الشخصيات التى يخشى أن يكون لها ضلع فى المؤامرة المزعومة ، فقبضت الحكومة على إخوان السيد حسين الدباغ فى مكة وهما : السيد ابراهيم والسيد عيسى الدباغ ، ونسيبهما السيد أمين بن إسحاق بن عقيل ، والشريف على بن منصور ، والشريف على بن الحسين الحارثى ، والشيخ عبد الوهاب آشى ، ومرزوق اللحيانى ، والشريف محمد مهنا ، والشيخ محي الدين ناظر ، والشيخ سالم شمس ، والشيخ عبد العزيز جميل ، والأستاذ حمزة شحاته والأستاذ حسن عواد ، والشيخ محمد بسيونى ، والشيخ صالح بسيونى ، وأحمد باصلوح باجبير ، وسليمان أبو داود ، وأبعدتهم إلى الرياض ، كما أمرت بإبعاد الشيخ حسونه المغربى ، والشيخ عبد الله صغير إلى خارج المملكة ، وأصدرت وزارة الداخلية بلاغا رسميا فى ٢٦ صفر سنة ١٣٥١ ﻫ يتضمن مايأتى :

١) لايجوز لأحد من هذه البلاد أن يقوم بأى دعاية سياسية لأى جهة من الجهات ، ومن علم عليه شىء من هذا فإن إدارة الشرطة مأذونة بمعاقبته .

٢) إن الأحزاب والتحزبات فى هذه البلاد المقدسة ممنوعة ، وكل من يقوم بها أو يعمل لها ، فإن إدارة الشرطة مسئولة عن تعقيبه ومنعه من ذلك وتأديبه صيانة لقدسية البلاد ، وحفظا للأمن فيها .

وعلى هذا فمن كان يريد العبادة فى هذه البلاد وطلب المعيشة من طريقها المشروع ، فهو آمن مطمئن حرام الدم والمال ، ومن يريد خلاف هذا فلا يلومن إلا نفسه .

ثم كتب جلالة الملك إلى بريطانيا ينبهها إلى ما اتصل بعلمه عن تصرفات شرق الأردن ، فقامت هى بدورها ، ومنعت تسرب الأرزاق والمهمات الحربية إلى ابن رفادة من طريق شرق الأردن بتاتا ، وبعثت دوريات إلى وادى عربة لمراقبة الحدود ، بل وأرسلت باخرة حربية إلى العقبة لتشرف على الموقف وتحول دون ما يدبره الأمير عبد الله وحزبه فى الخفاء .

ثم نشر اللفتننت جنرال السير أرثر جرنيفل لوب المندوب السامى بشرق الأردن بلاغا رسميا يتضمن أنه منع كل المساعدات سواء من شرق الأردن أو عن طريقها عن الثائرين ضد حكومة الحجاز، وأنه أمر القوات البريطانية باتخاذ جميع الإجراءات لمساعدة جيش ابن سعود ، وأكره الأمير عبد الله على أن يصدر بلاغا مثله أيضا .

وزاد عليه بأن منع كل شخص من الاقتراب من الحدود ، وأنذر من يخالف ذلك بسوء المصير .

ولما أيقن جلالة ابن سعود بأنه لاسبيل إلى هرب ابن رفادة من طريق شرق الأردن أرسل قوة عظيمة مزودة بأحدث الآلات والذخائر ، وأحاطت بابن رفادة وقومه من جميع الجهات ثم هاجمتهم فى صبيحة يوم السبت ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ فى سفح جبل شاد وقضت عليهم عن آخرهم ، وكان من بين القتلى حامد ابن رفادة وأبناؤه : حماد وفالح وسليمان بن أحمد أبو طقيقة ، ومحمد بن عبد الرحيم أبو طقيقة ، والسيد مسعود الدباغ ، وأحبطت هذه الثورة من أساسها ، وأمر جلالة الملك عبد العزيز بن سعود إذ ذاك رئيس تحرير جريدة أم القرى أن يرد فى ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ من أم القرى على رسالة الأمير عبد الله التى حملها الأستاذ إحسان سامى أستاذ اللغة العربية فى جامعة عليكر المنشورة فى المقطم ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥١ بقوله :

إنه إن كان الشريف عبد الله يرى نفسه العدو اللدود لابن السعود فإن جلالته على العكس من ذلك يرى الشريف عبد الله صديقه الودود ، لأن جميع الأعمال التى عملها الشريف عبد الله من أجل ابن سعود كان لها أحسن النتائج ، لتأييد ابن سعود وتقوية مركزه ، فقد سبق للشريف عبد الله أن جهز الشريف شاكر والشريف حمود بقوة لاحتلال تربة والخرمة ، فكسرت تلك القوة وغنم مامعها حتى تقوى أهلها على القتال فى يوم تربة المشهورة . ولما انتهى الشريف عبد الله ووالده من حرب الترك جمع كل ما كسبه من الترك والألمان وكل ما أهداه لهم الإنكليز وسار بهم مع اثنى عشر ألف مقاتل ليقدمهم هدية فى تربة ، وكان ابن سعود أرسل إليهم يطلب التآخى والتصادق قبل المعركة، فرفض سيادته ذلك وأبى إلا تقديم تلك الهدايا بنفسه ، فكانت تلك المعركة وفرّ سيادته ، وغنم ابن سعود كل تلك الذخائر والأموال وتقوى بها إلى أن أنتجت تلك المساعى احتلال الحجاز من قبل

جلالته . وآخر هدايا سيادته ابن رفادة وأوباشه الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، وإن ابن سعود يعترف بهذه الفضائل لسيادة الشريف عبد الله ، ويرجو من الله أن يكون مايأتى به المستقبل كما كان فى الماضى وأن يديم الله بقاء سيادته لمثل هذه الهدايا والنتائج .

ثم أطلق جلالة الملك سراح المبعدين فى الرياض من أهل الحجاز وأعادهم إلى بلادهم ، بل عين جلهم فى وظائف الدولة ، وقد تقلدوا عدة مناصب هامة وبرزوا فيها ، أخص منهم بالذكر الشيخ عبد الوهاب آشى رئيس ديوان التفتيش بوزارة المالية الجليلة .

حل جمعية الشبان

ولما دبرت ثورة ابن رفادة اتجهت الأفكار إلى جمعية الشبان الحجازيين فى مصر ، وأساءت حكومة ابن سعود الظن فى شباب الحجاز ، وقبضت على الشيخ عبد الوهاب آشى ، وحمزة شحاته ، وحسن عواد ورفاقهم ، وأبعدتهم إلى الرياض ، هال أعضاء الجمعية فى مصر أن يساء إلى الشباب الموجودين فى داخل المملكة من أجلهم ، فعقدوا اجتماعا فى ربيع الثانى سنة ١٣٥١ وقرروا حل الجمعية ، وأصدروا بيانا أذاعوه فى الصحف المصرية هذا نصه :

مصر فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢

قرار هام من جمعية الشبان الحجازيين

اجتمع مجلس إدارة جمعية الشبان الحجازيين فى مصر بكامل هيئته ، وأصدر القرار الآتى :

تأسست جمعية الشبان الحجازيين فى مصر لغاية شريفة هى خدمة المنقطعين من أبناء الحجاز فى هذا البلد الطيب ومساعدتهم بمختلف الوسائل ، ونشر الثقافة العربية ، وإحياء مجدها القديم . والعمل على تقوية روابط المحبة والتعاون بين المسلمين . وقامت الجمعية بأعمالها خير قيام ، وانضم إليها نخبة من أبناء العرب والمصريين الكرماء ، الأمر الذى جعل الجمعية تنمو وتخطو خطوات واسعة نحو غايتها المنشودة رغم حداثة عهدها ؛ ولكن مع الأسف الشديد قد كبر على بعض المفسدين

والرجعيين الجامدين أن تقوم الشبيبة الحجازية على محاكاة الشعوب الحية الراقية فى مضمار الحياة بما يلائم روح العصر الحاضر . وفى عمل جليل لايقصدون به شيئاً سوى مصلحة الحجاز والحجازيين من الوجهة الأدبية . وألقوا فى روع أولى الأمر بالباطل أن هذه الحركة المباركة هى تمرد ومروق على التقاليد ومناوءة للحكومة الحاضرة .

ولما كانوا لايعرفون من سبيل المقاومة لكل ماهو صالح إلا طريق الدس الذى هو سبيل المفسدين من ذوى القلوب المريضة والنفوس المغرضة التى تعمل فى الظلام، أخذوا يكيدون للجمعية ويتهمونها بما هى بعيدة عنه كل البعد ، ويفسرون أعمالها بكل مامن شأنه أن يوغر صدر الحكومة القائمة فى الحجاز ضد الجمعيه وأفرادها وكل مسوب لها ، يحاولون بذلك وأدها وهى وليدة . ولما كانت الجمعية بعيدة كل البعد عن السياسة والشر ولاهم لها إلا فعل الخير فى جو هادئ .

وأن هذه الحركة التى دبرها ضدها دعاة السوء حتى أصبحت الحكومة تسىء الظن فى الشباب الحجازى الناهض ورجال الجمعية المخلصين استوجبت القائمين بأمر هذه الجمعية عن العمل على تحقيق أغراضها السامية فى جو هادئ .

ولأجل أن نقطع ألسنة هؤلاء المفسدين ونفسد عليهم عملهم ، ولا نجعل الشبيبة هدفاً لسهامهم الخبيثة الرائشة ، ولأجل أن نبرهن للملأ أجمع أن صحيفتنا بيضاء ناصعة لايشوبها شىء من إيصال الأذى بسببها للغير ، رأينا أن نعطل أعمال الجمعية (ولو كان فى هذا قطع لسبيل الخير) إلى أن يتهيأ الجو الصالح لحسن التفاهم ، وتنقشع السحب ، ويظهر الحق من الباطل ؛ وعندئذ يرى الدساسون أى منقلب ينقلبون .

رئيس الجمعية

١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م . (عبد الحميد الخطيب)

لم يقنع حكومة ابن سعود هذا ، بل أخذت تسىء الظن برئيس الجمعية السيد عبد الحميد الخطيب ؛ لصلته الشخصية وصداقته القوية بالشيخ عبد الرءوف الصبان ، والقائمقام محمد عبد الله صادق من أقطاب حزب الأحرار الحجازى ، وعملت على إخراجهم من مصر حتى نجحت فى إبعاد الصبان ومحمد صادق إلى العراق ، ولم تستطع إخراج الخطيب من مصر لأنه كان يستمتع بالجنسية المصرية بمقتضى قانون الجنسية المصرية الحديد ، وقد هاله ذلك وعز عليه أن يحرم من عمل الخير الذى كانت تقوم

به جمعية الشبان الحجازيين لبنى قومه ، فاضطر إلى الانضمام إلى حزب الأحرار الحجازى وتولى زعامته فى مصر وأعلنها حربا على ابن سعود ، وضحى فى سبيل ذلك بجانب كبير من ثروته ، وباع بعض عماراته الفخمة فى مصر لتقوية الحزب .

ثورة الأدارسة

لقد ظلت العلاقات فى عهد الحماية بين جلالة الملك والسادة الأدارسة على أحسن حال ، وقد أحلهم جلالته عنده محلا أسمى ، وشمل بلادهم بعناية خاصة مقدرا لهم ماتجلى منهم من إخلاص لبلادهم بارتضاء السيد الحسن الإدريسى من تلقاء نفسه تفويض أمر إدارة بلاده إلى عاهل الجزيرة ، وفى ذلك مافيه من دليل قاطع على الرغبة فى تثبيت الوحدة بين البلدين على أساس متين . وظلت العلاقات بين العائلتين كذلك إلى أن جاء السيد حسين الدباغ إلى اللحية باعتباره رسول الأمير عبد الله ابن الحسين إلى السيد الحسن الإدريسى وممثل حزب الأحرار الحجازى . وعمل على تحريضه على العصيان وإحداث ثورة فى مقاطعة تهامة عسير بعد أن دبر حركة ابن رفادة بواسطه السيد العابد والتنقيطى من جلسائه . فلما علم بذلك جلالة الملك كتب له بما بلغه وحذره مغبة ذلك فى برقية بعثها إليه فى ٢٨ جمادى الثانية ، فأجابه على ذلك مؤكدا إخلاصه وولاءه ، وادعى أنه إنما ينقم من فهد بن زعير أمير المنطقة وتركى بن ماض مفتش المنطقة بسوء معاملتهما له ، ويؤكد له ثباته على الإخلاص والولاء ، وظل يراوغ فى أجوبته انتظارا لوفاء أصحابه ، ويعمل فى الخفاء لتنفيذ ما اتفق عليه معهم .

وفى ٥ رجب انقض رجال الإدريسى على ابن زعير أمير المنطقة واعتقلوه فى مكان خاص ، واستأثر هو بالحكم فى البلاد ، وفى ذات الوقت وصل إلى جيزان مندوبا الحزب وهما السيد على الدباغ وعبد العزيز اليمانى ومعهما ساعية فيها بعض الأرزاق والعتاد باسم السيد الحسن الإدريسى ، فلما اتصل الخبر بجلالة الملك ماوسعه إلا أن يجهز قوة من قبله ويأمرها بالزحف إلى جيزان ، ودخلتها عنوة فى ١٨ رجب سنة ١٣٥١ هـ ، وفر السيد على الدباغ مندوب الحزب وألقى بنفسه فى البحر فغرق ، وقبض على رفيقه عبد العزيز اليمانى وأودع السجن .

أما السيد حسن الإدريسى فما وسعه بعد أن افتضح أمره إلا أن يفر إلى صبيا

ومنها إلى الجنوب ، ثم ألقى عصا ترحاله عند المسارحة وفريق من بنى شبيل ؛ فلم يشأ جلالة الملك أن يتعقبه بل ترك له فرصة للاستسلام وأكد له عفوه عنه وإسبال الستار عن الماضى ؛ ولما لم يذعن لذلك أمر الجيوش فى ٣٠ شعبان سنة ١٣٥١ ﻫ بمطاردته ، وما زالت به حتى دانت لها جميع البلاد التابعة للمنطقة . وقدم بنو شبيل الطاعة فى ١٨ رمضان كما قدم المسارحة خضوعهم من بعد، واضطر السادة الأدارسة إلى اللجوء إلى إمام اليمن ، فتوسط سيادته بطلب العفو عنهم ، فأجابه جلالة الملك إلى ذلك ، وأصدر عفوا عنهم وعن جميع من يلوذ بهم ، فأرسل سيادة الإمام إلى جلالة الملك يرجوه الإذن ببقاء السيد الحسن الإدريسى عنده تحت نظارته وفى عهدته، فأجابه جلالة الملك إلى ذلك أيضا ، وعفا عنهم جميعا فى ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥١ﻫ .

ثم إن سيادة الإمام طلب من جلالة الملك أن يعطف على العائلة الإدريسية وأن يمن عليها بنفقة تقوم بأودها ، فأمر جلالة الملك لهم بالمخصصات اللازمة : وظلوا فى اليمن يرتعون ويمرحون على حساب جلالة الملك ، غير أن الإمام لم يتورع من استخدامهم فى سبيل مناوأة جلالة الملك أثناء الخلاف الذى وقع بين المملكة العربية السعودية واليمن ، وانتهى باشتراط جلالة الملك تسليم الأدارسة إليه .

وقد جرى فى ٢٢ صفر سنة ١٣٥١ تسليم السيد الحسن الإدريسى إلى سمو الأمير فيصل فى الحديدة وعائلتهم وحاشيتهم البالغة نحوا من ثلاثمائة شخص ، فأكرم وفادتهم ، وأرسلهم إلى مكة ، فلما بلغوها فى أواخر ربيع الأول أكرمهم جلالة الملك غاية الإكرام وخيرهم فى موضع الإقامة ، فاختاروا البقاء فى مكة ، فأجر لهم أفخم المنازل ، وأجرى عليهم الخير الوفير ولا يزالون يعيشون فى مكة المكرمة طلقاء مكرمين محترمين ، هم وجميع من اشترك فى هذه الحركات ماعدا يد الأمير عبد الله المحركة فى هذه الفتن والدسائس كلها السيد حسين الدباغ ، فإنه لم يلجأ إلى حمى الملك وعفوه مع اللاجئين ، بل فرّ إلى عدن ، وهنالك قبض عليه وأمر جلالة الملك بإبعاده ونفيه فى جزيرة فرسان وظل بها مطلق السراح إلى أن توفاه الله فى عام ١٣٦٣ ﻫ .

المملكة العربية السعودية

على أثر حادثة ابن رفادة وما أذيع من أنها بتدبير حزب الأحرار الحجازى فكر أهل الحجاز فيما يقضى على أمثال هذه الفتن التى لم تدخل عليهم إلا من طريق التفرقة بين الحجاز ونجد ، على حين أن كلا المملكتين تدين بدين واحد وتنتمى إلى أمة واحدة هى الأمة العربية . وقد أزال جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ما كان بينهما من تخالف فى العقيدة بالرجوع إلى عقيدة السلف الصالح ، ووحد بين الشعبين بتبادل المنافع وتوزيع الأعمال والوظائف بين الأفراد على حسب الكفاءة ، لافرق بين حجازى ونجدى ، لذلك قر قرارهم على دمج المملكتين ببعضهما فى الاسم وسائر الشؤون ، واتخذوا من لقب صاحب التاج للمملكتين اسما لهذه المملكة لما لجلالته من الفضل الأعظم فى تحرير البلاد مما كانت فيه من تأخير وابتلاء ، فأبرقوا إلى جلالة الملك يعرضون عليه رغبتهم فى أن يكون اسم المملكة « المملكة العربية السعودية » بدلا من (المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها) فرحب جلالته بهذا وأصدر مرسوما ملكيا برقم ٢٧١٦ فى ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢م يقضى بالموافقة على تحويل اسم المملكة القديمة إلى هذا الاسم الجديد ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ ، حيث أقيمت الاحتفالات فى جميع المدن والقرى ؛ وكان من أجل الاحتفالات ما أقيم فى الرياض عاصمة الحكومة الأولى حيث شرف الحفل صاحب السمو الملكى الأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك .

وقد خطب فى الجماهير قائلا :

(إننا لم نكن نشعر منذ تأسيس هذه المملكة بأى تفرقة بين أبنائها لأن الله قد وحد بينهم فى الدين واللغة والقومية ، ولذلك فإنا لم نر مانعا فى اختلاف الأسماء من قبل ، ولكنه عند ما أعربت الأمة عن رغبتها فى هذا التوحيد فى الاسم أيضا وافق عليه جلالة الملك أيده الله ، واتخذ منه دليلا على نضوج الرأى العام وشدة ترابطه ، بل وتمكن الحب من قلوب أبناء الأمة مما جعلهم يتذوقون لذة الوحدة . وإن فى احتفالنا هذا ما يعبر عن ذلك أصدق التعبير ، وإننى أعلن باسم جلالة الملك أيده الله أن هذه المملكة أصبحت « المملكة العربية السعودية » بدلا من « مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها » إيذانا بزوال جميع الفوارق التى قد تظن بين أجزاء هذه المملكة)

وأقيم مثل هذا الاحتفال أيضا فى مكة المكرمة العاصمة الثانية للمملكة العربية ، وخطب فيه حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك فقال : لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالج نفسى من الفرح والسرور فى هذا اليوم الذى من الله به على هذه الأمة العربية المسلمة بالتوحيد ضمن مملكة واحدة وزوال جميع الفوارق من بين أبنائها ، وإنى أبلغكم شكر جلالة الملك المعظم لكم على هذه الغيرة التى أبديتموها والإخلاص الذى أظهرتموه ؛ ولقد تفضل جلالة مولاى نزولا على رغبة الأمة ، فأصدر أمره العالى بالموافقة على ذلك على ما رأيتموه من جعل اسم هذه المملكة هو « المملكة العربية السعودية » بدلا من « مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها » .

بين الملك وإمام اليمن

يرجع تاريخ العلاقات بين نجد واليمن إلى الزمن الذى اتصلت به الحدود بين الجانبين بانضمام مقاطعة عسير إلى نجد من عام ١٣٣٨ — ١٣٤٠ ﻫ (١٩٢١ — ١٩٢٢ م) .

وحينما عقدت اتفاقية مكة المكرمة بين حضرة صاحب الجلالة الملك وبين السيد الحسن الإدريسى فى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٣٨ ﻫ (٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦ م) وهى التى بسطت الحماية بمقتضاها على القسم الذى كان يحكمه السادة الأدارسة فى تهامة ، أرسل جلالة الملك وفدا إلى إمام اليمن لإشعاره بما كان من دخول الأدارسة تحت حمايته والاتفاق معه على تثبيت الحدود وإنشاء علاقات صداقة وحسن تفاهم كما يقضى بذلك واجب حسن الجوار ، فسافر ذلك الوفد ووصل صنعاء فى ٣ ذى الحجة سنة ١٣٤٥ ﻫ ، ومكث بها إلى أواخر محرم سنة ١٣٤٦ ﻫ ، وإذا باليمن تزعم أن عسيرا جزء من اليمن ، وأن الأدارسة غاصبون ودخلاء فى منطقة هى تابعة لعسير الذى هو جزء من اليمن ، وبناء على ذلك فإنه لا يعترف بما كان من انضمام بلاد آل عايض إلى نجد ، ولا بما كان من بسط الحماية على المقاطعة الإدريسية . مع أن الواقع كان يكذب هذا ، فبلاد الأدارسة قسم من تهامة عسير ، وعسير ليست من اليمن بل هى لآل عايض التابعين لإمام نجد من القديم ، ولم يكن لأئمة اليمن سيطرة على عسير فى يوم من الأيام ؛ ولذلك لم يصل الوفد إلى نتيجة ، وقد أوفد معه الإمام وفدا من قبله إلى مكة لاستئناف البحث مع جلالة الملك مباشرة ، ووصل مكة فى رمضان سنة ١٣٤٦ ﻫ ولكنه لم يصل أيضا إلى نتيجة لأنه كان متمسكا بما لديه من تعليمات دون

نظر إلى الحقائق والوثائق التى تثبت شططهم فى الموقف السلبي الذى وقفوه ، فعاد وفد اليمن ووقفت المفاوضات عند هذا الحد ، واحتفظ كل من الفريقين بالموقف الفعلى الراهن ، وحافظ على الحدود التى بين يديه ، وظل الأمر كذلك إلى عام ١٣٥٠ هـ حيث تقدمت جنود الإمام يحي إلى جبل عرو التابع للمقاطعة الإدريسية وأخذت الرهائن من أهله، وأخذ عماله يرسلون الكتب إلى رؤساء قبائل المقاطعة يدعونهم فيها إلى تقديم الطاعة إلى الإمام يحي ونقض عهدهم مع جلالة الملك ، فأبرق جلالة الملك إلى إمام اليمن يحتج على هذه التصرفات ، فأجابه على ذلك بأن أهل جبل عرو : هم الذين طلبوا منه احتلال بلادهم لتعليمهم الدين .

فأجابه جلالة الملك مقترحا عقـــد مؤتمر من الطرفين لحل المشكلة ، واجتمع المندوبون فعلا فى ١٥ / ٦ / ١٣٥٠هـ وجرت مفاوضات بين الطرفين أصر فيها مندوبو اليمن على ما يزعمون ، وقد تفاقم الخطب حتى ظن الناس أن الحرب واقعة لا محالة ، فجنود الإمام تواصل تقدمها فى جبل عرو ، وجيوش الملك تعد العدة للزحف على اليمن واكتساحها .

وبينما هو كذلك إذا ببرقية من سيادة الإمام يحي إلى جلالة الملك يقول فيها : إن المندوبين لم يرسلوا إلا بناء عن رغبة جلالته؛ ولذلك فإن القضية متروكة إليه ، وإنه يحكمه فيها ليحكم بمـا يراه ، وإن حكمه قطعى ومقبول .

فلما سمع جلالة الملك هذا منه ، وهو على ما عرف عنه من العفو عند المقدرة والحرص على جمع الكلمة واتحاد المسلمين لم يسعه إلا أن يتنازل عن جبل عرو للإمام يحي منعا للنزاع والشقاق ، وأبرق له بذلك وطلب منه أن يبرق لمندوبيه بالاجتماع مع مندوبى جلالة الملك لوضع التسوية النهائية على ذلك الأساس . فوافق سيادة الإمام على هذا ووقعوا معاهدة صداقة وحسن جوار فى ٥ شعبان ١٣٥٠ هـ وقد نص فيها على تبادل تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين ، وتأيدت هذه المعاهدة برسالة برقية من سيادة الإمام بتاريخ ١٥ رمضان سنة ١٣٥٠ هـ .

ثم إنه اتصل بعلم جلالة الملك بعد ذلك بأن بعضا من أعضاء حزب الأحرار الحجازى الذى أسس بدافع من الأمير عبد الله قد ذهب إلى اليمن، فطلب من الإمام يحي إخراجهم فأنكر وصول أحـد إليه ، ولمـا أن حصل الانتقاض من قبل الأدارسة بإيعاز تلك الأيدى أيضا فر الأدارسة إلى اليمن فآواهم الإمام عنده وطلب

لهم من جلالة الملك العفو عنهم ، فأجاب طلبه وعفا عنهم، فطلب أن يأذن لهم بالبقاء لديه ، وهو كفيل بحسن تصرفهم وعدم قيامهم بأى عمل عدائى ضد حكومته ، فأذن لهم بذلك ؛ فطلب من جلالة الملك أن يعين لهم رواتب ومخصصات تقوم بأودهم ، لأن الخزينة اليمانية لاتتحمل ذلك، فوافق جلالته على تخصيص مايلزم لهم من إعانات، ثم علم فيما بعد أن سيادة الإمام قد اتخذ من السادة الأدارسة أداة يستعملها ضده ، فبعث إليه طالبا عقد معاهدة سلمية دفاعية بين المملكتين لتحكم الروابط بين البلدين ، ويدوم الأمن فى تلك الأنحاء فى خطاب بهذا فى ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ يفيض رغبة فى الاتحاد الكامل والإخلاص الأكيد ، فأجابه سيادة الإمام بخطاب بتاريخ ٧ رمضان سنة ١٣٥١ لا يقلّ عنه رغبة فى دوام السلم وإحكام الروابط ، فما وسع جلالة الملك إلا أن يرسل وفدا من قبله لهذا الغرض قوامه خالد بك أبو الوليد القرقنى ، والشيخ حمد السليمان ، والشيخ تركى بن ماضى .

وما كاد هذا الوفد يدخل حدود اليمن من جهة ميدى حتى علم بأن الجنود اليمانية قد احتلت بدر مركز المكرمى سادة نجران ، فعاد الوفد من حيث أتى وأمر جلالة الملك جيشه للاستعداد للحرب ، وتبودلت المخابرات برقيا بين جلالة الملك وسيادة الإمام ، وتقرر عقد مؤتمر من الطرفين فى أبها ، فأرسل إليها جلالة الملك وفدا برياسة فؤاد بك حمزة ، وأرسل إمام اليمن السيد عبد الله بن الوزير إلى أبها للنظر فى مسألة بلاد يام، فوصل الوفدان إلى أبها وتباحثا فى الأمر هناك ، فلاحظ الوفد السعودى محاولة اليمن التنصل من شروط المعاهدة تارة بزعم أن الإمام لم يوقع عليها بالذات ، وأخرى بأنها لم يقصد بها تحديد الحدود أو الاعتراف بالوضع الحاضر فى الحجاز .

وبينما كان المؤتمر يوالى جلساته لوضع أسس المعاهدة النهائية دفع سيادة الإمام السيد عبد الوهاب الإدريسى لإثارة القبائل الخاضعة لحكم جلالة الملك ، وجنود الإمام تعمل على احتلال بعض الجبال فى تهامة والتنكيل بأهلها ، ومطاردة من لم يخضع له منهم حتى لقد اضطر جلالة الملك فأصدر أمره فى ٦ ذى الحجة سنة ١٣٥٢هـ إلى ولىّ عهده سمو الأمير سعود بالتقدم لاسترجاع البلاد التى كانت قد احتلها جنود الإمام ، كما أرسل الأمير فيصل بن سعد إلى باقم وأطرافها ، وأمر الأمير خالد بن محمد إلى التقدم إلى نجران وصعدة ، وأمر أمير عسير حمد الشويعر بالتقدم

إلى حرض ، وأرسل ابنه سمو الأمير فيصل بقوة على الساحل فى تهامة ليتولى القيادة ، وتقدم سمو الأمير محمد من نجد بقوة احتياطية لأخيه سمو الأمير سعود ، وما هى إلا بضعة أيام حتى استولت جنود الملك على كثير من البلاد اليمانية ؛ وأبرق الإمام يحيى إلى جميع الدول الإسلامية يناشدهم الوساطة لإيقاف الحرب وحل الخلاف، فبادر المؤتمر الإسلامى بانتداب وفد من قبله مكوّن من صاحب السماحة الحاج أمين الحسينى رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين ، وصاحب الدولة هاشم بك الأتاسى رئيس الوزارة السورية سابقا ، وصاحب المعالى محمد على علوبة باشا وزير الأوقاف المصرية سابقا ، وصاحب العطوفة الأمير شكيب أرسلان ، يرافق الجميع الأستاذ على أفندى رشدى سكرتيرا للوفد ، وقد وصل هذا الوفد إلى جدة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٥٣ ، واستقبل من قبل الحكومة استقبالا فائقا ووردت فى نفس الوقت برقية من سيادة الإمام إلى صاحب الجلالة الملك يطلب فيها إيقاف القتال ، وأنه على استعداد لقبول شروطه، فوافق جلالته على ذلك بشروط أهمها إخلاء نجران وتخلية الجبال وفك (الرهائن) السجناء وتسليمه الأدارسة ، فتلكأ سيادة الإمام فى الأمر ، ومضت جنود الملك فى تقدمها حتى استولت بقيادة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل على مدينة الحديدة فى يوم السبت ٢١ محرم ؛ كما استولت على بلدة الطائف الواقعة جنوب الحديدة التى تعد مرفأ للزرانيق ، وكذلك استولت على بيت الفقه والزيدية والقطعية ، وقدمت له قبائل الزرانيق الطاعة فلم يسع سيادة الإمام إلا أن يرضخ فى النهاية ، ويقوم بتنفيذ شروط جلالة الملك حيث أخلى الجبال وفك الرهائن وأمر بتسليم الأدارسة .

وعندئذ أمر جلالة الملك جيوشه بالاحتفاظ بالأماكن التى احتلتها ، وتوقيف القتال فى جميع الجهات ، وأرسل الإمام وفده إلى الطائف للدخول فى مفاوضات الصلح ، وبدأ فيها فعلا فى أوائل صفر سنة ١٣٥٢ (مايو سنة ١٩٣٤) وفى ٢٤ صفر سلمت عائلات السادة الأدارسة وحاشيتها التى تبلغ نحوا من ثلاثمائة شخص ، وعلى رأسهم السيد الحسن الإدريسى وعبد العزيز الإدريسى . إلى صاحب السمو الأمير فيصل الذى أكرم وفادتهم وجرى إخلاء معظم الجبال ، وإذ ذاك وقعت معاهدة الصلح بين الطرفين وحملها مندوب من قبل جلالة الملك إلى سمو الأمير فيصل فى الحديدة ؛ ليجرى تبادلها والإشراف على تنفيذ شروطها .

وفى يوم الثلاثاء ٣٠ صفر سنة ١٣٥٣ هـ سافر فى نفس الباخرة التى سافر عليها مندوب جلالة الملك كلٌّ من : أعضاء وفد السلام الإسلامى ، والسيد عبد الله ابن الوزير مندوب اليمن بمعاهدة الصلح ، وقد صدق عليها سيادة الإمام فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ ، وانتهت بذلك تلك الفتنة ، وساد السلام فى تلك الربوع ، وزال ما كان بين الحكومتين من خلاف .

الاعتداء على الملك

بأيد يمانية

فى الساعة الواحدة عربية من صباح يوم الجمعة الواقع فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٣٥٣ هـ شرع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وحضرة صاحب السمو الملكى ولى العهد ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص وثلة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم فى طواف الإفاضة .

وكان الحرس والشرطة بموكب جلالة الملك وسمو ولى العهد من الأمام واليمين والخلف وكان البيت على اليسار ولا يفصل بينه وبين جلالته وسموه أحد من الحاشية والحرس ، وبعد انتهاء الشوط الرابع التزم جلالة الملك الحجر الأسود وتقدم فى سيره إلى أن حاذى باب الكعبة وإذا برجل يخرج من فجوة حجر إسماعيل الشامية منتضيا خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع وبكلام غير مفهوم تماما ، فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسيرون فى مقدمة الموكب الملكى فأمسك به أحدهم قاصدا رده ، ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطى الشجاع أحمد ابن موسى العسيرى على الأرض ودمه يقطر، فأمسك بالمجرم شرطى آخر اسمه مجدوع ابن شيباب ، ولكنه أصيب بطعنة من خنجر المجرم فمال إلى جانب رفيقه .

وفى هذه اللحظة شوهد رفيق للمجرم الأول يتقدم من خلف الموكب ، والظاهر أنه خرج من الفجوة الأخرى لحجر إسماعيل وجاء من جهة الركن اليمانى إلى قرب الحجر الأسود ، فاستعد رجال الحرس الملكى ببنادقهم إلا أن جلالة الملك أصدر أمره المطاع فى تلك الساعة الرهيبة الحرجة بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلا حين الضرورة القصوى ؛ فلما تبين أن المجرم الأول قد طعن شرطيين باسلين وأن المجرم الثانى على وشك أن يصل إلى سمو ولى العهد تقدم عبد الله

البرقاوى أحد الحارسين الخصوصيين لجلالة الملك من المجرم الأول وأطلق عليه بندقيته قبل أن يتمكن من ارتكاب جنايات أخرى فخر صريعا عند مدخل حجر إسماعيل . وأما المجرم الثانى فإنه تقدم مشهرا خنجره أيضا وكاد يطعن سمو ولى العهد طعنة نجلاء إلا أن خير الله الحارس الشخصى لسموه عاجله برمية من بندقيته فأردته قتيلا فى الوقت الذى لامس خنجره أسفل الكتف اليسرى لسمو الأمير سعود ، فلم تحدث الطعنة سوى خدش بسيط ، ولله الحمد والمنة .

وحينما رأى المجرم الثالث ماحل برفيقيه وكان قد خرج على مايظهر من حجر إسماعيل مع المجرم الثانى واتجه من جهة الركن اليمانى إلى جهة الحجر الأسود أطلق رجليه للريح قاصدا النجاة بنفسه فصرعه رصاص بنادق الشرطة والحرس الملكى فسقط على الأرض وهو ينازع ، وظل على قيد الحياة ما يقرب من ساعة تمكن المحققون فى أثنائها من معرفة اسمه وهو على .

ولم يمكن أن يعرف عن الجناة ساعة الحادثة شىء يدل على هويتهم إلا أن ملابسهم وخناجرهم تدل على أنهم من الزيود اليمانيين، وتتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين .

وفى هذه الأثناء أخطر مدير الشرطة العام مهدى بك بالأمر فى منى ، فحضر على رأس قوة كافية من الشرطة وشرع فى إجراء التحريات والتحقيقات ، لمعرفة شخصية الجناة والتحقيق عن الأسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وسط بيت الله الحرام وبقرب الكعبة الشريفة وفى ذلك اليوم المبارك .

وقد حصل هياج شديد بين حجاج بيت الله الحرام ، واشتدت نقمة الجند والشعب على أهل اليمن حينما عرف أن الجناة منهم ، وكاد أن يحصل مالاتحمد عقباه ، لولا أن تدارك جلالة الملك الأمر بحكمته وأصدر أمره الكريم المشدد إلى قواد جنده الموجودين فى مكة وإلى مدير الشرطة العام بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج اليمانيين من الاعتداء واتخاذ كافة التدابير التى تقضى على كل من تحدثه نفسه بتخديش حرمة الحرم ، وإقلاق حجاج بيت الله الحرام ، وكان لهذه التدابير العاجلة أحسن الأثر فى منع وقوع أى حادث من حوادث الاعتداء ، فقضى الناس مناسكهم وأتموا حجهم بكل راحة وطمأنينة ، ولله الحمد والمنة .

وقد بث مدير الشرطة العام عيونه وأرصاده بين حجاج اليمن الذين ثبت أن الجناة منهم فتوصل قبل كل شىء إلى معرفة ثلاثة من الزيود كانوا يقيمون دون

سائر رفاقهم الزيود مع الشوافع من الحجاج اليمانيين عند امرأة فى جبل أبى قبيس ، فلفت ذلك الأمر نظره فحقق معهم فوجدهم متغيبين عن منزلهم ولم يعودوا إليه منذ يوم الوقفة ، وأرسل على الفور قوة إلى المكان وفتش الغرفة التى كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص هم :

١) النقيب على بن على حزام الحاضرى مستخدم فى الجيش اليمانى المتوكلى نمرة جوازه (٩٨) تاريخ ١ شوال سنة ١٣٥٣ هـ ، وهو صادر من مأمور الجوازات بصنعاء وصدق عليه من عامل صنعاء .

٢) صالح بن على الحاضرى شقيق الاول، جوازه رقم (٣٤) بتاريخ شوال سنة ١٣٥٣ هـ ، وحرفة المذكور مزارع ، والجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء .

٣) مسعد بن على سعد من حجير برقم ٦٣ تاريخ ٥ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ ، والجواز صادر من أمير الحج اليمانى السيد محمد نخان وصاحبه عسكرى فى الجيش اليمانى المتوكلى .

ولذا عرضت جثث القتلى على المرأة التى كانوا فى دارها فعرفت أحدهم صالحا وميزت ملابس الاثنين الآخرين نظرا لتغير الوجه فى الإثنين المذكورين وذكرت أن أخت مطوف الشوافع أسكنتهم عندها ، ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الاولى .

وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ اليمانيين بجدة ، فاعترف بأنه أعطى ورقة التصريح للسفر من جدة باسم مبخوت ، وذلك بواسطة أخيه على بن مبخوت الفران بجدة ، وقد استجلب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية فعرفهم واحدا واحدا، وذكر أن أحدهم مبخوت ابن مبخوت الحاضرى هو شقيقه ، بينما الإثنان الآخران : هما صالح بن على، وعلى ابن الحاضرى وكلاهما شقيقان . وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده ثم حضر معه إلى مكة ، وبات مع أخيه والإثنين الآخرين من الجناة فى جبل أبى قبيس ، وهو ذهب إلى عرفات ، أما الثلاثة فإنهم تأخروا فى مكة ولم يحجوا ولم يجتمع بهم إلا فى يوم العيد فى الطواف وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام إبراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا فى داخل حجر إسماعيل .

ولم يعثر على سعد العسكرى المستخدم فى الجيش المتوكلى ، كما أنه لم يعلم السبب الذى حدا به إلى ترك جوازه مع المجرمين ، وقد عفا جلالة الملك عن الفران وأطلق سراحه .

تصريحات الملك عن الحادث

فى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء تشرف مندوبو الصحف الخارجية الذين وفدوا فى موسم هذا الحج بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حيث رفعوا لجلالته أصدق آيات الولاء والتهانى بمناسبة حادث الاعتداء الفظيع ، وقد استمرت المقابلة مدة طويلة لا تقل عن ساعة لقى المندوبون خلالها من لدن جلالته كل عطف ورعاية .

وقد تفضل جلالته فأجاب على بعض الأسئلة التى كان يلقيها الأستاذ محي الدين رضا مندوب المقطم بما يلى :

قال أيده الله : إن جماعتى شوقونى لزيارة أوربة وعواصمها ومدنها الكبرى ، ولكننى ما أحب أن أفارق بلادى ، ولا أريد غير بلادى العربية ، وإن أكثر ما أخشاه وأحاذره الصحفيون وأقوالهم وأسئلتهم ، لأن الناس شىء واحد ، والصحفيون أشياء ، منهم أهل النقد فى السياسة ، وأنا رجل ربيت تربية بدوية ما أجيد صوغ الكلام ولا رصفه ، وأهل الصحف يكتبون الأشياء منمقة ويهندسون كتاباتهم كاملة ، وأنا ليس عندى شىء من هندسة الكلام الذى يجول فى قلبي عن أساسات البناء الذى أتكلم به ولا مقدرة المهندس الذى يعدل البناء ويرتبه .

ثم قال : فمن يحب أن يسأل شيئا فأنا مستعد لاجابته ، فسئل جلالته عن الحادث المشئوم وأثره فى نفس جلالته ، فقال : إن الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم ، وأنا شخص ليس يهمنى إلا إقامة كلمة التوحيد ، والمحافظة على ما بيدى ، والحافظ هو الله تعالى .

ولما وقع ، وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همى غير المحافظة على الحجاج ، ومنع تسرب أخبار الحادث إلى خارج الحرم ، فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ، ومنع سفك الدماء فيه ، وأتممت الطواف ، وخرجنا عائدين إلى منى .

فسئل جلالة الملك عن التحقيق ، وهل ثبت أن جلالة الإمام يحي له دخل فى الموضوع ؟ فأجاب جلالته : إنى أعتقد أنه لا يمكن أن يقدم على مثل هذا العمل ،

والرجل لايخلو من دين ، والصلات بيننا وبينه على أحسن مايرام . أما التحقيق عن الحادث وكيف وقع وأسبابه ، فهذه شئون ستأخذون عنها بلاغا من الخارجية وتعرفون الحقيقة . .

قيل إن للأمير أحمد سيف الإسلام يداً فى هذه المؤامرة ؟ فقال جلالته : إن الظن كثير ، والناس يتكلمون بأشخاص كثيرين ، ولكن نحن لايمكننا أن نأخذ بالإشاعات وأقوال الناس ، ولا يمكن أن نقول شيئا إلا ماتراه عيوننا وتقره قلوبنا وتطؤه أقدامنا ، ونحن دائما تأتينا أخبار كثيرة بأن فلانا سيفعل وفلانا سيعمل ، أما نحن فالحزم والحيطة التى أمرنا الله بها نفعلها ، وأنا ما اعتدت فى أعمالى إلا أن أتكل على الله وحده .

ووالله إن هذا الحادث الذى وقع فى الحرم وقر فى نفسى ، وأنا فى عرفات ، وكأنى أشعر به ، ولكن قلت فى نفسى : إن الله سيكفينى هذا الشر ، وكنت أحدث نفسى كيف يمكن القبض على الجانى إذا تغلغل بين الناس ؟

وبعد أن نزلت من عرفات كان الله أنسانى ذلك الذى وقر فى نفسى ، ونحن مالنا فى شىء من أعمالنا إلا اعتمادى على الله، وهنا استطرد جلالته إلى بيان ماهو سائر عليه ، وإيضاح خطته وعقيدته فى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده واتباع الكتاب والسنة ، وإنه لايمكن أن يحيد عن حكمهما وإنه لايوجد لأهل نجد عقيدة أو مذهب جديد إلا ماجاء فى كتاب الله وسنة رسوله وأقوال السلف الصالح وما كان عليه الأئمة الأربعة .

وقد سئل جلالته عن مقدار ما كان لشعور المصريين من أثر فى نفس جلالته فقال :

لقد رأيت من شعور العالم الإسلامى أجمع من سائر أجناسه ما أثلج صدرى وأشعرنى باتحاد المسلمين واتفاقهم ، وأن هذا الأمر أهمهم كثيرا وظهر منهم من الاهتمام فيه أكثر مما كنا نتصور ونظن .

والمصريون بصورة خاصة إخواننا ، وقد عودونا أن نلقى منهم فى كل فرصة ومناسبة ماتنشرح له صدورنا من الألفة والمحبة بيننا وبينهم ؛ لأنه لايوجد بيننا وبينهم ما يدعو لخلاف وشقاق .

وأعرب الصحفيون العراقيون عن سرور العراقيين من خطاب جلالته للكشاف

العراق وما صرح به فيما يتعلق بالعراق ، فقال جلالته : العراق منا ونحن منه ، والذى يؤلم العراق يؤلمنى ، والذى يسره يسرنى ، فالعنصر واحد والأمة واحدة وما يريد أحد بالعراق شراً إلا وهو يريد بى مثله .

وتكلم جلالته عن حالة فلسطين فقال :

إننى أتمنى لفلسطين كل خير وسعادة ، لأنها بلد عربى ، وفيها ثالث الحرمين ، وهو المسجد الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى » ففلسطين من بلاد العرب ، والذى يسر العرب يسرنى ، والذى يؤلمهم يؤلمنى ، ولكن مصيبة العرب فى جميع بلدانهم وأقطارهم من أنفسهم ومن تخاذلهم .

والذى أتمناه أن يجمع الله كلمة العرب على الاتفاق بينهم ليسلموا من شرور أنفسهم ، فإذا سلموا من شرور أنفسهم سلمت نيتهم وأمكنهم أن يحفظوا أنفسهم من الأذى ، فالعرب بتخاذلهم آذوا أنفسهم أكثر مما آذاهم الأجنبى .

ثم أعرب الأستاذ محمد داود صاحب مجلة السلام المغربية عن عاطفة المراكشيين نحو جلالة الملك ، وتقديرهم لجهود جلالته ، وخدمته للإسلام والعرب ، ونشره السنة ، فشكر جلالة الملك للمراكشيين عواطفهم ؛ ثم قال :

إن كثيرا من القبائل الموجودة فى مراكش أصولها من نجد ، والعرب بعضهم من بعض . ولما بلغ جلالة الملك إلى هنا استأذنوه فى الانصراف بعد أن شكروا لجلالته هذه العواطف السامية نحو المسلمين والعرب جميعا ، وعادوا فكرروا تهانيهم لجلالته على أن وقاه الله كيد الكائدين ، ورد هذا الكيد فى نحورهم .

تنصل اليمن من الاعتداء

ما كادت حكومة اليمن تعلم بحادث الاعتداء على جلالة الملك بأيد يمانية حتى ألفت لجنة خاصة قامت بتحقيقات واسعة النطاق أسفرت عن أن على بن على الحاضرى كان ضابطا صغيرا فى الجيش المتوكلى ثم استحصل إذنا فى شوال سنة ١٣٥٣ ﻫ من إمارة الجيش لأداء فريضة الحج حيث يقضى نظام الجيش المتوكلى لزوم إعطاء الرخصة لكل من يطلبها بقصد أداء فريضة الحج ثم سافر إلى الحجاز مع أخيه صالح بن على الحاضرى الذى كان متخفيا فى خارج القطر . ثم عاد إلى وطنه فى ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ﻫ

وحث أخاه على السفر معه إلى الحجاز بقصد الحج . وأما مبخوت بن مبخوت الحاضرى فقد كان مستخدما فى الجيش المتوكلى بصفته أحد أفراده .

وفى شهر رمضان سنة ١٣٥٣ هـ كتب إلى أخيه الموجود فى قرية بيت حاضر أنه يريد الحج فأجابه عليه أخوه بلزوم مجيئه لزيارة أمه والاستئذان منها فلم يرد على ذلك الخطاب وتوجه إلى الحج بدون رخصة من إمارة الجيش وعد من الهاربين من الجيش . وأما مسعد بن على فلم يمكن معرفة شخصيته ولا وجد من يطلق عليه هذا الإسم فى قرية بيت حاضرى التى منها أولئك الثلاثة الرجال .

ونظرا لما عرف من اتصال صالح بن على الحاضرى ببعض البلاد الخارجية مدة غير يسيرة وعودته إلى اليمن بصورة مؤقتة وتشويقه لأخيه ومبخوت بن مبخوت لأداء الحج لم يكن فى الاستطاعة توسعة التحقيق فى بعض البلاد الخارجية والمحلات التى أقام فيها صالح بن على المذكور زمنا طويلا وإجراء الفحص التام عن الأشخاص الذين اختلط بهم وعن غير ذلك حتى تنجلى الحقيقة تماما . وعليه كتب وزير خارجية اليمن بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٣٥٤ هـ إلى صاحب السعادة وكيل وزير خارجية المملكة العربية السعودية فؤاد بك حمزة الخطاب الآتى : (أعد من وظيفتى أن أبلغ ذيلا بهذا إلى حضرة معالى سعادتكم التقرير المتقدم من الهيئة التحقيقية الخاصة التى كانت تشكيلاتها بأمر متبوعى الإمام ملك اليمن المبجل والمشتمل على التحقيقات المتعلقة بالحادث المؤلم المؤسف ، وبالمسئولية أؤدى لحضرة معاليكم احترامى الفائق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

وزير الخارجية اليمنية — محمد راغب

ومهما يك من الأمر فما لاجدال فيه أن المجرمين كانوا من أهل اليمن بل ومن رجال الجيش وهذا ماوجه الظنون إلى أن هذه المؤامرة كانت مدبرة من سيف الإسلام أحمد ولى عهد اليمن الذى قيل إذ ذاك إنه كان على غير وفاق مع والده، وإنه كان ينقم على جلالة الملك، وإنه على اتصال برجال حزب الأحرار الحجازى ومن قائل إن ذلك إنما كان بتدبير السيد حسن الدباغ فقط باعتباره مبعوث الأمير عبد الله لتنفيذ الخطة المرسومة حيث كان المذكور فى اليمن مدة طويلة .

ولما أن وقى الله الملك منها ومن جميع مادبروه ضده من الفتن والثورات ذهب السيد حسين إلى عدن وقضى بها أياما وجمع حوله أنصارا وسار بهم لحرب الإمام

يحيى ، فلما علم به الإمام أرسل له قوة فرقت جموعه فقفل راجعا إلى عدن واحتج الإمام على حكومة عدن لخروج المذكور عليه من ناحيتها وطلب تسليمه إليه، فقبضت حكومة عدن عليه وهمت بتسليمه إلى إمام اليمن حرصا على حسن صلاتها به ، ولكن السيد حسين أبى ذلك وطلب منها أن تعيده إلى بلدة الحجاز وتسلمه إلى ابن سعود لما عرف عنه من عدم حمل الحقد والعفو عند المقدرة ، وكان كذلك فإنه عندماسلمه الإنجليز إلى جلالة الملك عفا عنه بشرط أن يظل فى جزيرة فرسان مطلق السراح مع زوجته ، وخصص له مايسد حاجته من المال والأرزاق وظل بها أياما حتى توفاه الله فى عام ١٣٦٣ هـ .

دعوة الزعماء

وعند ماتم لابن سعود القضاء على جميع الثورات ، وتوحدت المملكتان رغب دعاة الإصلاح من أنصار جلالة الملك ابن السعود ، وهو سعادة الشيخ ابراهيم ابن معمر الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية فى بغداد أن يضم تحت لواء جلالته البقية الباقية من شبان الحجاز وزعمائه المخلصين ، وكان من قبل على اتصال بهم وهو يعلم إخلاصهم ، فاستصدر عفواً عاماً من جلالة الملك لجميع معارضيه وكل من اشترك فى مقاومته أو محاربته ، ثم اتصل سعادته بكل من : السيد طاهر الدباغ ، والشيخ عبد الرءوف الصبان ، والسيد عبد الحميد الخطيب ، والقائمقام محمد عبد الله صادق ، وأبلغهم أمر هذا العفو العام ، وأشار عليهم بالسفر إلى الحجاز لدراسة الحال عن قرب ، وأكد لهم أن جلالة الملك أيده الله على استعداد لتقبل النصيحة ، والأخذ برأى المصلحين بما فيه سعادة البلاد ، وأنه لايضمر حقدا لأحد ، فمن كان مخلصا لبلاده فعليه أن يجيب الدعوة ، ويغتنم هذه الفرصة السانحة لعودته إلى بلاده ، ومن كان مصرا على مناصرة الهاشميين فالله المستعان عليه ، ونعم الوكيل .

العفو عن المبعدين

وعلى أثر هذا أصدر جلالة الملك عفوا عن المبعدين السياسيين ، هذا نصه :

مرسوم ملكى كريم رقم ٢٣ / ١ / ١٩

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

بعد الاعتماد على الله .

نظرا لرغبتنا فى أن يكون جميع أبناء شعبنا متكاتفين متعاضدين على مافيه خدمة وطنهم وأمتهم .

ونظرا لزوال الأسباب التى أوجبت فى السابق وضع بعض القيود والتوقيعات ضد أبناء هذه البلاد من رعايانا المقيمين فى الخارج من منعهم من العودة إلى البلاد والإقامة فيها ، فإننا نأمر بما ياتى :

المادة الأولى : تلغى التدابير المتخذة ضد بعض رعايانا الممنوعين من دخول البلاد والإقامة فيها أو العودة إليها، ويسمح لمن أراد العودة منهم بالدخول والإقامة إذا قام بالشروط الموضوعة لذلك .

المادة الثانية : على من أراد أن يشمله العفو الممنوح بالمادة الأولى أن يراجع الحكومة بذلك رأسا أو بواسطة ممثليها فى الخارج ؛ لأجل إتمام المعاملة اللازمة لذلك .

المادة الثالثة : على وزيرى الداخلية والخارجية إنفاذ مفعول أمرنا هذا .

صدر فى اليوم السابع من شهر شوال سنة ١٣٥٣ هـ .

ولقد بادر بالعودة إلى الحجاز كل من سعادة الشيخ محمد الطويل رئيس الحزب الوطنى الحجازى ، فشمله جلالة الملك بعطفه ، وأكرم مثواه ، وعينه ناظرا لعموم جمارك الإحصاء ، كما أقطعه أراضى زراعية واسعة فيها وعاد أيضا الشيخ عبد الوهاب قزاز ، والشيخ عبد القادر غزاوى من سجناء الطائف فشملهما جلالة الملك برعايته . وعين الثانى منهما رئيسا لنقابة السيارات ، ثم عضوا فى مجلس الشورى .

حل حزب الأحرار

على أثر صدور العفو العام تبادل أعضاء الحزب الرسائل وقرروا فيما بينهم حل حزب الأحرار الحجازى ، ولم يشذ عنهم غير السيد حسين الدباغ ، والسيد يوسف زواوى، وتردد أعضاؤه فى أمر العودة إلى الحجاز خشية أن ينكل بهم جلالة الملك بعد عودتهم إليه قياسا على ماطبع عليه أمراء الحجاز فى السابق، ولكن رئيس الحزب السيد طاهر الدباغ استعد أن يضحى بنفسه فيكون هو أول المسافرين إلى الحجاز ووافقه على ذلك القائمقام محمد عبد الله صادق، فنشر السيد عبد الحميد الخطيب وكيل حزب الأحرار الحجازى فى مصر فى الصحف بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٣٥٤ ﻫ الموافق ١٥ إبريل سنة ١٩٣٥م بيانا بحل الحزب المذكور، وبعث بصورة منه إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود فى الحال ، فأجاب جلالته على ذلك بأطيب ردّ ، وأكد عفوه عنه وعن زملائه ، وعندئذ سافر السيد طاهر الدباغ والقائمقام محمد عبد الله صادق إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك فأكرمهما غاية الإكرام ، وقال لهما جلالته : لقد عفوت عنكم عن الماضى ، وإنى أريد منكم أن تعاهدونى على الإخلاص للدين والوطن ، وأما شخصى فدعوه جانبا ، فأجاباه : إنا نعاهدكم على الإخلاص لجلالتكم قبل كل شىء لأن الإخلاص لكم هو إخلاص للدين والوطن ، فسرّ بذلك جلالته ، ووجه الخطاب إلى السيد طاهر الدباغ قائلا : (لا شك أن المعارف هى أساس نهضة الأمة ، وهى قلب الدولة النابض ، ولذلك فقد أمرت باسناد مديرية المعارف العامة فى المملكة العربية إليك ، ليعلم الناس أنا وضعناك فى قلوبنا ، ثم تفضل جلالته فأسند مديرية إحصاء النفوس العامة فى المملكة العربية إلى القائمقام محمد عبد الله صادق .

ولقد سافر على أثرها إلى الرياض أيضا الشيخ عبد الرءوف الصبان ، ونال من جلالة الملك كل عطف وتقدير ، وعينه عضوا فى مجلس الشورى .

وكتب سمو الأمير عبد الله أمير شرق الأردن إلى السيد عبد الحميد الخطيب يقول له : اتصل بى أن السيد طاهر الدباغ رجع إلى الحجاز فكيف هذا ؟ وهل عندكم علم بذلك ؟ فأجابه الخطيب بقوله : لقد تقرر حل الحزب ، وسافر السيد طاهر بعلم من الجميع ؛ لأن ابن سعود عرف كيف يستميل خصومه بينما أنكم لم تستطيعوا الاحتفاظ بأصدقائكم .

خطبة الدباغ

بين يدى جلالة الملك المعظم يوم تشرف بمقابلته فى الرياض



السيد طاهر الدباغ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

ياصاحب الجلالة : قال الله تعالى فى محكم كتابه ، على لسان أشرف خلقه ، صلوات الله وسلامه عليه (قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وروى البخارى ومسلم بسندهما عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ، فوالذى لاإله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» .

ويقول الشاعر العربى :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وإن هذا الخادم المخلص المـاثل الآن بين يدى جلالتكم والخجل آخذ منه كل مأخذ ليعترف فى كثير من الأسف بأنه كان بعيدا عن معرفة ماخص الله به جلالتكم من مزايا ساميه ، وأخلاق عالية ، وسجايا علوية ، وشمائل مصطفوية ، جعلتكم أحق الناس طرا بتبوأ هذا العرش العربى العزيز على الأمة العربية ؛ فلئن حمدت الله على تشرفى بالانضواء تحت لواء جلالتكم ، وإخلاصى لبيت هو فخر العروبة : فإنى إنما أحمده تعالى على أن جعل خير أعمالى آخرها وأن هدانى بعد حيرة دامت عشر سنين ونيفا إلى محجة الصواب ومنهج الحق .

نعم يامولاى إنها حيرة كابرنا فيها كثيرا حتى لم يبق فى قوس المكابرة منزع، وحتى علمنا بالتجربة والبرهان الحسى أن العناية الإلهية ترعى سيد الجزيرة فى كل مواقفه ، ويحيط به التوفيق فى كل أعماله: فآمنا عن دليل قاطع ، وبرهان ناصع بأن الله الذى أيدكم بقوته ، وأمدكم بنصره ، قد اختار جلالتكم لجمع كلمة العرب ، وتوحيد صفوفهم والأخذ بيدهم إلى محجة النجاة والهدى حين اختلط عليهم الأمر وتفرقت بهم السبل ، فرضينا بما رضى الله به لنا فرحين مستبشرين مغتبطين بهذا التوفيق ، وإن هذا الإيمان الذى كان أول نتائجه تقديم الطاعة والإخلاص لجلالتكم ، والنزول على حكم جلالتكم والرضاء به سيجعل من إخلاصنا فى المستقبل وتفانينا فى خدمة هذا العرش المفدى ما يكون كفارة عن الماضى إن شاء الله .

فلئن أخطأنا محجة الصواب فيما مضى فوالله لنتمسكن بها إن شاء الله بعد إذ هدانا الله إليها تمسك من يعتقد أن فى الخروج عنها خسران الدنيا والآخرة .

وأنا منذ وفقنا الله للعودة إلى أحضان الحق ، قد عرضنا عهدنا بالسمع والطاعة والإخلاص خطيا لأعتاب جلالتكم السامية بواسطة خادم جلالتكم المخلص القائم بأعمال مفوضية جلالتكم ببغداد .

واسمحوا لى ياصاحب الجلالة بأن أعيد هذا العهد بين يدى جلالتكم تقريرا لغرض دينى محتم وواجب وطنى لازم فأقول : لكم علىّ يا صاحب الجلالة عهد الله وميثاقه على السمع والطاعة فى السر والعلن فيما أحببت وكرهت ، وعلى أن أكون مخلصا لجلالتكم ولأولياء عهودكم ، ولهذا البيت السعودى الكريم إخلاصا تاما ، ظاهرا وباطنا فى السراء والضراء فى كل الأحوال أوالى من واليتم ، وأعادى من عاديتم ، وأسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم ، والله على ما أقول وكيل ، وهو حسبى ، وكفى بالله شهيدا .

ياصاحب الجلالة : إننى بحق أعتبر هذا اليوم أشرف أيامى وأسعدها ، ففيه حظيت بشرف المثول بين يدى جلالة سيد العرب ، وأرجو أن يتم لى الشرف بنيل رضاه وثقته الغاليتين .

ولا غرو أن تكون هذه الأعتاب السامية مهوى أفئدة المؤمنين ، ومحط آمال طلاب المنعة من الموحدين ففى هذا القصر الملكى ينجسم للعرب مجد شامخ ، وشرف باذخ وعز عظيم وفخر جسيم وأمل مطلق ومستقبل بالخير يندفق، وفيه يتجلى من الدين

هدايته وطاعته ورفقه وسماحته ونبله وبساطته ونقاؤه من المعكرات وصفاؤه من المستحدثات وتأثيره فى النفوس وأخذه بالنواصى والرءوس، وسمع وطاعة هما منبع لكل خير ومصدر كل بر، فإن عنت العرب بوجوهها لله ثم لهذه الأعتاب فإنما عنت لكنفها الذى لا يضام وركنها الذى لا يرام وموئلها بعد الله فى الملمات وسندها بعده عز وجل فى المدلهمات .

إيه ياصاحب الجلالة ، لقد أيقن العرب أجمعون أن ليس لهم من يحمل راية مجدهم، ويقودهم إلى ميادين الشرف ، ويجمع شتاتهم وينشلهم من حضيض الذل والهوان إلى أوج العز والسلطان إلا هذا الجالس على عرش : لحمته قلوبهم الخافقة ، وسداه : عيونهم المحدقة ؛ وفيه بعد الله وضعوا آمالهم ، وإليه وجهوا أنظارهم ، ولا بدع فما آل سعود (اليوم وقبل اليوم) إلا مفخرة من مفاخر العرب ، ومنبع طالما نهلوا منه العز والسؤدد والشرف والمجد ، وما هم إلا الدعاة لله ولتوحيده ولإعلاء كلمته ، ودحض حجج أعدائه بالبيان الحق واللسان الطلق، ثم بالسيف والسنان والضرب والطعان ، وما عبد العزيز إلا واسطة هذا العقد اللامع ، وفريدة هذا التاريخ الساطع ، منحه الله من كريم الصفات وبديع السمات ما يليق بالعمل العظيم الذى قدر فى سابق أزله أن يجريه على يديه، وكانت نسبته إلى ذى العزة سبحانه مظهرا من مظاهر عزته ، ودليلا من أدلة قدرته .

فبينما كانت قلوب كثير من الناس ترجف وجلا وهلعا خشية غروب شمس بيت له فى خدمة الدين الإسلامى والدعوة إلى الله سبحانه القدح المعلى إذا (بعبد العزيز) يحمل راية طالما اهتزت لدعوة الدين ، وإذا به يحتل معقلا من معاقل الإسلام والدعوة إليه وإذا هو كالفجر الصادق يسطع وسط الظلام الحالك ، ولم يزل نور دعوته ينتشر ويبدد ظلمات الباطل بالرغم من جهود خصومه الكثيرين الذين لم تكن تدابيرهم إلا أسبابا لعزته ورفعته، ولم يكن كيدهم المستتر إلا وسيلة من وسائل اطراد الظفر والنصر حتى عم نور الهداية كل أطراف الجزيرة العربية ، والحمد لله ، ونرجو إن شاء الله أن يستمر اطراد سطوع هذه الأنوار حتى يعود للعرب سابق مجدهم وسالف عزهم .

فعلى بركة الله تتمون يامولاى منهاجا انتهجتموه وفى سبيل الله تنجزون خطة وضعتموها، فالتوفيق بحول الله قرين كل أعمالكم، والسعد إن شاء الله خادم ركابكم .

وأسأل الله أن يحفظ للإسلام والمسلمين جلالتكم ذخرا وسندا حتى يتم لهم ماترونه من جمع كلمة وانتشال من هوان وصون من ضلال؛ كما أسأله تعالى أن يحرس لكم ولهم سمو ولى عهدكم المعظم وسمو نائب جلالتكم العام ببلد الله الحرام وجميع أصحاب السمو الأمراء الكرام ، وأن يجعل راية الحق فى هذا البيت السعودى الكريم حتى يأذن الله لهذه العاجلة بالزوال ، والسلام على جلالتكم ورحمة الله وبركاته .

خطبة الصبان

فى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم



الشيخ عبد الرءوف الصبان

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمـــدا عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وكشف الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وعبد الله مخلصا حتى أتاه اليقين من ربه ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

مولاى صاحب الجلالة :

إن من أكبر دواعى افتخار هـذا الخادم المخلص وقوفه هـذه الساعة بين يدى جلالتكم وهو بين عاملين متباينين : عامل الفرح والسرور لهـذه الخـاتمة السعيدة . ومشاهدة هذه الطلعة الجليلة فى هذا الموقف المشرف والأعمال بخواتيمها ، وعامل من الأسف والأسى لمـا سبق من جحود ونـكران لهـذا النور المبين وهذا الحق الساطع .

نعم، إن ماكنا فيه من غواية وضلالة إنما هو محض جحود للحق ونكران للفضل لأن الحق أبلج والهدى واضح بين لايحتاج إلى دليل ولا يقام عليه برهان — ولولا الإيمان والحمد لله بأن كل ذلكم إنمـا هو بقضاء الله وقدره فى سابق علمه وأزله، وأنه سبحانه وتعالى إذا أراد أمرا سلب ذوى العقول عقولهم — لذهبت نفسى أسى

وحسرة لما فرط منى فى حق جلالتكم وحق الوطن الذى أنتم رمز أمانيه وموضع آماله — وإنى لا أحتج بالقضاء لأصرف عن نفسى مسئولية مااقترفت من إثم . فإنه لولا ماخصكم الله به من أخلاق كريمة وشمائل حميدة وصفات ممتازة هى التى أنزلتكم من أمتكم هذه المنزلة السامية وجعلت لكم فى العالمين الإسلامى والعربى هذه المكانة الرفيعة فأصبحت قلوبهم تهفو إلى هذا المحيا الباهر وترنو إلى هذه الأعتاب السامية، أقول : لولا ذلكم لما كان هذا الخادم المذنب جديرا بهذا العطف السامى والفضل الأبوى العظيم .

إنى يامولاى : هذا الخادم المقر بذنبه والمعترف بإثمه والمذعن لأمر مولاه ، وها أنا بين يدى جلالتكم فإن عاقبتم فبعدلكم، وإن عفوتم فبفضلكم، وجلالتكم على كلتا الحالتين محمود العمل مشكور الفعل .

ياصاحب الجلالة إنه منذ أن قدر الله زوال تلك الغشاوة عن أبصارنا وبصائرنا رأينا نور الحق وتاقت نفوسنا إلى منازل الهدى . منذ ذلكم الوقت قد عاهدنا الله على يد ممثل جلالتكم بالعراق على السمع والطاعة والإخلاص لجلالتكم ولبيتكم الكريم . وها أنا أكون اليوم سعيدا بإعلان هذا العهد بين يدى جلالتكم بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن بقية إخوانى الذين دخلوا فيما دخلنا فيه. فنعاهدكم بالله على السمع والطاعة والإخلاص لجلالتكم فى السر والعلن . نوالى من واليتم ونعادى من عاديتم ونحب من أحببتم ونكره من كرهتم، وأن نكرس كل جهودنا وقوانا ومواهبنا لخدمة جلالتكم وخدمة هذا السعودى الكريم، بيت عز العرب بيت مجد العرب بيت نصرة الإسلام بيت نشر التوحيد الخالص ، هذا البيت الذى جعل الله إعادة عز العرب والمسلمين على يديه .

وإنا لنود يامولاى لو كشف لكم عما جعله الله فى قلوبنا لجلالتكم من حب صادق وإخلاص تام وإجلال وإكبار لما خصكم الله به من مواهب عظيمة وأخلاق رضية كريمة حتى ننال الشرف الأعظم بنيل ثقتكم ورضاكم وهما غاية أمنيتنا ومنتهى مانرجوه، وستكون كل أعمالنا [بحول الله وقوته، فإنه لاحول ولاقوة إلا به] برهانا ساطعا ودليلا بينا على ذلك ، والله على مانقول وكيل .

إى مولاى : والله إن من دواعى الغبطة والسرور والفخار لكل مسلم خالص التوحيد أن يرى هذه الربوع المباركة فترجع به الذكرى إلى ما كان عليه المسلمون

فى الصدر الأول من الإسلام . يرى الإسلام غضا خالصا من كل البدع والخرافات التى دسها الأعاجم فى تعاليمه. يرى الإسلام السمح ترعاه قلوب خالية من كل رغبة، إلا رغبة إعزاز الدين، وجمع كلمة العرب، وإقامة أحكام الشريعة المطهرة، وتطهير عقائد المسلمين مما لحق بها من جاهلية .

إن المسلم ليفخر حين يزور هذه الربوع الكريمة ويتطلع إلى هذه الوجوه الناضرة المضيئة بنور الإسلام، ويرى هذه القلوب العامرة بالتوحيد والإيمان الخالص وينظر إلى هذه النفوس المليئة بحب الله، الساعية لرفع شأن الإسلام والمسلمين وتخليصهم من تلك الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء، والرجوع بهم إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، وما سنه لهم نبيهم الأعظم صلى الله عليه وسلم، يفخر المسلم بذلك لأنه يعلم أنه لا عز للإسلام يرجى ولا خير للمسلمين ينتظر إلا إذا رجعوا إلى تعاليم دينهم، فاهتدوا بهديه، واستضاءوا بنوره .

وبيتكم يا صاحب الجلالة هو القائم بحماية هذه الدعوة المباركة، والساعى لنشرها بين المسلمين فأنتم يا مولاى عز الدين والعروبة والوطن .

والله أسأل أن يبقيكم ذخرا لهم جميعا، وأن يحقق بجلالتكم آمال العرب والمسلمين، وأن يحرس لكم ولهم أصحاب السمو الأمراء، والسلام عليكم .

رئيس جمعية الشبان



السيد عبد الحميد الخطيب

ولقد كتب السيد طاهر إلى إخوانه فى جميع الأنحاء يشرح لهم حالة البلاد وما لمسه فيها من تقدم ورقى ، وأنه لاصحة لما كان ينقل إليهم من حالة الضغط وكبت الحريات ، ويلح عليهم بالعودة إلى البلاد للمساهمة فى خدمة البلاد والعمل على إنهاضها تحقيقا لرغبة صاحب الجلالة الملك .

وبناء على ذلك سافر كاتب هذا التاريخ من السويس إلى جدة على الباخرة الطائف مساء يوم الأربعاء ٢٣ صفر سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٢٦ م ، فبلغها صبح يوم الأحد ٢٦ صفر سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٧ مايو سنة ١٩٢٦ م ، ومنها سافر إلى مكة ، وكان جلالة الملك فى عشيرة عائدا من الحجاز إلى نجد . وقد سافر فى صبيحة اليوم الثانى فلم يستطع إدراك مقابلته فأبرق لجلالته بوصوله ، ثم قضى بعض الأيام فى مكة ، ومنها سافر إلى الطائف وقابل سمو الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك ، وخطب بين يديه الخطبة الآتية :

« فى حضرة الأمير »

يا صاحب السمو :

لعل أشد مايتمناه الغريب إذا نأى عن بلده الذى نشأ فيه وامتزج حبه بدمه . هو أن يمن الله عليه بالعودة إليه ليكرس بقية حياته لخدمته والعمل على رفعته حتى يقضى ما له عليه من دين ، وما يحمل فى عنقه من أمانة . ويتضاعف سروره وتكتمل نعمته إن كانت جهوده خالصة لله ربه ، ونياته مخلصة لمليكه ووطنه .

ولئن كان للغريب العائد فرحة واحدة فإنى فى هذا اليوم الذى أعده أسعد أيام حياتى ما انقضى منها وما بقى أشعر فى نفسى بفرحتين وأشكر الله على نعمتين ، فقد عدت إلى بلدى وإخوانى وعشيرتى، أخرجنى منها المبدأ وأعادنى إليها اليقين ، وهاأنا ذا الآن أملأ ناظرى وأمتع نفسى بهذه الطلعة البهيه والشخصية الفذة التى جمعت من الفضائل أحسنها ومن الشمائل أرقها ، وانطوت على عظائم الهمم وجلائل الأعمال .

وبفضل ما اكتسبه سموكم من شخصية جلالة والدكم العظيم مجدد مجد العروبة ومحيي عز الإسلام ، قد استطعتم أن تحكموا القلوب بالحب والعطف وتأسروها بالعدل والحلم ، فدانت لكم الرؤوس ، والتفت حولكم القلوب ، وبادلتكم الأفئدة ودّا بودّ وإخلاصا بإخلاص .

ولو أطلقت لنفسى عنان شعورها لانطلق هذا اللسان العاجز ينشد أشعار محامدكم ، ويغنى بجميل شمائلكم ، ويمينا ما أنا ممن يلتمسون العرض الزائل من مديحكم ولا المنفعة الخاصة بالتغنى بآثاركم ، فما ذلك من طبعى ولا من خلق ، وإنما هو حب خالص يجذبنا نحوكم ، وتقدير عظيم يربطنا بكم ، بعد أن كنا فى مقدمة خصومكم نشك فى مصير بلادنا ، ولا نؤمن بسعادتها ، وكان لنا مبدأ ندافع عنه وقوة نستمدها منه ، وأغشى الله أبصارنا فعارضناكم وضللنا السبيل فأغضبناكم ، وكنا يوما ما عليكم لا لكم ، فإذا بجلالة الملك العظيم يسوس البلاد بالعدل والدين والحلم واليقين ، وإذا بكم تترسمون خطاه ، وتتممون مابنته يداه حتى سطع نور الحق وقام الدليل على الإصلاح ، فانقلب الغل حبا والشك يقينا ، وإذا بنا نمد أيدينا طواعية فى خدمتكم ، ونهيء أنفسنا عن رغبة لطاعتكم ونرفع ألسنتنا مخلصين بالدعاء لكم . ونحن العرب طبعنا الحب الخالص لبلادنا ، والإخلاص والولاء لمليكنا ، والثبات على عهدنا والطاعة لأولى أمرنا . والحب يشفع للمذنب ، والإخلاص يمحو الخطأ ، فليهنأ العبد المؤمن بفرحته ، وليشكر الله على نعمته ، أمد الله فى عمر والدكم وعمر سموكم ، وأيد ملككم وأقر عينه بكم .

وأعرب لسموه عن رغبته فى السفر إلى الرياض للتشرف بالمثول بين يدى جلالة الملك ، فكتب إلى جلالته بذلك ، فرحب به وسافر إليه مع الشيخ محمد صالح نصيف والشيخ محمد صالح قزاز فى يوم الجمعة ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٦ يونيه سنة ١٩٣٦ م إلى الرياض ، فبلغها فى يوم الثلاثاء ١١ ربيع الثانى صباحا ، وكان جلالة الملك فى مجلسه الخاص ، وعند ما علم بوصوله أمر بدخوله عليه ، واستقبله أيده الله واقفا وحياه ، وسأله عن مبلغ راحته لعله لم يتكلف فى سفره . فارتجل بين يدى جلالته الخطبة الآتية :

فى حضرة الملك

مولاى صاحب الجلالة :

مرّت على البلاد المقدسة كوارث ونحن هلعت لها قلوب المخلصين المؤمنين أصحاب المبدأ واليقين ، وقد قصرت عقولنا وقتئذ عن فهم حكمة الخالق فيما أحدثه فيها من تغيير وتبديل فتركناها على مضض ، يدفعنا الأمل فى خدمتها ، وإعلاء كلمة الحق فيها إلى المضى فى سبيلنا ، وأخذنا نضحى بكل ما نملك من جهد ومال لامطمع لنا فى غرض ، ولا غرض لنا فى زلفى .

ولعلنا ياصاحب الجلالة قد دفعنا المبدأ الجامح إلى ركوب متن الشطط غير آثمين ولا باغين ، ولكنا أخذنا نرقب الحوادث حتى أذن الله لنا بالهدى ، وانقشعت الغشاوة عن أعيننا ، وارتفع الحجاب عن قلوبنا ، فوجدنا نور إيمانكم يشع فى كل مكان ، فيملأ القلوب عقيدة وإخلاصا ، وحكمتكم السامية تصرف الأمور على أحسن مايكون ، تارة بالعدل ، وتارة بالإحسان ، فترد الحق إلى نصابه ، وتجمع كلمة المؤمنين ، ويد إصلاحكم الكريمة تمتد إلى كل فاسد فتجتثه من أصوله ، وتقيم مقامه صرح الطمأنينة والإيمان ، وحل فى نفوسنا شعور لاعهد لنا به من قبل ؛ فاتجهت أنظارنا إلى الخالق سبحانه وتعالى نحمده ونشكره . فقد أعاد للإسلام عهد الخلفاء الراشدين ، والأئمة المصلحين ، وشاء للبلد الأمين أن يقوم بعد عثرة وينهض بعد كبوة .

وغاية مايرجوه صاحب المبدأ الثابت ، والعقيدة الصافية التى لاتبتغى فى الدنيا عرضا زائلا ، وتفنى فى سبيل دينها وبلادها أن ترى كلمة الدين عالية ، ويد الإصلاح عاملة ، وقد آمنا وصدقنا فانجذبت أرواحنا إليكم وانعقدت آمالنا بكم ، وابتهلت قلوبنا إلى الله أن يطيل لنا فى عمركم ويؤيد ملككم ؛ فتظل البلاد سعيدة بحكمكم ، راتعة فى بحبوحة عدلكم ، غارقة فى بحر فضلكم وحلمكم .

فبادرنا إلى أعتابكم نغترف من بحر إيمانكم العامر ، ونقتبس من نور ورعكم الباهر ، ونناشدكم بحق من أخضعنا لكم ، وقادنا طواعية إليكم أن تستغفروا الله لنا عما مضى كما شملتمونا جلالتكم بالرضى ؛ ليهدأ منا البال ، ويرتاح الضمير ، فتفتح أما منا أبواب السعادة فى الدارين ، وينعم بخير الحياتين ، ولا يكفينا منكم ياصاحب الجلالة مامننت به من العفو عنا فى الدنيا ، فما لذلك جئنا ، وما به قنعنا . فقد ارتكبنا

ما ارتكبنا عن حسن نية وخالص طوية . ثم أدركنا الخطأ نخفنا الله قبل أن نخافكم ، وهرعنا إليكم بغية التكفير عما مضى ، والتوبة إليه من كل مايغضبه سبحانه ولا يرضى جلالتكم .

فتكرم يامولاى بالدعاء لنا بالتوفيق والقبول . وهذه أيدينا نبسطها قوية فى خدمتكم ونفوسنا نكرسها نقية لمحبتكم ، ومبادئنا الطاهرة نستخدمها قوية فى نصرتكم عن عقيدة وإيمان كاملين بأنا إنما نؤدى بذلك واجبا علينا نحو الدين والوطن . ولا مطمع لنا إلا رضاء الخالق فى طاعتكم ، ورضاء النفس بالانضمام تحت لوائكم ، ونحن وأولادنا وأموالنا وما ملكت أيماننا فداء الملك الصالح ، رمز الدين والعروبة والوطن ، والحاكم المصلح العادل مجدد مجد العرب .

هذا يامولاى عهد قطعناه على أنفسنا وكأننا ماعشنا إلى اليوم إلا لنذوق حلاوة البرّ به والاستشهاد فى سبيله ، فتقبله منا يامولاى خالصا لوجه الله الكريم ، والحمد لله الذى جعل على رأس هذه الأمة ملكا حكيما ، صلبا فى الحق ، متمسكا بالدين ، لا يسمع وشاية الواشين ، ولا يرضى عن عمل المفسدين ، إذا ماوضح له الدليل على الإخلاص ، والبرهان على التفانى فى المبدأ ، وهذه صفات توج الله بها مكارم أخلاقكم ، ورفع بين الناس من أجاها شأنكم ، ولولاها ما أتيحت لنا فرصة سعيدة كهذه ، نبسط فيها على أعتابكم إخلاصنا ، ونعرض فيها حسن نوايانا .

وهذا ماكنا ننوّه به ونتوقعه من زمن بعيد ؛ لما نعرفه عن أخلاقكم العالية ، ونفوسكم العظيمة التى لاتأخذها فى الله لومة لائم ، والحمد لله على هذه النعمة ، والشكر له على هذه المنة ، والله نسأل أن يؤيد ملككم ويبقيكم ذخرا للإسلام والعرب حتى تنال البلاد فى عهدكم الزاهر ماترجونه لها من رقى وسعادة ، لتستعيد مكانتها الأولى بين الأمم ، وأن يكلأ بعنايته صاحب السمو ولىّ عهدنا المحبوب الأمير سعودا وصاحب السمو أميرنا المحبوب الأمير فيصلا ويحرس لكم أنجالكم الغرّ الميامين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أحاديث الملك

ولقد تفضل جلالته فأجاب على خطابه بالكلمة الآتية : يابنى كل من فى الوجود يحب المال ، ولكنى والله ثم والله إنى لا أحبه إلا بقدر ما أقضى به مصالح المسلمين ،

وليس لهذا الملك وعظمته عندى من قيمة ، وإنما الذى أحبه وأريده فقط هو رضاء الله ؛ ولذلك فمن جاءنى لله وأشهد الله على ما فى قلبه قبلته ووثقت به من ثقتى بالله ، فإن كان صادقا مخلصا نال جزاء إخلاصه ، وإلا فإن الله حسبى فيه . وأنت اليوم قد أصبحت كأحد أبنائى ، وإنى مسرور من جمع كلمة المسلمين . ثم قال : لقد أصبحت اليوم من أبناء البيت فلا لزوم أن نرسل لك طعاما قد لايعجبك فهذا ابن جميعة (مضايفى جلالة الملك) أرسل له يحضر إليك واطلب منــــه ماتريد يحضره لك فى الحال ، والآن لابد وأنك متعب فاذهب إلى المنزل المخصص لراحتك ، وسأبعث لك السيارة لتحضر إلى قصر البديعة مساء . وما كدت أخرج من القصر وأذهب إلى الدار التى خصصت لى حتى أصابنى ألم فى الأمعاء مصحوبا بالحمى لزمت معه الفراش سبعة أيام قاسيت أثناءها أشد الآلام حتى رأيت شبح الموت ماثلا بين عينى ، ولم يكن يهمنى منه شىء إلا أن يظن الناس أن جلالة الملك هو الذى دبر موتى ؛ بينما كان جلالته يعنى بأمرى عناية خاصة فيرسل لى طبيبه الخاص مع جمع من الأطباء فى اليوم ثلاث مرات ، ويرسل إلىّ من طعامه الخاص ، وفى ذات ليلة أيقنت بالموت فاستكتبت السيد عيسى الدباغ شقيق السيد حسين الدباغ وأحد مدرسى الأمراء وصية لأهلى قررت فيها حقيقة مرضى ومبلغ عناية جلالة الملك لى ، أيده الله وأبقاه .

وفى يوم الأربعاء ١٩ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥هـ الموافق ٨ يوليو سنة ١٩٣٦م أذن لى الأطباء بمبارحة السرير فذهبت إلى جلالة الملك فسرّ لشفائى ، وتفضل فقال لى : لقد أصبحت من أبنائنا ففى أى وقت ومكان تريد مقابلتى فلك ذلك ، فصرت أزور جلالته صباحا وبعد العشاء من غير استئذان فى المجالس العامة ، ولكنى طلبت من جلالته أن يعين لى جلسة خاصة لأعرض له شيئا مما بنفسى فوعد بذلك .

وفى صبيحة يوم الأحد ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ الموافق ١٢ يوليو سنة ١٩٣٦ وصل السيد صالح الدباغ بعائلته من بغداد واجتمعنا عند جلالة الملك فوجه جلالته الحديث إلى الدكتور أحمد مبروك المصرى ، وقال : إننى والله لاأشعر فى قلبى بعداء أو حقد لأحد ، ولا أظن أن أحدا يكرهنى ماعدا اثنين أبغضهم لله : الأول من كان على غير دينى فهؤلاء أبغضهم وأجاملهم للمصلحة . والثانى من يخالف أوامر الله ، فإنى أبغضه لله ، وأنزل عليه العقوبة ولو كان أقرب قريب لى . وأما شخصى فلست

أضمر العداء لأحد ، ولا عدو لى ولله الحمد ، فهذا الخطيب وهذا الدباغ كانا من أعدائنا وكانا يتمنيان لى الهلاك ، وها هما اليوم أبنائى أحبهم ويحبوننى . فقلت : بل كلنا اليوم فداؤك ، ولكن الفضل لكم فى جمعنا ، وبأخلاقكم وإحسانكم أسرتمونا ، ولولا عفوكم ماتجرأنا على الوصول إلى ساحتكم ، فقال جلالته : الحمد لله على ذلك .

مجلس خاص

فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٧ يوليو سنة ١٩٣٩ م ماكدت أستيقظ من نومى وأصلى الصبح حتى جاءنى الرسول من قبل جلالة الملك يدعونى لمقابلته فى جلسة خاصة كما طلبت ، فسارعت إلى تلبيته ، وعند مادخلت إلى مقصورته الخاصة أجلسنى جلالته إلى جانبه ، وقال هات ماعندك . فقلت له : ياصاحب الجلالة : لقد قاومناك فيما مضى ، لأننا كنا نعتقد أنك ستكون شرا على بلادنا ، وأنك ستكون سببا فى تأخرها ورجوعها إلى الوراء ، وكان هذا الاعتقاد ناشئا عن أدلة عقلية منطقية ، ذلك أن الحسين بن على كان من الذين تربوا فى الآستانة ، وتذوقوا مافى المدنية من علوم وعرفان ، وتلمسوا مافى الحضارة من الوسائل التى تؤمن راحة الناس ورفاهيتهم ، وكنا نعتقد أنه بتوليه الإمارة فى الحجاز سينهض بالبلاد نهضة إصلاحية عظمى ، ويسير بها إلى الأمام ، ولكنه عندما تربع على دست الحكم حرص كل الحرص على الاحتفاظ بالقديم ، وحارب من المدنية محاسنها ، فلم يسمح للناس بركوب السيارات ، وأبى عليهم حتى استعمال ساعات اليد ، والأكل على الكراسى ، وما أشبه ذلك ، وعندما دخلتم جلالتكم إلى البلاد قلنا فى أنفسنا : إذا كان حظ البلاد من الحسين ماشهدنا فكيف يكون حظها من ابن سعود ؟ وهو ذلك الرجل الذى تربى فى الصحراء وألف عيشة البداوة ، لاشك أنه سيحاول أن يحول عاصمة الحجاز إلى قرية من قرى نجد النائية . وأيد لنا هذه النظرية ماسمعناه عن أعمال أتباعكم من الغطغط مضافا إلى ما رسخ فى أذهاننا عن الوهابية ومبادئها بفعل الدعاية السابقة من عهد العثمانيين ، ومن أجل هذا قاومناكم وحاربناكم عن عقيدة وإيمان ، ولما كان الإخلاص رائدنا فإن العقل الذى دفعنا إلى ما دفعنا إليه . لم يلبث أن هدانا إلى خطئنا فى تصوراتنا الماضية عند ما شهدنا ولمسنا فعلا أعمال جلالتكم الباهرة ، وأخذكم بأسباب تقدم البلاد وحضارتها ،

فامنا بعظمة جلالتكم ، وبأنكم خير من يصلح لرقى البلاد وإسعادها،ثم تجلت لنا صلة جلالتكم بالله من نصره سبحانه وتعالى لكم فى مواطن كثيرة ، وإننا منذ أدركنا هذه الحقيقة تبنا إلى الله فى سرنا واستغفرناه على مابدر منا فى حقكم ، وتقربنا إليه بحبنا لكم ، وصرنا نتحدث بعظمتكم ، حتى إن صديقى السيد محمد الفاسى سكرتير الجمعية صار يلقى المحاضرات فى النوادى والمساجد بالإشادة بذكركم ، وضرب الأمثال بنصركم لدين الله ، ونصر الله لكم دون أن يكون لنا غاية من وراء ذلك إلا رضاء الله وإراحة ضمائرنا .

أما وقد تفضلتم جلالتكم وعفوتم عنا فقد هيأتم لنا الفرصة للاتصال بكم وطلب التسامح منكم ظاهرا وباطنا ، ونرجو أن لا يكون بخاطر جلالتكم شىء منا .

وهنا تفضل جلالته فقال : لا تحاول يابنى أن تعتذر عن الماضى وتبرير موقفكم فيه ، فإنى أقدر لكم على كل حال ثباتكم مع معذبيكم (أى أمرائكم السابقين ، يعنى الهاشميين) فمن انضم إلينا بسهولة لايبعد أن يتخلى عنا بسهولة ، ومن ثبت مع غيرنا يثبت معنا أيضا إلى النهاية . ولولم أكن أعتقد بأنه لم يبق لديكم أدنى أمل فى الهاشميين لما وثقت بكم .

قلت : وإنه بدافع الإخلاص الذى أشعر به بين جوانحى لجلالتكم أريد أن أعرض لجلالتكم بعض آمالنا وآمال العرب أجمعين إذا سمحتم جلالتكم . فقال جلالته تكلم . فدار بينى وبين جلالته الحديث الآتى :

قلت : إن أهم مايهم المسلمين اليوم موضوع فلسطين ، وقدكان الحسين يناضل عنها ويطالب الإنجليز باستقلالها ، ولكنه اتبع فى ذلك سياسة سلبية حملت الإنجليز على أن يفسحوا المجال لليهود لتثبيت أقدامهم فى البلاد ووضع قواعد ملكهم فيها ، ولم يبق فى ملوك الإسلام اليوم من يفكر فى أمر مصيرها غير جلالتكم ، فهل لكم أن تبذلوا نفوذكم وتعملوا بما وهبكم الله من مركز ممتاز عند العرب والإنجليز معا على تقريب وجهة النظر ، وحمل الإنجليز على تعديل خطتهم وكسب صداقتهم وتأييدهم للعرب؟.

الملك : إننى لم أغفل هذا الأمر ، بل إننى تكلمت مع الإنجليز واتصلت بأهل فلسطين بواسطة بعض أنصارها هنالك وفى سوريا فوجدت منهم تشددا فى الطلبات أشبه بشروط الغالب على المغلوب . وما زلت أعمل على تقريب وجهة النظر بين

الفريقين والمخابرات دائرة يوميا فى هذا ، وربما أرسلت لهم فؤاد حمزة أثناء عودته من أوربا لهذا الغرض . فإذا جاءوا فى اليد أرجو أن نوفق إلى حل يمكن معه ضمان استقلال فلسطين وحريتها .

فشكرت جلالته على هذا ، ثم قلت : لقد ضعف الإيمان فى القلوب بتعدد المعتقد فيهم من دون الله ، وأصبح الإسلام غريبا بين قومه بكثرة البدع وتفشى الزيغ والإلحاد وانتشار المنكرات ، وإنكم وإن لم تستطيعوا تغيير ذلك بسيفكم فإن جلالتكم مطالبون بتغيير ذلك بلسانكم ، وذلك بتوجيه الدعوة إلى الله بواسطة بعثة تنتدبونها إلى الأمصار تدعو الناس إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالذكرى تنفع المؤمنين .

الملك — هذا أيضا يجول بخاطرى ، ولكن الذى يمنعنى عنه : هو أن هذه البعثة إن كانت منا فقط لاتأتى بالغرض ، وإذا كانت من الخارج كمصر والشام والهند فنحن نرحب بذلك ، ومستعدون أن نساهم معهم بانتداب من نرى فيه الكفاءة ؛ كما أنا مستعدون أن نزودهم بالمال اللازم .

قلت : هنالك مسائل خاصة داخلية تتلخص فيما يأتى :

أولا : أمر المعارف ، فالذى أعتقده أنه لابد من استحضار أساتذة فنيين من مصر للنهوض بالمعارف ، أما الاكتفاء بالأساتذة القدماء وعلى الطريقة السابقة فإنه لاينتج النهوض المرغوب فيه ، ومن الضرورى تعميم التعلم الإلزامى لمحاربة الأمية .

ولأجل رفع مستوى الثقافة أرى من المناسب تأليف نوادى أدبية لإلقاء المحاضرات النافعة فى العقائد والدين والاجتماعيات .

ثانيا : أمر البلديات فإنى أؤكد لمولاى أنى تركت الحجاز قبل ١٧ عاما ورجعت إليه الآن فلم أجد تطورا ولا تحسينا فى شئون النظافة وتنظيم الطرقات ، اللهم إلا فى المظاهر فقط ، فقد كان للبلد فى عهد الأتراك حاكم يقال له المحتسب فألغى وحل محله البلدية ، وقد زادت بها الواردات وكثر الموظفون ، وحالة البلد عمليا على ما كانت عليه .

ثالثا : موضوع توحيد السيارات — لقد أشفقتم جلالتكم على رعاياكم أصحاب السيارات من المزاحمات والمضاربات ، ورغبتم فى تأمين مصلحة الحجاج فوحدتم الشركات ضمن شركة واحدة ، ولكن القائمين بأمرها لم يعملوا للغاية التى ترمون إليها

بجلالتكم ، فأصحاب رءوس الأموال يضجون ، والحجاج لم تتوفر لهم أسباب الراحة بعد ، والأمر يحتاج إلى عناية زائدة وأن يفكر جديا فى ترقية وسائل النقل بإيجاد سيارات فخمة مريحة مع العمل على تخفيض الأجور .

الملك — كل هذه أمور تحتاج إلى دراسة فيلزم أن تقدم عنها تقريرا لنرسله إلى الابن فيصل ليعقد مجلس الوكلاء وينظر فيها بسرعة ويقرر مافيه المصلحة .

قلت : بقى موضوع رواتب الموظفين فقد كنا بالأمس خصومكم ، وكنا نقول: إن المالية فى المملكة السعودية مرتبكة ، والأموال تصرف بإسراف وسوء إدارة ، والحكومة فى حالة إفلاس ، ونستدل على ذلك بأمر تأخير صرف الرواتب عن أوقاتها . أما وقد أصبحنا اليوم من المخلصين لجلالتكم فإنى أسترحم التفكير فيما يمنع تكرر هذا وتنظيم شئون المالية بصرف رواتب الموظفين ولو بتخفيض رواتب الموظفين أو توفير من يمكن الاستغناء عنه منهم ، أو بالاقتصاد من الشرهات والصدقات التى توزع على رجال البادية والتى علمت أن معظم الأموال نضيع عليهم ، ومن المعلوم أن أداء حقوق الموظف مقدم عما ينفق فى أوجه الإحسان .

الملك — كل ماقلته حق ، ونحن شاعرون بهذا ، وليس فى الإمكان تلافى ذلك فى الوقت الحاضر لأسباب :

أولا : إن واردات البلاد ضعيفة جدا ، ولا تفى بعشار ماتحتاجه الحكومة من نفقات ، وقدكان الحجاز على ماتعلمون فى السابق عالة على الدولة العثمانية ، وجميع نفقاتها وموظفيها يأتى من الآستانة .

ثانيا : ونحن نعانى اليوم مشكلتين : أولاهما مشكلة العاطلين من أبناء البلاد المتعلمين ، فهؤلاء أبناؤنا ، ومن واجبنا أن نعاونهم ونفتح لهم ميادين العمل ونشجعهم على طلب العلم والاستفادة منه ، ومن أجل ذلك وظفنا كثيرا منهم فى أعمال الدولة حتى ولو بزيادة عن الحاجة ، ثم خفضنا من رواتبهم إلى حد لايمكن بعده تخفيض ، ولا يمكننا رفت أحد منهم وقطع عيشه ؛ فإنهم محسوبون علينا لهم حقوق ، نطعمهم مما نأكل ، ولنا عليهم واجب الإخلاص والصبر إذا قصرنا أو تأخرنا عن دفع رواتبهم فى أوقاتها .

المشكلة الثانية أهل البادية الذين نجرى عليهم كثيرا من الشرهات والمعاونات ، فهؤلاء أيضا عيالنا . وقدكانت لهم مخصصات من الدولة العثمانية ، وكانت تصلهم

أموال طائلة من أوقاف الحرمين ، ومع ذلك كانت تضطرهم الفاقة إلى السلب والنهب ، والآن بعد أن قطعت جميع تلك المخصصات والصدقات ، فإذا لم نساعدهم لاشك أنه تسوء حالهم ، خصوصا وإنا حرّمنا عليهم السلب والنهب بإقامة حدود الله فيهم ، فعطاؤنا لهم مما يمكنهم من سلوك سبيل الاستقامة ، ويرد عن البلاد شرهم ، ويوفر علينا نفقات عظيمة كان من الواجب أن نصرفها فى إعداد جيش عظيم يصون الأمن فى طول البلاد وعرضها .

إن ماننفقه على هؤلاء نحتسبه عند الله أوّلا ، ثم نشترى به محبتهم ثانيا بحيث يكونون جميعا جندا لنا عند الحاجة ، ونضمن بهم الأمن فى مداركهم (جهاتهم) على الدوام ، وإذا حسبتم ما كانت تنفقه الدولة العثمانية على جيشها فى الحجاز أو ماتحتاجه لإعداد جيش عظيم يكفى لضمان الأمن فى البلاد وقارنتم بينه وبين ماننفقه على مشايخ القبائل ورجال البادية لأدركتم مدى الفوائد التى جنتها البلاد من تصرفاتنا وما وفرناه عليها من نفقات لاقدرة لها على تأمينها .

ومع كل فنحن ساعون فى مشروع استخراج البترول فى الظهران والذهب فى المهد، فإذا تم لنا مانريد بحول الله فسوف لايتكرر شىء مما ذكرت . وستنتعش البلاد بمشيئة الله ، ويعمل الكثيرون من العاطلين من أهل الحاضرة والبادية وكل آت قريب .

ثم قال : وأبشرك أنى أفكر فى المعارف جدا ، وأريد تأسيس مدرسة عالية فى الطائف تعلم الناس السياسة والعلوم الراقية وننتقى تلامذتها من علية القوم ومن يرجى منه الخير والصلاح ، وسنأتى لها بمدرسين من الطبقة الأولى من الخارج ، وأسأل الله أن يوفقنا إلى ذلك . ثم قال جلالته : إنى أشكرك على هذه العواطف والغيرة والإخلاص ، وأعاهدك بالله أن ثقتى بك لاتقل عن أحد أبنائى ، فهويت مقبلا يديه شاكرا هذا التنازل العظيم مكبرا هذه النفس العالية التى لا تكاد توجد فى عصرنا هذا ، فقال جلالته : إنى لم أسمح بحضورك إلىّ إلا بعد أن استخبرت عنك ، وقال الابن فيصل : إنه يشرك .

ولقد جرأنى ماوجدته من جلالته من ثقة وصراحة إلى البحث مع جلالته فى شئون أخرى ، منها علاقته مع الإنجليز فتفضل جلالته فأسرّ بها إلىّ ، وقال لى عن بعض منها : إن هذه من الأسرار التى لا يعلم بها أحد من أبنائى . وقد أفضيت بها

إليك ؛ لتكون عالما بالحقائق مقتنعا بحسن سياستى ، مخلصا لى ظاهرا وباطنا ، فكررت شكرى لجلالته وعاهدته على الإخلاص والولاء والتفانى فى حبه إلى النفس الأخير ، والله على ما أقول شهيد .

وعند ما أردت الانصراف قال لى جلالته : اكتب لى اقتراحاتك فى ورقة وأحضرها إلىّ ؛ لأرسلها إلى مكة فخرجت من ساحة جلالته مغتبطا لما شهدت من عظمة جلالته ومكارم أخلاقه ، وأنا لا أكاد أصدق ما رأيت ، وقلت فى نفسى : حقا إن هذه هى الأخلاق الإسلامية ، وهذا هو ما كان عليه المسلمون فى عهد الخلفاء الراشدين من التواضع وطيب السريرة واستعرضت الماضى ، وتصورت لو أن أحدا مثلى تقدم إلى أحد الملوك أو أمراء الحجاز فى السابق بمثل هذا الحديث ومثل هذه الصراحة ؛ ماذا كان يكون مصيره بحسب مانعرفه من استبدادهم وغطرستهم المتناهية ؟

وفى اليوم الثانى حضرت إلى جلالته ورفعت إليه عريضتى وضمنتها بعض مالدىّ من مقترحات تقبلها منى ، أيده الله بكل ارتياح .

جواب ملكى كريم

وفى المساء تسلمت من رئيس الديوان جوابا عليها عدد ٦٧/٦/٦ بتاريخ ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ جاء فيه ما يأتى :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم السيد عبد الحميد الخطيب سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لقد اطلعت على كتابيكم اللذين قدمتموهما لنا اليوم ، وكل ماذكرتم بهما مصيب به ، ولابد من النظر فى مواضيعها ، وأنت اجزم واعتقد أنك اليوم عندى من أعز طوارفنا ومحسوبينا ، وإنا لاندخر عنك جهدا ، وسنقوم بالواجب من طرفك بحول الله ، وأنا من طبعى ما أحب الاستعجال فى البت بالمسائل ، بل أحب التريث والتأنى وأخذ الرأى فيها ، وبعد ذلك نأمر بالواجب من طرفها ، وبالأخص فإن مقترحاتك تتعلق بأمور داخلية ومالية وخارجية ، وما يخص بشخصك فكن على ثقة من حلول نظرنا عليك ، وإنك ستنال منا كل ما

مايسر له بالك ، وسنفكر فى المحل الذى نرى استقامتك به لأشغال الحكومة ، ونلاحظ المركز الذى أنت أهل له ونقوم بواجبـــه ، ونساعدك على الأمور الضروريات ونخبرك به ، ونبرهن لكم أننا نحرص على الرجال العقلاء الموثوقين أمثالكم ، ونظرا للسبب الذى ذكرناه لكم بأعلاه فإننا سنبحث أوراقك للابن فيصل ليجتمع مع المالية ومجلس الوكلاء للبحث فيها وإعطاء القرار اللازم عليها وبعثه إلينا مستعجلا ، وعلى كل حال فإننا نحرص على ما فيه مصلحتكم ، وبحول الله فإنك لاترى إلا مايسرك ويستريح له بالك . هذا مالزم بيانه والسلام .

الختم الملكى

تلقيت هذا الخطاب فتزايد سرورى وعظم إعجابى بجلالة المليك ، وندمت على أيام مضت ، ولم يكن لى شرف التعرف فيها بجلالته . بل وأنبت نفسى على ما كان يصدر منى ضد جلالته من قبل ؛ لأن مثل هذا الملك على ماهو عليه من مكارم الإخلاق وكرم النفس ، يجب أن يخدم ويخلص له .

ولقد ظللت بالرياض بعد ذلك أربعة أيام أحطت فيها بكثير من المعلومات المفيدة عن سيرة جلالة الملك وأعماله ومبلغ صلته بالله ، وسأفرد لها فصولا خاصة فى الجزء الثانى من هذا التاريخ .

وفى مساء يوم الثلاثاء ٢ جمادى الأولى سافرت من الرياض عائدا إلى مكة بعد أن زودنى جلالته بخطاب إلى سمو الأمير فيصل نائب جلالته فيها .

ساعة مع ولى العهد

وقبل مغادرتى للرياض تفضل صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية فسمح لى بساعة من وقته تشرفت فيها بالمثول بين يديه فى جلسة خاصة شملنى فيها بعظيم عطفه ورعايته ، وقال لى أيده الله : إننا مسرورون جداً بأن الله قد هداك للحق من تلقاء نفسك ؛ ونؤمل خيرا من مساهمتك فى خدمة بلادك فى ظل جلالة الملك والعمل لما فيه إعلاء كلمة الله ، ونشر العقيدة الصحيحة ، فإنه لاتقوم لنا قائمة إلا من طريق الدين ، ونحن نسمع كثيرا عن تمكنك من العلم وحرصك على نهضة أمتك ، ولا نهضة إلا بالدين ، فعسى أن توفق لخدمة بنى قومك من هذا الطريق ، ولا قوة إلا بالله .

ثم قال سموه : ولا بد أنك فى شوق لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك أمرنا ابن سليمان (وزير المالية) بترتيب اللازم نحو ذلك ، فشكرت سموه على هذا العطف ، وكان لكلماته هذه أعظم وقع فى نفسى حيث وجهتنى إلى اتجاه جديد. ذلك أننى كنت فى عهد والدى الشيخ أحمد الخطيب أحد علماء الشافعية فى البلد الأمين مولعا بالعلوم الدينية مجدا فى طلبها ، ثم إنى عند ما سافرت إلى مصر شغلت بالشئون السياسية وتركت مذاكرة العلوم الدينية ، ولكن ماأبداه صاحب السمو الأمير سعود من هذه النصائح الغالية قد أوحى إلى بضرورة العودة إلى ما كنت عليه فى عهد والدى رحمه الله ، ومن تلك اللحظة أخذت على نفسى أن أخدم أمتى كما أراد صاحب السمو ولى العهد المعظم عن طريق غرس العقيدة فى نفوس أبنائها ودعوتهم إلى مايدعوهم إليه الإســـلام : من المثل العليا، ومكارم الأخلاق عن طريق النشر فى الصحف، وإلقاء المحاضرات فى المسجد الحرام والنوادى العامة، وتأليف الرسائل، وكان لى ولله الحمد ما أردت بفضل تلك النصيحة الغالية التى وجهها إلى سموه الجليل ، حيث بدأت أنشر مقالاتى فى عموم الصحف وألقى محاضراتى فى دار جمعية الإسعاف والمسجد الحرام وألفت من الكتب ما يأتى :

١) سيرة سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم — وهى تحفة شعرية جمعت كل ماينبغى عرفانه عن النبى الكريم : من أخلاقه ومدرسته والشهادات التى يحملها وحياته العملية والروحية والاجتماعية ، ومبادئه السياسية وغاياته السلمية وخططه الحربية وتدابيره العسكرية ومدنيتــه وحضارته والملاجئ والمصحات وجماعة الإسعاف والنظم الإدارية فى عهده ، مصدرة بكلمة قيمة لصاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا.

٢) تائية الخطيب : وهى خمسة آلاف بيت ، تشخص أمراض المسلمين، وتصف العلاج الناجع لهم، وتشرح الوسائل والطرق التى تؤدى للثروة والغنى وسعادة الدارين، وتبين حكمة العبادات وماجاء به التشريع الإسلامى ومبادئ الإسلام وغاياته، وتبين مقام المرأة فى نظر الإسلام ومالهـا وماعليها وسبيل سعادتها وما يراد بحريتها، وتبين بالأدلة العقلية والنقلية عدم مشروعية الأوقاف الأهلية فى الإسلام . مصدرة بكلمة قيمة لصاحب العزة الدكتور طه حسين بك وضعت خصيصا للشباب، وهى خير عدة لهم فى الحياة . يحتاج إليها كل من يهمه سعادة الإسلام وإرجاع مجد المسلمين .

٣) مناجاة الله : وهى تصور لك التصوف الإسلامى الصحيح فى قالب التوحيد الخالص والإيمان الصادق القائم على عقيدة السلف الصالح .
٤) نهج البردة ، وهمزية الخطيب، وأحبك ياربى .
٥) تحية للحبيب صلى الله عليه وسلم .
٦) بانت سعاد : قصيدة فى الجهاد عن فلسطين .
٧) تفسير الخطيب المكى .

ساعة مع الأمير فيصل

فى يوم السبت ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ وصلت الطائف عائدا من الرياض ، وفى اليوم الثانى ذهبت للسلام على سمو الأمير فيصل نائب الملك ، فقابلنى بما عهد فيه من اللطف والدعة ومكارم الأخلاق،وقدمت إلى سموه ما أحمله من خطاب صاحب الجلالة، فقال سنجتمع إن شاء الله على انفراد بعد أن تستريح من وعثاء السفر .

وفى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى تفضل سموه فدعانى إلى قصره فى الساعة الواحدة عربى بعد صلاة المغرب ، وعند ما مثلت بين يديه تفضل وبدأنى الحديث بقوله: ماجلسنا معكم ولا سألناكم عن رحلتكم هذه المدة ريثما ترتاح ، فشكرت سموه على هذا ثم دار بينى وبينه الحديث الآتى :

قلت : إننى مدين لسموكم الكريم بكل مانالنى من عطف جلالة الملك لما تفضلتم به سموكم من تزكيتى لدى جلالته .

الأمير : إننى لم أزكك ولكن سمعتك ، وأعمالك هى التى زكتك وتزكيك ، فنحن نسمع كثيرا عن علمك وإخلاصك لمبدئك .

قلت : هذا من حسن أنظار مولاى وإلا فإنه ليس لى من عمل يذكر .

الأمير : الحقيقة أن الرجال العاملين فى بلادنا قليل ، والدليل على ذلك أن كثيرا من الدول التى نهضت فى مدة حكمنا قد تقدمت وارتفعت ، ونحن على مانحن عليه ، والسر فى ذلك أنهم وجدوا رجالا أكفاء يعول عليهم فى مختلف الشؤون ، وقد تعلموا تعليما راقيا ، وتمرنوا على الإدارة والأعمال الحرة .

أما نحن فقد وجدنا الجهل مخيما على البلاد . وإذا رأينا عند بعض الناس كفاءة

لانجد إخلاصا ، وإذا وجدنا إخلاصا لانجد كفاءة، ونحن شخصيا لم نتعلم فى مدارس عالية ، بل فى كتاتيب الصحراء أمور ديننا وما نحتاج إليه .

هذه حقيقة يجب أن نعترف بها ولا نغش أنفسنا ، وقد كنا نؤمل أن نجد فى الحجاز من هم أرقى منا علوما ومعارف ؛ لنستفيد من مواهبهم فلم نجد شيئا من ذلك، ومع ذلك فنحن حريصون على أن لانسيء إلى شعور أبناء بلادنا ، وأن نحترم عواطفهم ، وقد اضطررنا إلى الاستعانة بسواهم من السوريين ، وها نحن نعمل على تعليم أبناء البلاد وترغيب الناس فى العلم بإرسال البعوث منهم إلى الخارج للتعليم بعد أن أغريناهم بمختلف المغريات لقبول الاغتراب عن أوطانهم لنيله ، وبتنا نتلقف المتخرجين منهم ؛ ولذلك ما كدنا نسمع بنيل السيد جميل داود المسلمى ، وهو أول حجازى نال شهادة الحقوق من جامعة فؤاد الأول من مصر حتى سارعنا بإحضاره ، وعيناه فى منصب عال بوزارة الخارجية . ولا أكتمك أننا نعانى أزمة فى الرجال حتى إنه إذا خلت عندنا وظيفة لانجد من يملؤها ، ولذلك كان سرورنا بك عظيما لما نعهده فيك من كفاءة وثقة نحن فى حاجة إليهما ، وفق الله الجميع .

قلت : شكرا يا مولاى على هذه الصراحة وهذا العطف ، وأرجو أن أكون على الدوام لجلالة الملك وحكومته الخادم الأمين .

الأمير : ما عندنا فى هذا شك . أما عن المواضيع التى عرضتها على جلالة الملك ؛ فإنها موضع الدرس ، وسنعمل على تحقيق مايمكن تحقيقه بحول الله بحسب ماتقتضيه حالة البلد ، وسنعهد إليك بالعمل الذى يكون لك فيه نصيب فى معالجة تلك المشاريع وتوجيه البلد إلى الخير العام إن شاء الله .

قلت : مولاى ، إن ماأشرتم إليه من جهل السواد الأعظم من الشعب وفقدان الإخلاص عند بعضهم ، وعدم كفاءة البعض الآخر ، كل هذا ثمرة جهود عظيمة بذلها الحكام السابقون فى هذا البلد لتأخر العرب وإذلالهم بتفرق كلمتهم . أما وقد عاد للعرب اليوم عزهم بسلطانكم ونعموا بالاستظلال تحت راية حكمكم ، وأصبح الحجازيون أحرارا فى نفوسهم ومعتقداتهم وشملهم جلالة والدكم العظيم بعطفه وعمل على تربيتهم من جديد بحسن إرشاداته ، فإنه سوف لايمضى وقت طويل حتى يصبحوا بفضل الله فى المنزلة التى يريدها لهم جلالته .

إن الأمم يامولاى كالأفراد لاتنهض طفرة ، بل لابد لها من وقت طويل

لتربيتها وتقويتها ، لذلك ، فإن مهمة دولتكم لم تكن كمهمة باقى الدول التى نهضت بسرعة عظيمة لما كانت عليه شعوبها من نضوج واستعداد للعمل ، بل إنكم لتعملون على بث روح الحياة فى شعب نشأ على الجهل وتربى على الخمول ، وتعانون كثيرا فى تكوين جيل جديد ؛ وقد يكون من السهل على الرجل أن يربى أطفاله الصغار على الأخلاق والعادات الطيبة التى يريدها ولكنه من العسير عليه جدا أن يقوّم اعوجاج أبنائه الكبار إذا ما أهملوا من الأساس ، وهذا هو مثل جلالة والدكم وهذه الأمة فهى أمة تجهل كثيرا من أسباب السعادة ومقومات الحياة وما فى الدنيا من مختلف العلوم والعرفان ، وهى لا تشعر بهذا الجهل المتركز فيها حتى الآن، فجزيتم عنها خيرا بحسن تربيتكم لها بأسلوب المربى القدير ، وحكمة العاقل النحرير .

إن من عرف حالة البلد وما كان عليه الناس فى العهود الماضية ونظر إلى ماوصلت إليه اليوم يستطيع أن يدرك مدى التطور الذى وقع، ويلمس الجهود التى بذلت والخطا التى اتبعت لنهضة الشعب نهضة عالية ، ويحكم بالنتائج الباهرة التى ستصل إليها البلاد فى النهاية على حد قول القائل :

وإذا رأيت من الهلال نموّه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

ولقد عاهدت الله على العمل تحت رايتكم والإخلاص لعرشكم وغرس حب جلالة الملك فى القلوب وإفهام الناس ما علمته من أخلاقه ومزاياه ، لأنى أعتقد أن الإخلاص له إخلاص لله ، والسعى لتأييده تأييد لدين الله ؛ وفقه الله وأعانه وقدرنا على خدمته وتتبع خطواته .

الأمير : عسى الله أن يوفقنا ويكلل أعمالنا بالنجاح .

قلت : إننى كتبت مقالا قارنت فيه بين العهد الهاشمى والسعودى ، ليعلم الناس مبلغ الفارق بينهما ويدركوا مدى التقدم الملموس، وإن لم تروه سموكم شيئا فهل يأذن لى سموكم بتلاوته أمامكم لنشره .

الأمير : لا بأس .

فتلوت أمامه ذلك المقال ، وسموه يصغى إلىّ ؛ وبعد الفراغ من تلاوته قال: أشكرك على كل هذا غير أنى لا أستنسب هذا لما فيه من جرح لأصحابك الهاشميين، وأخشى أن يعتقدوا أنا قد حملناك عليه.

قلت : إن ما كتبته يا مولاى من الأمور التى لا يختلف فيها اثنان ، والناس

يعرفونها تمـاما ، ولا يستطيع الهاشميون أنفسهم إنكارها إذا خلوا
إلى ضمائرهم .

الأمير : وبالرغم من هذا فإذا سألتنى رأيى ، وأحببت أن تأخذ به فلا أشير
عليك بنشره .

قلت : إننا يا مولاى قد لمسنا فضلكم وانضوينا تحت لوائكم عن عقيدة
وإيمان ، وقد أدركنا مايرمى إليه جلالة والدكم من العمل على مرضاة
الله ، ولذلك يهمنا أن نساعد مولاى على هذه المهمة ، ونساهم
فى خدمة الإسلام بحسن إرشاده ، فأرجو أن تسمحوا لى بتأسيس
ناد للشبان تلقى فيه المحاضرات القيمة للدعوة الصادقة إلى الله ، وأن
تـكون لنا جماعة تقوم بأداء هذه المهمة .
وسلمت إلى سموه مشروع قانون لهذه الجماعة .

الأمير : أشكركم على هذا ، وسأدرس هذا القانون ، ولـكنى أحبذ الرأى
وأعتقد أن فى الإمكان القيام بهذه الدعوة بشكل أوسع فى المسجد
الحرام وفى دار جمعية الإسعاف الخيرى لمن أراد أن يقوم ببذل
النصائح للمسلمين .

فشكرت سموّه على هذا ، وأخذت على نفسى أن أمضى فى سبيلى فى الدعوة إلى الله ونشر ما أعلم عن جلالة الملك ابتغاء مرضاة الله ، وهو سبحانه ولىّ التوفيق .

وعلى أثر هذا الاجتماع سافرت إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد عودتى بلغت فى يوم الأحد ٢٨ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ أمر جلالة الملك بتعيينى عضوا فى مجلس الشورى ، وعملت فى نفس الوقت على نشر سلسلة مقالات متوالية فى صحيفة أم القرى تحت عنوان : كيف نحارب العادات والتقاليد ، ومقالات أخرى فى صحيفة صوت الحجاز ، والمدينة المنورة ، ومجلة المنهل ، وصحيفة البلاد السعودية فى الدعوه إلى الله والأخذ بمبادئ الإسلام مع بيان مزاياها . وألقيت عدة محاضرات فى نادى جمعية الإسعاف فى حُسن الخلق وطريقة كسبه ، والحب وفضائله ، وسبيل الوصول إلى حب الله ، وعالجت فى دروسى فى المسجد الحرام البحث فى أسباب تأخر المسلمين ، ونظمت فى هذا الموضوع قصيدة عظمى مكونة من خمسة آلاف بيت تقريبا سميتها « تائية الخطيب » نفذت الآن وأرجو أن

أوفق لإعادة طبعها وترجمتها باللغة الانجليزية ليفهمها من لايدرك العربية من سائر المسلمين .

والله المسئول أن يجعل كل هذا خالصا لوجهه الكريم .

بين يدي الملك

ثم إنى ألقيت بين يدى جلالة الملك بمنى يوم عيد الأضحى سنة ١٣٥٥ ﻫ الكلمة الآتية :

مولاى : تعود الناس فى مثل هذا اليوم أن يرفعوا إلى سدتكم العلية آيات التهانى بالعيد السعيد ، أما أنا فلا أهنئ جلالتكم بالعيد بقدر ما أهنيكم برضاء الله سبحانه وتعالى عنكم ، إذ اختاركم لحماية هذه البلاد واستخلفكم فيها وعهد إليكم بإدارة أمرها ، فستموها بما وهبكم الله من نفس عصامية عالية وقلب تقى طاهر يخفق بحب الله ومعرفته، ويرقبه فى كل شىء ، ويرجو رضاه فى جميع الحركات والسكنات . فناصرتم الشرع ، وأقمتم الشعائر ، وبسطتم العدل ، ونشرتم الأمن فى طول البلاد وعرضها ، وامتلكتم القلوب بمكارم أخلاقكم ، وأسرتم النفوس بجليل أعمالكم ، وغرستم محبتكم فى سائر القلوب .

من السهل ياصاحب الجلالة على كل من قويت شوكته وتوفرت لديه أسباب الفتح أن يغزو الأمصار ويخضع الأمم بدك الحصون ودحر الجيوش ، ولكن غزو القلوب وامتلاك النفوس بالحب والعاطفة ليس بالأمر اليسير ، بل هو فى الواقع عمل شاق يشهد ببراعة القائد وعظمته وحسن سياسته . ومتى تركز الملك على دعائم قلوب الشعب وحب الرعية ضمنت له العظمة والخلود .

وأنت ياصاحب الجلالة بما أوتيته من حكمة بالغة استطعت أن تجمع شتات الأفكار ، وتوحد كلمة الأمة ، وتصبح محبوب الشعب ورمز أمانيه . فبلغت بذلك أقصى درجات الكمال والنصر المبين (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) .

فهنيئا لك يامولاى هذا المقام الباهر برضاء مالك الملك ، وهذه المكانة العظمى فى قلوب الشعب ، وهذا المقام الرفيع عند جميع المسلمين . وبشرى للإسلام بعهدك السعيد، وطوبى للأمة بمليكها المحبوب .

والله نسأل أن يعز بكم الإسلام ، ويوحد بهديكم كلمة المسلمين ، وأن يعيد أمثاله هذا اليوم على جلالتكم وأنتم متمتعون بالصحة والسعادة رافعين راية الدين عالية ، وأن يحفظ سمو ولى العهد المحبوب وسمو أميرنا المفدى وسائر الأمراء العظام ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثقة الملك بالشعب

على أثر هذا يئس من فى شرق الأردن من زعزعة ملك جلالة الملك فأخذوا يحاولون الإيقاع بين الملك والرعية ويعملون على التنكيل ببعض رجاله المخلصين ، فكتبوا إليه خطابا بلسان ناصح أمين قالوا فيه : إن هناك حزبا يعمل فى الخفاء ضده يرأسه السيد طاهر الدباغ مدير المعارف ، وإن الرجل وإن تظاهر بالتوبة وقدم الطاعة إلا أنه لم ينفك عن أعماله السابقة ، ولم ينس أنه كان سكرتيرا للحزب الوطنى ثم رئيسا لحزب الأحرار الحجازى ؛ فما إن وصل الخطاب إلى يد جلالة الملك حتى دعا إليه السيد طاهر وأطلعه على الخطاب ، فحاول هذا أن يؤكد إخلاصه ، غير أن الملك قاطعه بقوله إنى أعرف هذا ولذلك فإنى لم أكترث به ، وإنما أردت أن أطلعك على أعمال أصحابك السابقين وكيف أنهم يدبرون المكايد ضدك ، ويريدون منى إيقاع الأذى بك وبغيرك ، ليتخذوا من ذلك دليلا على وجود حزب مناوئ لى فى البلاد ، وفاتهم أن ابن سعود ليس ممن يهتم بالشقاشق ، أو يأخذ الأمور بظاهرها ، أو يستمع لقول الوشاة فى رجاله المخلصين .

ولما أن تبين لشرق الأردن أن نصيحتهم لم تأت بمفعولها الذى كانوا يتوقعونه عادوا فدبروا مكيدة أخرى لهذا الغرض ، فزعموا أن هناك حزبا فى الحجاز يدعى الحزب الدستورى الحجازى وكتبوا بلسانه نشرة وزعوها فى أنحاء المعمورة باعتبارها صادرة من الحجاز ، وكلها مطاعن فى الحكومة لاتستند إلى أساس ، ونشرت جانبا منها بعض الصحف فى مصر وباقى البلاد العربية وفى مقدمتها جريدة الوفاء الأردنية .

وما كادت هذه الأخبار تذاع على الملأ ويعلم بها سكان البلد الأمين حتى بادرت عموم طبقات الشعب برفع البرقيات إلى جلالة الملك مستنكرين هذه الأكذوبة ومعلنين تعلقهم بالحكومة والجالس على عرشها .

وهذه صورة البرقية المرفوعة إلى جلالة الملك موقعة من ممثلي الأمة وأولي الحل والعقد .

صاحب الجلالة مولانا الملك المفدى — الرياض :

اطلعنا على نشرة بعنوان (القضية الحجازية) الرسالة الأولى — وعليها ختم بعنوان (الحزب الدستورى بمكة المكرمة) سنة ١٣٥٧ هـ تتألف من عشرين صفحة ورد فيها مالا يملك معه أبناء الحجاز إلا أن يرددوا قوله تعالى (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) ومع أننا على يقين من أن جلالة مولانا الملك المفدى لا يخفى عليه مصدر أمثال هذه الترهات ، وأنها من نسج الخيال وثمرة الانخذال، وأن الحجاز برىء منها وممن تلعب به الوساوس والأوهام — فإن من الواجب علينا باسم أهل البلاد قاطبة أن نعلن فى وضوح وجلاء وقوة وإيمان أننا لم نعد نستطيع الصبر على إلصاق أمثال هذه التهم والمفتريات التى لا تضمر إلا الكيد للبلاد ولأهلها الذين اختار لهم الله مافيه الخير بأن يكون ولى أمرهم أنقى وأتقى ملك عرفته البلاد المقدسة ، ونبادر بإعلان سخطنا الشديد واشمئزازنا واستنكارنا واستهزائنا واحتقارنا لهذا النوع من الكيد والدس والبهتان ، ونشهد الله الذى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) والعالم أجمع على أنها عبث صبيانى وإفك شيطانى ، (إن الله لايهدى كيد الخائنين) .

عاش الملك المفدى ، وعاش ولى عهده المعظم وسمو نائبه المحبوب وآل بيته الأماجد ، وعاش الشعب العربى السعودى الموحد .

وقد تفضل جلالة الملك فأجابه على ذلك بالبرقية الآتية :

فى ٢٥ / ١١ / ١٣٦٦هـ .

السيد صالح شطا ورفقاؤه :

نشكر لكم ولإخوانكم ولكافة أفراد الشعب ما أعربتم عنه فى برقيتكم عن إخلاص وولاء ، ونحن نقدر للجميع ذلك . وما تطرق الشك قط فى حب الشعب وتعلقه بنا .

عبد العزيز

ثم أخذت جريدة الوفاء الأردنية تكيل السباب إلى بعض رجال جلالة الملك ، أمثال : الشيخ عبد الرءوف الصبان ، والسيد عبد الحميد الخطيب كاتب هذا التاريخ ، وتزعم أنه على اتصال بسمو الأمير عبد الله وأن كتبه محفوظة لديه ، فلم أكترث

بذلك ، وكان أحكم رد لجلالة الملك على تلك الادعاءات والدسائس أن أكد ثقته بهذا المخلص فعينني وزيرا مفوضا لجلالته فى الباكستان .

وإنى أتحدى المفترين بإبراز ما لديهم من كتابات أو أمور تخدش إخلاصى المليكى وثباتى على مبدئى .

من أعمال المفسدين

عند ما يئس المفسدون من إحداث الفتن الداخلية فى البلاد أخذوا يكيدون لأهل البلاد ويحاولون إيجاد التفرقة والنفور بين الحكومة والشعب بما كانوا يرسلونه إلى جلالة الملك من خطابات من شأنها أن توجد فى نفس جلالته شيئا من الحذر من مخلصيه ، فلم تزده إلا ثقة بهم كما أسلفنا ، فما وسعهم إلا أن يعمدوا إلى حيلة مكشوفة ، وهى أنهم كتبوا فى أواخر سنة ١٣٦٦ ﻫ بيانا زعموا فيه أن الشعب يطالب بالحكم الدستورى وألصقوه بواسطة بعض أذنابهم فى دار الندوة بالمسجد الحرام ، فلما علمت به الحكومة مزقته وعرفت أنه مدسوس على الأمة ، ولم تعر الأمر أية أهمية ، إذ ليس من شك بأنه ما من مسلم فى سائر أنحاء المعمورة يتاح له الحكم بما أنزل الله ويبغى عنه بديلا خصوصا ، وقد تذوق الناس فى البلد الأمين لذة تطبيق أحكام الشرع الإسلامى بما ينعموا به من أمن شامل وسعادة كاملة ، وانتهى الأمر عند هذا الحد .

غير أنه بمناسبة تخلف صاحب الجلالة الملك عن الحج فى موسم ذلك العام وإنابة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى العهد المعظم عن جلالته رآى أيده الله أن يدعو أعيان البلاد وكبار الموظفين إلى حفلة عشاء فى مساء يوم الخميس ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ ﻫ فى القصر الملكى وألقى عليهم خطابا ضافيا يفيض عطفا وحنانا ، ويعبر عن مبلغ عطف المليك وولى عهده على هذا الشعب وثقته به ، وقد أكبر الوطنيون هذا الخطاب وأحلوه المنزلة العليا فى نفوسهم وهذا نص الخطاب المذكور .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وكل من والاه .

أما بعد : فإن الداعى لحضوركم هو أولا حب الاجتماع بكم ، وثانيا تبليغكم رسالة والدى جلالة الملك المعظم التى أمرنى أن أبلغكم إياها وهى :

نحن على ثقة تامة أنكم تعرفون اعتقادنا فى إخلاصكم وولاءكم ومحبتكم لنا ، ولا بد أنكم عرفتم مانشر فى بعض الصحف عما سمى بالدستور الحجازى ، وإننا نعلم تمام العلم أن كل ماجاء فيها أمور لانصيب لها من الصحة مطلقا وأنكم براء منها لأننا أعلم بالشعب الحجازى ورجال الحجاز وأهله ، ونحن واثقون بهم ومطمئنون إليهم لأننا على علم تام أننا لم يحدث منا مايضر بمصالحهم مطلقا ، بل عملنا بقدر إمكاننا كل ماينفعهم ويرفه عنهم، مع أننا لاندعى أننا عملنا كل شىء ، ولكننا نعلم أننا سائرون فى عملنا بخطوات متتابعة ستوصلنا إلى النتائج الحسنة إن شاء الله .

ولا أدل على ثقتنا بكم واطمئناننا إليكم من أن معظم الموظفين فى جميع دوائر حكومتنا ومراكزها فى كافة مدن مملكتنا وقراها وسائر أنحائها وحدودها هم من الحجازيين ، ونعتقد أن هذا هو الذى تقتضيه المصلحة العامة التى تربط الحاكم والمحكوم ، وروح التعاون على النهوض بهذا الملك الذى أسسناه بسيوفنا دون حاجة إلى دعاية ونعتبره نعمة من الله منّ بها علينا حيث أهلنا لخدمة بيته الشريف والترفيه عن أهله وجيرانه ، ونعتقد أنكم جميعا أعواننا على الخير وسترون منا من زيادة رقى البلاد والنهوض بها مايسركم وينفعكم دينا ودنيا إن شاء الله تعالى .

وإذا فرض أن حدث بعض قصور غير مقصود فى أى جهة من الجهات فيجب أن يحمل ذلك على قصد الخير وحسن النية ، لأننا والله لانقبل الضيم على أى أحد منكم مطلقا ؛ وكل من عنده ظلامة أو نصيحة يريد أن يفضى بها إلينا فأبوابنا مفتحة له إن شاء سرا وإن شاء علنا ، لأننا حكامكم الواثقون بكم، وأنتم رعايانا المخلصون لنا ولا نريد إلا أن نتعاون معكم على صلاح البلاد ، وإن حياتكم مرتبطة بحياتنا فى السراء والضراء . فهذه عقيدتنا فيكم لن تتغير إن شاء الله ، وسترون عيانا ماتنطوى عليه جوانحنا من النوايا الحسنة وحب الخير والنهوض والتقدم إن شاء الله، وأؤكد لكم أن رجالنا الموجودين لديكم وعلى رأسهم أخواى فيصل ومنصور وعبد الله الفيصل ووزير ماليتنا عبد الله السليمان وبقية وزرائنا ماهم إلا واسطة خير بيننا وبينكم ولاينقلون لنا عنكم إلا مايشرفكم لدينا ويحببكم إلينا ؛ لذلك أؤكد لكم وأقسم بالله إنه ما علق بأذهاننا أن أحدا منكم له علاقة بالكتاب المذكور لا سرا ولا علنا، لأن لنا عقولا نفكر بها ونستدل على حقائق الأمور، ولسنا بجهال ينطلى علينا التزييف والتضليل، ونعرف معرفة تامة بعض الناس الذين يحبون تعكير الصفو

والتشويش، ونعرف غاياتهم ودعاياتهم الباطلة . أما نحن فليست لنا غايات إلا السيرة الحسنة التي هي الأساس الذي نرتكز عليه في جميع أعمالنا غير مبالين بدعايات أهل الأغراض والأهواء .

بقي شيء واحد أحب أن ألفت أنظاركم إليه وهو أنه إذا قضت الشقاوة على بعض الأشقياء الذين منوا بالحرمان أن يختلقوا بعض المفتريات ويحاولوا إلصاقها بكم فيجب عليكم التنبه لذلك والتبرؤ منه عملا بواجب النصح وما يقتضيه الواجب الوطني كما حصل ذلك منكم فعلا ، فإن الاتهامات الباطلة لاتلبث أن تضمحل على كل حال . ونحن نعمل يدا واحدة لحفظ الأمن وبث الطمأنينة لجميع أهالي هذه المملكة إن شاء الله .

وجل القصد بذل النصيحة لكم وبث الطمأنينة في نفوسكم لما لكم عندنا من مكانة ولما نرجوه لكم وللبلاد من مستقبل زاهر إن شاء الله .

وأسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين إلى مافيه إعزاز دينه وإعلاء كلمته آمين .

تفاهم مصر والمملكة السعودية

لقد كان لحادث المحمل أثر سيء في نفس حكومة مصر ولذلك امتنعت عن إرسال المحمل المصري في العام الثاني في سنة ١٣٤٥ هـ ومنعت إرسال كسوة الكعبة الشريفة وأضربت عن إرسالها خلال عشر سنوات ساد العلاقات بين الحكومتين خلالها شبه فتور شعرت في نهايتها حكومة مصر في عهد وزارة الشعب أن المملكة العربية السعودية لم تكن معتدية في حادث المحمل وقد أدت واجبها حياله في حينه وأن مصر بامتناعها عن إرسال الكسوة الشريفة إنما حرمت نفسها من شرف توارثته مع الأيام وهو كسوة البيت الحرام . فبادر رئيس وزرائها صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بفتح باب المفاوضة على النمط الآتي :

المذكرة الأولى :

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية .

من أكبر دواعي السرور لدي أن أبلغ سعادتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ

الموسم القادم، وسيقوم المحمل المرافق لهذه الكسوة من القاهرة فى الوقت الذى كان معتادا أن يقوم فيه، وعند وصولهما إلى جدة يستقر المحمل فيها وتتوجه الكسوة إلى مكة حيث توضع على الكعبة بالاحتفال اللائق بكرامة المكان ومقام الجالس على عرش الحجاز وسيطرز على الكسوة إشارة إلى أنها (أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل السعود ملك المملكة العربية السعودية) .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م

رئيس مجلس الوزراء
مصطفى النحاس

المذكرة الثانية :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية .

أتشرف بأن أبلغ دولتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية أحاطت علما بعزم حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الموسم القادم والكسوة سيطرز عليها إشارة إلى أنها (أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل السعود ملك المملكة العربية السعودية) ويسرنى أن أعرب لدولتكم عن شكر حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية لحكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر على جميل نياتها نحو الأراضى المقدسة وعن موافقتها على نزول المحمل بجدة واستقراره فيها واستقبال الهيئة المكلفة بنقل الكسوة بأكبر حفاوة فى جدة ؛ كما أن الكسوة ستستقبل فى مكة أكبر استقبال وتوضع فى مقرها بالاحتفال اللائق بمقام صاحب الهدية .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م .

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية
فؤاد حمزة

المذكرة الثالثة :

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية :

يسرنى أن أبلغ سعادتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم اتخاذ التدابير اللازمة لإعادة صرف الصدقات لفقراء الحجاز ولاستئناف صرف فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين فى الأراضى المقدسة وذلك ابتداء من موسم الحج القادم، وستعين الحكومة المصرية من يتولى الإشراف على صرف الصدقات التى ترسلها، وهى تعتزم أن تنفق من الأموال التى كانت تخصصها للصدقات ومن فاضل غلة الأوقاف المذكورة فى حدود القواعد الشرعية لعمارة الحرمين الشريفين وإصلاح المرافق المتصلة بهما، وستبلغ الحكومة المصرية إلى الحكومة السعودية ماتضعه من البرامج لأعمال العمارة والإصلاح فى حينه تمهيدا لاتفاق الحكومتين على التصميمات الخاصة بتلك الأعمال .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م .

رئيس مجلس الوزراء
مصطفى النحاس

المذكرة الرابعة :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية .

تلقت الحكومة السعودية مع السرور تبليغ دولتكم الذى تذكرون فيه أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم اتخاذ التدابير اللازمة ، لإعادة صرف الصدقات لفقراء الحجاز ، ولاستئناف صرف فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين فى الأراضى المقدسة ، وذلك ابتداء من موسم الحج القادم ، وأنها تعتزم أن تنفق من الأموال التى كانت تخصصها للصدقات ومن فاضل غلة الأوقاف المذكورة فى حدود القواعد الشرعية لعمارة الحرمين الشريفين وإصلاح المرافق المتصلة بهما .

وإن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية لترحب بتنفيذ مشروعات العمارة والإصلاح التى تنوى الحكومة المصرية القيام بها .

ويسرها أن تبلغ دولتكم أن صرف الصدقات سيجرى بإشراف من تعينه الحكومة المصرية لهذا الغرض ، وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ — ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م .

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

فؤاد حمزة

المذكرة الخامسة :

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية :

أتشرف بان أثبت فيما يلي القواعد التي اتفق عليها في شأن جنسية المصريين الذين كانوا مقيمين بأراضي المملكة العربية السعودية في وقت صدور نظام التابعية الحجازية . وجنسية العرب السعوديين الذين كانوا مقيمين بأراضي المملكة المصرية في وقت صدور قانون الجنسية المصرية .

يمنح لكل من الفريقين المتقدم ذكرهما مهلة قدرها ستة أشهر ، لاختيار الجنسية المصرية أو العربية السعودية ، ويجرى الاتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة أسماء المصريين في المملكة المصرية في خلال الثلاثة الأشهر التالية للمهلة المشار إليها .

ولن يترتب على اختيار أحد المقيمين في بلد لجنسية البلد الآخر أي مساس بحقه في البقاء أو الاستقرار في أراضي البلد الذي يقيم فيها .

وغني عن البيان أن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا من أراضي البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الأصلية .

وتفضلوا سعادتكم بقبول الاحترام ؟ .

القاهرة ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ م .

رئيس مجلس الوزراء

مصطفى النحاس

المذكرة السادسة : .

صادرة من وكيل وزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية إلى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ولم نعثر على نصها حرفيا غير أننا علمنا أنها كانت تتضمن الموافقة على ما جاء في المذكرة الخامسة .

المذكرة السابعة :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية :

بمناسبة ما أعربتم عنه دولتكم من رغبة الحكومة المصرية فى الوقوف قبل دخول موسم الحج على مقدار الرسوم والعوائد والتكاليف التى تقرر على الحجاج فى كل عام أتشرف بأن أحيط دولتكم علما بأن السلطات المختصة فى حكومة المملكة العربية السعودية تضع تعريفة مفصلة للعوائد والرسوم والتكاليف المقررة وتعلنها قبل موسم الحج من كل عام ؛ ويسر حكومة جلالة الملك أن تبلغها إلى الحكومة المصرية عقب صدورها لكى تعلنها فى الوقت المناسب على الراغبين فى الحج من رعاياها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

القاهرة ٤ رمضان ١٣٥٥ هـ   وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية
١٨ نوفمبر ١٩٣٦ م   فؤاد حمزة

وعلى أثر ذلك عادت الأمور إلى مجاريها واسترجعت مصر ما كان لها من شرف كسوة البيت الحرام الذى تغبطها عليه جميع دول الإسلام ، واستطاعت أن تساهم فى خدمة البلد الأمين بتعليم جمهرة من أبنائه مختلف العلوم والمعارف ، وبما قامت به من مساعدة المملكة العربية السعودية فى مختلف النواحى وصرف مالديها من أوقاف الحرمين فى أنفع طرقها ، ونالت بذلك زعامة الشرق من غير منازع .

اجتماع رضوى التاريخى

ولقد زاد فى توثيق العلاقات بين البلدين تلك الخطوات الموفقة التى خطاها صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر بتفضله بمبادرته جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بالزيارة الملكية الكريمة فى سفح رضوى تلك الزيارة التى أعجب بها عاهل الجزيرة وقدرها كل التقدير ، لأنها كانت زيارة خالصة لله ورسوله ، وبقصد العمل لخير المسلمين والإسلام والعرب أجمعين . كما يتجلى ذلك من البلاغات الرسمية الآتية :

نشرت جريدة أم القرى بعددها ١٠٣٩ بتاريخ يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٩٤٥ م ما يأتى :

اجتماع رضوى التاريخى .

سجل التاريخ حادثا من أروع حوادثه وذكرى من أجمل ذكرياته ؛ ففى الساعة الخامسة - بحسب التوقيت العربى من صباح يوم الأربعاء الموافق ١٠ / ٢ / ١٣٦٤ هـ التقى الملكان الأخوان: حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز على صعيد الأرض المقدسة وعلى مرأى من جبل رضوى الشامخ فتعانقا ، وكان ذلك رمزا لما بينهما من محبة وما بين شعبيهما من إخاء ، هذا الإخاء الذى أقامه الله سبحانه وتعالى بين المسلمين، وقوّت دعائمه الحوادث بين أبناء العروبة.

وإنه لحقيق بالمسلمين جميعا أن يغتبطوا بلقاء ملكين عظيمين من ملوكهما فى الأرض المقدسة . كما أن العرب فى المشرق والمغرب سيستقبلون بهذا اللقاء عهدا من التعاون والاتحاد والعزة .

لقد تجلت الأخوة الإسلامية والرابطة العربية بأجلى مظاهرها فى الاجتماعات المتبادلة، وفى الأحاديث الودية المتعددة بين صاحبى الجلالة الملكين العظيمين: حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، وحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق فى المخيم الملكى فى سفوح رضوى . كما توثقت روابط الأخوة بينهما مما سيكون له أثره الطيب فى توثيق عرى المحبة بين الشعبين الشقيقين .

وقد ترك حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المخيم الملكى بعد ظهر يوم الخميس قاصدا المدينة المنورة لزيارة المسجد النبوى وأداء فريضة الجمعة فى حرمها المبارك .

ونشرت أم القرى بعددها ١٠٤٠ الصادر فى يوم الجمعه ١٩ صفر سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٤٥ م ما يأتى :

على أثر سفر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق من المدينة المنورة فى صبيحة يوم السبت حيث ودع المدينة المباركة بصلاة ركعتين بمسجد الرسول ، ثم تشرف بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه رضى الله عنهم ، وودع بمثل ما استقبل به جلالته من الحكومة والشعب حيث وصل إلى المخيم الملكى فى سفوح رضوى عصر يوم السبت نفسه، وقد جرى تبادل الزيارات بين حضرة صاحبى الجلالة الملكين العظيمين حيث زار جلالة الملك فاروق جلالة الملك عبد العزيز وركبا معا إلى مخيم جلالة الملك فاروق حيث تناولا طعام العشاء على مائدة جلالته ، وتناول

بمعيتهما طعام العشاء أيضا أصحاب السمو الملكى أمراء آل سعود ورجال حاشية الملكين الكريمين ، وبعد العشاء تناول الضيف الكريم القهوة العربية فى مخيم جلالة الملك عبد العزيز وتحادثا حتى منتصف الليل ، وكانت ليلة من أروع الليالى وأجملها فى تاريخ الأمة العربية .

فى صبيحة يوم الأحد تلاقى حضرتا صاحبى الجلالة الملكين الكريمين فى مخيم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق حيث جرى احتفال مهيب اشتمل على مايأتى :

أولا : قدم جلالة الملك المعظم إلى جلالة ضيفه الكريم سيفا عربيا مرصعا بالجواهر وخنجرا مرصعا بالجواهر أيضا كتذكار لهذا الاجتماع المبارك ؛ ثم قدم جلالة الملك فاروق إلى جلالة الملك عبد العزيز قلادة محمد على رمزا للصداقة التى توطدت بين الأسرتين المالكتين الكريمتين فى هذا الاجتماع السعيد .

ثانيا : جرى تبادل العلمين السعودى والمصرى باحتفال عسكرى اشتركت فيه ثلثان من الجيش السعودى وجيش البحرية المصرية ، فكان رمزا للصداقة والمودة بين مصر والمملكة العربية السعودية .

ثالثا . قام رجال الجهاد باستعراض عربى اشترك فيه أصحاب السمو الأمراء ، وقد دقت فيه طبول الجهاد وهزج فيه رجال الجهاد بأغانيهم الحماسية حيوا فيها ضيف مليكهم وضيفهم ، وقاموا بشبه تمرين هجومى كان له أجمل وقع ، ثم انتهى الحفل فى منتصف الساعة السادسة عربية ، وبعد برهة وجيزة شرف جلالة الملك فاروق السرادق حيث كان فيه أصحاب السمو الأمراء ، فتحدث جلالته معهم وأعرب عن إعجابه بالعرض العربى الذى شاهده ، ثم أخذت صورة فتوغرافية لجلالته مع أصحاب السمو الملكى الأمراء .

وفى الساعة السابعة عربية ونصف تناول جلالة الضيف الكريم طعام الغداء على مائدة جلالة الملك عبد العزيز ، وقد حضر المائدة حضرات أصحاب السمو الأمراء ورجال حاشية الملكين العظيمين ؛ وبعد تناول الغداء وشرب القهوة العربية نهض جلالة الملك فاروق ورافقه جلالة الملك عبد العزيز إلى الميناء حيث ودع الملكان أحدهما الآخر وداعا حارا وتعانقا ورجا كل منهما أن يسهل الله اجتماعات كثيرة ، وأكد كذلك كل منهما لأخيه رعايته وحرصه على دوام علاقات الود والصداقة بينهما وبين بلاديهما ؛ وقد رافق جلالته من المرفأ إلى اليخت الملكى أصحاب السمو

الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أخو جلالة الملك وأصحاب السمو الملكى الأمير فيصل والأمير محمد والأمير منصور أنجال جلالة الملك ، ومن حاشية جلالته يوسف ياسين وحافظ وهبه حيث ودعوا جلالة الملك فاروق على ظهر اليخت الملكى ميناء رضوى بسلامة الله الساعة العاشرة والنصف عربية مودعا أحسن وداع وأكرمه، وبذلك يسجل التاريخ هذه الذكرى الكريمة لهذا الاجتماع المبارك الذى كان ولله الحمد على أجمل وجه وأحسنه .


الشيخ فؤاد الخطيب

ولقد نظم الأستاذ الكبير فؤاد باشا الخطيب قصيدة عصماء بهذه المناسبة نثبتها فيما يلى :

هتف الحجاز وكبر الحرمان ... ومن الكنانة صفق الهرمان
طلعت على الدنيا البشائر فجأة ... ومشى السرور يهز كل مكان
فوق الجزيرة فى ظلال هضابها ... ملكان بل أخوان يعتنقان
يتحدثان عن العروبة بالذى ... أصغت إليه مسامع الأزمان
ياشرق هل أبصرت أروع ندوة ... من سفح «رضوى» يوم يجتمعان
فانظر هل الأفلاك حين رأتهما ... وقف الخشوع بها عن الدوران
وهل النجوم من السماء ترجلت ... وعنت لما فى الأرض من لمعان
عبد العزيز بن السعود وخدنه ... فاروق بالأعباء مضطلعان
من ذا المكابر فى العروبة بعد ما ... قد سل من غمديهما السيفان
يتلألآن وإن فى حديهما ... نور اليقين ومصرع البهتان
كم ساعة تسع العصور ولم تطل ... وطويل عهد مله الملوان
هى غرة الأيام تحت ضمانها ... شرف الشعوب ولات حين ضمان
سنحت وخص العرب من لمحاتها ... من ثغر «ينبع» ساطع البرهان
فى حلوة الملكين حول حماهما ... بين الجحاجح من بنى عدنان
فهنالك الروح الأمين مرفرف ... ورخيم تسبيح الملائك دان

وقلوب أحرار البلاد خوافق ... وعيون أبطال الجهاد روان
ومواكب التاريخ تزحف فخمة ... فوق البطاح ومن وراء رعان
والخيل تصهل والفوارس فوقها ... تنقض عقبانا على عقبان
فى كل منعرج وكل ثنية ... أمل يطل وخطة لأوان
صور تمر بما يسر تتابعت ... حشدا لمرتقب لها ولهان
والمجد ينهض بالبناة مشيدا ... لا بالزفير عليه والإرنان
يامرحبا بالبانيين كليهما ... والرافعين دعائم الأوطان
والساهرين على الديار وأهلها ... والآخذين بطاعة الرحمان
فاروق ياضيف الجزيرة إنها ... هى والكنانة فى الهوى سيان
إن التحمس فى الحفاوة لم يكن ... غير الصدى المكنون فى الوجدان
وثب الشعور من الصدور مجلجلا ... فى الغور والأنجاد والكثبان
عرفت إخاءك للمليك فأنتما ... فرد وأخطأ من يقود اثنان
مولاى يا عبد العزيز تحية ... لك من فتاك تجول فى الميدان
لما دعوت الشعر هب ملبيا ... فنظمت مافى القلب من خفقان
همت الدموع على الدموع مسرة ... وشكا اليراع يدين ترتعشان
لولاك لم تنل الجزيرة قسطها ... يوم الرهان وزحمة الفرسان
أنت الذى وحدت شمل ربوعها ... وجعلت دار الغزو دار أمان
فاهنأ بمجدك إن مجدك خالد ... والمجد فى التاريخ عرش ثان

عواطف الإخاء بين الملكين

ماكاد جلالة الملك يعلم بوصول أخيه الملك الفاروق إلى مصر حتى بعث إليه بالبرقية الآتية :

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك فاروق .

فى اللحظة التى بلغ مسامعى نبأ وصول جلالة الأخ الكريم إلى عاصمة بلاده الشقيقة الكريمة بالصحة والسلامة ، أبعث لأخى العزيز بتهنئتى القلبية بسلامة الوصول منوها بالأثر العظيم الذى تركه فى نفسى وفى نفس شعبى تفضلكم العظيم بهذه الزيارة الكريمة ؛ وإن ما لاقيته من حسن شمائل الأخ وما شعرت به من السرور لما تأيد بيننا فى هذا الاجتماع المبارك من التآخى والمودة يزيد غبطتى وسرورى بذلك التلاقى

الذى كان من حوادث التاريخ الهامة فى تأييد العلاقات بين بلدينا وبيتينا ، بل كان دعامة فى تأييد أواصر المودة الإسلامية .

أدامكم الله ذخرا لمصر الشقيقة وبنيها ، وحفظكم الله ورعاكم لرعاية المودة والإخاء بين سائر العرب والمسلمين . عبد العزيز

برقية لجلالة الملك فاروق

حضرة صاحب الجلالة الأخ الكريم الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية قصر خزام :

إن تأثرى بما حملته إلىّ برقية جلالة الأخ العزيز من نبيل العاطفة وصادق المودة لا يعادله إلا اغتباطى القلبى بالفرصة السعيدة التى أتاحت لى التعرف بشخصكم المحبوب وأعضاء بيتكم الكريم ، مما ترك فى نفسى أعمق الأثر وأغلى الذكريات .

إن مصر بأسرها لتشاركنى الإعراب عن أجمل الشكر لجلالتكم ولشعبكم الشقيق ، والتوجه بأخلص الدعاء إلى العلى القدير بأن يبارك فى جهودنا المشتركة لخير البلاد العربية الإسلامية ، وأن يجعل حادث اجتماعه الميمون أساسا لبناء نهضة شامخة شاملة يزداد بها توثيق روابط المودة والإخاء بين جميع العرب والمسلمين ، فتحقق وحدتهم وتعزز مكانتهم ، سدد الله خطانا ، وبارك مسعانا ، وأمد فى حياتكم لإسعاد بلادكم الشقيقة وإعزاز العرب وتأييد قضية العروبة . فاروق

نتائج اجتماع رضوى

ولقد كان من نتائج اجتماع رضوى أن سافر جلالة الملك إلى مصر فى أواخر شهر صفر سنة ١٣٦٤ هـ واجتمع بصاحب الفخامة المستر فرانكلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة وفخامة المستر ونستن تشرشل رئيس الوزارة البريطانية .

وأصدرت الحكومة البلاغات الرسمية الآتية :

بلاغ رسمى رقم ١١ .

فى منتصف يوم الأربعاء ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ م اجتمع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مع صاحب الفخامة المستر فرانكلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة على ظهر الطراد الأمريكى كوئيرى الراسية بالبحيرات المرة فى قنال السويس وبعد الغداء جرى بين جلالته وبين فخامة

الرئيس حديث ودى تناول مابين البلدين من روابط وثيقة العرى ؛ كما تناول شؤونا عربية هامة وعلاقات جمهورية الولايات المتحدة بالبلاد العربية بصورة عامة ؛ وقد جرى الحديث فى جو مشبع بالود والصفاء يبشر بخير عظيم ومستقبل مملوء بالآمل للأمة العربية .

بلاغ رسمى رقم ١١ .

بعد عصر يوم الجمعة الموافق ٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر المعظم ومعه حضرة صاحب الفخامة شكرى بك القوتلى رئيس الجمهورية السورية فزار حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فى النزل الذى كان يقيم فيه جلالته بقرب الفيوم بالديار المصرية ، فاستقبلهما جلالته استقبالا يليق بمقامهما السامى من التجلة والاحترام ، وقد مكثا مدة غير قصيرة تناولا فيها الحديث مع جلالته فى جميع الشؤون العربية الهامة ، وقد ودعا بمثل مااستقبلا به من الحفاوة والإكرام .

بلاغ رسمى رقم ١٢ .

فى منتصف يوم السبت ٥ ربيع الأول سنة١٣٦٤هـ الموافق ١٧ فبراير سنة١٩٤٥م زار فخامة المستر ونستن تشرشل رئيس الوزارة البريطانية والمستر أنطونى إيدن وزير الخارجية البريطانية وبعض الشخصيات البارزة البريطانية فى الشرق الأوسط جلالة الملك المعظم فى فندق أوبرج على بحيرة قارون بمدينة الفيوم فاستقبل بما يليق بفخامته من الحفاوة . وقد جرى بين جلالة الملك وفخامته حديت ودى تناول تاريخ مابين البلدين من ود قديم وصداقة وثيقة العرى لم تزدها الأيام إلا قوة ، كما تناولت شؤونا عربية أخرى هامة . وقد جرى الحديث فى جو مشبع بالود والصفاء وحسن الثقة ، وقد أكدت هذه الأحاديث ما بين الشعب العربى الكريم وبين الشعب البريطانى العظيم من روابط تاريخية قديمة زادتها الأيام توثقا ؛ كما أكدت اهتمام الحكومة البريطانية بالأمة العربية وعنايتها بمستقبلها وحرصها على استبقاء هذه الصداقه سليمة قوية .

إعلان الحرب على ألمانيا واليابان

لقد ظلت المملكة العربية السعودية ملتزمة الحياد التام إزاء الحرب العالمية العظمى، ثم رأت أخيرا بعد عودة جلالة مليكها المعظم من رحلته الأخيرة أن تعلن الحرب على ألمانيا واليابان ، وصدر بذلك بلاغ رسمى فى ٢٥ ربيع الأول ، هذا نصه :

« إن الحكومة العربية السعودية أصبحت ابتداء من أول مارس سنه ١٩٤٥ م فى حالة حرب مع دولتى ألمانيا واليابان ، وذلك باستثناء الأماكن المقدسة ، فهى لاتزال على حيادها لاتحارب ولا تحارب » .

اشتراك المملكة العربية السعودية فى مؤتمر الأمم المتحدة فى (سان فرانسسكو)

تلقت حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم دعوة رسمية موجهة إليها من قبل دول الحلفاء الكبرى : حكومة جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، وحكومة المملكة المتحدة البريطانية العظمى وروسيا والصين : لحضور مؤتمر الأمم المتحدة الذى سيعقد فى يوم ١٣ جمادى الأولى سنه ١٣٦٤ ه الموافق ٢٥ إبريل سنة ١٩٤٥ م فى مدينة سان فرانسسكو بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد قبلت حكومة جلالة الملك الدعوة ، وقررت إيفاد مندوب من قبلها للاشتراك فى المؤتمر المذكور .

ميثاق الجامعة العربية

فى يوم الخميس ٨ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ه الموافق ٢٢ مارس سنه ١٩٤٥م عقد لأول مرة فى التاريخ ميثاق جامعة الدول العربية الذى وضعه مندوبو الدول العربية بالقاهرة بقصر الزعفران الذى صدرت موافقة جلالة الملك على إبرامه بمقتضى البلاغ الرسمى رقم ٨٩ هذا نصه :

إن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية، وحضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن، وحضرة صاحب الجلالة ملك العراق ، وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن .

تثبيتا للعلاقات الوثيقة ، والروابط العديدة التى تربط بين الدول العربية ،

وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيها لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية ، قد اتفقوا على عقد ميثاق لهـــذه الغاية وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية . قد أناب عن المملكة العربية السعودية : سعادة الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية وسعادة السيد خيرالدين الزركلى، مستشارمفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة ، حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية . قد أناب عن سورية : حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخورى رئيس مجلس الوزراء ، وحضرة صاحب الدولة السيد جميل مردم بك وزير الخارجية . حضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن ، قد أناب عن شرق الأردن ، حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعى باشا رئيس الوزراء ، وحضرة صاحب المعالى سعيد المفتى باشا وزير الداخلية ، وصاحب العزة سليمان النابلسى نائب سر الحكومة . حضرة صاحب الجلالة ملك العراق ، قد أناب عن العراق : حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى وزير الخارجية، وحضرة صاحب الفخامة السيد على جودت الأيوبى وزيرالعراق المفوض بواشنطن ، وحضرة صاحب المعالى السيد تحسين العسكرى ، وزير العراق المفوض بالقاهرة . حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، قد أناب عن لبنان : حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامى رئيس الوزراء ، وسعادة السيد يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بالقاهرة . حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، قد أناب عن مصر : حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ ، وحضرة صاحب المعالى عبد الحميد بدوى باشا وزير الخارجية ، وحضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا ، وزير المالية ، وحضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا وزير العدل ، وحضرة صاحب المعالى عبد الرزاق أحمد السنهورى بك وزير المعارف العمومية ، وحضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك الوزير المفوض بوزارة الخارجية . وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن ، قد أناب عن اليمن . . . الذين بعد تبادل وثائقهم

وتفويضهم التي تخولهم سلطة كاملة والتي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل، قد اتفقوا على ما يأتي :

مادة ١ — تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ·

مادة ٢ — ولكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت فى الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

مادة ٣ — الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الآتية :

(ا) الشئون الاقتصادية والمالية ، ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شئون المواصلات، ويدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة : البرق والبريد .

(ج) شئون الثقافة (د) شئون الجنسية والجوازات والتاشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين . (ه) الشئون الاجتماعية (و) الشئون الصحية ·

مادة ٤ — يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها ، وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعه ومراعاة تنفيذ ماتبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشئون المشار إليها فى المادة السابقة وفى غيرها .

مادة ٥ — تؤلف لكل من الشئون المبينة فى المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة ، وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه ، وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة . ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون

البلاد العربية الأخرى ، ويحدد المجلس الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة ٦ — لايجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فإذا نشب بينها خلاف لايتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ، ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره نافذا وملزما ؛ وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته ، ويتوسط فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أوغيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء .

مادة ٧ — إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً . ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ، ويصدر القرار بالإجماع ، فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة لايدخل فى حساب الإجماع رأى الدولة المعتدية ، وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بمجلس الجامعة حق لأى دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده .

مادة ٨ — ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله . وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقا لنظمها الأساسية .

مادة ٩ — تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الأخرى وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بأن لاتقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها .

مادة ١٠ — لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى بما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاق ماتشاء لتحقيق هذه الأغراض ، والمعاهدات والاتفاقات التى سبق أن عقدتها أو التى تعقد فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أى دولة أخرى لاتلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

ماده ١١ — تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ، ولمجلس الجامعة أن يجتمع فى أى مكان آخر يعينه .

مادة ١٢ — ينعقد مجلس الجامعة انعقادا عاديا مرتين فى العام فى كل من شهرى مارس وأكتوبر ، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة ١٣ — يكون للجامعة أمانة عامة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين . ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثى دول الجامعة الأمين العام . ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة . ويضع مجلس الجامعة نظاما داخليا لأعمال الأمانة السامية وشئون الموظفين ، ويكون الأمين العام فى درجة سفير والأمناء المساعدون فى درجة وزراء مفوضين . ويعين فى ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة .

مادة ١٤ — يعين الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرض على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية . ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة للنفقات ، ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة ١٥ — يجتمع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم . وتكون حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة مصونة

مادة ١٦ — ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام ، ويتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

مادة ١٧ — فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة بالشئون الآتية :

(ا) شئون الموظفين (ب) إقرار ميزانية الجامعة (ج) وضع نظام داخلى لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة (د) تقرير فض أدوار الاجتماع .

مادة ١٨ — تودع الدول المشتركة بالجامعة الأمانة العامة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع أى دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها .

مادة ١٩ — إذا أرادت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة . ولمجلس الجامعة أن يعتبر أى دولة لاتقوم

بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة ، وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها .

مادة ٢٠ — يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولإنشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام .

ولا يبت فى التعديل إلا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب . وللدولة التى لاتقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة .

مادة ٢١ — يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الأساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة . وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ، ويصبح الميثاق نافذاً من قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول .

حرر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ هـ ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة ، وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة .

إمضاءات

. . . .

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ م لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لاشك فيه ؛ كما أنه لاشك فى استقلال البلاد العربية الأخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية بذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله .

إمضاءات

. . . .

(ملحق خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة بمجلس الجامعة)

نظرا لأن الدول المشتركة بالجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجنتها شئونا يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ، ولأن أمانى البلاد العربية الغير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها ، فإن الدول الموقعة على الميثاق للجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة عند النظر فى إشراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق ، بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك ، بأن لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم أمانيها وآمالها ، وبأن يعمل بعد ذلك على إصلاح أحوالها ، وتأمين مستقبلها بكل ماتهيئه الوسائل السياسية من أسباب . إمضاءات

. . . .

(ملحق خاص بتعيين الأمين العام للجامعة)

اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام بك أمينا عاما لجامعة الدول العربية ، ويكون تعيينه لمدة سنتين . ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة . إمضاءات

تآخى الملكين

لقد كان لاجتماع رضوى أثر كبير فى توثيق عرى المودة بين الملكين العظيمين : عبد العزيز آل سعود ، وفاروق الأول ، وأصبح كل منهما لا ينظر إلى بلاد الآخر إلا كأنها مملكته ، وشاء الفاروق أن يقيم الدليل العملى على هذا ؛ فبينما كان حفظه الله يقوم برحلة فى البحر الأحمر على ظهر ياخته الملكى (المحروسه) خلال شهر شوال سنة ١٣٦٤ ﻫ عرج بميناء جدة وبلغها فى صبيحة يوم الخميس ١٤ شوال سنة ١٣٦٤ ﻫ الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ م . وما أن علمت الحكومة بمقدمه هذا المفاجئ حتى سارع سمو الأمير منصور وزير الدفاع ووكيل نائب جلالة الملك بالحضور من مصيفه فى الطائف خصيصا إلى جدة لاستقبال جلالته مع كبار رجال الدولة ، وابتهجت البلاد من أقصاها إلى أقصاها بقدمه الميمون ، وكان لهذا الخبر السار أعظم الأثر فى نفس حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز حيث أبرق

لجلالة الملك فاروق يرحب بهذه الزيارة الجميلة ويعتبرها دليلا على المحبة المتأصلة في نفس الملكين . وقد قضى جلالة الملك فاروق في يخته الملكي بالميناء سحابة ذلك اليوم وليله ؛ وعند ما أتى وقت صلاة الجمعة شرف جلالته جدة فاستقبله فيها حضرة صاحب السمو الملكي الأمير منصور ومن حوله جموع الأهلين من جدة ومكة والطائف حيث خفت لاستقبال جلالته البلاد بأسرها ، وأديت لجلالته التحية العسكرية ، ثم أدى جلالته صلاة الجمعة في المسجد الحنفي ثم تناول طعام الغداء في القصر الملكي وتشرف بتناول الغداء في معية جلالته كبار رجال الدولة وكبار الشخصيات الإسلامية الموجودة في جدة وكبار الأعيان ، ثم رجع جلالته إلى يخته الملكي وغادر البلاد ، وقد سجل جلالته بهذه الزيارة الكريمة صفحة ذهبية من التاريخ تعبر عما بين الملكين وشعبيهما من الود الأكيد ، والإخاء الوثيق العربي .

رحلة الملك إلى مصر

في أوائل محرم سنة ١٣٦٥ هـ أعرب صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن رغبته في رد الزيارة لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر، فلما أن علم بذلك جلالة الفاروق رحب به ووجه إلى جلالته دعوة رسمية كان لها أجل الأثر في نفسه ثم بعث إلى جلالته يخته الملكي (المحروسة) ليقل جلالته إلى القطر المصري ، كما أوفد إليه بعثة شرف مصرية لاستقبال جلالته ومرافقته من الحجاز إلى مصر ، قوامها حضرات أصحاب السعادة والعزة : فؤاد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية بمصر، وإسماعيل تيمور باشا كبير الأمناء والقائمقام أحمد حلمي بك من الحاشية العسكرية الملكية ، وانضم إليهم سعادة عوض البحراوي بك الوزير المفوض للمملكة المصرية ، فوصلوا إلى جدة في صبيحة يوم السبت ٢ صفر سنة ١٣٦٥ هـ وحضر معهم من مصر أيضا الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عضو مجلس الشيوخ، والأستاذ كريم ثابت والأستاذ شرين شحاتة المصور المصري ، والأستاذ حسن مراد مندوب استوديو مصر ، ويحرس اليخت المذكور الطوافة (الأميرة فوزية) والطوافة (الأمير فاروق) وقد استقبلوا من البلاد وأهلها بكل ترحاب .

وفي عصر يوم الاثنين ٤ صفر سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٧ يناير سنة ١٩٤٦ م غادر

صاحب الجلالة الملك ثغر جدة إلى مصر على اليخت الملكى (المحروسة) وفى معيته الطوافتان (الأمير فاروق) (والأميرة فوزية) وقد رافق جلالته فى رحلته هذه أصحاب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد الرحمن أخو جلالته واثنا عشر أميرا من أبناء جلالته دليلا على وحدة الحال وتمام الإخاء، وهم: الأمير محمد، والأمير خالد، والأمير فهد، والأمير عبد الله، والأمير بندر، والأمير مساعد، والأمير عبد المحسن، والأمير مشعل، والأمير سلطان، والأمير متعب، والأمير طلال، والأمير نواف. كما رافق جلالته رجال الحاشية وكبار موظفى البلاط الملكى.

وقد رسا اليخت الملكى المقل لحضرة صاحب الجلالة الملك فى ميناء بور توفيق قبل ظهر يوم الخميس ٧ صفر سنة ١٣٦٥ﻫ الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٤٦م فاستقبله على ظهره حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق يرافقه صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس ديوان جلالته وسعادة عمر فتحى باشا كبير الياوران، وقد تعانق الملكان العظيمان تعانقا يدل على ما أشبع به قلباهما من حب وإخلاص.

ودوت المدافع عند نزول الملكين إلى البر واستقبل الملكان العظيمان القطار الملكى الخاص إلى القاهرة حيث احتشد الشعب المصرى قاطبة فى مداخل الطرقات وممرات السكك الحديدية فى جموع محتشدة متراصين كالبنيان المصفوف يهتفون بحياة الملكين العظيمين مرحبين بالضيف الكريم.

وفى تمام الساعة العاشرة من مساء يوم الخميس المذكور وصل القطار إلى القاهرة ودوت المدافع إيذانا بوصول المليك وعزفت الموسيقى الملكية وموسيقى الجيش، واستعرض جلالة عاهل الجزيرة حرس الشرف فى ديمقراطية إسلامية رائعة وتفضل جلالة الملك يحيى ألوف المستقبلين ثم امتطى الملكان عربة التشريفة الملكية تجرها ست من مطهمات الجياد العربية وقصدوا إلى قصر عابدين العامر حيث استراح جلالة الضيف العظيم قليلا ثم واصل جلالة الفاروق بسيارته الخاصة جلالة ضيفه العظيم إلى قصر الزعفران الذى أعد لضيافة جلالته.

وقد أمضى جلالته فى هذه الزيارة الكريمة أسبوعا من الزمن كان فيه موضع العناية والتقدير من جميع الطبقات، وقد بالغت مصر حكومة وشعبا فى الحفاوة بالضيف العظيم حفاوة منقطعة النظير، وقد عبرت مصر فيها بمبلغ ما تكنه نحو الحجاز حكومة وشعبا من ود صادق وحب صميم.

وقد ركب جلالة الملك اليخت الملكى المحروسة من بور توفيق فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٩ صفر سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ م مودعا بمثل ماقوبل به من حفاوة وإجلال .

ورافق جلالته إلى جدة أعضاء بعثة الشرف المصرية برياسة صاحب العزة محمد حسن يوسف بك وكيل ديوان جلالة الملك ، وعضوية كل من : إسماعيل تيمور باشا ، وعوض بك البحراوى ، والقائمقام محمد صبحى حسين بك ، وأمير البحر سالم باشا البدن . وعلى أثر مغادرة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم للبلاد المصرية أذاع جلالة الملك فاروق المعظم الكلمة التالية إلى الشعب المصرى الكريم :

شعبي الكريم — فى الوقت الذى يغادر فيه أخى صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود مملكتكم عائدا فى رعاية الله إلى مملكته يطيب لى أن أوجه شكرى لكم ، فقد أكرمتمونى فى ضيفى بل ضيفكم ، استقبلتموه بقلوبكم ، وأحطتموه بحبكم ، وإنى لأرجو أن تكون زيارة أخى الملك عبد العزيز آل سعود هى الفجر الصادق لليوم الذى تتطلع إليه البلاد العربيه يوم تحقيق أهداف العروبة فى المجد والاستقلال ، والمساهمة الفعالة فى بناء حضارة إنسانيه أساسها السلام والعدل والحرية تجدد حضارة العرب .

شعبي الكريم — لقد زرت المملكة العربية السعودية فى العام الماضى وكنت أظن أن سرورى بتلك الزيارة لن يعادله سرور ، فقد أحسست هناك أنى ما اغتربت عن وطنى ولا فارقت شعبي ، ولكن مالمسته خلال زيارة أخى الملك عبد العزيز آل سعود بمصر أكد لى أن أيام المجد تتشابه، فإن جلالته كان هنا بين وطنه وأهله فاعتززتم باعتزاز دول العرب جميعا شعوبا وملوكا وأمراء ورؤساء ؛ لقد عاش فى جونا وعشنا فى جوه مافارق مملكته إذ قدم إلينا وما فارقنا إذ يعود إلى مملكته ، فإننا على القرب والبعد تربطنا دائما جامعة العرب .

شعبي المحبوب — ليس أطيب عندى من أن أكرر شكرى لكم ، فقد أكرمتم فى شخص الملك عبد العزيز شخصى ، أكرمتم مصر والعروبه والإسلام .

وقد شرف جلالة الملك ميناء جدة فى صبيحه يوم الجمعة ٢٢ صفر سنه ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٤٦ م على اليخت الملكى (المحروسة) فهلل وجوه الشعب وأشرقت النفوس برؤية محيا مليكه المحبوب ، وأقيمت الزينات ، وتعددت



صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وضيفه العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود
في إحدى الحفلات الرسمية التي أقيمت تكريما لجلالته في مصر

الاحتفالات ثلاثة أيام فى جميع أنحاء المملكة بهذا العود الحميد من هذه الرحلة الموفقة وهذه الخطوات المباركة ، فى سبيل توثيق عرى صداقة شعبين عربيين تربطهما روابط شتى من قديم الزمان .

وقد تبادل الملكان البرقيات الآتية :

حضرة صاحب الجلالة الأخ العظيم الملك فاروق الأول ملك مصر حفظه الله .

الآن والمحروسة تتجه بنا شطر البيت الحرام ومعالم مصر الشامخة الفتانة تحتجب عن أبصارنا بأنوارها وازدهارها تلفت القلب بعد العين وقد انطبعت فيه ذكريات أيام من أسعد الأيام تجلى بها كرم جلالتكم وإكرامكم بأسمى معانيهما ، وقامت فى خلالها حكومتكم العاملة الساهرة بأوفى نصيب من حفاوتها ، وأعرب شعبكم الناهض النبيل عن أبلغ ما يكنه من العواطف نحو أضيافكم وأضيافه .

لقد تجلت مصر الكريمة المضيافة، عظيمة بمليكها وقادتها وشعبها، عزيزة بنهضتها ، قوية بجيشها ، وما جيش مصر إلا جيش العرب .

تقدمتم ياجلالة الأخ بالفضل فكانت أيام رضوى ثم أيام القاهرة والإسكندرية . وما كنتم ونحن نقلب الرأى فى شئون العرب جميعا لتنسوا البلاد العربية السعودية وصلاتها بأختها العزيزة مصر . وما كنا لننسى مصر الكريمة وصلاتها بشقيقتها المملكة العربية السعودية ، فكان من حظ البلدين توثيق الروابط بينهما ، وتوحيد جهودهما فى سياستهما ، وإقامة التعاون بينهما على أثبت الدعائم ؛ وإنه لمن سعد الطالع لنا جميعا أن الشعور العربى المشترك بيننا هو شعور عام اشتركنا فيه مع إخواننا وإخوانكم ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم ، كما اشترك معنا فى شعورنا كل مسلم وكل عربى ، وما جامعة الدول العربية التى أسست دعائمها فى عاصمة ملككم بفضل الله ثم بفضل جهود جلالتكم وجهود إخواننا ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم إلا أثر لهذه الروح العالية التى تربط بيننا وتؤلف بين قلوبنا جميعا . كلانا والحمد لله موقن بأن القوة فى وحدة الكلمة وأن الأخ درع لأخيه وأن تآخينا من شأنه أن يوثق عرى التآخى بين شعبينا ، وما شك أحدنا فى أن مصلحة البلدين تقضى بوحدة اتجاههما السياسى ووحدة السبيل الذى يسلكانه فى مناهجهما الدولى ، ذلك مبدؤنا ومبدأ شعبينا يتوارثه الأبناء عن الآباء ويبقى إن شاء الله على وجه الدهر بهذه الروح ، ودعت مصر شاكرا لنا مايضؤل بجانبه الشكر راجيا لجلالتكم دوام الهناء والصفاء ولشعبكم دوام الرخاء والارتقاء ؟ (عبد العزيز)

جواب جلالة الملك فاروق المعظم

تلقيت ببالغ الامتنان وعميق التأثر برقية أخي التي فاض بعبارتها الكريمة قلبه الكبير وأملتها نفسه العامرة بالوفاء والمحبة ، وإن زيارته التي أتاح بها لي ولمصر فرصة الترحيب به والتعبير له عما تكنه من إعزاز وإكبار لحدث جليل ستبقى ذاكرة مابقي الغرس الطيب المبارك الذي غرسته هذه الزيارة في صلات مصر وشقيقتها العربية السعودية ؛ وإن إشارة أخي إلى أيام رضوى مع أيام القاهرة والإسكندرية لتوقظ في قلبي الحنين إلى بلادكم العزيزة التي لمست في قلوب أهلها مكانة مصر والتي أرجو أن تكونوا قد لمستم مكانتها ومكانة عاهلها في قلوب المصريين شعبا وملكا .

إن الصلات التي تربط بين قلبينا وشعبينا قد وثقها الله وأيدها التعاون في سبيل تحقيق مجد العروبة ، ولقد كان لجلالتكم وللملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم وشعوبهم الفضل فيما وصلت إليه جامعة الأمم العربية من مكانة عظيمة ؛ وإني لأرجو أن يديم الله على العرب نعمة التآزر والتآخي حتى يتحقق لهم مايصبون إليه من انتشار مبادئ السلام والعدل والحرية ، تلك المبادئ التي قامت عليها حضارة العرب .

حفظ الله أخي ورعى بيته المجيد وبلاده العزيزة ، وكتب له السلامة والعافية والتوفيق ؟ (فاروق)

وعقب تشريف جلالة الملك المعظم ميناء جدة أذاع جلالته النداء التالي :

شعبي العزيز : أحمد إليكم الله إذ أعود إليكم من بلاد هي بلادي وبلادكم مصر العزيزة بعد أن لاقيت فيها من جلالة أخي الملك العظيم فاروق وحكومته وشعبه في كل شبر مشيت فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والإكرام ما لا يحيط به الوصف ولا يفي بحقه وافر الشكر . فقد كانت قلوبهم تتكلم قبل ألسنتهم بما تكنه لي ولكم ولبلادكم من حب لا يماثله إلا ما أشعر به من حب عميق لأخي الفاروق ولبلاده وما أستشعره في قلوبكم من حب لجلالته وبلاده .

شعبي العزيز : لقد افتتح أخي الفاروق حصن الإخاء تحت ظلال رضوى ، وتوج الله ذلك الإخاء بفضله بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله ، لم تكن بين قلوبنا في بلدينا فحسب ، بل كانت سبيلا وطريقا لاجتماع كلمة العرب على ما يجمع شملهم ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم في كل موطن من مواطن العروبة .

ومن فضل الله علينا جميعا أن كانت كلمتنا في هذه الزيارة والتي قبلها مجتمعة على

مواصلة جهودنا فى سبيل تأييد جامعة الدول العربية ، وبذل كل مرتخص وغال فى تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه الخير لدول الجامعة، بل لما فيه الخير لسائر البلاد الإسلامية والعربية . وسنستمر على هذه السياسة بمشيئة الله ماحيينا ، وسنورثها بنينا حتى يظل العربي يشعر فى كل موطن يمر به من بلاد العرب أنه يسير فى موطنه ويعتز به فى وطنه وبلاده .

شعبي العزيز : ليس البيان بمسعف فى وصف ما لاقيت فى مملكة أخي الفاروق ، ولكن اعتزازى أنى كنت أشعر أن جيش مصر العربي هو جيشكم وجيشكم هو جيش مصر ، وحضارة مصر هى حضارتكم وحضارتكم هى حضارة مصر والجيشان والحضارتان جند للعرب وركن من أركان حضارتهما .

بهذه الروح فتح أخي الملك الفاروق العهد بيننا، وبهذه الروح استقبلني أخي الفاروق وحكومته وشعبه، وبهذه الروح أعود إليكم، وليس لى وأنتم تستقبلونني وأنا أستقبل البيت الحرام إلا أن أدعو الله أن يحفظ للكنانة مليكها ، وأن يبلغها مناها من الهناء والسعادة ، وأن يجمع بفضله قلوب ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم لما فيه العز والخير ، وأن يجزى الله عنا إخواننا وإخوانكم فى مصر خير الجزاء ، فلقد أحاطونى بقلوبهم وغمرونى بكرمهم ، وما راء كمن سمعا ، والسلام .

فلسطين والاتحاد العربي

فى ٢١ مارس سنة ١٩٤٣م زار مندوب مجلة لايف الأمريكية المستر بوش جلالة الملك مستطلعا رأيه فى مسألة فلسطين، فأفضى إليه بالحديث الآتى . وقد نشرته عموم صحف العالم قال جلالته :

إن رأيي فى مسألة فلسطين لم أعلن عنه حتى الآن للعرب وذلك تحاشيا من أن أضعهم فى موقف حرج فى هذه الآونة مع الحلفاء ، ولكن بمناسبة زيارتكم لنا ولأنكم من أصدقائنا أحببت أن تطلعوا على ماعندى لأجل بيانه للشعب الأمريكى الصديق ليفهم الحقيقة .

أولا : إننى لا أعلم أن لليهود أمرا يبرر مطالبتهم فى فلسطين، لأن فلسطين كانت من قبل البعثة المحمدية بقرون لبنى إسرائيل وقد تسلط عليهم الرومان فى ذلك الوقت

وقتلوهم وشتتوا شملهم ولم يبق أثر لحكومتهم فيها . وقد استولى العرب عليها وافتكوها من الرومان منذ ألف وثلاثمائة سنة وكسور ، وهى من ذلك الوقت بيد المسلمين . ومن هذا يظهر أن ليس لليهود حق فى دعواهم هذه، لأن جميع بلدان العالم تقلبت عليها شعوب تملكها وصارت وطنا لهم لامنازع فيه ؛ فلو أردنا تعقيب نظرية اليهود لوجب على كثير من شعوب العالم المستقرة أن ترحل من بلادها وفلسطين من ضمن هذه البلاد .

ثانيا : إننى لم أخش من اليهود ومن أن تكون لهم دولة أو سلطة لافى بلاد العرب ولا فى غيرها بموجب ما أخبرنا به المولى سبحانه وتعالى على لسان رسوله فى كتابه الكريم .

وأرى أن تشبث اليهود فى هذه البلاد من الخطأ :

أولا : لأن فى ذلك ظلما للعرب والمسلمين عموما .

ثانيا : لأن ذلك مما يورث الفتن والقلاقل بين المسلمين وأصدقائهم الحلفاء . وهذا شىء لا فائدة فيه . ثم بعد ذلك إذا كان اليهود مضطرين إلى محل يسكنونه فبلاد أوربا وأمريكا وغيرها من البلدان أوسع وأخصب من هذه البلاد وأتم لمصالحهم ، وهذا هو الإنصاف، ولا فائدة فى إدخال الحلفاء والمسلمين فى مشكلة ليس من ورائها طائل . أما سكان فلسطين القدماء من اليهود فمن رأيى أن يتفق العرب مع أصدقائهم لحفظ مصالحهم ، على شرط أن لا يعمل اليهود أعمالا تنشأ منها مشاغبة وفتن لاتكون فى صالح الجميع ، وأن يعطوا ضمانا بكفالة الحلفاء بأن لايسعوا فى شراء أملاك العرب التى هى حياتهم بما لهم من قدرة بالأموال الطائلة لأجل تنفيذ مقاصدهم ، لأن فى ذلك ضياعا ومضرة لأهل فلسطين ، ويسبب لهم الفقر والاضمحلال ، وموجب لحدوث مشكلة ثانيـــة بالطبع . أما العرب فإنهم يعطونهم حقوقهم اللازمة ويتعهدون بها .

ثم سأل المندوب جلالته عن رأيه فى مسألة الاتحاد العربى ؟ فأجاب جلالته على ذلك بما نصه :

إنه ليس بين العرب خلاف ، ومن المعتقد أنه بعد الحرب يحصل بينهم اتحاد بمساعدة الحلفاء .

الملك وقضية فلسطين

على أثر توقيع ميثاق هيئة الأمم المتحدة وبمناسبة الصداقة الشخصية التى توثقت عراها بين جلالته ورئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية بعث جلالة الملك إلى فخامته رسالة يوضح فيها قضية فلسطين توضيحا تاما، هذا نصه : الرقم ٢٦/٤/١/٤٥.

التاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٤٥ م .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأفخم .

ياصاحب الفخامة :

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشاركم السرور فى انتصار المبادىء التى أعلنت الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكر الشخصيات العظيمة التى بيدها بعد الله تصريف مقاليد نظام العالم بحق صريح قائم منذ عرف التاريخ ويراد الآن القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلا ولا نظيرا . ذلك هو حق العرب فى فلسطين الذى يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم التى اخترعوها وبيتوها وعملوا لها فى أنحاء العالم من الدعايات الكاذبة، وعملوا فى فلسطين من المظالم وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا مما علم بعضه الناس وبقى الكثير منه تحت طى الخفاء ، وهم يعدون العدة لخلق شكل نازى فاشستى بين سمع الديموقراطية وبصرها فى وسط بلاد العرب ، بل فى قلب بلاد العرب وفى قلب الشرق الذى أخلص العمل لقضية الحلفاء فى هذه الظروف الحرجة .

إن حق الحياة لكل شعب فى موطنه الذى يعيش فيه حق طبيعى ضمنته الحقوق الطبيعية، وأقرتها مبادىء الإنسانية ، وأعلنها الحلفاء فى ميثاق الأطلنطيق وفى مناسبات متعددة والحق الطبيعى للعرب فى فلسطين لايحتاج لبيانات ؛ فقد ذكرت غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت وللحكومة البريطانية فى عدة مناسبات أن العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم عصور التاريخ ،وكانوا سادتها والأكثرية الساحقة فيها فى كل العصور

وإننا نشير إشارة موجزة إلى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين حتى اليوم ليتبين بأن دعوى الصهيونية فى فلسطين لاتقوم على أساس تاريخى صحيح .

يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وأول من توطن فيها الكنعانيون، وهى قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب وكانت مساكنهم الأولى فى منخفضات الأرض ولذلك سموا كنعانيين .

وفى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين) بقيادة النبى إبراهيم فريق من اليهود وأقاموا فى فلسطين ثم هاجروا إلى مصر بسبب المجاعات حيث استعبدهم الفراعنة .

وقد ظل اليهود مشردين فيها إلى أن أنقذهم النبى موسى من غربتهم وعاد بهم إلى أرض كنعان عن طريق الجنوب الشرقى فى زمن رمسيس الثانى سنة ١٢٥٠ أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد .

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائد اليهود الذى فتح فلسطين كان يشوع بن نون وهو الذى عبر بجيشه واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشه (حرقوا كل مافى المدينة واقتلوا كل رجل وامرأة وكل طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها) يشوع ٢٤/٢١/١٦ .

وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلى مملكتين مملكة إسرائيل وقصبتها — السامرة — نابلس ، وقد دامت ٢٥٠ سنة ثم سقطت فى يد شلمناصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبى شعبها إلى مملكته .

ثم مملكة يهوذا وقصبتها أورشليم — القدس — وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل ، ثم أبيدت يد نبوخذناصر ملك بابل الذى أحرق المدينة والهيكل بالنار ، وسبى الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد . ودام السبى البابلى مدة ٧٠ سنة ثم رجع اليهود إلى فلسطين بأمر قوش ملك الفرس .

ثم تلا ذلك الفتح اليونانى بقيادة إسكندر المقدونى سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، ودام حكمه فى فلسطين مدة ٢٧٢ سنة . وجاء بعده الفتح الرومانى سنة ٦٣ قبل الميلاد بقيادة بومبى . ودام حكم الرومان فى فلسطين مدة ٧٠٠ سنة .

وفى سنة ٦٣٧ ميلادية احتل العرب فلسطين ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة

متواصلة ؛ وكانت وصية الخليفة للفاتح (لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا ، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأناس قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) وقد ذكر هذا ابن الأثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم فى فلسطين إلى الأتراك سنة ١٥١٧ ميلادية فى زمن السلطان سليم الأول ، وظلت فلسطين فى حوزتهم مدة ٤٠٠ سنة ، وكان العرب سكانها وكانوا شركاء مع الأتراك فى حكمها وإدارتها ؛ وفى سنة ١٩١٨ احتلها البريطانيون ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية يدل على أن العرب أول سكانها ، سكنوها منذ ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة قبل الميلاد واستمر سكناهم فيها بعد الميلاد إلى اليوم ، وحكموها وحدهم ومع الأتراك ألفا وثلثمائة سنة تقريبا . أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها إقامات متفرقة مشوشة .

ومنذ سنة ٢٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود فى فلسطين أى وجود أو حكم إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ .

ومعنى ذلك أن اليهود منذ ألفين ومائتى سنة لم يكن لهم فى فلسطين عدد ولا نفوذ ؛ ولما دخل البريطانيون فى فلسطين لم يكن عدد اليهود يزيد على ثمانين ألفا كانوا يعيشون فى رغد وهناء ورخاء مع سكان البلاد الأصليين من العرب، ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين فى حقبة متفرقة من الزمن ثم أخرجوا منذ أكثر من ألفى سنة .

أما الحقوق الثابتة للعرب فى فلسطين فتستند :

١) على حق الاستيطان الذى استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ولم يخرجوا عنها فى يوم من الأيام .

٢) وعلى الحق الطبيعى فى الحياة .

٣) ولوجود بلادهم المقدسة فيها .

٤) ليس العرب دخلاء على فلسطين ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانهم فيها .

أما اليهود فإن دعواهم التاريخية هى مغالطة ، ثم إن حكمهم القصير فى فترات متقطعة كما ذكرنا لا يعطيهم أى حق فى ادعائهم أنهم أصحاب البلاد، لأن احتلال بلد ما ثم الخروج منه لا يخول لأى شعب ادعاءه ملكية تلك البلاد والمطالبة بذلك ، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال .

إن حل قضية اليهود المضطهدين فى العالم تختلف عن قضية الصهيونية الجائرة ، فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليها جميع العالم ، وفلسطين قد تحملت قسطا فوق طاقتها .

وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم فى بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الأصليين فأمر لا مثيل له فى التاريخ البشرى .

وإنا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية فى فلسطين لا يعنى خطرا يهدد فلسطين وحدها فحسب ، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية ؛ وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ماينوونه فى فلسطين وفى سائر البلاد المجاورة فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ؛ ومن خطأ القول أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وإن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم . وإنا نقول : إن أعمال الصهيونيين فى فلسطين وفى خارجه صادرة عن برنامج موافق عليه ومرضى عنه من سائر اليهودية الصهيونية؛ وقد بدأ هؤلاء أعمالهم المنكرة فى الإساءة للحكومة التى أحسنت إليهم وآوتهم وهى الحكومة البريطانية ، فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشكيلات عسكرية خطيرة تملك فى فلسطين فى الوقت الحاضر كل ماتحتاجه من الأسلحة والمعدات الحربية ، ثم قام أفرادها بشتى الاعتداءات ، وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذى كان ممتلئا بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو اللورد موين ؛ ومما يدل على أن فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من مجموع اليهود هى المظاهر والمساعى التى قام بها رجال الصهيونية فى كل مكان فى طلب تخفيف العقوبة عن المجرمين ليجرءوا على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التى أحسنت إليهم كل الإحسان ، فكيف يكون الحال لو مكنوا من أغراضهم وأصبحت فلسطين بلدا خالصة لهم يفعلون فيها وفى جوارها مايريدون ؟ .

لو ترك الأمر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين ربما هان الأمر ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب ، فاليهود الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية ، بل قامت بتدبير حبائل الشر وبدأتها ببريطانيا ، وأنذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها . فإذا كانت الحكومات المتحالفة التى تشعر العرب بصداقتها تريد أن تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهودية ، فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج .

وإن أخشى ماتخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو :

١) أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .

٢) ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل فى إفساد مابين العرب والحلفاء ، وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين فى مقتل اللورد موين فى مصر ، فقد قدر اليهود إن خفى فاعلو الجريمة فسيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر .

٣) أن مطامع اليهود ليست فى فلسطين وحدها فإن ما أعدوه من العدة يدل على أنهم ينوون العدوان على ماجاورها من البلدان العربية .

٤) لو تصورنا استقلال اليهود فى مكان ما فى فلسطين فما الذى يمنعهم عن الاتفاق مع أى جبهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب ، وهم قد بدءوا بعدوانهم على بريطانيا بينما هم تحت حمايتها ورحمتها .

لاشك أن هذه أمور ينبغى أخذها بعين الاعتبار فى إقرار السلم فى العالم عندماينظر فى قضية فلسطين ، ففضلا عن أن حشد اليهود فى فلسطين لايستند إلى حجة تاريخية ولا إلى حق طبيعى ، وأنه ظلم مطلق فهو فى نفس الوقت يشكل خطرا على السلم وعلى العرب وعلى الشرق الأوسط .

وصفوة القول أن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية لكيان العرب ومهددا للسلم باستمرار لأنه لابد وأن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب ، فإذا نفد صبر العرب يوما من الأيام ويئسوا من مستقبلهم فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة إزاء هذا العدوان وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء العاملين على سيادة السلم واحترام الحقوق . ولا نشك بأنهم لايرضون هذه الحالة المقلقة لسلام الشرق الأوسط .

ما كنت أريد فى هذا المعترك العظيم أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين فى هذه الحرب العظمى بهذا الموضوع وكنت أفضل — وأنا واثق من إنصاف العرب من قبل دول الحلفاء — أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب لولا ماتراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج غير مقدرين الظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرها ، عاملين للتأثير على الحلفاء بكل أنواع الضغط ليحملوهم على اتخاذ خطة ضد العرب تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادئ الحق والعدل ؛ لذلك أردت بيان حق العرب فى فلسطين على حقيقته لدحض الحجج الواهية التى تدعيها هذه الشرذمة من اليهود الصهيونية دفعا لعدوانهم وبيانا للحقائق حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب فى بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم . فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم فى عدم التشويش على الحلفاء فى الظروف الحاضرة فيأخذوا من الحلفاء مالا حق لهم فيه .

وكل مانرجوه هو أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود فى أى أمر جديد يعتبر خطرا على العرب وعلى مستقبلهم فى سائر أوطانهم ، ويكون العرب مطمئنين إلى العدل والإنصاف فى أوطانهم .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى ؟ الختم الملكى

وقد أجاب على هذا الخطاب فخامة رئيس الجمهورية بما يأتى :

البيت الأبيض — واشنطن ٥ إبريل سنة ١٩٤٥ م .

الصديق الطيب العظيم .

حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

ملك المملكة العربية السعودية ـ الرياض .

لقد تلقيت الرسالة التى بعثتموها جلالتكم لى بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٩٤٥م والتى أشرتم فيها إلى قضية فلسطين واهتمام العرب المستمر بسير التطورات التى تؤثر فى تلك البلاد .

إننى معتن أن جلالتكم انتهزتم هذه الفرصة لإلفات انتباهى لآرائى فى هذه القضية، وقد أعطيت أدق الانتباه للبيانات التى أدرجتموها فى كتابكم ، وإنى أيضا لملىء الخاطر بالمحادثات التى لاتنسى التى جرت بيننا منذ أمد غير بعيد والتى فى أثنائها تهيأت لى الفرصة لإدراك أى أثر حى لآراء جلالتكم فى هذه القضية .

تتذكرون جلالتكم أنه فى مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين ، وأوضحت رغبتنا بأن لايتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسى فى تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود . ولا شك أن جلالتكم تذكرون أيضا أنه خلال محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أنى سوف لا أتخذ أى عمل بصفتى رئيسا للفرع التنفيذى لهذه الحكومة يبرهن أنه عدائى للشعب العربى .

وإنه لمما يسرنى أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التى تلقيتموها جلالتكم سابقا بخصوص موقف حكومتى وموقفى كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وإن علمكم بأن سياسة هذه الحكومة فى هذا الخصوص غير متغيرة .

وإنى أرغب فى هذا الوقت لأبعث لكم أحسن تمنياتى بدوام صحة جلالتكم ورفاهية شعبكم .

صديقكم الطيب ـ (التوقيع) فرانكلن د . روزفلت

فى قضية فلسطين

وصل إلى الرياض فى مساء يوم الاثنين ١٥ ربيع الثانى أعضاء لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية فى قضية فلسطين ، وقد حدد لهم جلالة الملك موعدا للمقابلة فى اليوم الثانى ، وأمر أن تسلم إليهم المذكرة التى أعدها جلالته عن هذا الموضوع هذا نصها :

١) إن كل مالدى من معلومات وآراء فى قضية فلسطين أبديتها للحكومة البريطانية فى مذكرات وأحاديث متعددة ، كما أبديتها للحكومة الأمريكية بواسطة رسائل ثلاثة بعثتها لصديق الراحل العظيم المستر روزفلت ، وأوضحت له فى اجتماعى به فى مياه الإسماعيلية حقيقة ماعندى وما عند العرب والمسلمين فى هذه القضية ، فما كان منها عندكم فأنتم مطلعون عليه ، وما ليس عندكم فهو موجود فى ديوانى يمكنكم الاطلاع عليه .

٢) بشأن الموقف الحاضر فى فلسطين ، قد قدمت لكم جامعة الدول العربية الآراء التى تعبر بها عن رأى حكومتى وتعبر بها عن آراء سائر الحكومات العربية ، وقد أيد ذلك سائر مندوبى دول الجامعة .

٣) إن الذى يدعو للحيرة فى هذا الموقف هو الاعتداء المجسم الصريح على

حقوق العرب فى بلادهم فلسطين ، ذلك الحق الطبيعى الذى جاءت بريطانيا ومن ورائها اليوم أمريكا لتأييد هذا العدوان الصهيونى على بلاد العرب برغم كل الوعود الصريحة التى قطعت فى شتى المناسبات :

(ا) فانظروا تصريح الحكومية البريطانية فى يونيو ١٩١٨م للسبعة من العرب فى القاهرة الذى عرف بتصريح السبعة .

(ب) انظروا التصريح البريطانى ـ الفرنسى الصادر بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨م ففيهما الوعود القاطعة للعرب .

(ج) انظروا للفقرة الأخيرة التى جاءت فى كتاب الرئيس روزفلت بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٩٤٥ م حيث يقول لى : وجلالتكم تذكرون أيضا بدون شك أنه أثناء محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أننى لن أقوم بأى عمل بصفتى رئيسا للسلطة التنفيذية فى هذه الحكومة يمكن أن يضر بالعرب ، وهذه كلها صدرت بعد وعد بلفور فضلا عن الوعود التى كانت للعرب قبله .

٤) لقد علمت أن الصهيونيين أطلعوكم على بعض المزارع والمصانع التى أوجدوها فى فلسطين ليلفتوا أنظاركم إلى مقدار مايمكن أن يخدموا بها البلاد ، ويبنوا لكم أنهم عمروا البلاد التى عجز العرب عن إعمارها ، ومن الإنصاف أن تنظروا للحقيقة الواقعة من الظلم الذى لامساواة فيه ولا عدل ـ فهؤلاء الصهيونيون أخذوا تأييدا من برطانيا وأمريكا بشكل لم يسبق له مثيل إزاء أى أمة أخرى ، ففتحت الحكومة البريطانية لهم سائر الطرق حتى تمكنوا من تطبيق برنامجهم ، فجمعوا لذلك الأموال الطائلة من البلاد التى يقيمون فيها فاشتروا الأرض الذى تساوى خمسة بخمسين ، وأخذوا ينفقون عليها بغير حساب من منابع خاصة لأغراضهم الخاصة وهى احتلال فلسطين وإخراج أهلها منها فشردوا العرب منها وطردوهم بقوة الحكومة ، إذ كل قرية يشترونها يخرجون أهلها العرب ثم يمحون آثار القرية ويغيرون اسمها ومعالمها بعد تشريد العرب ، وبذلك شغل الأهلون بفقرهم وبدفاعهم عن أنفسهم والنظر فى حالتهم عن أى عمران .

لقد ملأت الحكومة البريطانية السجون والمعتقلات من العرب ، ونصبت لهم المشانق ، وبلغ من الشدة أن دلالة الكلاب على بيت من بيوت العرب كافية لإدانة العربى ، كل ذلك وهم صامدون صابرون لنيل حقوقهم الطبيعية ، والصهيونيون

يقومون بأعمال من الإرهاب ، بل من الأعمال الحربية ضد القوات البريطانية فلم نسمع أن أحدا قد أعدم ، بل علمنا أن القوات البريطانية عند ما توجه لها أعمال الاعتداء من الصهيونيين تقابلها بإطلاق الرصاص فى الهواء ، والعرب ليسوا أقل من غيرهم فى الأعمال الزراعية، فقد مررتم بالقطر المصرى ووجدتم تقدمه الزراعى ؛ كذلك فى سوريا والعراق ، وهذه بوادر التقدم فى أراضينا الزراعية .

أما أن يغدق المال بغير حساب على الصهيونيين ، ويقومون بأعمال عمرانية لاتدر إلا الخسائر المادية ، ولو كلفوا بها أفرادا لما قامت وارداتها بمصاريفها ، ويغفر لهم جميع إجرامهم ثم يعامل العرب فى فلسطين بأقسى أنواع المعاملات إلى الآن ، ثم يقال إن الصهيونيين أهل تعمير ، والعرب متأخرون ، فهذا منطق معكوس ولا يقوله إلا من يريد إقامة حجة لإنفاذ الظلم .

٥) وإذا كان منطق الأشياء يطبق على العموم ، ولا يكال الكيل بمكيالين والوزن بميزانين ، فالحق والإنصاف أبلج لذى عينين . نرى رئيس الولايات المتحدة المستر ترومان المحترم يعلن — والكل يعلم — ماهو تأثير المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة المنتصرة فى هذا الصراع التاريخى، ويطلب دخول مائة ألف يهودى إلى فلسطين الضيقة باسم الإنسانية والرحمة على حساب العرب الضعفاء ، نقول يطلب دخولهم إلى تلك البلدة التى سيكون لكل أربعة وأربعين نسمة ميلا مربعا واحدا ، بينما نفس المستر ترومان فى الوقت ذاته لايقبل فى بلدة أمريكا الواسعة الغنية إلا دخول تسعة وثلاثين ألف نسمة بحيث يكون للرجل النازح إليها خمسة وسبعون ميلا مربعا .

إن القيام بعمل كهذا ، والمناداة به من طرف أنصار الحق والقائمين على الظلم والاعتساف لمن دواعى الأسف الشديد ، وإنها لمغالطة أمام الحق والإنصاف ، والقيام بمثل هذا العمل يغنى عن التعليق والنقد ، إذ نترك لضمير الإنسانية والتاريخ القول الفصل فى ذلك . ولا يمكننا أن نسكت ونحن فى معرض القول عن الأراضى الواسعة الخالية فى هذه الكرة الأرضية مثل استراليا ونيوزيلندا والأمريكتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التى يمكنها أن تؤوى وتسعد أضعاف أضعاف مقدار يهود العالم ، ولكن لكون مالكى هذه الأراضى أقوياء

ويسندهم حق القوة لا يكلفون بإيوائهم ولا يلامون - إذا كلفوا - على رفضهم لمثل هذا الطلب الإنسانى الذى يعد فضيلة ووطنية .

٦) أنا صديق لبريطانيا وصديق لأميريكا وسياستى قائمة على تحسين سياستى مع هاتين الدولتين بل مع سائر دول العالم ، وقائمة على تحسين السياسة بين العرب وهاتين الدولتين أيضا ، ولا أريد أن تضطرنى الأيام بالرغم عنا وبغير إرادتنا إلى أن نتعادى مع بريطانيا وأمريكا لدفع هذا الضرر المميت لنا جميعا . وأحب أن تكونوا على يقين بأنه إذا استمرت هذه السياسة فى استمرار الهجرة وبيع الأراضى ، ومنع العرب من حقوقهم الطبيعية والتى وعدوا بالمحافظة عليها ؛ فإن الحكومتين البريطانية والأمريكية لا تستهدفان لنقمة العرب وحدهم فحسب ، بل إنهما سيستهدفان لنقمة كل من يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله من عرب وعجم وهند وسند وصين وكل مسلم على وجه الكرة الأرضية فى مشرق الأرض ومغربها وشمالها وجنوبها ، وهذا لا مصلحة لأحد منه وفيه الضرر كل الضرر على المسلمين والعرب وعلى بريطانيا وأميركا ، والصهيونيون لا يهمهم مصلحة بريطانيا ولا أمريكا ولا العرب ، ولا يهمهم إلا مصلحة أنفسهم ؛ ولو تقوى اليهود فى هذا المكان الدقيق وصارت لهم دولة لا سمح الله فمن السهل عليهم أن يكونوا فى جانب أى قوة تعادى بريطانيا وأمريكا ، لأن الذين يقاتلون البريطانيين الذين أحسنوا إليهم وآووهم وقاموا فى وجوههم أيام الحرب ، من السهل أن يقوموا عليهم فى أحرج من هذه الأوقات .

الملك ولجنة التحقيق

تشرفت لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية بمقابلة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى قصره الملكى بالرياض صباح الثلاثاء ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩ مارس سنة ١٩٤٦ م وكانت مؤلفة من الرئيس السير جون سنجلتون والعضوين الميجر مانتجهام بولور والمستر باكستون .

وأعربت اللجنة بعد تبادل التحية عن رغبتها فى أن تستمع إلى آراء جلالته فى موضوع فلسطين الذى حضرت من أجله ؛ فتفضل جلالته بقوله : إن عليهم وقد حضروا للسؤال ومعرفة الآراء أن يبدءوا هم بأسئلتهم ، فقال رئيس اللجنة : إن اللجنة كما يعلم جلالة الملك قد أوفدتها الحكومتان البريطانية والأمريكية لتحقق

وتسعى للوصول إلى حل مرض لمشكلة فلسطين الحاضرة ، وبعد انتهائها من زيارة مختلف البلدان العربية وغيرها ستقدم ما يتجمع لديها من معلومات .وتقارير إلى الحكومتين البريطانية والأمريكية .

وتنحصر مهمتها فى معرفة ما لدى الجميع لتقديم تقريرها إلى الحكومتين المذكورتين ، وليس لها أن تتعدى ذلك ، كما أنه ليس من اختصاصها أن تؤيد فريقا دون آخر أو تفصل فى القضية بحكم فى صالح قوم دون آخرين . وقال : إنهم ليعلمون أن موضوع فلسطين يهم جلالة الملك عبد العزيز كثيرا ، ولذلك فهم يقدمون شكرهم لجلالته على قبوله لهم ليسمعوا آراء جلالته الشخصية فى هذا الموضوع .

وتفضل جلالته بعد سماع كلمة الرئيس فأبان أن أمر فلسطين يهمه كثيرا ، وذلك لأنه عربى مسلم قبل كل شىء ، والعربى للعربى والمسلم للمسلم .

وقال جلالته : إنه وجميع العرب أصدقاء للحلفاء ، ومن رأى جلالته أن مصلحة العرب مسلميهم ومسيحيهم دوام الصداقة والاتفاق مع الحلفاء ، وإن هذه الصداقة وهذا الاتفاق هما من مصلحة الحلفاء أيضا ولا سيما مسلمى الهند بأن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا لأن ذلك من مصلحتهم . فأبدى رئيس اللجنة شكره لجلالة الملك على هذه النصيحة .

واستمر جلالته فى حديثه قائلا : إن قضية الصهيونية فى فلسطين تهم المسلمين والعرب بصورة عامة وتهمنى بصورة خاصة ، وإن العداوة التى بين اليهود والمسلمين ليست وليدة عهد جديد وإنما هى نتيجة عداء قديم يرجع إلى آلاف السنين ، وقد ذكرها الله فى كتابه حيث قال (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) .

وذكر جلالته أن ما جاء فى هذه الآية الكريمة هو عماد سياسته وسياسة المسلمين الدينية . وقال : أما الذى يهمنى بصورة خاصة فى هذه القضية زيادة عما يهم غيرى من المسلمين فهو أننى من العرب والعرب والمسلمون يعرفون ديانتى وتمسكى بأحكام الإسلام ، وما أقول عنهم يقبلونه عنى لحسن ظنهم بى وما يعرفونه من صدق نيتى وتمسكى بعقيدتى .

ثم قال جلالته : اليهود أعداؤنا فى كل مكان وهم فى كل بقعة يأتون إليها يفسدون ويعملون ضد مصلحتنا ، وإنى لعلى يقين :

أولا : من أن اليهود الصهيونيين لايدخرون وسعا فى إحداث الاختلافات بين العرب وصديقتهم بريطانيا وأمريكا . وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه .

وثانيا : أن هجرة اليهود إذا استمرت على ماهى عليه وتوسعت أملاكهم فى فلسطين فسيكونون خطرا على العرب كافة لأن لديهم جميع الوسائل لإمدادهم بالأسلحة والنقود وغيرها ، ولا شك فى أنهم سيستعملون هذا ضد العرب ، وهو فى نفس الوقت فيه إشكال على البريطانيين . والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين . هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود ؟ هل رأت اليهود فى ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم ، ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين وما هم عليه من الفقر والعوز ؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات وأملاك وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الأشقياء ، ويعنون بذلك العرب ؟ إذا رأت اللجنة أن تسأل عن أسباب ذلك فإنى أخبرها بالأسباب التى أوصلت الفريقين إلى ماهم فيه .

فتكلم رئيس اللجنة راجيا من جلالة الملك أن يتفضل بذكر الأسباب وما يراه لمعالجة الحالة فى فلسطين .

فأجاب جلالته موضحا الأسباب فى حال العرب الحاضرة بأنها تتلخص فى جملة واحدة ، وهى أن العرب نهضوا للدفاع عن بلادهم والمطالبة بحقوقهم واستعادة ماسلب منهم . ثم تكلم جلالته عن الأسباب التى جعلت اليهود يتقدمون فى مرافقهم من زراعة وغيرها والتى جعلتهم يسبقون العرب فى هذه المراحل فقال:

كيف يتسنى للعرب أن يباروا اليهود ، وهم ما بين مصلوب على أعواد المشانق ، وسجين وشريد ومغرّب ؟ كيف يتسنى لهم أن يتقدموا وهذه العقبات أمامهم ؟ بينما اليهود تسهل لهم جميع الوسائل ، وكلما تكلم العرب مطالبين بحقوقهم لم يجدوا من يعينهم على أمرهم أو يسمع شكواهم ؟ .

أما اليهود فإنهم على مرأى ومسمع منكم أيها الإنكليز يقتلون عساكركم وكبراءكم ويحاربونكم بشتى الأشكال ، وأنتم لاتجيبونهم إلا بإطلاق الرصاص فى الهواء ، كأن لم يكن بينكم وبينهم حساب .

وهنا قال رئيس اللجنة : إن الانكليز متساهلون كثيرا ، وهذا مايجعل الناس يطمعون فيهم .

فقال جلالة الملك: — ليس الخبر كالعيان ، إن التساهل فى بعض الأحوال يجعل الخطر أعظم ، والبلية أعم . وأضرب لكم مثلا بإنسان تحلق فوق رأسه الطائرات ، ويده مغلولة وخالية من السلاح ، وإنسان آخر عنده سلاح ويده طليقة ، فهل يتساوى الشخصان ؟ تلك هى حال العرب واليهود فى فلسطين .

وأشار جلالته إلى مجموع الاعتداءات التى كانت من اليهود ، وفى جملتها الاعتداء على اللورد موين . وقال : إن وفاته خسارة فادحة على العالم ؛ لأنه كان صديقا للعالم أجمع ، وعاد جلالته إلى متابعة حديثه فقال :

إننى منذ أن أوجدنى الله وصرت أسعى لاستعادة ملك آبائى وأجدادى ماعرفت من الدول غير بريطانيا — وكانت صديقتى — رأيت منها ماسرنى ، ورأت منى ما سرها .

ولما نشبت الحرب أيدت سياستها وسياسة حلفائها وثوقا منى بأن ذلك فى مصلحتى ومصلحة العرب جميعا .

لهذا السبب كانت الحكومة البريطانية ولا تزال ترغب إلىّ أن أسعى للتوفيق بينها وبين العرب منذ أيام الحرب وبعد انتهائها ، اتقاء لحدوث المشاكل بينها وبينهم . وكنت أعمل مافى وسعى مع إخوانى العرب وأنصحهم بأن لايجعلوا سبيلا لحدوث اختلاف بينهم وبين بريطانيا ؛ لأن أعداء الحلفاء هم أعداء العرب ، ويجب علينا الصبر والتروى ، وذلك لاعتقادى بانه من مصلحة العرب ، ولقد بلغ منى الأمر أن تكلمت أمام جمع من المسلمين فى مكة المكرمة ، ونصحتهم بأن يكونوا إلى جانب بريطانيا وحلفائها ، لأنها صديقتهم وتدافع فى حربها عن حقوقهم ومصالحهم ، وأن لايدعوها فى حرج من أمرها .

تكلمت بهذا فى وقت كان يجب فيه علىّ أن أكتفى بالدعوة إلى كلمة الله والتمسك بكتابه وبشريعة نبيه . والناس جميعا يعلمون أن برنامجى الذى تسير عليه حكومتى هو برنامج دينىّ خالص لامطمع لى فى مال أو زيادة ملك ، أنا وحكومتى ندعو إلى عبادة الله . والمسلمون عالمون بالأمن والسكينة والراحة فى مملكتنا ، وكل هذا من فضل الله ثم ببركة الدين .

وعلى أثر ذلك تلقى علماؤنا كتبا من العلماء فى بلاد المسلمين تنتقد موقفى . ففاتحونى بما جاءهم وأبدوا لى أنهم لايتعرضون للمسائل السياسية ولكنهم يعجبون من معاضدتى لبريطانيا فى الوقت الذى تؤوى هى فيه اليهود وتوليهم على فلسطين . فأوضحت لهم الأخطار التى تستهدف لها أوطاننا إذا انتصر أعداء بريطانيا عليها فقالوا — هل تضمن أن بريطانيا إذا انتصرت لاتؤيد اليهود ولا تؤويهم فى بلادنا ، وأنها تعامل العرب فى فلسطين بالعدل ؟

فأجبتهم . أنى لا أضمن لكم أن تفعل بريطانيا هذا أو ذاك ، ولكن ما أعرفه عن بريطانيا ووعودها التى قطعتها على نفسها هو أنه إذا لم يقم العرب بأعمال ضدها فإنها ستعاملهم بالإنصاف .

ثم وجه جلالة الملك كلامه إلى اللجنة قائلا :

وأذكر لكم أمرا واقعا، وهو أن الوزير البريطانى المفوض بجدة زارنى بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة وقال لى : إن حكومتى ترى أن حركات اليهود الحاضرة ربما تكون من حظ العرب ، لأنه كلما ازدادت حركاتهم انكشفت نياتهم . ورجانى أن أبذل جهدى لدى العرب لالتزام الهدوء ، وأقنعنى بأن هذا هو خير لمصلحتهم ، فلم أدخر وسعا فى هذا السبيل إلى أن وصلنا للموقف الذى نحن فيه .

لقد وقعت الآن فى مشكل خطير أمام شعبى وجماعتى وأمام العرب والمسلمين ، فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحق الواضح ، وأن تذهب مواعيدها أدراج الرياح ، فليس أمامى إلا أن أقول للمسلمين : دونكم ونفسى ، اقتلونى ، أو أنزلونى عن الملك لأنى مستحق لذلك ، وأنا الذى جنيت عليكم وثبطت عزمكم .

هذه هى حقيقة موقفى شرحتها لكم بوضوح . تسألونى عن رأيى فى بقاء اليهود فى فلسطين ، وأنا أقول لكم : نحن ماتعدّينا على اليهود ولم نأخذ أملاكهم وبلادهم ، وإنما أخذنا فلسطين من الرومان، والعرب حكام فيها منذ ألف وثلاثمائة سنة وأكثر لانعرف اليهود ولا هم يعرفوننا، والبلاد بلادنا بحق الفتح . ونحن الذين فرحنا بنصر الحلفاء نحب أن نتمتع بلذة النصر، فهل يراد أن يتمتع غيرنا ببلادنا نتيجة لهذا النصر؟ اليهود اليوم قوتهم بالدينار، ونحن حجتنا بحقنا فى فلسطين حجة شرعية ، بلاد أخذناها من الرومان بالسيف . قاتلنا دونها وملكناها بعد أن سفكت دماؤنا فكيف يأتيها تاجر ويأخذها بالفلوس ؟ ليس هذا من الإنصاف فى شىء .

ولى كلمة أخرى أريد أن أقولها لكم : يزعم اليهود أن من المستحيل على العرب أن يحاربوا من أجل فلسطين . وأنا أقول : إن الحرب لو كانت بين العرب واليهود لما تأخر العرب دقيقة واحدة عن خوضها ، ولكن دفاع بريطانيا عن اليهود يجعل الحرب بين العرب وبريطانيا — والعرب لايحبون محاربة بريطانيا ، وأعتقد أن حكومة بريطانيا رشيدة عاقلة تدرك حقائق الأمور وتعلم أنه ليس من مصلحتها محاربة العرب أيضا كما أنه ليس من مصلحتها أن توجد لها أعداء من جميع المسلمين والمسيحيين يضمرون لها الشر فى قلوبهم، والدنيا ليست على حال واحدة، فقد يأتى يوم تقوى فيه شوكة اليهود فيكونون أول من يحاربها مع أعدائها كما يحاربونها اليوم .

لماذا تعمل بريطانيا بمساعدتها للصهيونية على تأليف مجموعة ضدها من كل مسلم يوحد الله فى الشرق والغرب ؟ وليس هذا من مصلحتها .

فقال رئيس اللجنة : إن بريطانيا دخلت حربين فى ربع قرن لأجل السلام والحرية . وبريطانيا يهمها كثيرا أن لاتضيع صداقة العرب فى الوقت الذى ندعو فيه إلى سلم عالمى .

فرد عليه جلالة الملك قائلا :

نحن يهمنا وجود السلام العالمى ، ونريد أن نعيش فى هذا العالم بسلام ، ولكن مادام اليهود يؤتى بهم لبلادنا ، وعددهم يزيد فى فلسطين يوما بعد يوم فمن المستحيل أن يستريح لنا بال ، أو يصلح لنا حال . وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت عند ما اجتمعت به فى العام الفائت مطامع اليهود ومقاصدهم ، وأشار لى فى أثناء حديثه إلى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها . فأجبته مادام اليهود فى بلادنا فلا نريد زراعة ونفضل الموت على الزراعة ، ثم أشار جلالته إلى اللجنة قائلا :

أسألكم عن رأيكم أنتم وأرضاكم حكما ، هل ترضون بأن يتعدى أحد من العرب على امرأة إنكليزية أو أمريكية ويهينها ؟ إن اليهود يأتون إلى بلاد العرب ويأخذون أملاكهم ويطردونهم ويؤذونهم ، فأى عقل أو دين أو سياسة تحمل العرب على قبول مثل هذا ؟ أنا لا أريد أن أجرح عواطفكم . والذى يحملنى على هذا القول هو صداقتى لكم . وأن من حق الصديق على صديقه أن يصارحه بالواقع .

هذا ماعندى، وإن أردتم أن تستوضحوا عن شيء ، فأنا مستعد لإجابتكم . وهذا كلامى الشخصى . وستقدم إليكم مذكرة خاصة من مستشارى توضح آرائى .

وبعد أن أتم جلالة الملك حديثه سأله رئيس اللجنة عما إذا كان قد تحدث مع المستر تشرشل والرئيس روزفلت فى هذه القضية . فأجاب :

إننى تحدثت مع الرئيس روزفلت حديثا طويلا فى قضية فلسطين سجلت خلاصته بمحضر خاص ، وقد كان من الذين حضروا حديثى مع الرئيس روزفلت الوزير الأمريكى المفوض فى جدة . وقد أطلعت المستر تشرشل على حديثى مع روزفلت وعلى الوعد الذى وعدنى به . فوعد المستر تشرشل بأن يقوم بالواجب من قبله فى مساعدة العرب وعدم الإجحاف بحقوقهم ؛ ولقد كان الرئيس روزفلت يسعى لإيجاد مكان لإيواء اليهود ، وكان مقتنعا بأن فلسطين لاتصلح أن تكون مأوى لهم ، وأن فى بلاد أوربا متسعا لهم ، إذ يمكنهم الإقامة فى الأماكن التى خلت مما أبيد من اليهود بسبب الحرب .

ولقد كان عجبا ماروى عن الرئيس ترومان ، إذ قيل إنه طلب إيواء مائة ألف يهودى فى فلسطين فى الوقت الذى لم يسمح بإيواء أكثر من تسعة وثلاثين ألف يهودى فى الولايات المتحدة كما بلغنا ذلك .

فسأل رئيس اللجنة جلالة الملك عما إذا كان يوافق على هجرة عدد من الأطفال والعجزة واليتامى اليهود الأوربيين إلى فلسطين على أن يكفلهم يهود فلسطين .

فأجاب جلالته : العرب متفقون على رفض الهجرة ، والطفل اليوم سيكون رجلا بعد بضع سنوات ، فأنا لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال .

ثم أستأذن رئيس اللجنة بأن يسمح له جلالة الملك بسؤال قد يكون فيه بعض الإزعاج . فأبدى جلالته سرورا لسماع أى سؤال ، وأنه صريح ، ويحب الصراحة . فأشار الرئيس إلى قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين إلى قسمين .

فأجاب جلالته : بأنه واحد من العرب ورأيه هو ما يجمع عليه العرب ، وقد أجمعوا على رفض التقسيم وهو واحد منهم ليس له رأى خاص يخالف ماأجمعوا عليه.

فسأل الرئيس عما إذا كان جلالة الملك يمانع فى مواصلة الهجرة اليهودية بمعدل ألف وخمسمائة شخص فى الشهر ؟

فأجاب جلالته بقوله : الموت خير لنا من قبول الهجرة ، وكل جهادنا هو لئلا يهاجر اليهود إلى فلسطين ولا يمتلكوا أراضيها .

وأشار الرئيس إلى بدء حديث جلالته عن العداوة الدينية بين العرب واليهود ، وسأل عن رأى جلالته فيما إذا امتنعت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، هل تستمر العداوة بين العرب واليهود ؟

فأجاب جلالته : إذا أرادت بريطانيا أن تحافظ على صلاتها الحسنة مع العرب فلتوقف الهجرة فى الحال ولتمنع بيع الأراضى ، لأن هذين الأمرين هما أساس المشكلات ومنبع الاضطرابات ، وتعقد مؤتمرا من رؤساء العرب والبريطانيين والأمريكيين يتفق على الطريقة التى تضمن الراحة والطمأنينة فى فلسطين ، ويزال ماهناك من خلاف ويحل السلام .

فإذا منعت الهجرة منعا باتا وأوقف بيع الأراضى أمكن الوصول إلى حل جميع المشاكل المعترضة .

فسأل عضو اللجنة البريطانى الميجرماننجهام برلرجلالة الملك : هل الحديث الذى تفضلتم بأنه كان بين جلالتكم والرئيس روزفلت هو كل ماجرى بينكما من حديث ؟ فقال جلالة الملك : إننى طلبت من الرئيس روزفلت أن أتحدث معه كرجل عربى مسلم اسمه عبد العزيز يتكلم مع رئيس الولايات المتحدة اسمه روزفلت ، فقبل الحديث معى بهذا الاعتبار ، فقلت له : لماذا تعين على هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكنهم من الاستيلاء عليها بغير حق ؟ فأجابنى بصراحة وحزم وبكل تأكيد . إننى ما أمرت بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ولا عملت أى ضغط من أجلها ، ولا يمكن أن أعمل أى عمل ضد العرب فى فلسطين ، ولن أعمل ذلك فى المستقبل . وقد أكد لى حديثه هذا لا بصفته المستر روزفلت فقط ، بل بصفته رئيس الهيئة التنفيذية للولايات المتحدة .

ولما انتهى جلالة الملك من حديثه هذا أبدى رئيس اللجنة وأعضاؤها كل بمفرده شكرهم لجلالته على تفضله بتزويدهم بهذه المعلومات ، وأبدوا إعجابهم بها لأنها صادرة من أكبر رجل عربى فى العالم ، وأنهم فخورون بهذه المعلومات التى حصلوا عليها .

للرئيس ترومان

بمناسبة وفاة المستر روزفلت رئيس جمهورية أمريكا وتولى الرئيس ترومان رياسة جمهورية أمريكا بعث حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل فى ٥ ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ﻫ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ م رسالة ملكية عن طريق وزيره المفوض فى وشنطن بخصوص قضية فلسطين جاء فيها :

إن الصداقة التى تربط بلادى ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التى تأسست بينى وبين الرئيس الراحل الرئيس روزفلت ، والصداقة التى تجددت بينى وبين فخامتكم تجعلنى شديد الحرص فى المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة ؛ ولذلك تجدونى فخامتكم ألحّ وأكرر فى كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادى ومع سائر البلاد العربية ، لكى أزيل مايمكن أن يعرقل هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم عن حقيقة الموقف فى فلسطين والحق الطبيعى للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت فى أول الأمر باسم الإنسانية ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس بخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحده .

أضف إلى ذلك أطماعهم التى بيتوها ليس لفلسطين وحدها ، بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن فى بلادنا المقدسة ، لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التى نسبت تصريحا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود فى فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة خلافا للتعهدات السابقة .

ولقد زاد فى دهشتى أن التصريح الذى نسب أخيرا لفخامتكم يتناقض مع البيان الذى طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية فى جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر فى جريدة أم القرى باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ م وذلك البيان صريح فى أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقيد بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية وبين الحكومة البريطانية والفريق

الثالث . وأظهرتم لفخامتكم رغبتكم فى اتخاذ تسهيلات فى الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفى جملتهم اليهود ؛ ولذلك كانت دهشتى عظيمة حين اطلاعى على البيان الأخير الذى نسب لفخامتكم مما جعلنى أشك بصحة نسبته إليكم لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذى صدر فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ م من البيت الأبيض ، وإنى لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذى بذل دمه وماله فى مقاومة العدوان الغاشم لايمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيونى على بلد عربى صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادئ العدل والإنصاف التى قاتلت من أجلها الأمم المتحدة وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم فى هذا السبيل .

ورغبة منى فى المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذى يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أىّ مساعدات لهذا العدوان الصهيونى ، وإنى على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل أو يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله ليقره فى سائر أنحاء العالم ، ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب فى بلادهم فلسطين التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة . واقبلوا تحياتنا .

الجهاد بالنفس والمال

فى يوم الأحد ١٧ محرم سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م أذاعت المحطات اللاسلكية قرار هيئة الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين ، وذلك بتأييد ٣٣ دولة من أعضاء الهيئة المذكورة ، ومعارضة ١٣ دولة منها وامتناع الباقين عن التصويت ، وبذلك تقررت الموافقة على التقسيم بأغلبية ثلثى الأعضاء . وقد أعلن ممثلو الدول العربية على منبر الجلسة سخطهم على القرار واحتفاظهم بحقهم ومضيهم فى خطتهم ، واحتجاجهم على أنواع الإغراء المختلفة للحصول على تلك الأغلبية ؛ وصرح رئيس وفد المملكة العربية السعودية صاحب السمو الملكى الأمير فيصل أمام الجمعية بأن قرار الأغلبية بدد جميع آمال العرب فيها ، وأن بلاده غير ملزمة به . ثم قال :

هناك أمر واحد لاسبيل إلى فهمه أو تسويغه ، ذلك هو تدخل حكومة الولايات المتحدة فى مسألة فلسطين وتأييدها الصهيونيين .

كما أنه لايمكن فهم الصمت الذى تلوذ به إزاء اعتداء الصهيونيين وأساليبهم الإرهابية .

فإذا كانت البواعث الإنسانية هى التى تدفع الولايات المتحدة إلى هذه السياسة فلم لاتفتح أبوابها للاجئين البؤساء وهى أغنى وأوسع رحابا من فلسطين التى اكتظت وابتليت بأولئك المعتدين الغرباء

وماذا سيكون موقف حكومة الولايات المتحدة وشعبها إذا جاء برلمان إحدى الدول الأجنبية وأقر قانونا بفتح الأبواب أمام هجرة اليهود لاجئين وغير لاجئين لا لشىء إلا لأن الولايات المتحدة رحبة فى إمكانها أن تستوعب الملايين .

ألا تنهض الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكى فى هذه الحالة ويندددان بمثل هذا التدخل ؟

وما خطب ميثاق الأطلنطى وميثاق هيئة الأمم المتحدة . إن المداد الذى كتبت به هذه المواد لم يجف بعد .

إننا نرى مندوب الولايات المتحدة يحاول إثارة العالم كله من أجل المسألة اليونانية فما ظنه بفلسطين ؟ هل نسى مبادئ الميثاق أم أنه ينكر تلك المبادئ .

إنى لأعجب لشعب يمنع الهجرة إلى بلده ولكنه يفرضها على بلد غيره .

ولم يكد جلالة الملك يعلم بهـــذا حتى أمر وفده فى الهيئة المذكورة بمغادرة نيويورك والسفر إلى مصر للاشتراك فى اجتماع الجامعة العربية المقبل ؛ كما استدعى وزير أمريكا المفوض فى جدة إلى الرياض على عجل وأفضى إليه ببعض تصريحات عاد أثرها إلى جدة، وأصدرت رياسة القضاة فتوى شرعية بتاريخ ٢٧ محرم بوجوب الجهاد على جميع المسلمين ضد اليهود المعتدين على فلسطين . وهاج الشعب وماج وقصد نوابه أعضاء مجلس الشورى القصر الملكى فى مكة حيث تشرفوا بمقابلة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة وعرضوا على سموه استعداد الأمة لبذل النفس والنفيس تحت اللواء السعودى لإنقاذ فلسطين ، فتفضل سموه وألقى عليهم الكلمة الآتية :

إننا مهتمون بقضية فلسطين أكثر من كل أحد ، ونحن جادون فى إنقاذها بحكمة

بالغة وهمة نادرة ، وقد تعودنا العمل فى صمت ، وأن تكون أعمالنا أكثر من أقوالنا كما تشهد بذلك سيرتنا متأسين فى هذه الخطة بالسلف الصالح وبمقتضى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) الآية

وأؤكد لكم أننا لا نود أن نكلف أحدا من سكان هذه البلاد المقدسة بشيء وأننا مستعدون لإنقاذ فلسطين بأموالنا وأنفسنا متكلين على الله الذى نستمد العون منه وحده .

فشكر المجلس لسموه هذه التصريحات القيمة ، ولكنه رغب فى تأليف لجان لجمع التبرعات فى هذا السبيل ، وأن يتفضل سموه فيقبل رياسته العليا لجميع لجان المملكة وأخوه سمو الأمير فيصل نائبا عنه ، وأن يكون أخوه سمو الأمير محمد رئيسا للجنة الرياض وأخوه سمو الأمير منصور رئيسا للجنة المركزية بمكة وسمو الأمير عبد الله الفيصل نائبا عنه وأن تكون رياسة لجان المقاطعات والملحقات لأمرائها ، فوافق سموه على ذلك وبوشر حالا بجمع التبرعات ، فبلغت فى الأيام الأولى ٢٣٩١٠٤١ ريالا عدا حلى النساء الذى تبرعن به وعدا التبرعات الأخرى من السيارات والأرزاق. واستمرت اللجان فى عملها وأسرعت اللجنة العليا بتحويل أول دفعة إلى مجلس جامعة الدول العربية وقدرها مائة ألف جنيه مصرى ومليون ليرة سورية وذلك فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ وأعقبتها أيضا بمبلغ مائة ألف جنيه مصرى أخرى أرسلتها إلى مجلس الجامعة أيضا فى أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ .

وأخذ المتطوعون من كافة أنحاء المملكة يسارعون للسفر إلى فلسطين بمحض رغبتهم واختيارهم للجهاد فى سبيل الله على حسابهم الخاص دون أن يساعدهم أحد بأى شيء من النفقات والتكاليف من سلاح وأرزاق حتى ولا فى وسائل النقل .

وقد ذهب أولئك المجاهدون الأبطال وانضموا إلى فرقة اليرموك فكونوا الأغلبية الساحقة فيها بنسبة ٨٠ ٪ .

وقامت هذه الفرقة بواجبها الدينى ببطولة فائقة أقضت مضجع اليهود وأفسدت خططهم حتى تمركزوا فى أهم المراكز المنيعة ، وسيطروا على أغلب المواقع الاستراتيجية بمهارة وشجاعة نادرة أشارت بها الصحف وعلم بها القريب والبعيد ، وأثبتوا للعالم كيف يكون الجهاد فى سبيل الله .

وقد استشهد منهم عدد كبير لا يستهان به ، أسكنهم الله فسيح الجنان .

الدفاع المشترك

لقد خدع العرب بهيئة الأمم المتحدة وظنوا بها خيرا وحسبوا أنها تحكم بالعدل وتراعى المصلحة العامة ، وأنها سوف لاتقدم على أى أمر لايقر السلام العالمى بين البشر ؛ ولذلك اندفعوا وراءها وعملوا على حضور جلساتها وعرض قضية فلسطين عليها ، والأمل يملأ جوانحهم بأن فلسطين سوف تبقى عربية كما يقضى بذلك الحق والعدل والمنطق الصحيح ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى لأنه فهم من أحاديث الملك عبد الله الخاصة أن بريطانيا العظمى ستكون فى جانبهم وأنها ستعمل على تأييدهم ، إذ هى ناقمة جدا على اليهود لكفرانهم بجميلها وإساءتهم لها ؛ ولذلك فإنها قررت إلغاء الانتداب والانسحاب نهائيا من فلسطين ، ويسرها أن يتضامن العرب ويكونوا كتلة عظيمة تستطيع أن تحتل البلاد فى الساعة التى تغادر جنودها فيها فلسطين ، وزاد على ذلك بأن له جيشا عظيما مدربا أحسن تدريب يعمل فى داخل فلسطين إلى جانب الجيش البريطانى ، وأن هذا الجيش على استعداد تام لأن يتسلم الذخائر والمهمات الحربية من زملائه الإنجليز ، ويحكم البلاد ويقرر السلام فيها إذا ماقامت الدول العربية بمؤازرته وتأييده فى الحال ، ولقد اطمأنت الدول العربية لهذه الأقوال ؟

وعند ما أعلن قرار التقسيم لم تجزع الدول العربية وقررت فيما بينها رفض القرار المذكور ، وضرورة العمل لتحرير فلسطين ورفض كل حل تقدمه هيئة الأمم إذا كان مخالفا لما ذكر . وبادرت جمعية الإخوان المسلمين وجمعية مصر الفتاة فى مصر بإرسال فرق من المتطوعين إلى فلسطين للجهاد فى سبيل الله وانضمت إلى فرق المتطوعين من أهل فلسطين وغيرها من أهالى سوريا ولبنان ، وأبلت بلاء حسنا جدا ، وقد استشهد فى ميدان الشرف كثير من زهرة رجال العرب ، وفى مقدمتهم القائد العظيم عبد القادر الحسينى . وفى ٦ رجب سنة ١٣٦٧ هـ صدر بلاغ فى مكة المكرمة رسمى رقم ١٢٠ ينص على تأييد جلالة الملك التام لجميع ما اتخذ من قرارات للدفاع عن فلسطين والاحتفاظ بعروبتها ووحدتها واستقلالها وإقرار الأمن والسلام فى ربوعها وأن جلالته قرر اشتراك المملكة العربية السعودية مع شقيقاتها فى الدفاع عسكريا عن فلسطين متضامنا مع الدول العربيـــة إلى أن تظفر فلسطين بحقها وعروبتها

بحول الله مهما طال الأمل ، وساهمت الحكومة السعودية بألف طن من المحروقات ومبلغ خمسين ألف جنيه مصرى قدمتها عن طريق الجامعة العربية ، ومبلغ عشرين ألف جنيه قدمتها عن طريق جلالة الملك عبد الله . هذا عدا الألبسة والمعاونات الأخرى التى قدمتها إلى اللاجئين الفلسطينيين .

الحرب فى فلسطين

فى يوم السبت ٧ رجب سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م انتهى الانتداب البريطانى على فلسطين وانسحب الجيش البريطانى منهـــا ، وقرر مجلس جامعة الدول العربية الزحف على فلسطين . فأرسلت بعض وحدات الجيش النظامى من المملكة العربية السعودية بمعداتها الخفيفة بالطائرات بقيادة العقيد سعيد بك الكردى ووكيل القائد عبد الله بن نامى مع هيئة أركان الحرب إلى مصر ولحقت بها السرايا الثقيلة بالبواخر إلى ميناء السويس ، ثم تحرك الجميع مع الجيش المصرى إلى ميدان القتال فى فلسطين ، وهنالك أطبقت جيوش الدول العربية باليهود وأحاطوا بهم من كل جانب حتى أشرفوا على مدينة تل أبيب ، إذ ذاك استصرخ اليهود بأنصارهم فى هيئة الأمم ، فقرروا انتداب لجنة للوساطة بين الطرفين برياسة الكونت برنادوت فقام بمهمته وطار إلى مصر وبيروت وبغداد وعمان وتل أبيب وحيفا ، واقترح عقد هدنة بين الطرفين ، وأيدته على ذلك هيئة الأمم بأغلبية أصواتها وحدد لها مدة أربعة أسابيع ابتداء من صباح يوم الجمعة ١١ يونيه سنة ١٩٤٨م الموافق ٤ شعبان سنة ١٣٦٧ على أن تظل فلسطين على وضعها الحالى حتى يتم وضع حل نهائى لمشكلتها ، ومنع دخول العتاد والقوى الحربية إلى الدول العربية وإلى فلسطين معا ، وأن يكون إلى جانبه مراقبون عسكريون لتنفيذ شروط الهدنة ، فتشاور ممثلو الدول العربية فى الأمر فأعرب الملك عبد الله عن رغبته فى قبول الهدنة ، وأن جيشه الموجود فى فلسطين بقيادة المستر كلاب مضطر إلى قبولها . ولهذا رأت الدول العربية أن الانشقاق ليس فى مصلحة العرب ، ولذلك اضطر رئيس وزراء مصر النقراشى باشا أن يعلن قبول الهدنة باسم الجميع . وأمرت الجيوش العربية بإيقاف تقدمها المطرد فى فلسطين فى اليوم المحدد .

وفى يوم الأحد ٢٧ شعبان سنة سنة ١٣٦٧ الموافق ٤ يوليو سنة ١٩٤٨ أعلنت

مقترحات الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم المتحدة لحل قضية فلسطين بعد أن تسلم ردها من الدول العربية برفضها رفضا باتا لاستنادها على تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية ، وذلك مايرفضه العرب والمسلمون بالإجماع ؛ لأنهم متفقون على ضرورة تنفيذ ميثاق العرب ، وهو أن تكون فلسطين دولة عربية موحدة مستقلة وأن تكون السيادة المطلقة فيها للعرب وحدهم . ولذلك دارت الحرب ثانياً فى تلك الجهات .

ولما أن يئس الكونت برنادوت من موافقة العرب على مشروعه صرح فى مجلس الأمن قائلا : من واجب مجلس الأمن أن يقرر قراره السريع الفعال بإيقاف القتال فى الأرض المقدسة ، وأن يصدر أمره بتجريد القدس من الصفة العسكرية . ولتنفيذ هذا الأمر يجب استخدام قوة مسلحة من الأمم المتحدة . وقال : إن العرب لم يستفيدوا من الهدنة التى دامت أربعة أسابيع بينما استفاد منها اليهود لتحسين مركزهم الدفاعى فقد قاموا بتهريب بعض الأسلحة وإدخال ٢٧ ألف مهاجر يهودى ممن هم فى سن الجندية كما طلب من مجلس الأمن تطبيق المادة ٤١ و٤٢ على الفريق الذى يرفض قرار إيقاف القتال فى الحال .

ومن أجل ذلك أصدر مجلس الأمن قرارا بتاريخ ١٥ يونيو سنة ١٩٤٨ باعتبار الحالة فى فلسطين مهددة للسلام الدولى ، وأنه لذلك يوافق على تطبيق أحكام البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة وفرض العقوبات على الدول العربية إذا هى لم تقبل من جديد وقف القتال فى فلسطين .

فما وسع مجلس جامعة الدول العربية إلا أن يبلغ السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة احتجاجاً قويا على القرار المذكور وألقى صاحب السمو الملكى الأمير فيصل على ابناء الشعب فى ليلة الاثنين ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٧ هالخطاب الآتى بين فيه الموقف وحثهم على جمع التبرعات لمساعدة منكوبى فلسطين اللاجئين حيث قال :

إن الرجل من يثبت ساعة الامتحان ، ومما لا شك فيه أننا ولله الحمد مؤمنون . وقد وعدنا ربنا حقا بأن هذه الحثالة سوف لاتقوم لها قائمة ، وأن هذا الحادث إنما هو امتحان وعقاب من الرب لعباده لقصور وقع منهم ، أو آثام ارتكبوها مما لايرضى به المولى عز وجل ، ولكن العاقبة للمتقين . ومادمنا مؤمنين بربنا متأكدين من حقنا فلايضيع حق وراءه مطالب . ونحن وإن كنا فى بلادنا آمنين ، ولم يجر علينا

ولله الحمد شئ من المآسي أو المصائب ، ولكن يجب ألا ننسى أن الإنسان رهين بأمر ربه ومايقدمه من عمل . فعلينا قبل كل شيء أن نحسن علاقتنا بربنا ونستجيب لأوامره وننتهي عن نواهيه ، وهذا هو الأساس .

والإنسان لايستطيع أن يعيش وحيدا فى هذا العالم المضطرب وكذلك الأمم ، وهؤلاء أهل فلسطين تربطنا بهم روابط كثيرة من الدين والعنصر واللغة والجوار ، يضاف إلى كل ذلك رابطة الإسلام وكفى بها رابطة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

فيجب أن نحس بما يشكو منه إخواننا إحساسا صحيحا بالقلب والنفس، إحساس الأخ لأخيه ، إحساس العضو للعضو مع التضحيات على اختلاف درجاتها ، وإذا كنا إلى الآن لم نؤد واجب التضحية كاملا فى ميدان الشرف ، فيجب على الأقل أن نشترك بعواطفنا ونعبر عنها بما نستطيعه من مساعدة لإخواننا .

وأحب أن يفهم الجميع أننا لم نجتمع هنا لنفرض على أحد شيئا بالإكراه معاذ الله أن نسلك هذه الطريقة ، وإنما اجتمعنا لنتذاكر فيما بيننا الحوادث المؤلمة التى ألمت بإخواننا أهل فلسطين فقد نزل بهم من فوادح المحن وقوارع الخطوب ما نسأل الله أن يلطف بهم فيه ، ويزيل عنهم هذه الغمة ويظفرهم بحقهم المغتصب .

ويجب على كل فرد منا أن يشعر أنه فلسطيني عربي وفوق ذلك أنه مسلم إذا توافر هذا الشعور لدينا وجب أن ننظر ماذا يجب أن نعمل ؟ لايصح لأحد أو فرد منا أن ينكمش فى نفسه أو يخجل أن يقدم مايمكنه تقديمه ، وإنى على ثقة تامة أن كل فرد لايتأخر فى تقديم مايستطيعه فى هذا السبيل .

وإذا قلت هذا فليس أمراً مني أو إيعازاً ، فالجميع فى غنى عن ذلك ، والواجب الإنساني والأخوي والديني يفرض ذلك .

وأحب أن أوجه نظر الإخوان إلى أن خير البر عاجله ، وأنتم السابقون للمكارم وقد ضربتم الرقم القياسي فيما سبق مما رفع رأس الوطن عاليا ، فيجب أن نحافظ على ذلك ، والمسألة بين أيديكم ومنكم وإليكم .

ولا شك أن جمعنا هذا الصغير لا يكفي لتمثيل الأمة وإن كانت الأمة نفسها هي عائلة واحدة ، وإنما فى هذا الجمع رمز للشعب ، وأحب أن ينقل للشعب كل ماتخذ

فى هذا الموضوع ، فكل واحد منا يكون رسولا لإخوانه الذين لم يشتركوا معنا ، وبث هذه الروح العالية حتى يكون العمل بارزا كما كان فى السابق .

والله المسئول أن يوفقنا ، ويجعلنا سباقين للخير ، ونصراء للدين والأمة ، وأن يأخذ بيدنا ، ولا يكلنا لجهودنا . وقد تبارى الناس فى ميدان التبرعات لهذا الغرض بأموال طائلة .

زيارة الملك عبد الله

لقد استطاع جلالة الملك عبد العزيز أن يمتلك قلوب الناس أجمعين بحسن سياسته وجليل أعماله فى خدمة الإسلام والعرب إلا شخصا واحدا فى الوجود هو الملك عبد الله ملك المملكة الهاشمية الذى سبق له أن أنذر ابن سعود بأنه العدو الألد له ، وأنه لايمكن أن يجد فرصة يستطيع بها أن يشكل به إلا اغتنمها ، وأنه ما فتئ يعمل لهذا الغرض بكل ما أوتى من قوة فلم ينجح .

وعند ماقررت دول الجامعة العربية أن يشترك فى القتال اشترط صاحب الجلالة الملك عبد العزيز أن لايحارب جيشه إلا إلى جانب مصر وعن طريق مصر لاعن طريق شرق الأردن ، غير أنه ما كادت الهدنة الأولى تعقد حتى عمل جلالة الملك فاروق على إزالة ما بين الملكين من جفاء دفين حتى استطاع أن يمهد السبل لزيارة جلالة الملك عبد الله لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، الأمر الذى يدل على أن جلالته قد تناسى أحقاده الماضية وآمن بأن إرادة الله لاتغالب ، وأن من المصلحة أن يضع يده إلى يد جلالته للعمل لخير العرب وتمام وحدتهم .

فبادر جلالة الملك عبد العزيز بإيفاد سعادة فؤاد بك حمزة إلى شرق الأردن لتقديم دعوة رسمية لجلالته من قبل عاهل الجزيرة فقبلها ، وتحدد لتلك الزيارة يوم معين ، ووضعت الحكومة لذلك برنامجا حافلا ، وعند ما وافى الأجل أمر جلالة الملك بإرسال طائرتين من الطائرات الملكية الخاصة فى صباح يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ١٣٦٧ ﻫ إلى المفرق فى شرق الأردن لنقل جلالة الملك عبد الله من عاصمة ملكه إلى مطار الظهران .

وقبيل ظهر يوم السبت ٢٠ شعبان سنه ١٣٦٧ﻫ هبط إلى مطار الظهران جلالة الملك عبد الله ، واستقبله فى المطار حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة منتدبا من جلالة والده الملك المعظم ، وكان كاتب هذا التاريخ من ضمن

المستقبلين فى معية صاحب السمو ولى العهد ، وقد أمضى فى الظهران سحابة يوم السبت حيث شرف المأدبة التى أقامها لجلالته سمو الأمير سعود بن جلوى أمير مقاطعة الأحساء .

وفى مساء الأحد ٢٢ شعبان سافر جلالته من الرياض يصحبه صاحب السمو ولى العهد ، وقد استقبله جلالة الملك عبد العزيز فى المطار ، وبعد أن تعانق الملكان ، وأدى حرس الشرف التحية لجلالة الضيف الكريم وأطلقت المدفعية ٢١ مدفعاً تحية لجلالته سار إلى سرادق الاستقبال حيث قدم جلالة الملك عبد الله رجال حاشيته ثم قدم جلالة الملك عبد العزيز أصحاب السمو الأمراء ورجال الحاشية ، ثم استقل الملكان السيارة الملكية إلى ميدان الاستعراض لقبول تحية كوكبة من الفرسان اشترك فيها بعض الأمراء ، ثم استعرض أهل الجهاد وكتائب من الجيش وجند الشرطة ، وبعد الانتهاء من ذلك واصل الركب الملكى سيره حيث أوصل جلالة الملك ضيفه إلى القصر الخاص المعد لنزول جلالته .

وفى المساء أقيمت فى القصر الملكى مأدبة عشاء كبرى تكريما للضيف الكريم . وكان هذا اليوم من أبهج الأيام وأرعاها للسرور والاغتباط لأنه بمثابة عهد جديد يسوده الوئام والاتحاد التام .

وقد حرص جلالة الملك عبد العزيز أن يكون استقبال الضيف الجليل على أروع ما يمكن أن يكون من الأبهة والفخامة ، ولبست الرياض ثوباً فاخرا من الزينات ، واحتشد الناس لاستقباله بالألوف ، وتبادل الملكان أرق العبارات وأجمل العواطف .

وقد قال جلالة الملك عبد العزيز عند مقابلته جلاله ضيفه بالمطار (إنها اللحظة الخالدة فى تاريخ حياتى ، إذ تم لى لقاء أخ كريم عزيز) فأجاب الملك عبد الله بقوله : (إنى أعد هذا اليوم أبق أيامى وأخلدها لأنى طالما تمنيته وقد حقق الله الآمال) .

وصرح جلالته على أثر ماشاهده من حفاوة بالغة فى الرياض بقوله :(لقدسرنى أن أرى الرياض ويحصل لى شرف التعرف بجلالة الملك عبد العزيز شخصيا ، وإن كنت أعرفه عن بعد ، وإنه لاغرابة أن أسرع إلى لقاء جلالته عند أول رغبة جديدة بدت من جلالته فاتبعها الدعوة الكريمة ، إنه سوف يكون هذا المبدأ سبب عز وإعزاز العرب ، وإنه يوم الجماعة الثانى . ولقد كان جلالته صادقاً فيما قال ، ولقد صدقت فيما قلت .

أما الشعب السعودى فهو الشعب المعروف بصدق العزيمة فى العقائد ، وبصدق اللقاء فى مواطن البأس . وأن هذا القسم الذى أعده جلالته للجهاد بفلسطين لهو القوة الضاربة فى القوات العربية ، وسيرى العالم نتيجة دخولها إلى ميادين فلسطين إن لم تأت وسائط الكونت بنتيجة مرضية عادلة . ولقد سرنى كما قلت آنفا الابتهاج المتجلى فى محيا جلالته ووجوه سمو الأمراء ، ومادل عليه هتاف الشعب .

ومما قاله جلالة الملك عبد العزيز لأخيه جلالة الملك عبد الله أثناء حفلة العشاء التى أقامها لجلالته (أقسم بالله إنه مامرّ على الرياض وعلى آل سعود ليلة أعظم من هذه الليلة ، وإنى إذ أقسم لك فانى ولله الحمد ماتعودت أن أكذب وأبالغ ، فالمسلمون فى أشد الحاجة اليوم إلى التساند والائتلاف كحاجة الناس إلى الماء الذى هو حياة الأنفس ، والماء لايعرف قيمته إلا من هو فى حاجة إليه . ونحن فى أشد الحاجة إلى مثل هذه الزيارة التى تقوى الصلات ، وتؤكد الود ، وترفع من شأن المسلمين ، ثم قال : والفضل فى هذا الاتحاد يرجع إلى أخينا الفاروق ملك مصر والسودان) .

وقد صرح جلالة الملك عبد الله لمراسل الأهرام بقوله : (إننا سنبحث معا فيما يهم العالم العربى من مسائل وأمور ، وستحظى قضـــية فلسطين التى هى شغل أخى عبد العزيز بالمحل الأكبر من هذه المباحثات التى أوقن بأننا سنخرج منها بنتيجة نبهر بها العالم أجمع .

ولقد لمست من أخى عبد العزيز مايؤكد موافقته التامة على ماانتهينا إليه من أمور عند ما اجتمعت بجلالة الأخ فاروق ومن الضرورى أن يعلم العالم العربى أن أخى عبد العزيز سيلعب دورا هاما كعادته دائما فيما يحقق للعالم العربى أهدافه ، وفيما يعود على فلسطين بالخير ويحفظ وحدتها وعروبتها) .

وفى صباح يوم الاثنين ٢١ شعبان قصد جلالة الملك عبد العزيز إلى منزل جلالة الملك عبد الله حيث اختليا بعض الوقت ودرسا فيه مايهم العرب من الشئون ، ثم عاد جلالة الملك إلى قصره ؛ وبعد انقضاء الاجتماع عقد فؤاد بك حمزة مستشار جلالة الملك عبد العزيز مؤتمرا صحفيا أذاع فيه للصحفيين باسم جلالة الملك البيان التالى :

(إننى شديد الاغتباط والسرور بزيارة أخى صاحب الجلالة الملك عبد الله ؛ وإننى أحسب هذا اليوم الذى شرف فيه بلدة الرياض يوما سعيدا مخلدا وأعتبره عهدا مباركا فى تاريخ العرب الحديث .

لقد ضرب العرب اليوم باتفاقهم وتعاونهم خير مثل للناس ، وقد أثبتوا للعالم أجمع أنهم يد واحدة ، وأنهم إخوان كالبنيان المرصوص .

أما موقفي في قضية فلسطين فهو واضح وصريح ، وهو موقف يشترك فيه إخواني أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك وأمراء ورؤساء العرب ، وأساسه عروبة فلسطين ، ومنع قيام دولة يهودية وتقسيمها بأى ثمن يكون .

وأما الصحافة فانى أحيي رجالها كما أحيي القائمين عليها ، وأثنى عليهم الثناء الذى هم أهل له ، وأتمنى لهم التوفيق فى مهمتهم الشاقة التى تهدف إلى شرح الأمور وإيضاحها للرأى العام فى البلاد العربية وخارجها .

وفى المساء قدم جلالة الملك عبد العزيز لضيفه هدية مكونة من اثنى عشر رأساً من الخيل الأصايل ، وأربع سيارات فخمة من ماركات متنوعة .

وظل جلالة الملك عبد الله فى ضيافة عاهل الجزيرة موضع الحفاوة والتكريم حتى صبيحة يوم الأربعاء ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٧هـ حيث ودع فى المطار بمثل ما استقبل به من الحفاوة والإجلال من جلالة الملك وحكومته والشعب ، وامتطى الطيارات السعودية إلى بغداد .

وقد أصدر الملكان العظيمان بياناً رسميا بتوقيعهما هذا نصه :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . لقد كان الباعث الأول على اجتماعنا رغبتنا الصادقة فى توثيق عرى الأخوة ، وتشييد بناء الصداقة والوداد بين شخصينا وشعبينا ما دام الشعب وما دام البيت إن شاء الله تعالى ، وملاحظتنا الظروف الحاضرة وما تقتضيه من اتحاد واتفاق ، واضعين نصب أعيننا مبدأين أساسيين : أولهما تقوى الله ، وثانيهما التفانى فى حفظ البيضة والذب عن الكيان ، وقد وجدنا أن فى اجتماعنا هذا كل الخير والبركة ، وقد تحققنا من وجود اتفاق تام فى وجهات نظرنا إلى الشؤون الخاصة والعامة ، واتحاد تام فى الأهداف والمرامى الوطنية والقومية ؛ ولذلك فاننا نعلن نحن عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، وعبد الله بن الحسين بن على بأننا متفقون فى أفكارنا وآرائنا وأهدافنا فى هذا الباب ، وأننا متفقون بصورة خاصة فى تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنفيه مما هو داخل فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى حدود مسئولياتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين التى نحن باذلون كل ما فى وسعنا من جهد للوصول إلى ما يضمن للعرب

استقلالهم التام وسلطانهم المطلق تجاه فلسطين وإنقاذها ، ونعلن ثقتنا التامة بالجامعة العربية ولجنتها السياسية ، واعتقادنا بأنها ستقوم بتمحيص الموقف الحاضر حق التمحيص ، وتنصح بما تراه موافقا لمصلحة العرب وضامنا لها . وإن ثقتنا بالله العظيم كبيرة فى أن النتائج ستكون موفقة إن شاء الله ، لاسيما وأننا على مثل اليقين بأن الجامعة العربية لاتهدف إلا إلى إقرار السلام فى الشرق الأوسط ، ذلك السلام الذى لايمكن أن يتم إلا بحفظ حقوق العرب وصيانة استقلال بلادهم ، وأنها إذا اضطرت للدفاع فانما تدافع عن مصالح العرب الأساسية وعن الشرف والحوزة ، والسلام

عبد العزيز آل سعود   عبد الله بن الحسين

مابعد الهدنة

ولقد عادت الحرب ثانيا بين اليهود والعرب ، وقد استكمل اليهود عدتهم بما تسرب إليهم من سلاح خلال الهدنة كما شهد بذلك الوسيط الدولى الكونت برنادوت وصارت لهم طائرات يوجهونها إلى مصر وسوريا ولبنان ، ويعملون على تقتيل العرب وإقصائهم من أماكنهم وتركهم مشردين فى الآفاق محاولين بذلك التأثير على الدول العربية وإرغامها على الاعتراف بها ، غير أن الدول العربية لم تعبأ بكل ذلك ، بل استمرت فى تقدمها مما حمل هيئة الأمم على أن تطلب بشدة من العرب إيقاف الحرب والدخول فى مفاوضة مع دولة إسرائيل التى اعترفوا بها ، واختيار ردوس مكانا للمفاوضة من جديد فى سبيل حل مشكلة فلسطين حلا سلميا ، أو لإقرار هدنة دائمة بين الطرفين ، وإلا فإن الدول سوف تحرّم تصدير السلاح إلى الدول العربية بتاتا .

وفى ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨ م وصل الكونت برنادوت إلى عاليه ، وحظى بمقابلة رئيس الجمهورية اللبنانية ووزير خارجيتها ، وسعادة عبد الرحمن بك عزام الأمين العام للجامعة العربية . وقد بسط الأخير الشروط التى يشترطها العرب لوقف القتال ووجهة نظرهم فى ذلك ، وبين إسراف مجلس الأمن فى اتهام العرب بالعدوان وتحيز الدول الكبرى وضغطها الشديد لمنع العرب من تحقيق أهدافهم بوسائلهم ؛ كما صرح له بأن هذا الاضطهاد الإجماعى لايرفع من قدر الأمم المتحدة كهيئة تعمل لكفالة السلم العالمى الإجماعى ، وأن جعل الهدنة مستديمة بعد ماثبت من أضرار ألحقتها الهدنة

السابقة بالعرب كما اعترف بذلك الوسيط نفسه ، وجعل هذه الهدنة دائمة من غير تحديد أمد لها ، ولا تعيين الشروط التي يجب وضعها كوقف الهجرة الصهيونية، وعودة المشردين العرب إلى ديارهم ، وتأمينهم على أملاكهم وأعمالهم مع فرض الرقابة على دخول السلاح والعتاد ، من شأنه أن يجعل العرب رهن شروط تعسفية مخالفة لمصلحتهم ويضطرهم حتما إلى استئناف القتال فى أى وقت من الأوقات مهما تكن النتائج .

وأما بالنسبة لمدينة القدس والمحافظة على مكانتها الدينية ووضعها الخاص ، فان العرب مع قبولهم إدامة وقف القتال فيها لا يستطيعون أن يصبروا على تموين مائة ألف يهودى محاصرين فيها بينما يشرد العرب من ديارهم وتنهب أموالهم وأملاكهم فى المناطق التى استولى عليها اليهود ؛ وقد أجاب الكونت بأنه سينظر فى كل هذه المسائل بعين الاعتبار والرجوع إلى مجلس الأمن فيما يقتضى الرجوع إليه فيه ؛ واتفق أخيراً على تكوين لجنة من الطرفين للبحث فى الشروط المناسبة لاستقرار السلم فى منطقة القدس ، واقترح الكونت من جانبه تعيين مسيو مون وكيلا عسكرياً له ؛ بينما اقترح لعضوية اللجنة حضرات الأمين العام أحمد حلمى باشا ، والدكتور حسين الخالدى بك ، والأستاذين أحمد الشقيرى وهنرى كتن : إما البحث فى إيجاد تسوية دائمة لقضية فلسطين على الأسس التى أشار إليها الكونت ، فقد اعتذر الأمين العام عن البحث فيها مؤكدا أن العرب يرفضون بشدة كل حل يؤدى إلى التقسيم أو إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وأنهم يعتمدون على الله ثم على أنفسهم وعدالة حقهم .

وعلى أثر هذا رأى أهل فلسطين أن تؤسس لهم حكومة مؤقتة ، فقرروا فى ٢٢ القعدة سنة ١٣٦٧ هـ . الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٨ م تأليف هذه الحكومة فى غزة باسم حكومة عموم فلسطين ؛ وعهد برياستها إلى الزعيم أحمد حلمى باشا ، واعترفت بها جميع دول الجامعة ماعدا العراق وشرق الأردن .

ولقد استمرت الحالة بين أخذ ورد والكونت برنادوت قائم بأمر الوساطة ، متنقلا ما بين رودس وعواصم الدول العربية وأوربا .

ومهمته تنقسم إلى ثلاثة أجزاء :

(١) الوساطة . (٢) مراقبة الهدنة . (٣) معاونة اللاجئين العرب .

وقد طالب العرب بإعادة اللاجئين إلى ديارهم ؛ واقتنع الوسيط بأن العرب

مصممون على رفض كل اقتراح سلبي لايؤدى إلى قيام دولة فلسطينية فى فلسطين ، وأن أى حل يقدمه الكونت يجب أن يتضمن عودة العرب اللاجئين إلى ديارهم واستعادتهم أملاكهم .

وفى يوم الخميس ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٦٧ هـ سافر الأمير فيصل من الحجاز لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة الذى سيعقد فى يوم الاثنين ١٧ ذى القعدة . الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ م لبحث قضية فلسطين ، وظل هنالك يناضل ويدافع ويقيم الحجج والبراهين مع إخوانه ممثلى الدول العربية والإسلامية فى الدفاع عن حقوق فلسطين أمام تلك الهيئة حتى يئسوا من عدالتها . وفى تلك الأثناء فوجئ العرب بأمور دبرت خلال شهر صفر سنة ١٣٦٨ هـ فى أريحا حيث اجتمع نفر من الناس وقرروا إلحاق قسم بشرق الأردن وقبول الملك عبدالله لذلك مخالفين فيما ذكر ما أجمع عليه العرب من إنقاذ فلسطين وترك مصيرها لأهلها الذين عبروا عنه من قبل بتأسيس دولة مؤقتة لعموم فلسطين . وقرر مجلس الأمن فى ٤ و ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨م وقف القتال وإقامة هدنة فى النقب، وعلى أثر ذلك قتل اليهود الكونت برنادوت الوسيط الدولى وعينت هيئة الأمم الدكتور بانش وسيطا مؤقتاً لإتمام المباحثات وتقرير إجراءات خاصة بتنفيذ قرارى مجلس الأمن المشار إليهما ، ووافقت الحكومة المصرية والصهيونية على ذلك ، وتشكلت لجنة للتوفيق بين العرب واليهود وصدر تصريح مشترك من وزارة الخارجية الأمريكية والبريطانية ، متضامنين على السعى فى إقرار السلم بفلسطين ، وأنهما يرقبان المحادثة الجارية فى رودس الآن . وإذ ذاك رجع صاحب السمو الأمير فيصل إلى جدة فى يوم الأحد ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ . الموافق ٩ يناير سنة ١٩٤٩ م يعرض لجلالة الملك نتيجة مسعاه فى هيئة الأمم المتحدة ، ويبين للأمة حقيقة الموقف .

وقد تفضل فألقى خطبة ضافية على ألوف المستقبلين لسموه فى مكة ، المتعطشين لسماع أخباره ، والمتقدين غيرة على فلسطين ، والراغبين فى الاستمرار فى التضحية من أجلها فقال :

أيها الإخوان :

أحييكم بتحية الإسلام ، وأحمد الله سبحانه وتعالى الذى أقرّ عينى برؤيتكم ،

وأسأله تعالى — جلت عظمته — أن يتولى عني الجزاء لكم على ما ألاقيه منكم من محبة وحسن استقبال .

لكل أجل كتاب ، ولاشك أن الأحداث والنوازل إنما هى امتحان من الله لعباده ، ليمحص بها قلوبهم ونواياهم ، وليعلم الصالح من الطالح ، وليعلم المؤمن الحق من المؤمن المزيف — كما يقال — ولقد مرّ بهذه الأمة أحداث وأزمات ، وليست من الخطر بمكان لنيأس أو ليداخلنا الشك فى حقنا أو فى عدالة قضيتنا ، وإنما هى — كما تقدم — امتحان من الله تعالى ، ليرينا قدرته جلت عظمته ، وليذيقنا حلاوة النصر بعد اليأس إن شاء الله تعالى .

هناك بعض الالتباس فى المفهوم وفى التقدير ، وهو أن العالم أوعلى الأقل العالم العربى يقدر أننا نقاتل اليهود أونحاربهم ، ونحن ليس لدينا شك فيما أنزل على نبينا وما وعدنا به من أن اليهود لن تقوم لهم قائمة ، ولن تؤسس لهم دولة ، ولكن الذين نحاربهم الآن ليسوا اليهود إنما هم دول الاستعمار الغاشمة التى تتجاذب مطامعها بلاد العالم لتخضع الضعيف لنفوذها واستغلالها . وأكبر دليل على ذلك أن أمريكا التى لم تتفق مع روسيا فى أية مسألة ، قد اتفقت معها فى فلسطين ؛ فهل اتفقت الرأسمالية والشيوعية فى وقت ما ؟ طبعاً لا . ولكنّ هناك تسابقاً بينهما لاكتساب النفوذ فى بعض أقطار الأرض .

أضف إلى ذلك اشتراك الدولة العتيدة ، وهى بريطانيا فى ذلك بشكل أدق ، ومرونة أكثر ، فهى تظهر للعرب الإخلاص ، وتبدى لليهود من طرف خفى الرضا عن إقامة دولة لهم بشروط مخصوصة لايعلمها إلا المطلعون على الأمور .

وهى من ناحية أخرى تظهر لأمريكا رغبتها فى الاتفاق معها فيما لا يتعارض مع مصالحها .

فإذا عرفنا ذلك فيجب ألا نعلق كبير أمل على هذه الهيئات ، وألا نستغرب إذا وجدنا الميدان مضطربا وغير قابل لإظهار حقنا ، لأن المقاومة التى أمامنا لا تطلب الحق والعدل ، وإنما تسعىْ لإثبات مصالحها وإظهار النفوذ والقوة .

فإذا علمنا ذلك فيجب أن لانقلل مما بذله العرب ، أو نظن فى أنفسنا الخور ، فالأمة العربية على مابها قد أثبتت أنها الأمة العتيدة لايخضعها تهديد أو قوة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أؤكد لكم أن إخوانكم العرب . وإذا قلت

العرب فلست أقصد إلا الشعوب العربية ؛ ولست أقصد بعض الزعماء أو المتزعمين ممن يجعلون القضايا العربية مطايا لبلوغ الكراسى والمآرب .

هذه الشعوب العربية أؤكد لكم أنها لن تخضع حتى تتحقق آمالها مهما اشتدت الأزمات ، أو تقلبت الظروف ، فهى لن تستكين أو تخضع ، وكما قلت سابقا : « لكل أجل كتاب » .

لقد سمعت من أحد الإخوان فى أثناء كلمتى الآن أن رأيه الحض على تجنيد الأمة ، وأنا فى اعتقادى أن الأمة مجندة فعلا ؛ فالعامل فى مصنعه ، والفلاح فى حقله ، والمأمور فى إدارته ، والكاتب بقلمه ، والجندى فى الميدان — كلهم جنود . نعم يعوزنا التنظيم : تنظيم الإدارة ، وتنظيم الفلاحة ، وتنظيم الصناعة ، كما هو الحال فى تنظيم الجندية . فكما أن الجندى يتلقى دروسه وتمرينه على أيدى ضباط يجب أن يكون التنظيم عاما ؛ ولا يعذر فى ذلك مأمور أو صانع أو عامل ، والمسئولية الكبرى تقع على المفكرين والأعيان والمجربين سابقا ، والمسئولين عن توجيه النشء إلى الوجهة المستقيمة ، كل فى دائرة اختصاصه وإمكانيته .

وليس قولى هذا تثبيطا عن التجنيد ، بل بالعكس فأنا ألاحظ فى أمتنا عدم اهتمام ورغبة فى الجندية ، وهذا نقص ظاهر ، إذ يجب أن ينخرط فى سلك الجندية العامة كل كاتب وموظف وعامل وصانع حتى يؤدى كل واحد واجبه .

لا أحب أن أطيل عليكم ، ولكن الذى أرجوه من الله أن يوفقنا للقيام بما أوجبه علينا ، وأن يرزقنا حسن الإيمان به وبعدالة مطلبنا : وبدون الإيمان لن يتحقق مطلب ، وبدون الإخلاص لن تبلغ نتيجة ، فاذا توافر الإيمان والإخلاص وحسن القصد فالنتيجة مضمونة إن شاء الله تعالى .

لجنة التوفيق

فى قضية فلسطين

فى مساء يوم الأربعاء ١٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٨ هـ وصلت إلى جدة لجنة التوفيق الدولية لقضية فلسطين ، وهى مكونة من : رئيس اللجنة السيد حسين جاهد يالتشين (عن تركيا) . والسيد كلورى بواسنجر (عضو اللجنة عن فرنسا) والمستر ماركس افريدج (عضو اللجنة عن أمريكا) وكان يرافقهم المستر اسكارانى سكرتير اللجنة العام والمستشارون وهيئة السكرتارية . وقد تشرفوا بمقابلة صاحب السمو الملكى

الأمير فيصل وزير الخارجية ثم تعشوا على مائدته . وفى صبيحة اليوم الثانى سافر الجميع إلى الرياض بطريق الجو للتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الملك . وحاولت أن تقنع جلالته بضرورة إيفاد مندوبين من قبل جلالته إلى رودس أو إلى مكان آخر يتم الاتفاق عليه للمفاوضة فى إقرار هدنة دائمة لفلسطين بعد أن قبلت مصر وسائر الدول العربية هذا المبدأ فتفضل جلالته ، فأكد لهم ما أبرق به إلى نائب الوسيط الدولى بهذا الشأن . وهذا نصه :

نائب الوسيط الدولى :

تلقت حكومة جلالة الملك دعوتكم لإيفاد مندوبين من قبلها إلى رودس ، أو إلى أى مكان آخر يتم الاتفاق عليه ، لأجل إجراء مفاوضات لإجراء هدنة دائمة لفلسطين عملا بقرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م .

ومعلوم لديكم أن الحكومة العربية السعودية قد نفذت بكل إخلاص قرار الهدنة التى فرضها مجلس الأمن فى يونيو ويوليو سنة ١٩٤٨ م ولم يسمح بأى عمل عدوانى يخل بتلك الهدنة ؛ كما أن الحوادث المؤسفة والمخلة بالهدنة وما جرى من ذلك التاريخ حتى الآن لم يكن مسببا عنا أو عن أى دولة من الدول العربية ، وإنما كانت بناء على عدوان اليهود ونقضهم الصريح الفاضح للهدنة المفروضة ؛ ولم تكن الدول العربية التى حصلت الحركات الحربية فى مناطقها إلا مدافعة عن نفسها ؛ وفضلا عن ذلك فان القوات العسكرية المسلحة المشتركة بحركات فلسطين لا تشكل جبهة مستقلة بنفسها ؛ ولا يوجد ما يوجب قيام الحكومة العربية السعودية بأية مفاوضات خاصة بإقرار هدنة جديدة ، بينما أن الهدنة التى فرضت فى يوليو ما تزال قائمة . وعلى كل حال فإن الحكومة العربية السعودية قابلة للقرارات التى أقرتها أو تقرها دول الجامعة العربية مجتمعة فيما يتعلق بالحالة فى فلسطين .

النتيجة

وأخيراً تكشفت الأيام عن أمور لم تكن فى الحسبان حيث نشرت جريدة أخبار اليوم التى تصدر فى مصر فى العدد ٢٨٠ بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ هـ الموافق ١٨ مارس سنة ١٩٥٠ م خمس وثائق خطيرة بالزنكوغراف بخط الملك عبد الله ملك شرق الأردن وبخط كبار رجال حكومة إسرائيل ، تثبت أن الملك

الهاشمي كان على اتصال باليهود طول مدة الحرب فى فلسطين وبعدها ، وإن الإنجليز قد دفعوه إلى ذلك من قبل لتنفيذ قرار التقسيم بالنسبة لليهود وإلحاق القسم العربى بشرق الأردن وإنا نكتفى بنشر ما كتبته هذه الجريدة بالحرف الواحد للتاريخ ، ليعلم الناس على من تقع تبعة ما أصاب فلسطين والجامعة العربية من الفشل والخذلان .

قالت أخبار اليوم : إن أول هذه الوثائق الخمس التى تعتبر أخطر ما نشر من أسرار السياسة العربية خطاب بخط المسيو إلياس ساسون الذى كان مستشارا للشئون الشرقية بوزارة الخارجية اليهودية . وهو الآن سفير إسرائيل فى تركيا . وفى هذا الخطاب قال ساسون بالحرف الواحد ، كما يتبين من صورة الوثيقة ، موجها الكلام إلى الملك عبد الله .

مولاى المعظم : إجلال واحترام ، وبعد أرجو أن تكونوا جلالتكم بغاية الصحة أدامها المولى عز وجل عليكم . لقد وصلت اليوم إلى القدس عائداً من باريس لمدة قصيرة جداً للاتصال بجلالتكم إذا تفضلتم وأمرتم بذلك ، والتعاون على حل الأمور المعقدة، والوصول إلى ما نتمناه جميعاً من إحلال السلام فى ربوع هذه البلاد العزيزة على جلالتكم وعلينا . فأرجو جلالتكم والحالة هذه أن تتكرموا وترسلوا إلى القدس لمقابلتى والبحث معى أحد الأشخاص الذين تثقون بهم ، وأرجو أن يكون هذا الشخص مصحوبا بالصديق الدكتور شوكت باشا ، وأن يكون كذلك من المخلصين للقضية المشتركة . هذا ، وأرجو أن يأتى هذا الشخص فى أسرع ما يمكن . وإن أمكن غدا السبت حيث إن أوقاتى قصيرة جدا ، ومضطر أن أعود إلى باريس فى أسرع ما يمكن . هذا وإنى أتمنى أن تساعدنى الظروف على التشرف بمقابلة جلالتكم فى إحدى الفرص السعيدة إن شاء الله .

وأرجو أن يكون الشخص الذى سيأتى لمقابلتى حاملا الكثير من ملاحظات جلالتكم بشأن كافة الأمور لنسترشد بها فى حديثنا . وأطال المولى بقاء جلالتكم آمين .

المخلص إلياس ساسون .

القدس الجمعة ١٠/١٢/١٩٤٨ م

ملاحظة : لقد قابلت قبل تركى لباريس حضرة الصديق الأمير عبد المجيد حيدر . وتكلمنا مطولا فى عدة أمور .

انتهى نص الوثيقة الأولى بخط ساسون للملك عبد الله . ومنها يتبين :

١ — أن الملك عبد الله بدأ من نوفمبر سنة ١٩٤٨ وهى أخطر فترة على الجيش المصرى يتصل باليهود فى باريس بواسطة سفيره فى لندن الأمير عبد المجيد حيدر .

٢ — أن المفاوضات استؤنفت بعد ذلك فى القدس بواسطة الدكتور شوكت باشا الطبيب الخاص للملك عبد الله .

٣ — أن ثمة قضية مشتركة ، وهذا نص تعبير ساسون بين الملك عبد الله الهاشمى وحكومة إسرائيل ، وأن هذا يؤيد المعلومات السابقة والتى أذاعها الكولونيل عبدالله التل من أن الملك عبد الله اجتمع فى ١٢ إبريل سنة ١٩٤٨ م أى قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بأكثر من شهر ، أى فى نفس الوقت الذى كان جلالته فيه يطالب بالقيادة العليا لكل الجيوش العربية . باثنين من وزراء حكومة إسرائيل فى غور المجامع ، واتفق معهما على عدم قبول قرار التقسيم ، وأن جلالته عاد بعد ذلك فاجتمع بمدام « جولد امايرسون » سفيرة إسرائيل فى موسكو الآن . واتفق معها بحضور وزيرين من حكومته فى بيت محمد الضباطى مدير الخاصة الملكية فى عمان على أن يقف الجيش الأردنى والجيش العراقى عند الحدود العربية كما رسمها قرار التقسيم . وهو الاتفاق الذى أيده بعد ذلك عمليا موقف الجيش الأردنى والعراقى فى عمليات فلسطين .

والوثيقة الثانية من هذه الوثائق الخمس الخطيرة صادرة من الملك عبد الله إلى قائده العسكرى فى القدس ، وعليها توقيع جلالة الملك عبد الله بخط يده ، وهى على ورق الخطابات الخاص بجلالته كما يتبين من صورتها ؛ وهذا هو نصها :

عبد الله بن الحسين

عمان فى ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ الموافق ١ كانون الثانى سنة ١٩٤٩ م

قائد القدس العسكرى السيد عبد الله التل

أفوضكم للتذاكر مع الجانب الإسرائيلى فى الأسس المرغوب التفاهم عليها تذليلا لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمى . وإن تفويضكم هذا هو تفويض شخصى ، وسيتلو هذا التفويض الرسمى مع رفاق آخرين ، وبالشكليات الحكومية المعتادة فى مثل هذه المسائل .

وبما أن الغرض من التذليل هو إيجاد سبل السلام الحقيقى فلا يجب ترك أى أمر

بدون أن يتفق عليه ؛ ونؤمل أنكم والجانب الآخر تتفوقون بالنيات الحسنة للعمل الإنسانى المرغوب فيه .

(عبد الله)

ويتضح من هذه الوثيقة :

١ — أن الملك عبد الله كان بشخصه يتولى المفاوضات ، وأنها لم تأخذ طابع الشكليات الحكومية المعتادة إلا بعد أن انتهت .

٢ — أن جلالة الملك الهاشمى اعتبر دخوله فى المفاوضات مع اليهود ، فى وقت يخوض فيه الجيش المصرى أعنف معارك «عملا إنسانيا» .

٣ — أنه لولا أن الكولونيل عبد الله التل القائدالعسكرى العربى للقدس خالف سراً تعليمات ملكه الصريحة وبذل كل جهد لإحباط الاتفاق بين الملك واليهود لوقعت معاهدة الصلح بينهما فى ذلك الوقت .

والوثيقة الثالثة من هذه الوثائق رسالة شفوية مثبتة على الورق الرسمى لرياسة الديوان الهاشمى ، وعليها توقيع الملك عبد الله بالحبر الأحمر . لتبلغ إلى حكومة إسرائيل .

ونصها كما يتبين من صورتها كما يلى :

رياسة الديوان الهاشمى :

الرقم :

التاريخ ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ هـ الموافق . مارس سنة ١٩٤٩ م

رسالة شفوية للمركز الذى يخابركم وتخابرونه من الجانب الإسرائيلى مع تحية منا إلى المستر شرتوك .

أسفنا جدا لما قد حدث وما يمكن أن يحدث بجوار النقب ووادى عربة ونواحى العقبة .

نحن بعثنا برجالنا إلى رودس على روح تميل لتلقى حسن النية بمثلها ، وإن تكرر هذه الحوادث يجعل مساعى الراغبين فى حفظ الحقوق الصريحة صعبة ، وعندئذ لاتحمد النتائج . وآمل أن يصل الجواب المرضى بالابتعاد عن أى تماس يجر إلى قتال ولو كان فرعيا بدون جدى ، والجبهة الوسطى ستكون فى حوزتنا إن شاء الله فى هذه الأيام من خربتا إلى حدود جسر المجامع ، انتهت الرسالة .

أملاها جلالة سيدى الملك المعظم لأبلغها لكم .   عبد الغنى الكرمى

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة :

١ — أن الملك الهاشمى يبعث بتحية منه إلى شرتوك وزير خارجية إسرائيل .

٢ — أن الملك الهاشمى يأسف على احتكاك بسيط قد حدث بين جنوده وبعض جنود إسرائيل .

٣ — أن الملك الهاشمى يخبر اليهود بحركات جيوشه فى فلسطين ، وبأن الجبهة الوسطى ستكون فى حوزته فى هذه الأيام من خربتا إلى حدود جسر المجامع .

والوثيقة الرابعة من هذه الوثائق الخطيرة هى ردّ موسى شرتوك على رسالة الملك عبد الله الشفوية فى اليوم التالى لإرسالها مباشرة . وهذا نصها كما يتبين من صورتها بالحرف الواحد :

هافريا فى ١١ مارس سنة ١٩٤٩ م :

صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية الهاشمية :

بعد تقديم التحية والسلام إلى السدة الملكية ، نود التعبير لجلالتكم عن تقديرنا لمراجعتكم الشخصية لنا بعد فترة الانفصال الطويل . إننا نؤكد لجلالتكم مرة أخرى كما سبق ، وأكدنا أن القوات الإسرائيلية لم تجتز الحدود الأردنية فى أى منطقة منها ، وإنها لن تتجاوز قيد شعرة حدود بلادنا إن شاء الله ، تعلمون جلالتكم حق العلم بأن مابين شرق الأردن وبين مصر من أقاليم واقعة فى حدود السيادة الإسرائيلية . فاذا ماقام الجيش الإسرائيلى بحركات فى تلك الأقاليم بما فيها قسم من ساحل الخليج الواقع بين الساحل الأردنى والساحل المصرى فما تلك الحركات إلا حركات مشروعة فى صورة لاينسرب إليها الريب . وليس هناك أى مبرر لاعتبارها ذات نية عدوانية بالنسبة للدولة المجاورة .

هذا ، ولم يصل إلى علمنا أى نبأ عما يقال من اصطدام بين قواتنا وقوات الجيش العربى الأردنى ، ونرى أنفسنا مضطرين إلى نفى ما زعمه مندوب جلالتكم فى رودس من أن قواتنا قد هاجمت مواقع الجيش العربى .

فإن مثل هذا الهجوم لم يحصل ولم يقع فى أى مكان كان ، والحادث الوحيد الذى حصل هو إطلاق دورية من الجيش العربى النار على وحدة من الجيش الإسرائيلى على بعد بضعة كيلومترات غربى غرندل ، ولقد أطلقت الوحدة العربية الأردنية النار

بدون أى تحرش بها من جهتنا ، ثم إن الدورية الأردنية وقت إطلاقها النار كانت داخل حدود دولة إسرائيل دون ما مبرر ثم . ولم تلبث بعد إطلاق النار أن ولت هاربة من تلقاء نفسها مجتازة الحدود إلى شرق الأردن . هذا ماحصل ولا شئ غيره بتاتا . وحتى فى هذا الذى حصل لم يكن أى استفزاز من جانبنا .

لقد ذكرتم جلالتكم حوادث وقعت بجوار النقب ووادى عربة ونواحى العقبة.

إن المحل الأول وهو النقب على حدود إسرائيل ومصر ، وإننا برغم إدرا كنا لما تبدون جلالتكم من الاهتمام بكل مايجرى فى هذه المنطقة جميعها . لمن العسير علينا أن نرى مايوجب أن يكون هذا المحل موضوع بحث بيننا وبين الحكومة الأردنية ، أوماهو حق الحكومة الأردنية فيه . وأما وادى عربة فان حدود بلادنا تمر فيه ؛ وإن قواتنا لتتخذ أقصى الحذر فى حركاتها من أن تجتاز الحدود وتتعداها . وأما نواحى العقبة المنطقة المحاذية للخليج والكائنة فى شرق الأردن ، فلقد قلنا وكررنا القول إنه ليس لنا نية فى أن نطرقها . وإننا نوافق جلالتكم كل الموافقة فى أنه يجب التوصل إلى تسوية أساسها حفظ الحقوق الصريحة ، على أن الحقوق الصريحة تشمل حقنا فى الأقاليم شمولها للحقوق الأردنية الصريحة .

وإنى لعلى ثقة ويقين فى أن جلالتكم لاترغبون فى أن تتهم حكومتكم فى مؤسسة هيئة الأمم المتحدة بأن قواتها أى قوات حكومة جلالتكم موجودة فى أراضى دولة أخرى ذات سيادة ، وأن الاتفاق المؤدى إلى السلام لايمكن أن يتم ما لم يكن على أساس احترام كل دولة لسيادة جارتها ، وإننا واثقون من أن مثل هذا الاتفاق سيتم بيننا فى العاجل .

وبما أن الحكومة البريطانية أعلمت حكومتنا رسميا بالشكوى التى تلقتها حكومة إسرائيل من حكومة شرق الأردن بشأن عمليات عدوانية مزعومة من قبل حكومة إسرائيل . فلقد قمنا بدورنا فى إعلام الحكومة البريطانية بحقيقة الحال ، وبلغناها خلاصة كتابنا هذا إلى جلالتكم .

وتفضلوا جلالتكم بقبول خالص تحياتنا وتقديرنا .

موشه شاريت

وزير خارجية إسرائيل

ويتضح من هذه الوثيقة العجيبة :

١ — أن وزير الخارجية اليهودية يعرب عن تقديره للملك الهاشمي .

٢ — أن الملك الهاشمي كان متصلا بشرتوك شخصيا من فترة طويلة مضت .

٣ — أن الملك الهاشمي يتلقى تأكيداً من شرتوك يطمئنه أن قوات إسرائيل لن تعتدى على حدود شرق الأردن .

٤ — أن شرتوك كذب معلومات رجال الملك عبد الله .

٥ — أن شرتوك يصف وحدة من الجيش الأردنى بأنها (أطلقت النار ثم ولت هاربة من تلقاء نفسها) .

٦ — أن شرتوك لا يرى أى حق للحكومة الأردنية فى النقب بل ولا يرى لها أى حق فى بحث أى شىء عنه .

٧ — أن شرتوك يخاطب الملك بلهجة مليئة بالتعالى فيقول له : « قلنا وكررنا القول إنه كذا وكذا » .

٨ — أن شرتوك يهدد الملك عبد الله بأن يشكو شرق الأردن فى هيئة الأمم المتحدة .

٩ — أن شرتوك يصف شكوى شرق الأردن إلى بريطانيا من إسرائيل بأنها شكوى مزعومة .

١٠ — أن شرتوك يبلغ خطاباته للملك الهاشمي إلى بريطانيا .

وربما كانت الوثيقة الخامسة أعجب هذه الوثائق الخطيرة ، خصوصاً بعد خطاب شرتوك إلى الملك الهاشمي ، فان جلالته يعتبر وقاحة شرتوك أدبا وكمال احتشام .

وهذه الوثيقة هى رد الملك عبد الله على رسالة شرتوك ، وقد أضاف الملك الهاشمي إلى نصها المكتوب بالآلة الكاتبة يضع عبارات بخط يده .

ونصها كما يتبين من صورتها كما يلى :

عزيزى المستر شرتوك :

تلقيت رسالتكم الشفوية فأعجبنى صوغها وكمال احتشامها وما فيها من احترامات وتأمينات على أننى أقيد هنا أننى لم أراسلكم شفويا إلا لاعتمادى عليكم وعلى أسس سبقت ، والآن والوفدان فى رودس ، فمن الحكمة وأصالة الرأى عدم أى حركة من الجهتين وأى استفزاز ، وما بحثتم عنه سواء فى الجنوب أو بوادى عربة ، فكل ذلك

سيتناوله البحث عند التسوية، وفى كل شئ مادامت النية حسنة إمكان التعديل والتصحيح فى اليد . ولقد شاع هنا أنكم صرحتم بأن فئة عسكرية إسرائيلية وصلت إلى ساحل خليج العقبة بأراضى كانت تحسب من فلسطين وهذا صحيح ، ثم قيل إن فى هذا التصريح أن سعادتكم قلتم إن أى قسم من فلسطين ينسحب منه الجيش العراقى ستحتله القوات الإسرائيلية من أجل تأمين الأمن فهل هذا صحيح ؟ وإنه على ما قيل إن فئة إسرائيلية موجودة الآن بمحل من وادى عربة ، وأخرى فى محل كذا برغم ماجاء من جوابكم الشفوى السابق .

ويتضح من هذه الوثيقة الخطيرة .

١ — أن الملك الهاشمى أعجب بصوغ وكمال احتشام رسالة شرتوك السابقة .

٢ — أن الملك الهاشمى يعتمد على شرتوك .

٣ — أن الملك الهاشمى يسجل على نفسه اتصاله القديم بشرتوك وأن (بينهما أسس سبقت) وهذا نص تعبير الملك .

٤ — أن الملك يسلم لشرتوك برأيه فى أنه لاحق له فى الحديث عن النقب ويقول إن إمكان التعديل والتصحيح فى اليد مادامت النية حسنة . انتهت الوثيقة الخامسة .

وبعد ، فإن أخبار اليوم تطلب من الجامعة العربية التى سيجتمع مجلسها بعد أسبوع أن تحقق هذه الوقائع والوثائق .

إن هذا الاتفاق السرى بين اليهود والملك الهاشمى من قبل أن يجلو الإنجليز عن فلسطين ، ومن قبل أن تدخل الجيوش العربية إليها فهو المسئول عن الكوارث التى وقعت فى فلسطين .

إن هذه الوثائق تدل على أن الملك الذى كان قائدا أعلى للجيوش العربية اعترف بإسرائيل واعترف بحكومتها واعترف بوزير خارجيتها . وأرسل الوفود سرا للاجتماع برجالها فى الوقت الذى كان يموت فيه الألوف من المصريين برصاص اليهود؛ وفى الوقت الذى قاطعنا فيه إسرائيل ، ورفضنا أن يدخل مندوب إسرائيل الاسكندرية للاجتماع فى المؤسسة الإقليمية للصحة ، وفى الوقت الذى وضعنا فيه اليهود فى السجون والمعتقلات ، ووضعنا الحراسة على أموال الصهيونيين ، وأنفقنا مائة مليون جنيه لتحرير فلسطين .

كل هذا يحدث فى مصر والملك العربى يحي وزير خارجية إسرائيل .

ونشرت الأهرام فى العدد ٢٣٩٧ الصادر فى ١٣ رجب سنة ١٣٦٩ هـ . الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٥٠ نبأ من العراق كشفت فيه عن سر خطير أيضا من أسرار حرب فلسطين عند ما كان الجيش المصرى محصورا فى الفالوجة ، وأراد الجيش العراقى إمداده . وهذا نصه :

(إن شخصية كبيرة فى عمان قد استدعت وزير العراق المفوض إذ ذاك وأبلغته رسالة إلى حكومته تتضمن عدم الموافقة على أن يهبّ الجيش العراقى لإسداء العون للجيش المصرى ، وإذا لم يلب هذا الطلب فإن الجيش العربى الأردنى على استعداد تام لقطع خطوط مواصلات الجيش العراقى والالتحام معه) .

وعلى أثر هذا التبليغ اجتمع مجلس الوزراء العراقى لبحث القضية فدارت مناقشة حامية انقسمت فيها الآراء ؛ فمن قائل بضرورة إنقاذ جيش مصر وإن أدى ذلك إلى اصطدام بين الجيش العراقى والأردنى . ومن قائل بضرورة الانصال بالمسئولين فى الأردن لحملهم على إعادة النظر فى الأمر .

وقد انتهت المناقشة بتغلب الرأى الأخير ، واتصل المسئولون فى العراق رسمياً بحكومة الأردن ، ولكن عمان ظلت عند قرارها بعدم السماح للجيش العراقى بمساعدة الجيش المصرى .

وقد بذلت العراق كل جهد لحمل الحكومة الأردنية على تغيير سياستها ، ولكن مساعيها فى هذا المضمار لم تصب أى توفيق أو نجاح .

وقد علمت من مصادر عليا أن سفير العراق فى لندن استطاع أن يعثر على صور من المراسلات الهامة التى دارت بين الأردن واليهود ، ولكنه لم يشأ أن يكتب إلى حكومته عن هذا الموضوع ، بل سافر بشخصه إلى بغداد يحمل معه هذه الوثائق ، واجتمع بسمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وكشف له القناع عن أعمال حكومة الأردن . فبعث سموه على الفور بكتاب إلى المسئولين فى عمان يطلب فيه الكف عن المضى فى تلك الخطة التى تهدد كيان الأمة العربية ، وبلغ به الحزن أن أمضى يومين فى خلوة تامة اعتذر خلالها عن مقابلة زائريه .

وكان ردّ الأردن على هذا الكتاب أن أرسل جلالة الملك عبد الله برقية إلى فخامة الشيخ بشارة الخورى بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م يقترح فيها مفاوضة اليهود لإنقاذ الجزء الباقى من فلسطين بعد الانهيار الذى أصاب المنطقتين الشمالية والجنوبية ؛

هرد عليه فخامته : بأن لبنان سيسير مع الدول العربية سعيا لما فيه إنقاذ فلسطين .

ثم إن جلالته بعث ببرقية أخرى إلى دولة رياض الصلح بك رئيس الوزارة اللبنانية أثناء حضوره دورة هيئة الأمم فى باريس يطلب فيها توخى سياسة الاعتدال فى سبيل إنقاذ الألوف من العرب الذين باتوا بلا مأوى تمهيدا للدخول فى مفاوضات مباشرة مع اليهود .

وفعلا بدأت مفاوضات الأردن مع اليهود فى باريس ، وذاع أمرها فى أروقة هيئة الأمم ، فحاول شرتوك تغطية الموقف بإلقائه خطابا فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م هاجم فيها الجيش الأردنى .

ولقد كان لنشر هذه الوثائق التى لم يجرء أحد على تكذيبها أسوأ الأثر فى قلوب العرب بل المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها . فالدول العربية لم تقدم على رفض قرار التقسيم إلا بناء على مافهمته من تأكيدات الملك عبد الله السرية بأن انجلترا التى ساعدت اليهود فى الأساس على تمكين أقدامهم فى فلسطين قد نقمت عليهم أخيرا لما أبدوه من سوء معاملتهم لها وضربهم لضباطها بالسياط ، إلى غير ذلك من المساوىء التى جعلت الشعور العام الإنجليزى فى بلاد الإنجليز ناقما منهم ؛ ولذلك قررت الانسحاب بتاتا من فلسطين ، ويسرها أن تسلمها لأهلها العرب . فاذا تعاونت الدول العربية على تحرير فلسطين فان بريطانيا لاتعارض فى ذلك بل ترحب به وتساعد عليه ، وأن جيش الأردن الموجود فى فلسطين فى استطاعته أن يتسلمها من الجيش الإنجليزى عند انسحابه .

ومن أجل ذلك أصرت الدول العربية على رفض التقسيم وزحفت بجيوشها إلى فلسطين وحاربت فى سبيل تحريرها ، وهى لا تعلم بما كان يضمره الملك عبد الله ، وما كان يومىء إليه من وراء رفض التقسيم من إلحاق ذلك القسم الذى تقرر أن يكون للعرب بمملكته الأردنية حتى أظهرت الأيام أنه كان على تفاهم سابق مع اليهود والإنجليز بذلك من قبل .

ولم يقف به الأمر عند هذا الحد ؛ بل إنه تعمد إيقاع الأذى بالفلسطينيين ، حتى إذا ماذاقوا أنواع البلاء ، وشردوا وطردوا فى الآفاق أوعز إليهم بطلب الانضمام إلى مملكته نزولا على الأمر الواقع بعد أن يئسوا من نيلهم الاستقلال حتى فى نفس المقاطعة التى كانت لهم بحسب قرار هيئة الأمم ، واستمال جماعة منهم لعقد مؤتمر أريحا

الذى طالب بتحقيق أحلامه . ثم تفضل جلالته فقبل رجاءهم ، ورضى بإلحاق ذلك القسم بمملكته .

وفى يوم الاثنين ٧ رجب سنة ١٣٦٩ هـ الموافق ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٠ م افتتح الملك عبد الله البرلمان الأردنى ، واستصدر منه قرارا يقضى بضم القسم العربى من فلسطين إلى شرق الأردن تحت تاج الملك عبد الله بن الحسين ، وصرّح جلالته بأن قرار الجامعة العربية الذى صدر فى إبريل سنة ١٩٤٨ م وقضى بانسحاب الجيوش العربية من فلسطين ، وتسليم البلاد لسكانها الأصليين أصبح لاغيا .

فكان هذا القرار ضربة موجهة إلى الوحدة العربية فى صميمها ، ولذلك اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى القاهرة فى يوم الخميس ٢٤ رجب سنة ١٣٦٩ هـ الموافق ١١ مايو سنة ١٩٥٠ م وصرّح النحاس باشا فيها بكلمة الحكومة المصرية فى هذه القضية التى ترتب عليها من الخطورة مالا تستطيع دول الجامعة السكوت عليه حيث قال : إن قرار توحيد ضفتى الأردن الذى لجأت إليه أخيرا حكومة شرق الأردن لم يكن مجرد قرار يصدر ، بل كان قرارا حمل معنى التحدى للجامعة ودولها وحمل معنى وأد قضية فلسطين .

وقد وافق على قوله جميع مندوبى الدول ، واقترح أخيراً أن تكون الأقسام العربية فى فلسطين وديعة فى يد شرق الأردن ، وأن تعترف شرق الأردن بهذا ، فلم يوافق مندوب الأردن على هـــذا ، لأنه يخالف قرار الضم . وقد حاولت العراق التوسط لدى الملك عبد الله لتعديل سياسته فلم تفلح ، ولم ينته مجلس الجامعة إلى حل فى هذا الأمر بعد . وموقف المملكة العربية السعودية من هذا لايخرج عما يقرره مجلس الجامعة العربية .

وقد اقترح إخراج الأردن من مجلس الجامعة العربية بسبب هذه التصرفات لولا أنه يخشى أن تخرج العراق معها أيضا من الجامعة فيعتبر هذا تصدعا فى بناء الجامعة فيكون نصرا أدبيا لإسرائيل ثم إنه رؤى عقد ميثاق الضمان الجماعى بين الدول العربية وبحث المشروع بحثا جيدا وصادق عليه جميع دول الجامعة ما عدا الأردن والعراق ، ثم إنه علم أن هناك ميثاق عدم اعتداء ستعقده الأردن مع إسرائيل توطئة لصلح منفرد دائم ونشرت الصحف بنوده وحال دون إبرامه ما بدا من إسرائيل فى أثناء ذلك من اعتداء على بعض حدود الأردن فحملها هذا على التريث فيه ورفع شكواه إلى هيئة

الأمم المتحدة وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . ولقد استوقف نظرى وأنا أتأمل فى هذه المآسى خبر غريب فى بابه تشر فى الجزء السابع من تفسير ابن كثير صحيفة ٣٥٠ فى أول سورة الشورى نرجو أن لا يكون هذا أوانه ومصداقه وإنما نثبته للذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ، وهذا الخبر هو أنه روى ابن جرير أثرا غريبا فقال : أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال «جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان كاتم سر رسول الله فى المنافقين رضى الله عنه أخبرنى عن تفسير قول الله تعالى (حمٓ عسقٓ) قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه ولم يجبه بشىء وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يحر إليه شيئا فقال له حذيفة رضى الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها ، نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله تبارك وتعالى فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت ؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (حمٓ عسقٓ) يعنى عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون قٓ يعنى واقع بهاتين المدينتين» .

إلى عموم المسلمين

وهذه قصيدة نظمتها بهذه المناسبة وطبعتها وأذعتها :

أيها المسلمون طرا أفيقوا من سبات أودى بكم للدمار
قـد تداعت عليكم أمم الأر ض تداعى الأسود وهى الضوارى
واستباحت حماكم وأذلت من كرام الورى حماة الذمار
واستخفت بجمعكم مذ رأتكم شيعا كالدواب وسط الصحارى
لاتحسون بالمبذلة أو ما يوقظ الحس شأنه كالنار
ونسيتم أجدادكم وجهلتم كيف عزوا بقـوة الجبار

يوم كانوا يتابعون بحق سيد الرسل فى رضى الغفار
ويبيعون فى الجهاد نفوسا لاتبالى بكثرة الكفار
لم يخفها سوى الإله ومنه ترتجى العون لا من الأغيار
وحدته بقلبها فاطمأنت إنه الفرد مانح الانتصار
ولهذا حباهم الله نصرا إثر نصر يليق بالأبرار
ورماكم سبحانه بالرزايا منه عمدا وكثرة الأضرار
مذ وضعتم رجاكم فى سواه ولجأتم إلى حمى الفجار
وفقدتم يقينكم فيه لما إن دعوتم سواه فى الأخطار
ووثقتم بالغوث يأتى إليكم عن طريق الأموات والأحجار
ودهشتم بقوة الخلق لما أن بليتم بالضعف فى الأبصار
وتعامت قلوبكم عن رؤى الحق وما للإله من أقدار
ونسيتم قوى المهيمن لما أن أحاطت من قبل بالكفار
وقديما أحرزتم النصر منه يوم بدر بقلة الأنصار
أفلم يأن للذين تغنوا بانتساب لأمة المختار
أن يحولوا عن شركهم ويعودوا فى يقين إلى حمى القهار
ويتوبوا إليه من كل ذنب ويناجوه فى دجى الأسحار
ليفوزوا بقوة الروح منه ويعزوا بمالك الأقدار
وينالوا من المهيمن نصرا ليس مما يحاط بالأفكار
أيها المسلمون يا من جبنتم عن لقا الأعداء فى المضمار
وأخذتم بقوة الغرب لما ملكوا دونكم سبيل الدمار
أفلا تؤمنون بالله حقا مالك الملك صاحب الإقتدار
المعز المذل دون شريك أو معين وعالم الأسرار
مانح النصر من يشاء بأمر منه رغم القوى لدى الأشرار
أم حسبتم بأن ربى ضعيف سوف يعييه ما لدى الكفار
فخشيتم من بأسهم دون خوف من إله القوى وقاصم الأعمار
أيها المسلمون يا من عصيتم وانحرفتم عن سنة المختار
وقعدتم عن الجهاد زمانا واكتفيتم بالزرع والاتجار

ويئستم من نصره مذ ضعفتم ورضيتم بالذل عقر الديار
أنسيتم بأن ربي رحيم لايبالى بكثرة الأوزار
يمنح النصر من يشاء وينجى كل داع فى ساعة الأخطار
يعقب العسر من لدنه بيسر كانقضاء الظلام بالأسفار
ويمد الضعاف منـــه بسر هو للخلق موضع الاعتبار
أفلا تعملون للخلاص بجد من قيود الرضى بالاستعمار
برجوع إلى المهيمن سرا فى خضوع ووافر استغفار
ويقين بنصره دون ريب واعتماد عليـــه لا الأغيار
أيها المسلمون يامن فشلتم فى اتخاذ الأسباب وضح النهار
لابتغاء العلى ومجد تليد وفخار بالصارم البتار
احذروا اليوم أن تضيعوا يقينا فى إله مقدر الأقدار
وأعدوا لخصمكم ما استطعتم واستعينوا فى السر بالقهار
يؤتكم قوة تفوق عن الحـــس وترمى من رامكم بالدمار
ويوالى عليكم الفضل منه مع أمان وعيشة استقرار
وفق ما أكسب الحجاز هناء وأمانا بسهمه فى البرارى
مذ تولى (عبد العزيز) عليه فأقام الحدود فى الأشرار
ودعا الناس لاتباع كتاب اللـ ـه حقا وسنة المختار
وبتقوى الإله يحيى بعز من به اعتز مؤمنا بانتصار
أيها المسلمون حتى م أنتم ؟ فى غرور بمعشر الكفار
تبتغون الإنصاف منهم وتأبو ن انصياعا لحكمة الجبار
من نهاكم عن الركون إليهم عن ولاء وخشية واعتبار
أفترجون نصرة من عدو ماسمعنا بذاك فى الأسفار
إنما الرأى أن تلوذوا إلى من هو رب القوي ومذكى النار
مالك الملك صاحب الأمر فينا مصدر العدل دون ما إنكار
فهو يسطيع أن يمد قوانا بقوى منه دون ما إنذار
سوف تقضى على العدو وتردى كل خصم بالذل والانكسار
فهلموا نوحـــد الله حقا دون خوف من سائر الأغيار

ولنجرد نفوسنا من سواه　　مع يقين بقوة الجبار
ولنضحي أرواحنا فى رضا الله　　ونصرا لسنة المختار
ومن الله نستمد الهدى ووافر عز
وسموا مابعده من صغار
ونصلى على النبي المرجى　　سيد الرسل قدوة الأبرار
وعلى الآل والصحابة جمعا　　ما دعا للإله مؤمن فى نهار

الملك وباكستان

لما كان الحجاز هو مهبط الوحي وقبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، ما فتئ منذ توليه عرش الحجاز مهتما كل الاهتمام بكافة الشئون الإسلامية ، عاملا لمساعدة المسلمين فى جميع الأقطار ، وتأييد قضاياهم بكل ما أوتى من قوة ، ومن أجل هذا كان سرور صاحب الجلالة باستقلال باكستان عظيما جدا ، وكان ذلك اليوم يوم بهجة عامة فى جميع أنحاء المملكة العربية السعودية ، لأنه اليوم الذى تحرر فيه شعب مسلم كبير من نير الاستعمار . ويرى جلالته أن فى عز باكستان عز الإسلام والعرب أجمعين ، خصوصا وأن جلالة الملك يذكر بكل إطراء مواقف المسلمين فى الهند لتأييد دولة الخلافة ثم تأييدهم لجلالته ضد الهاشميين ، واشتراكهم فى المؤتمر الذى دعا إليه جلالته عند تبوئه حكم الحجاز ، ولذلك كانت المملكة العربية السعودية فى مقـــدمة الدول التى اعترفت بحكومة باكستان ، وأيدت اشتراكها فى هيئة الأمم المتحدة ، وأسست لها مفوضية فى كراتشى لتكون واسطة لتقوية أواصر الصداقة والود بين البلدين ، واختار صاحب الجلالة أحد خدمه الأخصاء هو السيد عبد الحميد الخطيب ليكون وزيرا مفوضا ومندوبا فوق العادة لدى هذه الحكومة الفتية ، وقد نال ثقة الحكومة ومحبة الشعب ، كما عينت حكومة باكستان الحاج عبد الستار سيت وزيرا مفوضا ومندوبا فوق العادة لها ، لدى المملكة العربية السعودية .

ولما أن توفى القائد الأعظم محمد على جناح أسف جلالة الملك لوفاته جدا . وأمر أن تقام على روحه صلاة الغائب فى المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ثم إن باكستان قد انتدبت فى حج عام ١٣٦٨ هـ وفداً من قبلها لزيارة

المملكة العربية السعودية برياسة صاحب المعالى الخواجا شهاب الدين وزير الداخلية، فكان موضع تقدير جلالة الملك ورجال حكومته ، وكان هذا الوفد خلال إقامته فى الحجاز خير مثال لباكستان الدولة المسلمة وصديقة العرب المخلصة ، بما بدا منه من التقى والصلاح والحب المتبادل مع عموم الطبقات فى تلك البقاع الطاهرة ، وعاد الوفد إلى بلاده شاكراً ممتنا .

وكان من أثر حب جلالة الملك لباكستان أن منح وزيره المفوض فيها سيفاً وخنجراً من الذهب الخالص تقديراً له على ما أبداه من نشاط لتمكين الصداقة وحسن العلاقات بين البلدين .

باكستان كما رأيتها (١)

(باكستان) معناها الأرض الطاهرة ، وتطلق على البلاد التى أسسها مسلمو الهند ليكونوا فيها أحرارا فى إقامة شعائر دينهم ، وتعاليم نبيهم العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ولقد قال لى مؤسس هذه الحكومة الفتية القائد الأعظم محمد على جناح رحمه الله (إننا لم نؤسس باكستان لمسلمى الهند فحسب بل لتكون مقرا للدعوة الإسلامية) فأكرم بدولة قامت باسم الإسلام ، وقرر برلمانها أن يستمد دستورها من كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا رئيس وزرائها لياقت على خان يخطب وينادى بعظمة الإسلام فى كل مكان ، ويعلن بأعلى صوته فى الكونجرس الأمريكى بأن العالم اليوم ينقسم بين الشيوعية والديمقراطية ، ولكن الإسلام هو الوسط الذى يحقق العدالة الاجتماعية فى الإنسانية .

والباكستان لاخوف عليها من الشيوعية ما دامت تعتز بالإسلام . وأن الغرض الأساسى الذى من أجله أنشئت باكستان هو إتاحة الفرصة لمائة مليون من البشر حتى يعبدوا الله فى حرمه ، ويحققوا العدالة فيما بينهم كما جاء بها الإسلام الذى يضمن الحياة الكريمة لكل إنسان .

والباكستانيون من أشد الناس تمسكا بالدين ، وانقيادا لقادته وشيوخه ، وفى الشباب والقادة اليوم رغبة صادقة فى تفهم مبادئ الإسلام الحقة وتعاليمه النافعة ، فلايمضى يوم لى هنا دون أن يزورنى جماعة منهم باحثين عن أمور دينهم ، وعن

(١) هذا المقال نشرته مجلة البشير فى العدد الثانى من السنة الثانية .

أسباب تأخر المسلمين ، والسبيل لإنهاضهم من كبوتهم ، وإنى لأجيبهم بما يملأ قلوبهم إيمانا وتقوى .

ومن أمثلة ذلك أنه جرى لى حديث مع رئيس الرابطة الإسلامية فى لاهور حول هذا الأمر ، فأنبأته أن السر فى تأخر المسلمين هو عدم معرفة الله معرفة تجعلهم يثقون بوعده ووعيده ، وانصرافهم إلى غيره فى الملمات ، ولاسبيل إلى نهوضهم إلا بتصحيح العقائد، وتمكين التوحيد فى القلوب ، وإحكام الصلة بين الخلق والخالق ، فخرج من عندى وقد عاهدنى على العمل لهذه الغاية ما استطاع. وجاءنى مرة وزير مالية السند مير غلام تالبو من أصحاب المزارع الكبيرة، وأخذ يبحث معى فى السبل التى يمكن بها مقاومة الشيوعية . وما يقال من أن خير وسيلة لذلك هو أن يضرب على أيدى الأغنياء وتؤخذ بعض أراضيهم لتوزع على الفقراء ، فأكدت له أن هذا لا يجدى نفعا ، وإنما ينبغى معالجة الموضوع بنفس العلاج الذى عالج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أن نسمو بالنفوس عن دائرة المادة الضيقة إلى فضاء الروحية الفسيح ، فالمال محبوب إلى النفوس ، ولايمكن للإنسان أن يتخلى عن جزء منه إلا فى مقابل فائدة يجنيها ؛ ولذلك فقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا على غرس محبة الله فى قلوب الناس ، ثم دعاهم إلى بذل النفس والمال فى سبيله بما تلاه عليهم من آيات كتابه الكريم ، فأقبل الصحابة رضوان الله عليهم على الإنفاق حتى كان الرجل يحاول أن يجود بكل مايملك لوجه الله فيرده عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « الثلث والثلث كثير لأن تترك أبناءك أغنياء خير من أن تتركهم فقراء يتكففون الناس » فإذا لم تغرس محبة الله فى نفوس الأغنياء فلاينتظر منهم أن يواسوا الفقراء ، ولا أمل فى حل هذه المشكلة .

والآن إذا أخذنا من الأغنياء بعض أراضيهم ، فإنا لا نضمن أن نغنى بها جميع الفقراء ، ولا يمكن أن تحل هذه المشكلة بمثل هذا التصرف ، فاقتنع بذلك وعاهدنى على أن يغير من أسلوبه فى معاملة المزارعين فى أراضيه الواسعة ، وأن يحض الناس على هذا ؛ كما أننى زرت مرة مقبرة جهانكير فى لاهور ، فأبصرت الناس عاكفين على تابوته يدعون ويعقدون الخروق بالنذور عليه فنصحتهم بالإقلاع عن ذلك لأنه ينافى التوحيد الخالص فتظاهروا بالطاعة ، فطلبت منهم أن يقطعوا تلك العقد ، وتقدمتهم إلى ذلك فاتبعونى ، وقطعنا جميع ماعقد خلال عشرات السنين .

ويستنتج من كل هـذا مدى تقبل الناس للنصيحة ، واستعدادهم للاهتداء بهدى الإسلام .

وهم يحبون العرب باعتبارهم شعب الرسول الذى وصل إليهم الإسلام عن طريقهم ، كما أن لهم شغفا عظيما بتعلم اللغة العربية ؛ ويرغب الكثير منهم ، وخصوصا أهل باكستان الشرقية فى جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة ، لأنها هى لغة القرآن التى يمكن جمع الكلمة بها ، والتى بها يستطيعون التفاهم مع سائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد ألفوا فى الدعوة إلى هذا عدة رسائل ومقالات فى الصحف اليومية ، وألقى السيد زاهد حسين مدير بنك الدولة محاضرة قيمة فى تأييد اللغة العربية كان لهـا تأثير حسن جدا فى النفوس وصادفت ارتياحا عظيما من جميع الطبقات وقد تأسست جمعية لتعليم العربية برياسته .

وللمملكة العربية السعودية والجالس على عرشها صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود مكانة عظمى فى قلوب أهلها باعتبارها البلاد المقدسة التى بها قبلتهم وقبر نبيهم ، وأنها البلاد التى تقيم حكومتها حدود الله وتنفذ أحكام الشريعة السمحاء . . .

ولقد تجلى لى كل هذا مما يخصنى القوم من مختلف مظاهر الود والتكريم التى تعبر عن ماتكنه القلوب من الحب الخالص لله وفى سبيل الله . بل إنى أستطيع أن أذهب إلى أبعد من هذا فأؤكد أنى لم ألمس حقيقة الحب فى الله فى بلد من بلاد الإسلام كما هو فى باكستان ، هذه البلاد التى نحبها ونفاخر بها وتربطنا بها وبأهلها عدا رابطة الدين القوية ، رابطة القربى والرحم ؛ فكثير من العائلات فيها ممن ينتمى إلى أصل عربى يرجع عهده إلى عهد الفتح الإسلامى ، وكثير منهم من هاجر إلى بلادنا واستوطن بها وأصبح من ذوى الوجاهة بيننا . ولقد أتيحت لى الفرصة فى العام الماضى فى أن أتوغل فى داخل البلاد وأطوف فى أنحاء مناطق السند وبهاولبور وبنجاب، وأزور قبائل الحدود ، وأتفقد المعاهد العلمية والمنشئات الصناعية فتجلت لى عظمة الشعب من انكباب أبنائه على العلم ودأبه على مزاولة الأعمال الحرة وسعيهم الحثيث لتدارك ماتحتاج إليه بلادهم ليركزوا استقلالهم على أساس اقتصادى متين ، ففى بهاولبور معامل النسيج الضخمة التى لاتزال تنتج كميات وافرة من النسيج الوطنى، وقد أضافت عليها الحكومة عدة مشاريع لبناء معامل النسيج الضخمة جدا ،

ومزارع للقطن التى يزرع فيها أكثر من عشرة أنواع للقطن ، علاوة على معاهد البحث وترقية الإنتاج . ومعمل السكر العظيم الهائل فى مردان إحدى مديريات الحدود . ومزارع القصب التى تحيط به ومزارع الموالح فى بشاور والبنجاب التى أصبحت بفضل جهود أبناء الباكستان وسعيهم الحثيث تنتج أجود أنواع الموالح وتصدرها ، وتضارع مستحضراتها من المربيات والأشربة وغيرها من الفواكه المصبرة من منتجات استراليا .

وأعظم ما ملأ قلبي سروراً منظر ذلك الشباب النشيط المختص فى مدارس الطيران بكلية كوهات وطلاب الأكاديمية الحربية الباكستانية فى « كاكل » ورجال التدريب البحرى فى كراشتى على المدرعات التى لا تقل عن أحدث الأساطيل العالمية فإذا حدثت أحدا منهم تجده مستعدا من صميم فؤاده لأن يكون جنديا على ثغر من ثغور الإسلام ، وسرعان مايتدرك سائلا عن الحالة العسكرية فى البلاد الإسلامية الشقيقة ، ولعل القارئ يعلم أن حكومة باكستان تنفق نسبة كبرى من ميزانيتها على الدفاع حتى إنها أقامت مصانع للأسلحة وأعدت جيشا هائلا مدرّبا أحسن تدريب مجهزا بأحدث المعدات كى تحافظ على سلامة أراضيها وتحمى الرسالة التى أنشئت من أجلها .

والمرأة متمسكة بتعاليم دينها محافظة على تقاليدها متصفة بالأخلاق الفاضلة ، وقد نالت قسطا وافرا من التعليم والتهذيب ، وهى تمقت الخلاعة وتنكر تقليد الأوروبيات فى أزيائهن وتبهرجهن ، وقد قالت لى مرة حرم لال شاه بخارى مدير البروتوكولات بوزارة الخارجية : إن الإنجليز قد أقاموا بيننا سنين طويلة ، ولكنهم لم يستطيعوا خلالها أن يحملوا المرأة الباكستانية المسلمة أن تغير زيها أو أن تتخلى عن آدابها الإسلامية .

وأكثر نساء الباكستان يحافظن على الحجاب الشرعى حتى فى أثناء الدراسة فى الجامعات، على أنى لا أرى فى السافرات منهن خروجا عن حدود الحشمة والوقار فهن لايبدين من أجسامهن غير الوجه والكفين . وهنا كثير من الجمعيات التى تعمل لتعليم النساء الدين عن طريق مدارس إسلامية فى جميع أنحاء باكستان .

باكستان فى أربع سنوات (١)

يزعم الكثير من الناس أنه لاتلازم بين الدين والدولة ، وهو زعم فاسد منشؤه الجهل بحقائق الأمور : فالدين معناه فى الأصل الطاعة ، حيث يقول تعالى « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » ثم خصص بالطاعة والانقياد لأوامر الله باعتباره هو خالق العباد المستحق لطاعتهم . والدولة اسم الشيء الذى يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك من المال والغلبة ، فأطلقت فى لغة السياسة على الحكومة التى هى صاحبة القوة والسلطان ، وبهذا يتضح حاجة الدولة إلى الدين ، فهما متلازمان متحدان لاغنى لأحدهما عن الآخر .

ولما كان الإسلام لا يعترف للغلبة والسلطان لغير الله الواحد الديان ، ويأبى أن يكون الإنسان عبدا مطيعا لأخيه الإنسان عهد الله إلى رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بين الناس وأنزل عليه كتابه القرآن دستورا سماويا عاما يشمل حياة الفرد والجماعة ويضمن سعادة الجميع فى الدنيا والآخرة ، بل ويحاسب العباد على جميع أعمالهم اليومية الخاصة والعامة ويعتبرها كلها عبادة يؤجر عليها إذا قصد بها الطاعة ولم تكن تخالف أحكامه . وصدع الرسول بأمر ربه ونشر دعوته وحكم أمته وساس رعيته وجمع بين السلطتين الروحية والتنفيذية ، فكان إماما وقدوة فى الصلوات، وحاكما عدلا فى المعاملات، وقائدا عاما فى الساحات، وهو لم يخرج فى كل هذه المواقف عن كونه خليفة الله فى أرضه منفذا لأوامر الله مطبقا لأحكام القرآن الذى هو القانون الأساسى الذى تتفرع عنه سائر الأحكام ، إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق لجميع الأنام ، والذى يمنح النصر لمن يشاء من عباده .

وتحت تأثير هذه العقيدة أو الثقة الكاملة بالله كون الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم شعبا قويا جبارا لا يخاف الموت فى سبيل إرضاء الله ونيل العزة فى هذه الحياة . وعلى سواعد أمثال أولئك الأبطال نشأت الحكومات الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ففتحوا الأمصار وسادوا العالم بقوة الله وعن طريق الثقة بنصره وتأييده ، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات

---

(١) هذا المقال نشر فى مجلة البشير عدد ١٢ السنة الثالثة .

وركنوا إلى المـاديات وقطعوا صلتهم ويقينهم بالله بارىء الأرض والسموات ومصدر جميع القوى المختفية وراء هذه المحسوسات ، فترتب على ذلك تخاصم الدول وتقاتل الشعوب على المـادة وإمعانهم جميعا فى الظلم والاستبداد والاستعمار والاستعباد .

ولقد كان إقبال شاعر الإسلام يدعو قومه إلى الرجوع إلى الله والعمل لاسترجاع مجدهم وحريتهم بكل الوسائل والأسباب ، وقام القائد الأعظم محمد على جناح بتنفيذ الفكرة وتحقيق الغاية وجاهد وطالب بإنشاء دولة باكستان ليحكم المسلمون أنفسهم بشريعة القرآن ، فتم له مايريد وتحرر هذا الشعب العظيم الذى كان أعزل من السلاح بقوة العزيمة والاعتماد على الله بعد أن كان الناس يظنون أن مسلمى الهند إذا أمكن لهم التحرر من حكم الإنجليز فلا مفر من سيطرة الأكثرية الهندوسية ولكنها معجزة الله فى القرن العشرين وفيها خير مثل وعبرة لمن اعتبر .

فلا غرو إذا ما رأينا فى شعب باكستان حبا عظيما للإسلام ولا غرابة إذا ماشاهدنا روحه القوية تنبعث من قلوب أبنائه فتملأ الدنيا دعوة إلى التمسك بالدين واتباع سيد المرسلين وأن تعمل جاهدة للمّ شعث المسلمين وتوحيد كلمتهم وتدعيم نهضتهم والدفاع عن حقوقهم فى كل مكان، فهذا رئيس وزرائها السيد لياقت على خان يقول فى إحدى خطبه (إنا لم نطالب بالانفصال عن هندوستان إلا بحجة أننا مسلمون نريد أن نتبع أحكام ديننا وأن القائد الأعظم قد أعطى على نفسه عهدا بأنه لم يطالب بباكستان إلا ليحكم المسلمون أنفسهم بالإسلام وأن يطبقوا نظامه الخاص فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وكل فروع الحياة . إننا نريد بناء دولة جديدة عظيمة فهل نبنيها بحطام المدنية الغربية التى أثبتت فشلها . وإن الإنسانية المعذبة لا ينقذها إلا الله بتعاليمه التى أرسلها على رسله ؛ ولتكن الباكستان هذه الأمة التى تطبق تعاليم الله ليرحمها سبحانه وتعالى . إنا نريد أن ننهض بأمتنا إلى المثل العليا من الحرية والأخوة والديموقراطية الحقة التى جاء بها كتاب الله وسنة رسوله » .

« لقد أفسدت علينا المدارس الأجنبية ديننا وأخلاقنا ونريد الآن أن ننشىء أولادنا نشأة إسلامية صالحة ونخلقهم بالخلق المحمود » وهذا وزير خارجيتها السيد ظفر الله خان ينصب نفسه للدفاع عن حقوق العرب والمسلمين فى كل مكان، وهذا الدكتور محمود حسين وزير الدولة فى باكستان يشرح سياسة الحكومة فيقول :

(إن الوحدة الإسلامية هى الهدف الأساسى الذى تعمل الباكستان لتحقيقه . وقد تبين هذا واضحا فى كل ما عرض على هيئة الأمم المتحدة من مسائل خاصة بالدول الإسلامية حيث أيدت باكستان بكل قواها قضايا هذه الدول وقضايا الحرية بوجه عام) . وقال (ولم يكن تأييدنا للدول الإسلامية قاصرا على إظهار عطفنا على قضاياها لحسب ، بل تضمن جهودنا المتواضعة التى بذلناها للتقريب بينها بالصداقة أو التحالف . والواقع أن هذا أمر نعاق عليه أعظم الأهمية) وأضاف قائلا « إننا لا نسعى إلى زعامة كتلة أو أخرى من الدول ، فإن ما نسعى إليه هو خدمة الجميع حيثما وجدنا إلى الخدمة سبيلا، وإنه ليسرنا أن علاقاتنا بالدول الإسلامية فى الوقت الحاضر طيبة جدا ولكن هناك ويا للأسف دولة واحدة — هى أفغانستان — لا تقوم علاقاتنا بها على النحو الذى نرجوه من الصداقة المتينة ونحن نأمل أن تتحسن هذه العلاقات فى يوم من الأيام وأن تتوطد الصلات بين دولتينا الإسلاميتين المتجاورتين » .

وهذا سفيرها فى مصر الحاج عبد الستار سيت يقول فى خطاب له فى المنصورة أثناء زيارته لها (إن الباكستان وهى تجاهد لنيل حريتها كانت تحارب عدوين لدودين الأول هم الإنجليز المستعمرون والآخر هم الهندوس الوثنيون فقد كان كل منهما يحاول استعباد الباكستان ولكن الباكستان لا تدين بالعبودية لغير الله) وتطرق من ذلك إلى الكلام عن الدستور الباكستانى فقال « إنه مخالف للديمقراطية وللشيوعية كل المخالفة ، لأن الديموقراطية ترى أن الحكم يجب أن يكون بإرادة الشعب والشيوعية ترى أن الملك يجب أن يكون كله للدولة لا للأفراد .

أما الباكستان فهى ترى أن الحكم والملك لله وأن القرآن يجب أن يكون دستور المسلمين بل دستور العالم أجمع ، فإن الإسلام يجمع بين الدنيا والدين ، وها هى باكستان تعقد مؤتمر العالم الإسلامى مرتين فى كراتشى عاصمة الباكستان للبحث فى تشخيص أدواء المسلمين ووصف العلاج الناجع لهم : الأول برياسة شيخ الإسلام المرحوم شبير أحمد عثمانى الذى أذاع فى نهايته بيانا للمؤتمرين جاء فيه : « إن كل أسباب المصائب والنكبات التى حلت بالأمة الإسلامية ترجع فى جملتها إلى شىء واحد فقط هو ضعف الإيمان بالله وعدم الثقة به وفساد العقيدة فسادا قتل روح الإسلام فى قلوب المسلمين . فلو أن العقيدة الإسلامية كانت متمكنة فى قلوبهم

كما كانت فى قلوب السلف الصالح لما انحرفوا قيد شعرة عن تعاليم الإسلام ولما غير الله من حالهم شيئا ، ولحقق لهم وعده ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونه لا يشركون به شيئا ، وإن هذا هو جوهر الدين والدعوة الإسلامية بل أساس الأديان السماوية كلها ، فعلى المسلمين أن يبدءوا بإصلاح أنفسهم من هذه الناحية حتى يرسخ التوحيد ويتمكن كل التمكن فى قلوبهم وتظهر آثاره الطيبة على ألسنتهم وجوارحهم . فإذا بدءوا به فالله كفيل لهم بالمزيد من التوفيق والهداية والإمداد « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم — إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظ على جوهر هذه الدعوة كل المحافظة، وينكر كل شىء ينقص منها أو يكون ذريعة فى الإخلال بها من كل مايصرف الناس عن التوجه إلى الله والركون إليه بحيث يفوت الالتفات التام إلى الخالق سبحانه وتعالى ، وإن دعوة كل الأنبياء كانت تبدأ بقولهم « ياقوم اعبدوا الله — ولا تدعوا مع الله أحدا » .

والمرة الثانية للمؤتمر الإسلامى كانت برياسة صاحب السماحة المجاهد العظيم الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ وقد افتتحه رئيس حكومة باكستان صاحب الدولة لياقت على خان بخطاب بليغ جاء به قوله (الواقع أن الأهداف الرئيسية التى كانت تسعى إليها الرابطة الإسلامية والتى أدت إلى تأسيس باكستان وتوطيد عرى الروابط الأخوية بين مسلمى شبه القارة ومسلمى بقية أجزاء العالم الآخر ، ولم تكن الفكرة التى استشعروها فى حركتهم لتأسيس باكستان هى إضافة دولة جديدة إلى مجموعة الدول القائمة فى العالم أو إضافة لون جديد إلى خريطة العالم المتعددة الألوان ، بل إن باكستان ظهرت إلى عالم الوجود نتيجة للرغبة الملحة التى كان يحسها سكان شبه القارة فى إيجاد دولة قد تكون محدودة المساحة حقا ولكى يطبق فيها المذهب الإسلامى وطريقة الحياة التى ينادى بها الإسلام ومن ثم يعرضا على أنظار العالم، وأهم مايهدف إليه هذا المذهب هو جعل الأخوة الإسلامية حقيقة واقعة ، لذلك فإنه من واجبات باكستان أن تبذل غاية مافى وسعها لتوطيد أواصر الصداقة والتعاون بين الدول الإسلامية ، وكثيرا ما أكد القائد الأعظم

فى خطبه أن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم فى مختلف الدول الإسلامية أن يوحدوا صفوفهم ويتعاونوا متبادلين المشورة مع بعضهم بعضا) . وخطب فى هذا المؤتمر وزير التعليم السيد فضل الرحمن فقال : (لا أريد أن أسهب فى ذكر عوامل انحطاط المسلمين العلمى ولكن أرى لزاما على أن أسأل فى هذا الموقف عن روح تلك النهضة العلمية الرائعة فى العالم العربى) وإن جوابى على هذا السؤال بسيط يؤيده التاريخ . (لقد كانت تلك الروح ، روح التوحيد التى كهربت العرب فحررت عقولهم من قيود الخرافات والرجعية الجاهلية . إن هذا الدين الذى اعترف بوحدانية الجنس البشرى حيث يمارسون فى ظله قواهم الإبداعية على أتم وجه قد دفع بهم إلى ذلك الفوز المجيد فى العالمين المادى والروحى) .

ولم تقتصر الباكستان فى عملها الإسلامى على مجرد عقد هذا المؤتمر، بل إنها عملت على تكوين وحدة اقتصادية بين البلاد الإسلامية جعلت نواتها المؤتمر الإسلامى الاقتصادى الذى عقد فى كراشى بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣٦٩ هـ برياسة السيد غلام محمد وزير المالية وعقد مرة أخرى فى إيران فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٦٩ هـ ومما قاله دولة لياقت على خان رئيس الوزراء فى المؤتمر الاقتصادى المذكور (إننى لأعتقد اعتقادا راسخا بأن الإسلام وحده هو الذى يستطيع حل المشاكل التى تجابه العالم اليوم ؛ لأن الإسلام ليس الدين الذى يتناول ناحية واحدة من حياة الإنسان وإنما هو منهاج حياة الإنسان ، فالإسلام لا يقسم الحياة إلى قسمين قسم لله وقسم لقيصر ، فهو يشمل جميع نواحى حياة أتباعه فرادى وجماعات ويقضى بمساواة البشر وبالأخوة وبتوزيع الثروة توزيعا عادلا وبمنع الحروب بين المسلمين ، وهو إلى هذا يدعو إلى الخضوع التام لمشيئة الله سبحانه عز وجل ؛ ثم هو باعتبار المعايير العصرية يرمى إلى إقامة المجتمع على أساس المساواة والأخوة والحرية والعدالة ، مجتمع لاتهمل فيه حاجات المرء الروحية ولا تضحى فيه فى مقابلة حاجاته المادية ، وهذا هو السبب الذى يدعونى إلى القول بأن ليس ثمة نظام آخر من الممكن بواسطته حل تلكم المشاكل التى تجابه البشرية اليوم والتى تتهددها بخطر الفناء التام إن هى استمرت فى سيرتها الحاضرة » .

وقال السيد غلام محمد وزير مالية باكستان فى الجلسة المذكورة : إن هذا المؤتمر الإسلامى من الأقطار الإسلامية ومن الشعوب المسلمة وهذه الصلة وحدها تدل على

أن الإسلام هو الرابط التى وحدت بين شعوب تختلف عنصريا عن بعضها كان — كما يثبت التاريخ — أوثقها وأقواها ، فلقد خلف الإسلام أخوة لم تخلق إخوة عالمية أخرى مثلها ، وأوجد الإسلام ديموقراطية اجتماعية قضت على جميع الفوارق العنصرية والطبقية وألقى على العالم درسا خالدا فى وحدة الإنسانية وتماسكها) .

ولم تأل باكستان جهدا فى سبيل نشر اللغة العربية وتعميمها باعتبارها هى لغة القرآن . فقد عقدت مؤتمرا فى حيدر آباد السند باسم مؤتمر العربية برياسة السيد عمر بهاء الأميرى وزير سوريا فى باكستان ، ثم اجتمع أقطاب المؤتمر فى كراشى وألفوا لجنة لهذا الغرض وعهدوا برياستها إلى السيد زاهد حسين مدير بنك الدولة الباكستانية ، كما عقد أهل باكستان الشرقية مؤتمرا لهذا الغرض فى ٢ جمادى الآخر سنة ١٣٧٠ هـ .

هذا عرض بسيط لما يملأ نفوس إخواننا الباكستانيين من الروح الإسلامية ونظرتهم الصادقة نحو الدين . وإنى على يقين بأن أمة هذا شعور قادتها وزعمائها نحو الإسلام لابد وأن يكتب لها الله النصر ويمدها بعونه وتأييده فتعز بعزه وتسمو بسر تمسكها بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

المُلك وأندونيسيا

يعد الشعب الأندونوسى من أشد الشعوب تمسكا بالدين وأكثرهم غيرة عليه ؛ فقد انتشر الإسلام فى تلك البلاد بمجرد الدعوة التى بثها هنالك بعض تجار العرب ، وجرت عادتهم أن يرسلوا أبناءهم إلى الحجاز لطلب العلم فى المسجد الحرام ، ويعودوا لبلادهم فيتولوا وظائف القضاء والفتوى والتدريس ، وتتلمذ أكثر أولئك الأبناء على يد علماء السادة الشافعية فى مكة المكرمة أمثال الشيخ أحمد الخطيب صاحب المؤلفات العديدة والد واضع هذا التاريخ ، وكذلك الشيخ محمد سعيد اليمانى من علماء الشافعية . ولذلك كانت الأكثرية الساحقة فيها من المسلمين ، وكلهم من المقلدين لمذهب الإمام الشافعى . وهناك ميزة يمتاز بها المسلمون فى أندونوسيا هى أنهم

أبعد الناس عن الشرك ، فلا يعتقدون النفع أو الضر فى سكان القبور ، ولا يدعون فى الملمات غير الله وحده ، ومن أجل هذا نرى الأندونوسى المسلم قوى الإرادة عظيم الثقة . وهو شعب عامل نشيط قل أن تجد فيه فقيرا يستجدى الناس . ولكل هذه الصفات التى أنعم الله بها على ذلك الشعب نال الكثير من عطف صاحب الجلالة الملك المعظم وتقديره ، وكان أبناؤه فى الحجاز أثناء الجهاد الأندونوسى محل الاحترام ، ونالوا عظيم المساعدات . وبذل أيده الله جهودا موفقة فى سبيل تحريره، وكان الكثير من زعمائه المجاهدين فى سبيل تحريره على اتصال دائم بجلالته يهتدون بهديه ويعملون بنصائحه .

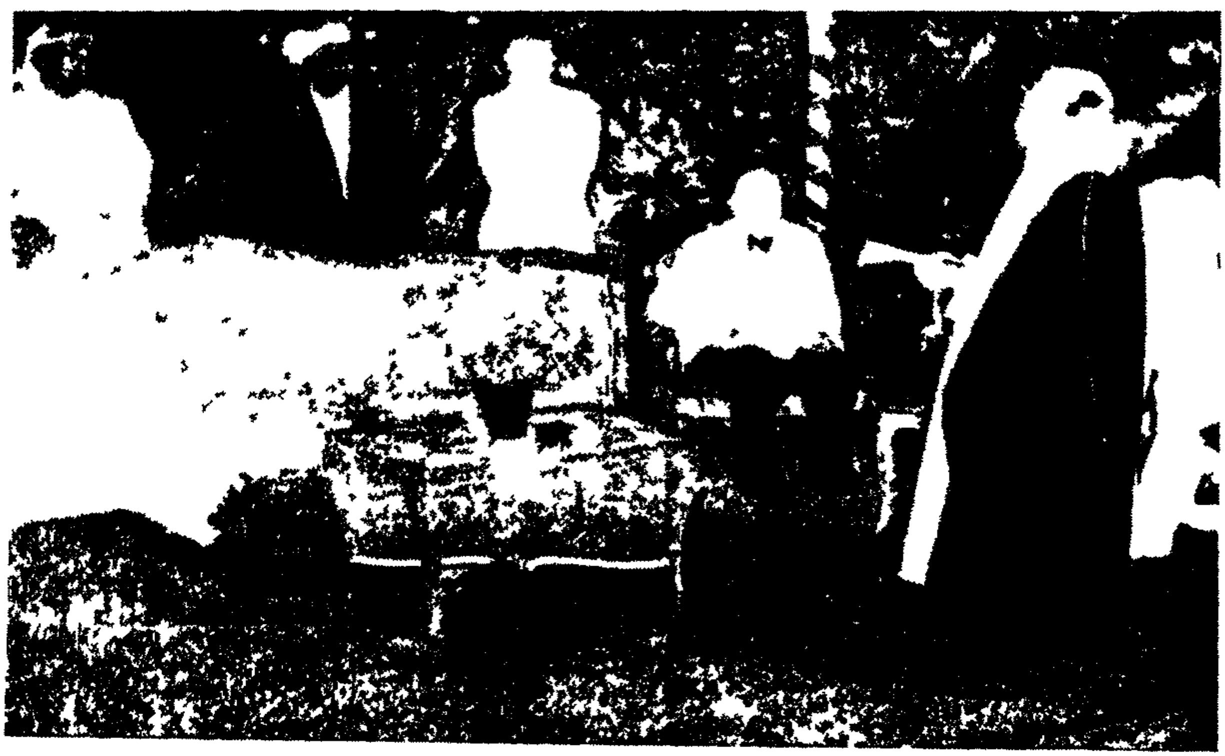
وعند ما أعلنت الجمهورية الأندونوسية استقلالها كانت الدول العربية أول من اعترف بذلك الاستقلال . ولما اعتدى الهولنديون على حرية زعمائها غضب لذلك جلالة الملك ، وبذل عدة مساع لإطلاق سراحهم إلى أن نالوا حريتهم واستأنفوا المفاوضات مع هولندا التى انتهت بقيام جمهورية الولايات المتحدة الأندونوسية .

وعند ماجرى تسليم السلطة من يد الهولنديين إلى جمهورية الولايات المتحدة الأندونوسية كان جلالة الملك أول من بادر بانتداب وفد من قبله لتهنئتها ، قوامه : السيد عبد الحميد الخطيب وزير جلالته المفوض بباكستان ، والشيخ محمد صالح قزاز مدير مديرية الحج والزراعة ، وحمل الوفد هدية قيمة إلى الرئيس أحمد سكارنو ربما كانت هى أولى الهدايا إليه وأفضلها ، وهى عبارة عن مصحف أثرى قديم موشى بماء الذهب وعلى هامشه تفسير لبعض الكلمات باللغة الفارسية وعلم سعودى كتبت فيه كلمة الشهادة بالقصب وسيف من الذهب الخالص .

وقد كان لهذه الهدية أحسن الأثر فى نفس الرئيس سكارنو لما تحمل من معان سامية هى التعاون على إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله والعمل بكتاب الله والدفاع عن ذلك بحد السيف . وبدأ الرئيس سكارنو باكورة أعماله بالاحتفال بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم فى القصر الجمهورى ، وطلب من مندوب جلالة الملك ابن السعود أن يخطب فى ذلك الحفل ، فألقى على الحاضرين الكلمة التى ستذكر فيما بعد ، وقد اتخذها الرئيس موضوعا لخطابه ، وقد نالت إعجابه بصورة يعجز القلم عن وصفها . وقد استهل الرئيس خطابه بشكر مندوب جلالة الملك على ما أوضحه عن النبى الكريم وسيرته العظيمة ثم قال (لقد اعتاد الناس أن يمجدوا ذكر عظمائهم ، وإنى لا أرى فى الوجود من يستحق التمجيد والتعظيم غير نبينا محمد



صاحب الجلالة الملك وإلى يمينه سعادة الخوجة شهاب الدين وزير داخلية الباكستان
وإلى يساره سعادة عبد الستار سيت وزير الباكستان المفوض في المملكة



صاحب الفخامة الخوجة ناظم الدين الحاكم العام للباكستان في دار المفوضية السعودية بكراتشي



صـ ـب الفخامة الرئيس سوكارنو ستقبل السد عبد الحمد الخطيب مندوب جلالة الملك المعظم
في حفلة تسلمه للسلطة في جاكرتا



صاحب الدوله محمد حتا رئيس وزراء إندونيسيا يتحدث مع السيد عبد الحميد الخطيب
مندوب جلالة الملك المعظم في القصر الجمهوري جاكرتا

صلى الله عليه وسلم ، لأنه هو ذلك النبي الذى جاء برسالة تخرج الناس من الضلال إلى الهدى ، ذلك النبي الذى كان مؤيدا من رب السموات العلى) ثم أطال فى امتداحه واستشهد يبحث الوزير المفوض فى موضوع العقيدة ، فروى قصة هى : أن حكيما سئل عما يحتاجه الإنسان فى هذه الحياة ؟ فأجاب ثلاثة : الطعام والقوة والإيمان ، فقال له المريد : وإذا لم يتيسر الجمع بين هذه الثلاثة فما هو الذى يمكن الاستغناء عنه ؟ فقال القوة ، قال المريد : فإذا لم يمكن الحصول على الاثنين الباقيين فما هو الذى يمكن الاستغناء عنه ؟ فقال الطعام ، أما الإيمان فهذا ما لا يمكن التخلى عنه ، ولا يكون الإنسان إنسانا إلا به ، وأفاض فى ذكر مزايا الإيمان والثقة بالله بحماسة زائدة ، وصار يطرى مآثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويستشهد بما جاء فى خطبة مندوب الحكومة العربية السعودية الوزير المفوض عن سيرته وأعماله مرارا ، ولقد دل فخامته بخطابه هذا على ماتنطوى عليه نفسه الكريمة من الثقة بالله ، وما يرجى أن يتم على يده من نصر دين الله ، وفقه الله وأعانه .

نص الخطاب الذى ألقاه « السيد عبد الحميد الخطيب فى حفلة المولد النبوى بأندونوسيا » بالقصر الجمهورى فى مساء يوم الأربعاء ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٩ الموافق ٢ يناير سنة ١٩٥٠ وأذاعته محطة الإذاعة من جاكرتا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرة صاحب الفخامة الرئيس الجليل ، حضرات أصحاب السعادة والفضيلة إخوانى الأعزاء :

إن من أكبر دواعى الغبطة والسرور أن تتاح لى هذه الفرصة السعيدة فى هذا القصر المنيف فأتحدث إليكم عن شئ من سيرة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، الذى اصطفاه ربه لتبليغ رسالة التوحيد ، وأرسله هدى ورحمة للناس أجمعين ، وأوحى إليه كتابه الكريم ، وأيد بنصره كل من اتبع شريعته إلى يوم الدين . وإنه لجميل جدا أن يبدأ رئيس جمهورية أندونوسيا الجليل باكورة أعماله بالاحتفال بمولد هذا النبي الكريم بعد أن احتفلنا بالأمس القريب بمولد دولة أندونوسيا العظيمة ، لأنه بهذا إنما يعبر عما تكنه نفسه الكريمة من حب كبير لذلك النبي الكريم ، وتعلق

بمقامه الرفيع ، ورغبة صادقة فى تفهم سيرته عليه الصلاة والسلام ، للاقتداء بها واتباع تعاليمها ، لتنال بفضلها أندونيسيا العز والتأييد .

فرحى مرحى لهذا الشعور الطيب والغاية السامية ، والحمد لله على ذلك .

ياحضرات السادة إن لنا فى سيرة نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام ماينير لنا الطريق إلى تسنم ذرى العظمة ونيل أعلى درجات العزة .

فقد ولد صلى الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم بمكة المكرمة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، ونشأ يتيما . مات والده وهو فى بطن أمه ، وماتت أمه وعمره سبع سنين ، وقد رعى عليه الصلاة والسلام الغنم فى صحراء الحجاز فى صغره ، ثم اشتغل بالتجارة ؛ وكان له شريك يدعى سائبا ، ولم يشغله هذا عن التفكر فى آلاء الله ، وتلمس الوسائل للاتصال به ، والتوجه إليه بالدعوات ومناجاته فى الخلوات .

وعند ماتمت له الصلة بمولاه ، وأمر بالدعوة إلى الله شمر عن ساعد الجد ، ومكث فى مكة ثلاثة عشر عاما يعمل على نشر ما أمر به باللين والحسنى وفصاحة القول وقوة الحجة ، غير هياب ولا وجل من قومه المشركين الذين دبروا له المكايد وحاولوا تحويله عن عزمه بمختلف الوسائل ؛ فلم يثنه ذلك عن مقصده ، ولم يضعف من قوته حتى أعيته الحيل ، وأيقن أن لاسبيل إلى بلوغ غايته إلا عن طريق القوة ، فهاجر إلى المدينة المنورة حيث عاهده أهلها على مناصرته بحد السيف ، فكان أول عمل له هو تأليف القلوب وتوحيد الصفوف ، فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان كانتا على اختلاف مستحكم ، ثم آخى بين المهاجرين من مكة والأنصار من أهل المدينة ، وكوّن من الجميع جبهة متحدة ، وأقر اليهود على تعاملهم ، وجعل لهم كامل الحرية فى اتباع دينهم ، وعاهدهم على كل ذلك .

وعند ما اطمأن إلى وحدة الأمة وأمن من الشرور الداخلية أخذ يبعث الغزاة إلى أطراف مكة لتعطيل تجارة المشركين من قريش والتضييق عليهم حتى اضطرهم لمقاتلته ، فنازلهم مرارا فى ساحة الوغى ، ونصره الله عليهم . ولقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على غرس روح الشجاعة فى قومه بتقوية معنويتهم ، بالثقة بالله ، والاعتماد على نصره ، وتأييده أكثر من الاعتماد على القوى المادية ، وضرب لهم الأمثال على مزية الاعتماد على الله بوقعة بدر حيث كان المسلمون من القلة

فى منتهى الذلة وكان المشركون يفوقونهم عددا وعدة حتى إنهم شكوا لرسول الله ذلك فطمنهم وثبتهم بقوله « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » ففرحوا وأقدموا على قتال أعدائهم حتى نصرهم الله عليهم ، فأنزل الله تعالى قوله « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ثم عقب الله على ذلك بقوله « وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » ومعناه أن نبأ إمداد الملائكة ما كان إلا لمجرد التطمين لقلوبكم بأمر مادى ، وإلا فإن النصر فى الواقع ما هو إلا منوط بأمر الله جل وعلا ، إذ هو وحده الذى يستطيع أن يكتبه لكم بمختلف الوسائل إذ يكثركم فى أعينهم ؛ وقد صرح الله بهذا فى قوله « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » كما ضرب الله مثلا آخر لنتيجة الاعتماد على القوى المادية حيث كان المسلمون من الكثرة ماجعلهم يزهون بكثرتهم ، فخذلوا وتفرقوا ، وثبت الله النبى ونفرا من أصحابه ، وكتب لهم النصر فى النهاية . وقد حكى الله ذلك بقوله « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

ورسم لنا الرسول الأعظم ما ينبغى أن يكون عليه المسلمون من الثبات وعدم أخذ الأمور بالشدة فى صلح الحديبية حيث قبل أن يصالح المشركين على شروط لم ترض الصحابة رضوان الله عليهم : منها أن كل من يأتى من المشركين إلى الرسول مؤمنا لا يقبله الرسول ويسلمه إلى المشركين ، الأمر الذى لا يتفق مع حرمة المسلم وكرامة الإسلام، وذلك مقابل أن يسمح له المشركون بدخول مكة سلما لأداء فريضة الحج فى العام القادم .

ثم إنه عند ماجاء فى العام القادم نكث المشركون عهدهم وأرادوا مقاتلته فاستعد لقتالهم : وعندما هم الرسول بدخول مكة فى العام القادم وعارضه المشركون لم يسلك طريق الشدة أيضا بل آثر أن يبعث لهم برجل كان موضع ثقة قريش، هو أبو سفيان ، فذهب هذا وأدخل الرعب فى قلوبهم من جيش النبى ونصحهم بالكف عن مقاتلته ، ففعل واستسلمت مكة له من غير حرب إلا بعض مناوشات بسيطة قتل فيها اثنا عشر رجلا فقط من المشركين .

ولما أن تم للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بسط سلطانه على مكة أصدر

عفوا عاما عن جميع مناوئيه وأخذ يتألف الناس بالحسنى ولين الجانب حتى صير خصومه أنصارا وأعوانا .

ولقد عمت دعوته وانتشر دينه حتى ملأ الخافقين ، فاهتدى الناس بهديه ورفرفت على العالم ألوية السلام والطمأنينة بسبب اتباع دينه ، وكتبت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولم يضعف المسلمون ولم تتضاءل عظمتهم إلا عند ماجهلوا حقائق دينهم وأهملوا اتباع نبيهم عليه الصلاة والسلام .

أجل، لقد جهل المسلمون حقيقة دينهم الحنيف فحسبوه مقصورا على مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج ، فحرصوا على الإتيان بهذه العبادات على أكمل مظهر وأحسن وجه ، وضربوا صفحا عن حكمة التشريع ومزايا الأحكام وترتب على هذا أن حاول جماعة منهم فصل الدين عن السياسة ، وفاتهم أن الإسلام إنما شرع لصيانة حق الفرد والجماعة وتوطيد دعائم السلم .

فالإسلام الذى يأمر بالصلاة والصيام يأمر بالعدالة وتنظيم علاقة الرجل بربه والخلق أجمعين ، بل يأمر بالعمل لكل مافيه سعادة البشر وتيسير وسائل الرزق لعباد الله ، كما يأمر بإعداد القوى المادية وتطلب العزة والحرية ورفع شأن الأمة وإعلاء كلمة لا إله إلا الله .

هذه الكلمة التى لو علم المسلمون معناها وعملوا بمقتضاها لسادوا العالم ولكان لهم شأن غير شأنهم اليوم ، ذلك لأنها تشعر المؤمن بحقيقتها أنه مامن أحد يملك النفع أو الضرر ويستحق العبادة والحب غير الله وحده ، وأنه دون سواه المتصرف فى الكائنات، العالم بالسرائر وحقيقة النيات ، وهذا مايحمل المؤمن على الاعتماد عليه وطلب المعونة منه ويجعله يبذل النفس والنفيس فى سبيل مرضاته ، ولا يقوم بأى عمل من الأعمال الدنيوية إلا وهو يقصد بها وجه رب البرية .

ومن أجل هذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعمال العباد فى هذه الدنيا تعد عبادة يجزى عليها الخير الجزيل فى الآخرة إذا ما أخلصت النية وقصد بفعلها وجه الله .

لقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى » وروى عنه أنه قال « إن فى بضع أحدكم لأجرا ، قالوا يارسول الله أيجامع الرجل زوجته ، وينال شهوته منها ويكون له أجر على ذلك ؟ قال نعم ، أليس يكون عليه

وزر إذا وضعها فى حرام ؟ قالوا نعم ؟ قال كذلك إذا وضعها فى الحلال فله أجر » .

فلا عجب ياحضرات السادة : إذا ما احتفل رئيس جمهورية أندونيسيا فى هذه الليلة الكريمة بعيد ميلاد هذا النبي الذى شهد الله بسمو خلقه حيث قال « وإنك لعلى خلق عظيم » وقال عن نفسه « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وجاء للعالم بتعاليم من شأنها أن تجعل المجاهد فى سبيل تحرير المسلمين من ذل الاستعباد فى أرقى الدرجات ، وتحتسب مايبذله المجاهدون من التضحيات قربة إلى الله يجزون عليها عالى الدرجات .

هذا الدين الذى يحض الملوك والأمراء على توخى العدالة فيما بين العباد حيث يقول صلى الله عليه وسلم « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة » . هذا الدين الذى يدعو الناس إلى ملازمة الاستقامة فى قوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم » .

هذا الدين الذى يشوق الناس إلى التقوى ومراقبة الله فيما يعملون بقوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا) .

وأخيرا فإنا نسأل الله القدير رب العرش العظيم كما أيد أندونيسيا ومكنها من نيل حريتها بسر هذا الدين الحنيف واختار عبده الرئيس أحمد سكارنو لقيادة هذه الأمة إلى ساحل السلامة وبلوغ هذا الاستقلال أن يوفقهم جميعا إلى اتباع تعاليم دينه الحنيف والعمل بكتابه المنيف حتى تعلو كلمة الله فى كل مكان ويرفع شأن الإسلام على مدى الأزمان .

اللهم ألف بين قلوبهم ، ووحد صفوفهم واجمعهم على التقوى ، وأيدهم بنصرك وتأييدك يامولانا يارب العالمين .

تم الجزء الأول

ويليـــه :

الجزء الثانى عن حياة جلالة الملك الخاصة

وأخلاقه وعاداته وخطبه وآثاره

فهـــرس الجزء الأول من كتاب الإمام العادل

تصويب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦٣	١٩	المدره العصى	المدره العيي
٢١٢	٢٥	احتلها	احتلتها
٢٢١	٤	بلدة	بلده
٢٢٢	٢١	الإحصاء	الإحساء
٢٣١	١٤	نهى	نهيٌ
٢٣٢	٢٥	ينعم	ننعم
٢٦٠	١٢	يقود	يقول
٢٩٧	٢٥	اشارت	أشادت

مطبوعات المؤلف

١ ــ تفسير الخطيب المكي (ظهر منه ثلاثة أجزاء) والباقي تحت الطبع .

٢ ــ رسالة جوهر الدين (وترجمت وطبعت بعدة لغات أخرى) توزع مجانا

٣ ــ مناجاة لله (أول وثان) .

٤ ــ سيرة سيد ولد آدم .

٥ ــ تائية الخطيب ، في : سر تأخر المسلمين وحكمة التشريع الإسلامي ومبادىء الإسلام وغاياته والاستغاثة الكبرى .

٦ ــ مجموعة : نهج البردة وهمزية الخطيب وأحبك ياربي .

٧ ــ تحية الحبيب صلى الله عليه وسلم .

٨ ــ إلى عموم المسلمين (دعوة إلى الرجوع إلى الله) توزع مجانا

٩ ــ بانت سعاد (دعوة إلى الجهاد في سبيل الله) توزع مجانا

١٠ ــ رثاء اقبال شاعر الإسلام .

١١ ــ مجموعة ثلاثة رسائل (باللغة الأوردية).

١٢ ــ محاضرات الخطيب بالمسجد الحرام (تحت الطبع) .